وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

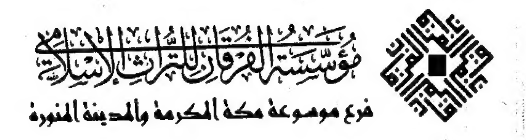
نور الدين علي بن عبد الله السمهودي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق وتقديم

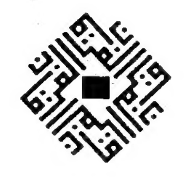
الدكتور قاسم السامرائي

الجزء الأول



الطبـــعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

١




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله على وافر آلائه وجزيل عطائه وسابغ نعمائه وجميل عفوه في قضائه والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وآله وصحبه الكرام

فهذا كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسَّمْهودي المتوفى سنة ٩١١هـ، والذي نُشر مرتين: فقد نشرته مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة في سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ بجزءين، عن مخطوطة مجهولة، وأعاد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، رحمه الله وإيانا، نشره بالقاهرة في سنة ١٣٧٣ ـ ١٣٧٤هـ بأربعة أجزاء، عن نسخةٍ أو نسخٍ لم يذكرها في مقدمته القصيرة[١].

الحق إنَّ النشرتين تَمُوْرَان بمئات الأخطاء والتصحيفات والتحريفات والسقط والزيادات والأوهام، إذ قلَّ أن تخلو صفحة منهما من خطأٍ في حرفٍ أو وهمٍ في نَسْخٍ، حتى قال فيهما الشيخ حمد الجاسر: "فإنَّ النسختين المطبوعتين من كتاب وفاء الوفا لا يصح الاعتماد على واحدة منهما بحالٍ من الأحوال"[٢]، ومن هنا ارتأت **مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي** فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة بجدة أن تُخرج النصَّ مرة أخرى محققاً تحقيقاً علمياً موثقاً، فعهدتْ به إليَّ وزودتني بمصوراتٍ من نُسخ راغب باشا وسليم أغا وميونخ والمتحفة البريطانية

---

(١) الظاهر أنه نشرها على نسخة "ص" وهي إحدى نسختي السيد الصافي لتشابه الأخطاء والأوهام بينهما.

(٢) أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ١٧٩.

والحرم المكي الشريف المخطوطة، واستطعتُ أنْ أحصل على بقية المصورات الأُخَر من نُسخ مخطوطة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة الشريفة بمساعدة تلميذي الدكتور عبد الرحمن بن سليمان المزيني مدير عام المكتبة.

واستطعت أيضاً أنْ أحصل على نسخة مكتبة مدينة شقراء العامة التي دخلت في حوزة مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بمساعدة تلميذي النجيب عبد الله بن محمد المنيف مدير قسم المخطوطات والنوادر في المكتبة الذي دلَّني عليها، وتفضل فزودني بنسخة مصورة منها وببعض المصادر المهمة التي لا توجد في مكتبة جامعة لايدن.

وتفضل الأخ الكريم والتلميذ الوفي الدكتور مازن مطبقاني، الاستاذ المساعد بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة الشريفة، بتزويدي أيضاً بما في مكتبته العامرة وبما وجد في دكاكين الوراقين في المدينة الشريفة من مصادر مهمة في عملي وبخاصة تواريخ المدينة الشريفة.

وتفضل الأخ الفاضل الدكتور عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، زاده الله فضلاً وعلماً، بتزويدي أيضاً ببعض المصادر المهمة في التحقيق، فلهم جميعاً اجزل الشكر وأعمُّ الثناء على خلقهم الرضيِّ ووفائهم الحَفِيِّ، وارجو الله تعالى أن يجزيهم أوفى الجزاء، وأن يُعينني على إنجاز تحقيقه وتوثيقه وإخراجه للمهتمين بتاريخ هذه المدينة الشريفة.

ومع ما في طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله وإيانا من أخطاء وأوهامٍ سبق أنْ رُمي بها الشيخ محيي الدين أيضاً في ميدان تحقيق النصوص الأخرى[1]، فإنني أرى أنه ـ رحمه الله وإيانا ـ لم يكن مسؤولاً عن كلِّ ما حدث في نشرته من أخطاءٍ وأوهام، فمن غير المقبول عقلاً أنْ تقع منه مثل هذه الأخطاء النحوية الفاضحة في النص وهو النحوي البارع، فلعله عهد بنسخ المخطوطة إلى أحد طلبته، كما يفعل غيره الآن، ومن ثم راجعها على عجالةٍ منه، أو أنه نسخ

---

(١) انظر ما قاله الدكتور محمود محمد الطناحي في ترجمته في: **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤، ٧٠ ـ ٨٠.

الكتاب من مخطوطة رديئة فلم يتسنَّ له توثيق نصها وتصحيحه على نسخة أخرى، فكثرت فيه الأخطاء والأوهام، حتى قال الشيخ حمد الجاسر في نشرة محي الدين هذه: "ويحسن أن نشير إلى أن مطبوعة **وفاء الوفا** التي وصلت إلينا فضلاً عما شانَ جُلَّ صفحاتها التي تبلغ ١٤٣٣ صفحة من الأخطاء، قد وقع فيها اضطراب وخلل في ما نقله السمهودي من كلام الهجري على الأحماء[١]"، وقال في مكان آخر: "إذ مطبوعة **وفاء الوفا** مملوءة بالأخطاء"[٢]، وهو لذلك أحصى المهمَّ من هذه الأخطاء في مقالةٍ لم تنشر بعد، تفضل فزودني ـ مع ما زودني به من مصورات بعض المخطوطات التي نقل السمهودي منها[٣]ـ بنسخة من هـذه المقالـة التي تحتوي على بعض أخطاء الجزء الثالث والرابع فقـط مـن نشرة محمـد محيي الدين عبـد الحميد، فله شكري الجزيل وامتناني الجَّم، وهو بعد الذي أقترح على إدارة **مؤسسة الفرقان للتـراث الإسلامي** بلندن إعادة نشر الكتاب محققـاً تحقيقاً علمياً موثَّقـاً، فقـد آلَمَـهُ ـ وهو المؤرخ الثبتُ ـ أنْ يكون نصُّ كتاب **وفاء الوفا**، وهو أوسع ما كُتبَ من التواريخ واشملها حول المدينة الشريفة، مشوّهاً.

إصدارات وفـاء الوفـا:

في أكثر نسخ **وفاء الوفا** يظهر قول السمهودي: فرغت من تأليفه في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨٨٦ بالمدينة، ثم بلغني بعد الرحلة إلى مكة المشرفة ما أُصيب به المسلمون في حريق المسجد فألحقته في محله (. . .) وكان الفراغ من تبييضه بالمسجد الحرام المكي في سلخ شوال سنة ٨٨٦ ثم ألحقت فيه ما سبق ذكره من العمارة المتجددة بعد رجوعي إلى المدينة سنة ٨٨٨.

والظاهر أنه كان يضيف إلي نسخته بعد هذا التاريخ ما كان يستجدُّ من أخبار

(١) رسائل في تاريخ المدينة ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ٥٣.

(٣) مثل: أخبار المدينة لابن شبَّة والروضة الفردوسية للأقشهري بخطه ونصيحة المشاور لابن فرحون والمغانم المطابة للفيروزأبادي.

وحوادث حتى الزمن القريب من وفاته، فقد ذكر في كلامه على معاليق الحجرة الشريفة (الفصل الخامس والعشرون) الحادثة التي نهب فيها حسن بن زبيري المنصوري[1] تلك المعاليق في سنة ٩٠١هـ[2]، وقد سجلها السمهودي ـ على ما يظهر ـ موجزةً في **وفاء الوفا** وبصورة أوسع في رسالة منفصلة نشرها حمد الجاسر بعنوان: **كائنة أمير المدينة** وجدها ملحقةً بكتابه الأخر: **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**[3] الذي ألَّفه بعد **اقتضاء الوفا** الذي أشار إليه مراراً بقوله: في الأصل[4] ثم اختصر هذا الأصل في كتاب **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، وهو الذي بين يديك.

ولو حدثَ أنْ عثرنا على نسخته ـ والأمر ليس ببعيد ـ فإنه ليس من المستبعد أنْ نجد أنه سجَّل فيها حوادث وأخباراً بعد هذا التاريخ.

والظاهر أيضاً أن السمهودي أخرج أكثر من نسخة من كتابه هذا، فقد كان يضيف باستمرار في نسخته أو يصحح فيها ما أغفله، ويظهر هذا واضحاً في نسخة الحرم المكي الشريف التي وصل إلينا الجزء الثاني منها فقط، إذ إنَّ النسخ الأخر تحتوى على كثير من الأخبار التي لا نجدها فيها، إلاّ إذا عزونا كل هذه الزيادات والنقوص في النسخ المختلفة إلى النساخ الذين كان لهم دور كبير في شيوع الأخطاء والتصحيفات فيها، وهذا في ذاته ممكن إلا أنه بعيد هنا، فقد ثبت لنا أن السمهودي كان قد أخرج الكتاب مرتين في الأقل، فقد أورد في النسخ: خ، م٢، ص، س، خبراً طويلاً عن الحاكم النيسابوري إلا أنَّ هذا الخبر لا يظهر في النسخ: م١، ت، ر، ش، إذ بدأ الجملة في النُسَخ الأولة بقوله: "ويؤيد ذلك ما رواه ابن زبالة ويحيى من طريقه عن عبد الله بن أبي بكر"، وساق قصة العباس وعمر بن الخطاب واحتكامهما لأُبيّ بن كعب.

---

(١) ترجم له السخاوي ترجمة قصيرة في الضوء اللامع ٣/ ١٠٠ وقال فيه: "وهو مع صغره يوصف بعقل".

(٢) في ش، م٢: أحد وسبعماية، وهو تصحيف.

(٣) رسائل في تاريخ المدينة ١٨٣ ـ ١٨٧.

(٤) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٦.

أما في النسخ: خ، م٢، ص، س، فقال: "ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه... وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن عبد الله بن أبي بكر"[١]؛ فقد أقحم رواية الحاكم للقصة بينهما.

ومثل هذا في خبر رواه عن ابن أبي الدنيا فإنه يظهر في م٢، خ، ص، فقط، إضافة إلى كثير من الجمل التي تظهر في ش، ك، مثلاً فاننا نجد لها مقابلاً معدّلاً في بقية النسخ.

وفي مكان آخر من النسخ: س، ر، ت، خ، ص، ش، م٢، جاء: "فلو زاد فيه عثمان خمسين ذراعاً لكان طوله في زمنه تسعين ومئة ذراع، على أنَّ الأقرب أنَّ طوله في زمن عثمان كان ستين ومئة ذراع، لما سيأتي في الزيادة بعده .... فتكون نهايته في زمنه الحجرة الشريفة، وذرع المسجد اليوم من جداره الغربي إلى جدار الحجرة الشريفة لا يبلغ خمسين ومئة ذراع"، فإنَّ ما تحته خط لا يظهر في نسخة ش، وهذا يدلّ على أنه قد أخرج كتابه إخراجاً ثالثاً، أو في أحسن الأحوال أنَّ ناسخ ش أغفل هذه الجملة، بيد أن مثل هذه الحال تتكرر كثيراً، وقد أشرت إلى كلِّ الاختلافات الواقعة بين هذه الإصدارات في أماكنها من الحواشي.

بل أنَّ الشيخ عثمان بن عبد العزيز الناصري التميمي النجدي[٢] الذي اشترى نسخة ش (شقراء) من البصرة سنة ١٢٤١هـ، لاحظ الاختلاف في النُسخ، فكتب في الورقة ١٧٥ب: "ذِكْرُ الزيادات التي زادها المصنف رحمه الله تعالى في هذه النسخة عن المسودة، فإني رأيت نسخةً وأردتُ مقابلتها بهذه فرأيتُ في نسختي هذه زيادات عليها كثيرة فتعجبت من ذلك حتى رأيت كلام المصنف رحمه الله تعالى في هذا الفصل، فعلمت أنَّ تلك مسودة اخذت عن المصنف، رحمه الله، وانتشرت وهذه مبيضة، قاله كاتبه".

---

(١) انظر: الفصل الثاني عشر (في زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد) من الباب الرابع.

(٢) المتوفى بحوطة سدير سنة ١٢٨٢هـ، وقد ترجم له عبد الله البسام في علماء نجد في ستة قرون ٣/٦٩٣ ـ ٦٩٩ ومحمد بن عثمان في روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ٢/٨٧ ـ ٩١.

وعلى هذا يمكننا أن نقسم إخراجات النسخ التي وصلت إلينا إلى ما يأتي، اعتماداً على الزيادت والنقوص فيها:

١) الإخراج الأول: ك، ش، نقلاً من إحدى مسوَّدات المؤلف.

٢) الإخراج الثاني: ش، مع بعض الإضافات.

٣) الإخراج الثالث: خ، م٢، ص، س.

٤) الإخراج الرابع: م١، ت، ر.

٥) الإخراج الخامس: وهو نسخته الخاصة التي لم تصل إلينا بعد.

ففي نسخة ك يظهر خط السمهودي كثيراً جداً في حواشي النسخة، وهو يشبه خطه الموجود على نسخة الروضة الفردوسية للأقشهري بخطه[1] في أماكن عديدة دون أدنى شك، وفي أخرها يظهر النص الآتي:

«هذا صورة ما وجد بخطه على نسـ[ـخة المؤلف] المباركة وكان فراغ هذ[ه النسخة . . . . .] الفجر يوم الاثنين ثامن الحجة الحرام [. . . .] أيضاً والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً [وصلى الله على سيدنا محمد وآله] وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوة [إلا بالله العلي العظيم]».

وبعد هذا كتب عبد الرحمن الأنصاري[2]، وهو الذي تملك هذه النسخة بالإرث عن أبيه وجده، بخطه: «هذه النسخة مقابلة على أصل المؤلف وعلى هوامشها بعض تصحيحات هي بخط المؤلف رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه . . . آمين».

ونحن نعرف أن السمهودي فرغ من تبييض نسخته في مكة المكرمة، إذ قال:

---

(١) ورقة ٦١أ: «بلغ قراءة في الأولى عـ[ـلى] بقية [المسـ]ـندين الجمال عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح كتبه علي الحسني السمهودي»، وقد ترجم السخاوي للجمال عبد الله بن عبد الرحمن الكناني الشافعي في التحفة اللطيفة ٢/ ٥٢ ـ ٥٣ وقال: «قرأ عليه السمهودي أشياء وروى له عن أبيه عن جده عن داود الشاذلي مصنفه البيان والانتصار في زيارة النبي المختار، وتوفي سنة ٨٨٤هـ».

(٢) هو مؤلف تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ذكر نسبه في صفحة ٢٧.

«وكان الفراغ من تبييضه على يد مؤلفه بالمسجد الحرام المكي تجاه الكعبة المعظمة في سلخ شوال المبارك عام ست وثمانين وثمان مئة»، ولما كان تاريخ نسخة ك يوم الاثنين ثامن الحجة الحرام يقع في سنة ٨٨٦ هـ أيضاً فلا بدَّ أنَّ هذه النسخة قد نُسخت من مبيضة المؤلف قبل أن يضيف إليها ما أضاف من حوادث حريق المسجد وعمارته وغير ذلك بعد رجوعه إلى المدينة، وعُرضت عليه في ما بعد فأضاف إليها ما كان قد أضافه إلى نسخته بعد سنة ثمان وثمانين وثمان مئة، وهي سنة الإخراج الأخير لكتابه مما نجده في حواشي هذه النسخة.

رموز النسخ المعتمدة في التحقيق:

١) ت: نسخة المتحفة البريطانية (المكتبة البريطانية حالياً).

٢) خ: نسخة مكتبة ميونخ.

٣) ر: نسخة راغب باشا باستانبول.

٤) س: نسخة سليم أغا باستانبول.

٥) ش: نسخة مكتبة شقراء العامة المحفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية.

٦) ص: نسخة السيد صافي بن عبد الرحمن آل الصافي.

٧) ك: نسخة الحرم المكي بمكة المكرمة (الجزء الثاني فقط).

٧) م١: نسخة المكتبة المحمودية الأولى.

٩) م٢: نسخة المكتبة المحمودية الثانية.

نسخ وفاء الوفا الأخر:

وهناك نسخٌ أُخرُ من كتاب **وفاء الوفا** في جملةٍ من خزائن الكتب لم يَتَسنَ لي الآن الحصول عليها، وهي:

١) نسخة كمبردج: الفهرس، ملحق ١٣٥٨

٢) نسخة رامبور: الفهرس ١/ ٦٥٠ (٢٥٣)

٣) نسخة بانكيبور: الفهرس ١٥/ ١٠٩١

٤) نسختا المكتبة الوطنية بالرباط: برقم: ق ٥٣٥، وتقع في ٦٢٥ صفحة ومؤرخة في سنة ثمان وسبعين وألف، واخرى بجزءين وتقعان في ٣٩٩ صفحة و٢٨٢ صفحة، أرقامها: ك ٢٣١٩، ك ٢٨٢ ونسخهما ناسخ نسخة ص نفسه.

٥) نسخة معهد البيروني بطاشقند: برقم: ٤٤ وتقع في ٣٣٦ ورقة، وكتبها أحمد الامكي بالمدينة المنورة.

٦) نسخة خزانة القرويين بفاس: برقم: ٥٤٢ في جزءين كبيرين بخط مغربي كتبها حسن بن أيوب في أواخر صفر سنة إحدى وثمانين وتسع مئة.

٧) نسخة مكتبة آل الصافي الثانية المحفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة تحت رقم: ٢٥٧٢، وتقع في ٣٤٠ ورقة ومؤرخة في سنة ١١٢٤هـ، لم تصورها المكتبة لي لسوء حالها وحاجتها للترميم.

وصف النُسَخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق النص على النسخ الآتيــة:

١) **نسخة م١**: وهي نسخة المكتبة المحمودية المحفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، تحت رقم: ٢٥٧١، وتقع في ٤١٧ ورقة.

وهي نسخة حسنة إلا إنها غير كاملة، مقابلة على الأصل الذي نسخت منه، كما يظهر ذلك في تصحيحات المقابلة المثبتة في الحواشي بخط الناسخ نفسه، وكُتب النص فيها بخط النسخ الورّاقي الواضح الجلّي الجميل الذي يقرب من خط الثلث إجمالاً، وكتبت الأبواب والفصول وعناوينها وبعض أوائل الجمل بخط الثلث الورّاقي، وكتبت بعض أوائل الجمل وبعض عناوين الفصول بالمداد الأحمر الذي لم يظهر في التصوير، والظاهر أنها كانت مضطربة الأوراق قبل أن تُنَظم فسقطت بعض أوراقها وأجزاء من أوراقها من أثنائها وبخاصة ما بين الورقات ١٥٠ ـ ١٧٢ وغيرها، وأصاب بعض أوراقها بلل شديد أدى إلى سقوط أجزاء من

بعض أوراقها وإلى طمس أجزاء كثيرة من النص، وفي آخرها يظهر تقييد تاريخ النسخ: «وكان الفراغ من كتابته يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان في اليوم المبارك نهار الاثنين في سنة احدى وستين وتسعماية. . .» دون ذكر اسم الناسخ أو مكان النسخ، والظاهر أنها كتبت في صنعاء.

كتب النص في الورقة أ ـ ب داخل جداول مزدوجة ملونة لا تظهر ألوانها في التصوير، وزينت الورقة ١أ بطرَّة مستطيلة الشكل، وزوقت أرضيتها برسوم نباتية وزهرية لا تظهر ألوانها في التصوير أيضاً، وفوقها استقرت قبة مقرنصة مسجدية الشكل تنبعث منها أنوار مشعة، وفي داخل الطرة يظهر عنوان الكتاب: «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» بخط الثلث الورّاقي الجميل.

تحمل صفحة العنوان جملة من التملكات التي طَمَسَ بعضها إلصاقُ ورقة على طولها لتقويتها، ويظهر مما بقي منها:

أ) «الحمد لله من فضل الله سبحانه على عبده محسن أمير المؤمنين المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله نفعه الله به بتاريخ شهر رجب سنة ١١٣٢».

ب) «لحمد لله من كتب العبد الفقير إلى الله تعالى إسحق بن المهدي غفر له وأحسن. . .».

ج) «الحمد لله ثم من كتب الفقير إلى الغني أحمد بن محمد بن قاطن وفقه الله تعالى».

د) «ثم بالشراء الشرعي في سنة ١٢٣٨ في صنعاء المحمية [. . .] إلى محمد عايد غفر الله تعالى له ذنوبه. . .».

هـ) ويظهر تملك باهت جداً في التصوير، يظهر منه: «يقول أحقر عباد الله [. . .] سنة ١٢٠٠».

و) وفي الورقة ١أ يظهر طابع خاتم: «وقف الكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة»، وتقييد: «وقف كتبخانة مدرسة محمودية».

وفي حاشية الورقة ١ب العليا كتب محمد عايد بخطه ما يأتي: «وقفت لله هذا المجلد وجعلت النظر فيه لنفسي مدة حياتي ثم للأرشد والأرشد من ذريتي ذكراً كان أو أنثى [. . .] والا فللأرشد من ذرية جدي شيخ الإسلام محمد مراد بن الحافظ يعقوب بن محمود الأنصاري [. . .] ذكراً كان أو أنثى ينتفع بنظره الخاص والعام، كتبه واقفه محمد عايد بن الشيخ أحمد علي بن الشيخ محمد مراد الأنصاري رضي الله تعالى عنه وعن والدية وعن أسلافه ومشايخه رضاء لا سخط بعده آمين».

٢) نسخة م٢: وهي نسخة المكتبة المحمودية أيضاً المحفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة تحت رقم: ٢٥٧٠، وتقع في ٣٤٣ ورقة.

وهي نسخة حسنة تامة مقابلة على الأصل الذي نسخت منه كما يظهر ذلك في تصحيحات المقابلة المثبتة في الحواشي بخط الناسخ نفسه، وربما على نسخة المؤلف كما يظهر من التعليق في حاشية الورقة ٦٥أ، ونصه: «هكذا في نسخة المصنف بعد قوله زمامها بياض وكتب مقابله في الهامش بخطه ما نصه كذا في نسختين من كتاب يحيى ولعله ثم قامت عَودها إلى آخره»، وفي التعليق في حاشية الورقة ١٣٦أ ونصه: "كذا رأيت بخط المؤلف مضروباً عليه بقوله اصلحت"، إلاّ أنَّ حال هذه النسخة في أخطائها وتصحيفاتها الكثيرة لا تحملنا إطلاقاً على التصديق بأنها قوبلت جَميعها على نسخة المؤلف.

كُتب النص فيها بخط النسخ الورّاقي اليمني القوي إجمالاً، وكتبت الأبواب والفصول وبعض رؤوس الفقر بخط الثلث الواضح.

تحمل هذه النسخة تاريخ الفراغ من تبييضها «في سلخ شوال المبارك عام ست وثمانين وثمانماية» بيد أنها لا تحتوي علـى اسم الناسخ ولا سنة النسخ، ولما لم أرَ المخطوطة الأصل لتقدير تاريخ نسخها من تاريخ صناعة كاغدها، إنْ كان هذا الكاغد مشرقياً (او يمنياً) أو فرنجياً، فإنَّ تقدير تاريخ نسخها يبقى في بابة الحدس والتخمين، فلعها كتبت في اليمن في حدود سنة ٩٨٠هـ تقديراً.

في صفحة العنوان يظهر تقيدا تملك، نص الأول منهما: «من كتب الفقير عبد الله غُفر له سنة ١١٤٤»، ونص الآخر: حسبي الله ثم صار من كتب الفقير إلى

عفو ربه الرحيم أحمد باشا [...] إبراهيم غُفر لهما ج (جمادى الأولى) سنة ١٢٠١.

وفي صفحة العنوان وفي صفحات عديدة من المخطوطة يظهر طابع خاتم وقف ونصه: «وقف محمد أمين أفندي بن شيخ الإسلام ولي الدين أفندي ابن الحاج مصطفى أغا ابن الحاج حسين أغا سنة ١٢٠٧» مع طابع خاتم: «وقف كتبخانة مدرسة محمودية بالمدينة المنورة» أيضاً.

٣) **نسخة س:** وهي نسخة مكتبة حاجي سليم أغا المحفوظة بالمكتبة السليمانية باستانبول تحت رقم: ٧٧٠، وتقع في ٣٤٨ ورقة.

وهي نسخة حسنة تامة مقابلة على الأصل الذي نسخت منه كما يظهر من تصحيحات المقابلة المثبتة في الحواشي بخط الناسخ نفسه، وكتب النص فيها بخط النسخ التدويني الواضح، وكتبت الأبواب والفصول وعناوينها وكثير من رؤوس الجمل بالمداد الأحمر، فهي لذلك لا تظهر في التصوير.

كتبها عبد الرحمن بن أحمد الشيرازي المدني وكان الفراغ منه يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة الحرام عام أربع وخمسين وتسعماية دون أن يذكر الناسخ تاريخ فراغ السمهودي منه ولا تاريخ تبييض نسخته وإضافاته.

في الورقة ١ب والورقة ١٩١أ يظهر طابع خاتم وقف بيضوي الشكل كبير الحجم، يظهر منه ما يأتي: حسبي الله قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب حاج سليم أغا وشرط بان لا يخرج برهن [...] فمن بدله بعد ما سمعه [فإثمه على الذين يبدلونه].

صفحة العنوان مثقلة بتقييدات التملك الظاهرة والمطموسة وبعض أبيات الشعر، وهي:

١) [...] بالشراء الشرعي إلى ملك الفقير الحقير [...] والفقيرشيخ زادة يعقوب بن [...] أحمد المدرس بالحرم الشريف المنير في مصر المحروسة سنة ١٠٥٩.

٢) مما أنعم المولى به على عبده مصطفى بن المرحوم يوسف أفندي المدرس [. . .] عام عفى عنهما.

٣) ثم صار من تفضلات الله وله الحمد [. . .] ربيع الثاني ١١١٩.

٤) من نعم الله على عبده الفقير أحمد بن [. . .] الحلبي عفى الله عنه سنة ١٠٦٦.

٥) طالع في هذا التاريخ الشريف ودعا لمؤلفه بالغفران الراجي عفو ربه حسين بن علي الحلبي القاطن بمكة المشرفة في أواخر محرم الحرام من شهور سنة ١٠٦٧.

٦) الحمد لله مستحقه هذا الكتاب شريته بمدينة صنعاء المحمية من ورثة الإمام المتوكل على الله بثمن قدره أربعون حرفا من [. . .] عشرة حروف بقرش [. . .] أربع قروش [. . .] وكتبه أحقر عباد الله [. . .] ونفعنا به وبلغه امله بحق محمد وآله بتاريخ رجب الفرد سنة ١١١٤.

٧) أنشدني السيد أحمد بن السيد عثمان العاتكي للشيخ ابن علان:

لم أسع في طلب الحديث لسمعه — أو لاجتماع قديمه وحديثه
لاكن إذا فات المحب لقاءُ منْ — يهوى تعلل باستماع حديثه

٨) لكاتبه الحقير عبد الرحمن سامحه الله:

ظبي كبدر التمِّ في حسنه — تحيي لَماه الميت في رمسه
أضحى به ظبي الفلا آنساً — والظبي مغبوط على أنسه
فاستملحوا نظمي ولا تعجبوا — فالجنس منضَمٌّ إلى جنسه

٩) ولله در القائل:

يا عين إن بَعُد الحبيب وداره — ونأت منازله وشطَّ مزاره
فلك الهناء لقد ظفرت بطائل — إن لم تريه فهذه آثاره

الطريف في هذه النسخة هو انتقالها من بلد إلى آخر في أزمان مختلفة، فبعد نسخها في المدينة انتقلت إلى مصر ومنها إلى مكة المكرمة ومنها إلى صنعاء ومنها

إلى مكة المكرمة أو المدينة ثم إلى استانبول أو من صنعاء إلى استانبول مباشرة.

٤) **نسخة ر**: وهي نسخة مكتبة راغب باشا المحفوظة في المكتبة السليمانية باستانبول تحت رقم: ٨٢٨ ورقمها القديم: ٩٧٤، وتقع في ٣٥٣ ورقة بجزءين في مجلد واحد، كتبهما أحمد بن عبد الحفيظ المكبر المدني في يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الأول عام اثنين وخمسين وتسع مئة، كما يظهر في آخر الجزء الأول، وفي أخر الجزء الثاني جاء: «أحمد بن عبد الحفيظ المبلغ خلف الشافعية بالمسجد النبوي برسم الفقيه الكامل شمس الدين محمد بن الشيخ الصالح حسن الغمري»، وكان الفراغ من كتابتها «يوم الأحد المبارك سابع عشر جمادى الآخر عام ثلاثة وخمسين وتسعماية».

وهي نسخة حسنة مقابلة على الأصل الذي نسخت منه كما يظهر من رموز المقابلة وتصحيحاتها المثبتة في الحواشي بخط الناسخ نفسه وبخط علي بن محمد بن عراق، وقد سقطت منها ورقة واحدة ما بين الورقة ٦١ ـ ٦٢ قبل أن ترَقَّم أوراقها، وترك الناسخ في مواضع صور الحجرة الشريفة بياضاً.

كُتب النص فيها بخط النسخ الورّاقي القوي الواضح إجمالاً، وكتبت بعض عناوين الفصول وأوائل بعض الفقر بالمداد الأحمر التي لم تظهر في التصوير.

في صفحة العنوان يظهر طابع خاتم دائري كبير كتب فيه بخط التعليق التركي الورّاقي الجميل: «حسبي الله وحده من الكتب التي وقفها الفقير إلى الله ربه ذي المواهب محمد المدعو بين الصدور براغب وكفى عبده»، وفي أسفل الصفحة يظهر طابع خاتم دائري صغير هو خاتم الجمهورية التركية بعد إلغاء الخلافة العثمانية.

ويظهر فيها أيضاً تملك مطموس تماماً وأخر هو: «دخل في نوبة الفقير إلى رحمة مولاه سبحانه وتعالى حفيد بن الصدر محمد صادق قاضي بالقاهرة عفي عنه سنة ٩٧»، وهو يريد إما ١٠٩٧ أو ١١٩٧ والأولْ أرجح.

وفي صفحة العنوان يظهر البيتان المشهوران في مدح هذا الكتاب، وهما

يذكران دائما في صفحات عنوان النسخ، مع تغيير يسير في بعض الالفاظ:

من رام يستقصي معانيَ طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود[1]

فعليه باستيفـــاء تاريـــخ الوفـــا تـأليف عـالـم طيبـة السمهـودي

٥) نسخة خ: وهي نسخة محفوظة في مكتبة الدولة بميونخ - بافاريا بألمانيا تحت رقم: ٣٨١، وتقع في ٣٣٥ ورقة.

وهي نسخة حسنة تامة ومقابلة على الأصل الذي نسخت منه كما يظهر ذلك في رموز المقابلة وتصحيحاتها الكثيرة المثبتة في الحواشي بقلم الناسـخ نفسه.

كتبت في المدينة المنورة: «يوم الجمعة المبارك الثاني والعشرين من شهر رجب من شهور سنة اثنتين وخمسين وألف دون ذكر اسم الناسخ».

تملكها أحمد بن سليمان الحسني السمهودي الشافعي المفتي الأشعري، كما يظهر في صفحة العنوان وفي آخرها.

وتملكها أيضاً «عبد الله بن أحمد الشهابي بن خسن بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن أخي مصنف هذا الكتاب»، وهو الذي ملأ كثيراً من حواشيها بتعليقات وشروح ونقول من مصادر مختلفة وذيَّل الكثيرمن ذلك باسمه.

كتب النص فيها بخط النسخ التدويني الواضح المضغوط، والظاهر أن الناسخ لم يستعمل المداد الأحمر لظهور كل عناوين الأبواب والفصـول في التصوير.

في أخرها يظهر بيتان من الشعر كتبا بخط يشبه خط عبد الله بن أحمد الشهابي السمهودي، وهما:

عصيت هوى نفسي صغيراً فعندما أتتني الليـالـي بالمشيب وبالكبر

أطعت الهوى عكس القضية ليتنـي خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

---

(١) كذا وردت: معاني، تصحيف: معالم، وباستيفاء وردت باستقصاء.

٦) نسخـة ت: وهـي نسخـة المتحفـة البريطانيـة التي تسمى الأن: "المكتبة البريطانية"، المحفوظـة تحت رقـم: Add 9917 وتقع في ٤٧٩ ورقة.

وهي نسخة ساذجة رديئة خالية من صفحة العنوان، وتكثر فيها البياضات التي تبلغ أحيانا صفحة كاملة، تركها الناسخ دون سبب ظاهر، وهو بعد ذلك لم يقابلها على الأصل الذي نسخت منه، وترك أيضاً مكان صـور الحجرة الشريفة بياضاً، والظاهر أنَّ ناسخها لم يكن يكن يُحسن العربية لذلك كثرت فيها التصحيفات والأخطاء النسخية.

كتب النص فيها بخط النسخ التدويني الضعيف المشوب بخط الرقعة الرديء، وكتبت الأبواب والفصول وعناوينها بالخط نفسه فهي لذلك لا تتميز عن النص إلا بصعوبة، كل ذلك داخل جداول ثلاثية لا تظهر ألوانها في التصوير، وقد ترك الناسخ مكان الطرَّة في الورقة ١أ بياضاً أيضاً.

أصاب النسخة بلل شديد أثَّرَ كثيراً على وضوح النص فطُمِست أجزاء واسعة منه حيث انتشر المداد فزاد كلُّ ذلك في صعوبة قراءته.

في أخرها يظهر تاريخ نسخها دون ذكر اسم الناسخ كما يأتي: «وكان الفراغ من نسخ حروفه الا انه عام ست عشر بعد الالف هجرة نبوية».

وفي ظهر الورقة الأخيرة كتب باللغة الانجليزية ما نصه:

History of Medina, meccka & Hedgiaz-written in 1016-A.H.

٧) نسخة ش: وهي نسخة مكتبة شقراء العامة التي آلت أخيراً مع مخطوطات المكتبة الأخر إلى مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وهي محفوظة فيها تحت رقم: ٩١ شقراء، وتقع في ٣٥٦ ورقة.

وهي نسخة حسنة غير تامة ومقابلة على الأصل الذي نسخت منه كما يظهر ذلك في تصحيحات المقابلة النزرة المثبتة في الحواشي بخط الناسخ نفسه، عاثت الأرضة والرطوبة في أوراقها الأولى عيثاً شديداً فاختفت أجزاء كبيرة من النص في الورقات ١ ـ ١٣ وفي أماكن أخرى منها حيث ألصق أحد المالكين لها شرائط

أوراق بيضٍ أخفت كثيراً من النص، ومع هذا فقد سقطت عدة أوراق منها: ورقتان من أولها وخمس ورقات في الأقل ما بين الورقة الأولى والثانية، واضيفت إليها ورقتان في أولها، يظهر فيهما ما نصه بخط حديث:

١) «وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى بقلم المؤلف قطب الدين ولد شيخ بايزيد جنابي عام ١٠٣٢ هـ، وبعد ذلك طابع خاتم دائري الشكل، يظهر فيه النص: وزارة المعارف الادارة العامة للمكتبات، المكتبة العامة بشقراء، اسست سنة ١٣٧١ هـ»، وقد صححت هذه المعلومات في ورقة أضيفت في أولها كتبت على الآلة الكاتبة اعتماداً على كشف الظنون ومعجم المؤلفين ومعجم المطبوعات لسركيس، مع ذكر مقاسها وعدد الأسطر فيها: ٢٥س، ٢٥،٥×١٨سم.

وفي الورقة الثانية يظهر تقيد تملك ونصه: "في ملك المملوك لرب الملوك عثمان بن عبد العزيز بن منصور بن حمد بن إبراهيم بن حسين الناصري العمروي التميمي الحنبلي النجدي"، ويظهر هذا التقييد بزيادة بعض الألفاظ في أكثر من مكان في المخطوطة.

ففي الورقة ١٥٥أ يظهر النص السابق مع زيادة: «بالشري الشرعي في البصرة المحروسة سنة ١٢٤١» مذيلاً بطابع خاتمه.

ومثل هذا أو قريب منه يظهر في الورقة ٣٥٦أ و ب، وأضاف الشيخ عثمان بخطه فهرساً لمحتويات النسخة سقطت ورقة منه، وقد شغل الأوراق ٣٥٧أ-٣٥٩أ، ولم يكمله فقد توقف عند الفصل الأول من الباب الثامن، وأضاف شروحاً قليلة حول بعض المواضع في حواشي النسخة، أدرجنا المهم منها في الحواشي.

وتحتوي الورقة الثانية المضافة على تقييدي تملك ووقف وهما:

١) في ملك الفقير إلى الله تعالى علي بن عبد الله بن عيسى[1] غفر الله له ولوالديه آمين.

٢) أما تقييد الوقف فنصُّه: قد وقف الشيخ علي بن عبد الله بن عيسى هذا

---

(١) انظر عنه: تاريخ علماء نجد في ستة قرون ٤/ ٧٢٠.

الكتاب على طلبة العلم في آل عيسى وجعل النظر عليه لإبراهيم بن صالح بن عيسى[1]، ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٠٥هـ. ومثل هذا التقييد يظهر في حاشية الورقة ٣أ ولكن دون تاريخ.

وفي آخرها يظهر تاريخ الفراغ من نسخها مع اسم الناسخ، وهذا نصه: «قد وقع الفراغ عن تكتيب هذا الكتاب بمسمى وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى من يد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه الكريم قطب الدين ولد شيخ بايزيد جنابي غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه سنة ١١٣٢».

٨) نسخة ص: وهي نسخة مكتبة السيد صافي بن عبد الرحمن آل الصافي المحفوظة الآن في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة تحت الأرقام: ١٤٨، ١٤٩، وتقع في جزءين: الأول منهما يقع في ٥٠٩ صفحات، والثاني في ٣٥٠ صفحة.

وهي نسخة حسنة تامة إلا أنها ساذجة وغير مقابلة على الأصل الذي نسخت منه ولا تحتوي على صفحة العنوان، وتقع في جزءين غير منفصلين إلا أنَّ كلَّ جزء منهما يحمل ترقيماً خاصاً به وتاريخ الفراغ من نسخه، وهي النسخة التي اعتمدها الشيخ محي الدين عبد الحميد رحمه الله وإيانا في نشرته، على الأغلب.

كُتب النص فيها بخط الرقعة التدويني الواضح المشوب بالنسخ التدويني، وكتبت الأبواب والفصول وبعض عناوينها ورؤوس الفقر بالمداد الأحمر الباهت لذلك لم تظهر في التصوير.

في آخر الجزء الأول يظهر تاريخ الفراغ منه، وهو: «ولله الحمد والمنة على إتمام نسخه على يد الفقير الحقير موسى بن علي موسى[2] افندي ثاني الأئمة المالكية وكاتب التحريران العربية ومستنطق ديوان الحكومة السنية وكان الفراغ منها في اليوم الثالث عشر من شهر رجب المبارك سنة الف وثلثماية وثمانية وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

---

(١) المصدر نفسه ١/١١٧.

(٢) وكاتب هذه النسخة ممن عني بتاريخ المدينة، ومن آثاره في ذلك رسالة في وصف المدينة المنورة نشرها حمد الجاسر في كتاب رسائل في تاريخ المدينة، ولمؤلف هذه الرسالة أحفاد في عصرنا.

وفي آخر الجزء الثاني: «وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة من ابتدائها إلى منتهاها من يد الحقير الفقير كاتب العربية بالخزينة الديوانية موسى بن الأفندي علي موسى ثاني الأئمة المالكية في اليوم العشرين من شهر شوال عام خمسة بعد الثلثماية والف من الهجرة النبوية والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين».

الظاهر أنَّ هذه النسخة ملفقة من نسختين فإن الجزء الأول منها كتب سنة ١٣٠٨هـ والثاني سنة ١٣٠٥هـ فمن غير المعقول أنَّ الناسخ بدأ بالثاني قبل الأول ثم بعد ثلاث سنين أنجز الأول، والدليل أنه كتب في نهاية الجزء الثاني بعد سرد نسب السمهودي: "منقولة هذه النسخة المباركة المشتملة على مآثر بلدة أشرف الورى الذي وجدناها بخط المألف رحمه تعالى وتصحيحه عليها، وليس موجود ومصحح بخط المؤلف سواهـا، وهي عند السيد محمد حمزة مدني ابن المرحوم السيد محمد مدني الحسيني شيخ السادة الخطباء بحرم سيد الأصفياء وهذه النسخة المصححة على يد ناظمها ومألفها حضرة الإمام السيد السمهودي أمام المدينة المنورة في عصره وخطيب المنبر المحمدي ووحيد دهره وقد نقلتها في دار ناظرها إلا أن كونها من شرط الواقف انها لا تخرج من بيته فضلاً من ان تنقل من البلدة وذلك بعون الله وتوفيفه وببركة نبيه ومصطفاه وحبيبه فنسخها بيده الفقير كاتب العر[بية. . .] الديوانية".

أما في آخر الجزء الأول وبعد سرد نسب السمهودي أيضاً، جاء: "منقولة هذه النسخة المباركة المشتملة على مآثر بلدة أشرف الورى وجدناها بخط وتصحيح المؤلف رحمه الله تعالى وكاتب هذه وناقلها العبد الفقير الحقير إلى الله تعالى موسى بن الأفندي علي موسى باش كاتب التحريران العربية ومستنطق ديوان الحكومة السنية بالمدينة المنورة وإمام بالحرم الشريف النبوي من المالكية والله المستعان".

والطريف في الأمر أن هذا الناسخ هو نفسه ناسخ النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط، وهي تقع في جزءين أيضاً، فقد جاء في آخرها:

"وكان الفراغ من كتابة تبييض هذه النسخة من ابتداءها إلى منتهاها في يد

الحقير الفقير لربه كاتب تحريران العربية بالخزينة الديوانية بديوان الحكومة السنية بالمدينة المنورة موسى بن المكرم أفندي علي موسى ثاني الأئمة المالكية بمسجد خير البرية الحرم الشريف النبوي في اليوم السابع والعشرين يوم الجمعة في شهر ربيع الآخر عام ثلثماية وسبعة بعد الألف من الهجرة. . . ".

وفي آخر نسختنا يظهر طابعا خاتمين: الأول بيضوي الشكل مكتوب فيه: «وقف هذا الكتاب السيد صافي على كتبخانته سنة ١٣٢٧»، والآخر دائري كبير يظهر فيه: «وقف لله [. . .] السيد صافي [. . .] واولاده وأولاد اولاده الذكور وجعل النظر له ومن بعده للارشد من أولاده وجعل مقره في كتبخانته واذا انقرضوا والعياذ بالله يكون النظر على الكتب المذكورة لشيخ السجادة العلوية بالمدينة المنورة كائنا من كان وشرط الواقف ان لا يخرج كتابا إلا [. . .] برهن قيمته مثليه وان لا يحبس اكثر من سنة وان لا يخرج من المدينة المنورة فمن غيره او بدله او باعه فالله ورسوله حسيبه وخصمه فمن بدله بعد ما سمعه فاثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم».

٩) **نسخة ك**: وهي نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المحفوظة تحت رقم: ١٥٢٥، وتقع في ٢٤٨ ورقة، ومقاسها ١٧ × ٢٦سم.

وهي الجزء الثاني فقط من نسخة حسنة تامة مقابلة على الأصل الذي نسخت منه قبل أن تُضاف إليها الزيادات ويُجرى عليها الشطب، كما يظهر ذلك في تصحيحات المقابلة ورموزها المثبتة في الحواشي بخط الناسخ نفسه الذي لم بشأ أنْ يذكر اسمه.

حواشيها تكاد تكون مثقلة بالتصحيحات والزيادات إضافة إلى الشطب في أصل النص، وهذه الإضافات بخط السمهودي نفسه على الأغلب، ولذلك اتخذتها أصلاً في تحقيق هذا الجزء من الكتاب، وتبدأ في بداية **الفصل الثاني والثلاثين من الباب الرابع** وهو في «أبواب المسجد وما سُدَّ منها وما بقيَ وما يحاذيها من الدور قديماً وحديثاً».

وفي حاشية الورقة ١٦٨أ يظهر تقييد قراءة بعضه مطموس في التصوير وما

يظهر منه هو: «قرأه سيدنا وشيخنا ومولانا الوالد أبي عبد الله عمر بن محمد علوي شيبان[1] لطف الله به لهذا التاريخ من أوله على هذا الفصل الخامس في فصل [...] يوم الأحد لسبع خلون من شهر ذي القعدة سنة ٤٤ وتسعماية وفي ذلك اسوة حسنة لمن [...]»، وهذا يعني أن النسخة نسخت قبل هذا التاريخ.

وفي صفحة مضافة قبل صفحة العنوان يظهر تقييد تملك باسم عبد الرحمن الأنصاري المدني في سنة ١١٦٣ هـ مع طابع خاتمه، وأضاف الأنصاري بخطه: "قال كاتبه لطف الله به رأيت من نسخ هذا الكتاب المستطاب بالمدينة المنورة في سنة ١١٩٠ هذه النسخة المباركة منها مجلد ٢ صحاح وعليها هوامش بخط مؤلفها، ونسخة عند صاحبنا السيد علي السمهودي[2] [...] الشافعي، ونسخة عند صاحبنا محمد [...] وعليها خط المؤلف المليح [...]".

وأضاف الأنصاري في ظهر هذه الورقة فهرساً بمحتويات النسخة.

أما صفحة العنوان فإنها تحتوي على جملة من التملكات الظاهرة والمطموسة عمداً، إضافة إلى طابع خاتم «مديرية الأوقاف العامة» وعلى البيتين المشهورين في مدح الكتاب والمنسوبين هنا إلى ابن أبي الحرم، وهما:

من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود

فعليه باستقصا الوفاءِ فإنه تاريخ عالم طيبة السمهودي

أما تقييدات التملك فالظاهر منها ما يأتي:

١) «الحمد لله طالع فيه مراراً واقتطف من حدائقه ازهارا الراجي عفو ربه الكريم الباري عبد الرحمن بن الشيخ عبد الكريم الأنصاري الخزرجي المدني [...] عاملهما الله تعالى بلطفه الخفي والمسلمين آمين سنة ١١٥٠».

---

(١) هو عمر بن محمد بن أحمد باشيبان الحضرمي المتوفى سنة ٩٤٤هـ، ترجم له كحالة في معجم المؤلفين ٧/٣٠٦ وبروكلمان ١/٤٠١ وذكرا له كتاب ترياق أسقام القلوب في ذكر حكايات السادة الأشراف.

(٢) ترجم له الأنصاري في تحفة المحبين ٢٧٣ ـ ٢٧٤ وقال: وبيننا وبينه صحبة شديدة ومحبة ومودة أكيدة.

٢) «ودخل في ملك الفقير يوسف بن عبد الكريم الأنصاري عفا الله عنهما».

٣) «سبحان الحي الباقي انتقل بالميراث الشرعي إلى ملك الفقير إلى رحمة ربه الكريم الباري [...] عبد الكريم ابن يوسف بن عبد الكريم الأنصاري الامام بمسجد النبي عليه الصلاة والسلام»، مع طابع خاتمه.

٤) «سبحان الحي الباقي ثم انتقل بالارث الشرعي إلى ملك عبد الرحمن بن المرحوم عبد الكريم بن يوسف بن عبد الكريم الانصاري [...] وذلك بعد وفاته وذلك في يوم عرفة يوم الاثنين سنة [١١١٨]»[١].

٥) «ثم انتقل بالشراء الشرعي إلى الفقير إلى الله تعالى محمد امين بن علي [...] المدني الحنفي وذلك في ذا الحجة (؟) سنة ٩٥ [١١]».

أما تاريخ نسخها فقد سبق أن ذكرناه وهو: «وكان فراغ هذه [...] الفجر يوم الاثنين ثامن الحجة الحرام [من شهور سنة ست وثمانين وثمان مئة].

وفي الورقة ١ب ـ ٢أ يظهر طوابع ثلاثة أختام: اثنان منها مطموسان تماماً، أما الثالث فيظهر منه: عبد المطلب [...] سليمان عن جانب [الشـ]ـريف ابن المرحوم [الشـ]ـريف غالب سنة ١٢٥٤».

كُتب النص فيها بخط النسخ التدويني المشوب بخط التعليق، وكُتبت بعض الفصول ورؤوس الفقر بالمداد الأحمر وهي لذلك لم تظهر في التصوير.

منحى التحقيق:

الحق أنَّ قارىءَ أيةِ نسخةٍ مخطوطةٍ من النسخ التي اعتمدتها في تحقيق النص لا يستطيع أن يتلمس خُطَاهُ بيسرٍ في مدالجها أو وضوحٍ في دروبها لكثرة ما عراها من التحريفات والتصحيفات والسقط، إضافة إلى الكلمات أو الجمل التي عبث بها النساخ أو عاثت فيها الأرضة والرطوبة، أو جنى عليها أحد القراء أو المتملكين،

(١) الإضافة من تحفة المحبين ١٨.

وهذه كلها أدواء يعاني منها المحقق والمفهرس معاً، ولا يرجع هذا إلى قصور المؤلف رحمه الله وإيانا في تصنيفه هذا بل إلى غرابة كثير من الألفاظ وأسماء المواضع التي أعيت النسَّاخ فلم يحسنوا قراءتها فاتعبونا في فكِّ معمَّياتها إما بالرجوع إلى المصادر التي استقى المصنف معلوماته منها أو إلى كتب البلدان والمناسك، فكانت خير عون في تقويم كثير من ألفاظ النص او الإضافة إليه؛ بل وحتى هذا الجهد المضني في الوصول إلي ما وصلنا إليه كان نفعه محدوداً إلى حد ما لأن المصنف كان يختصر في الغالب الخبر إذا أشار إلى مصدره أو أنه كان يقتبس من بعض المصادر حرفياً دون عزوٍ لما يقتبس، ومن ثم يتبنى الخبر أو آراء المصنفين ومناقشاتهم ويسردها مع كلامه ومناقشاته فتظهر للقارىء وكأنها من تحبيره وهي لغيـره، أو أنه يتصرف في النص فيسقط بعض كلماته ويغيِّر بعضها، أو أنه لم يحسن قراءة النص[1] كما فعل في نقله من كتاب **أخبار المدينة** لابن شَبـّة، أو أنه يقتبس حرفياً من مؤلف سبق له أن اقتبس من مؤلف آخر فأجرى الأخيرعلى النص تغييراً أو اختصاراً فينقله السمهودي وكأنه ينقل من المصدر الأول مباشرة، وقد أشرت إلى كلِّ ما توصلت إليه في الحواشي بلفظ: «نقلاً من» أو «حرفيا في» أو «يختلف النص عن ما هنا»، بل انني قد أنقل النص من الأصل في الحاشية حتى يتمكن القارىء من مقارنة النصين ومن ثم الحكم عليهما.

وفي بعض الحالات ـ وهي قليلة ـ فضَلّت إثبات قراءة اللفظة من النص المقتبَس على قراءة النُسَخ وبخاصة إذا كان الاقتباس من **الصحيحين** أو من كتب الحديث الأخرى التي يشير المؤلف إلى الاقتباس منها.

الظاهرة البارزة في الكتاب أن السمهودي اقتبس كثيراً من معلوماته من المصادر المختلفة بالواسطة وليس مباشرة، ومع هذا فقد كان ناقداً بارعاً متقصياً مدققاً كلَّ خبر يقف عليه، فكان تصدِّيه لتاريخ المدينة «جامعاً ومحققاً حتى أوفى

---

(١) انظر: ملاحظات حمد الجاسر على كتاب **تاريخ المدينة** المطبوع، حيث اثبت من الأخطاء نحو ٣٠٦ في مقال نشره في مجلة العرب، من س ١٨/ ٢٨٩ إلى س٢١/ ٢٠٩.

على الغاية من ذلك[1]، دليلاً ناصعاً على حبه الدافق لهذه المدينة المقدسة، فهو لم يكتف بمصادره بل حاول الوقوف على كل ما استطاع الوقوف عليه من الآثار داخل المدينة وما بقربها من مساجد ودور وأمكنة، وأضاف إلى ما ورد في المصادر وصفَ ما شاهده، وصفاً مبنياً على أساس قوي من محاولة تقديم صورة واضحة للموقع أو المكان من مختلف النواحي؛ فهو يستعين في ذلك في بعض الأحوال بما يتخذه علماء الأثار والباحثون من الوسائل، فهو يسجل ما هو مكتوب، وهو يصف نوع البناء للموضع، وهو يحدد المسافة بينه وبين أشهر المواضع المعروفة، وهو يوضح بين ما يذكره بناءً على ما شاهده وما يورده من مصادره من خلاف، مبيِّناً ما يراه صواباً»[2]، فهو لذلك لم يقبل كلَّ أقوال ابن حجر والمطري والمراغي وابن النجار مثلاً على وجهها بل كان يخضعها للنقد ومن ثمَّ الرفض أو التأويل ويدلل على كلِّ ذلك بأقوال المؤرخين الآخرين وملاحظاته الشخصية، بل ولم يتردد في نسبة الوهم إلى هذا أو ذاك من مؤرخي المدينة أو غيرهم من المحدِّثين وبخاصة ابن حجر شيخ السخاوي الذي عرف السمهودي في المدينة وترجم له في **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة** وفي **الضوء اللامع** ترجمة واسعة لم تخلُ من نقد، فقال فيهما: "فهو انسان فاضل متفنن متميز في الفقه والأصلين، مديم للعمل والجمع والتأليف متوجه للعبادة والمباحثة والمناظرة قوي الجلادة على ذلك طلق العبارة فيه مغرم به مع قوة نفس وتكلُّف خصوصاً في مناقشات لشيخنا في الحديث ونحوه"[3]، وقال في **التحفة اللطيفة**: "وإنه لو أعرض عن كثير من المعارضات لشيخنا كان أوفق"[4].

ومع كلِّ هذا فإن السمهودي قَلَّ أنْ يترك شاردة أو واردة تتعلق بالمدينة من قريب أو بعيد إلا ذكرها، فاستوفى تاريخها واستقصى أخبارها في المصادر العديدة

---

(١) **رسائل في تاريخ المدينة** لحمد الجاسر ٤٩.
(٢) المصدر نفسه ٣٣.
(٣) **الضوء اللامع** ٥/٢٤٧.
(٤) **التحفة اللطيفة** ٢/٢٤٨.

استقصاءً لم يستطع مؤرخ للمدينة قبله أو بعده أن يقوم بما قام به السمهودي رحمه الله وإيانا في هذا التاريخ الشامل.

لقد أخذت نفسي عند العمل في هذا الكتاب بضبط نصوصه وأعلامه وتوثيق نقوله واقتباساته وتخريج أحاديثه النبوية مع الحرص الجمِّ على سلامة المقابلة والمقارنة بين النسخ، فحاولت أن أُخرج النص على الصورة التي أرادها المؤلف أو في الأقل قريباً منها ما استطعت، بيد أنَّ الصعوبة الكبرى التي عانيتها تكمن في أنَّ السمهودي كان يغيِّر في نسخته مراراً وتكراراً فتُنسخ نسختة هذه ثم يضيف إلى نسخته أو يسقط منها فتُنسخ هذه مرة أخرى فلذلك كان الاختلاف في نص هذه النسخ تبعاً لإخراجاته، ومن هنا فأنني لم أتَّخذ أياً من هذه النسخ أساساً «أُمّاً» للمقارنة كما هو معهود ومعروف في عالم تحقيق النصوص، بل عملت على إثبات ما ذكرته النسخ بكامله وأشرت إلى ما لم يُذكر في النسخ الأخر في الحواشي، وأهملت الإشارة إلى الفروق التي لا تغيِّر من معنى أو مغزى مثل: "فقال وقال"، وما إلى ذلك، وأخطاء الأعداد، وما أشبهها، ولم أذكر من الفروق إلا ما كان لذكره وجه.

ولم أحِدْ عن هذا المنهج من أول الكتاب إلى بداية **الفصل الثاني والثلاثين من الباب الرابع** حيث تبدأ مخطوطة الحرم المكي الشريف التي اتَّخذتها «أُمّاً» في القسم الذي حوته من النص لأنها، على ما يظهر، تحمل تصحيحات السمهودي بخطه، دون أنْ أُغْفِلَ الإشارةَ إلى اختلاف النُسَخ الأُخَر معها أو اختلافها مع بقية النسخ المعتمدة في التحقيق، وهذا أيضاً أسلوب في التحقيق جديد على من لم يعهد مثله.

وترجمت لكثير من الأعلام، أو المواضع التي وردت في النص ترجمة مختصرة ما أسعفتني المصادر المتاحة لي مع الإشارة إلى مصادر ترجمة هذا العلم أو ذاك على وجه الاختصار، واغفلت الكثير من رجال الإسناد لسهولة الوصول إليهم في كتب الرجال ولتفادي تضخيم حجم الكتاب، وشرحت، ما استطعت، كلَّ لفظة قد تكون غريبة على القارىء اعتماداً على **تاج العروس** وغيره.

وقد حاولت، ما استطعت، عزو اقتباسات السمهودي إلى المصادر التي اقتبس منها، وحاولت أيضاً تخريج الأحايث النبوية الشريفة وعزوها إلى مظانّها المختلفة، فكان عليَّ أنْ أستعين بمكتبة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن والمكتبة البريطانية ومكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية مراراً للوصول إلى ما لم أستطع الوقوف عليه في مكتبة جامعة لايدن بهولندا.

وقد انتويت أنْ أُلحق بالكتاب فهارس شاملة كاشفة تدل على أعلامه وأماكنه وآيات القرآن الكريم فيه والحديث الشريف وأبيات الشعر والقبائل وما إلى ذلك مما يُعين القارىء ويُسعف المحقق الجاد الحريص.

وهنا لا بدَّ لي من كلمةٍ أنفثُ من خلالها بثي وحزني ومعاناتي الجمَّة مع بعض المصادر التي تعاملت معها، فقد ابتُليَ عالم تحقيق النصوص بكارثة أصحاب دكاكين النشر الذين دفعهم حبُّ المال العاجل على حساب سلامة النص وتوثيقه، فاغرقوا السوق بمصورات الطبعات السقيمة، وليتهم اقتصروا على إخراج الطبعات القديمة النفيسة الموثوقة التي أصبحت في طبقة المخطوطات حتى وأن كانت خالية من الفهارس، فإنَّ سلامة نصوصها تشفع لها أمام هذا السيل العرم من النصوص المشوهة التي يزعم ناشروها تحقيقها، والتي يقف المحقق إزاءها حائراً قلقاً من تفشي الاستهتار بهذا التراث النفيس، فقد لعب فقدان التدريب على أصول التحقيق والكسل وقلة الاهتمام واستغفال القارىء والسرعة في إنجازها طلباً للمال العاجل دوراً عجيباً في تشويهها، بل أن بعض دكاكين النشر التي صوَّرت جملة من النصوص أو أعادت طبعها زادت الأمر سوءاً، فشاع فيها التحريف والتصحيف والأوهام، إذ قلَّ أنْ تجد نصاً سليماً منها موثوقاً يعتمد عليه المحقق، ومن ثمَّ خلوها من الفهارس الكاشفة الشاملة التي تعين المحقق على الوصول إلى ما يبحث عنه من عَلَم أو خبر؛ بل وحتى تلك التي أُلحقت بها فهارس مثل طبقات ابن سعد التي نشرتها دار صادر ببيروت لا تحتوى إلا على مختارات من الأعلام والأماكن، فإنَّ الجهل الغالب على هؤلاء في اتباع الأصول التحقيقية في الإشارة إلى المصادر وطبعاتها واماكن وسني طبعها وأرقام صفحاتها بل حتى النسخ المخطوطة التي

اعتمدوا عليها في النشر أهملوا ذكرها، مما يُدمي قلب الحريص، فقد يكتفي الناشر بقوله: انظر: شرح المواهب أو قال الزمخشري او البخاري دون أن يلحق الكتاب بمسرد للمصادر التي استعملها حتى يتسنى لنا التأكد من نقله أو الطبعة التي أحال عليها، فكم هناك من شرح للمواهب، وأية مواهب؟ وكم من كتاب للزمخشري؟ وكم طبعة أُخرجت من **الصحيح**؟.

وقد يكتفي الناشر بفهرس الموضوعات كما فعل ناشر **دلائل النبوة للبيهقي** و**صحيح مسلم بشرح النووي** و**تاريخ المدينة المنورة** لابن شَبَّة، أو وفيات السنين، كما فعل ناشر **إنباء الغمر بأنباء العمر** لابن حجر، ومثل هذا كثير جداً، أو أن الناشر يُلحق الكتاب بفهرسٍ للأعلام الذين ترجم لهم في الحواشي ويغفل عن إلحاق الكتاب بفهرسٍ شاملٍ لأعلامه ومواضعه، كما فعل محقق كتاب **تاريخ المدينة المنورة**، ومثل هذا كثير جداً أيضاً، وتزداد معاناة الباحث إذا كان حجم الكتاب كبيراً جداً حيث تصبح هذه المعاناة مضنيةً له ومُبليةً لوقته وجهده في قراءة الكتاب كلِّه للوصول إلى ما يريد العزو إليه، مثل كتاب **فتح الباري** لابن حجر أوكتاب **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة** لابن رشد، وهما من مصادر السمهودي المهمة، فقد أخرج ناشرو الكتاب الأول هذا الكتاب الضخم دون فهارس كاشفة لما فيه، وأخرج الاستاذان الفاضلان محمد حجي وسعيد أعراب الكتاب الثاني في ١٨ جزءاً وألحقاها بمجلد «الفهارس العامة للأسمعة»، هي في ترتيبها وتبويبها محدودة النفع وقليلة الفائدة، بل لا تغني المحقق كثيراً ولا تسهل له أمراً، فأيُّ عناء بعد هذا العناء للمحقق الذي يعاني الأمرَّين في توثيق النص وإخراجه؟

أما عملي في هذا الكتاب، فلا أستطيع أن أُسهبَ في معاناتي فيه، وحسبي أن أقول: لقد حملت أمانة تحقيقه احتساباً وتقرباً إلى الله تعالى وإلى رسوله الكريم الذي أنتمي إليه بالنسب والحسب، فارجو أن أكون قد أديّتها على الوجه الذي أرى أني أبلغ به رضى الله تعالى ومغفرته على نقصٍ في بضاعتي وكسادٍ في سوقها ودعوى الأدعياء والجهلة العلم بإصولها، بعد ذهاب الذين يُعاش في أكنافهم وهم

نُقَّادُها العارفون، وجهابذتها الناقدون، لا زالت سحائب رحمة الله تسحُّ على ذكراهم، والحمد لله على جميل نعمائه وجزيل آلائه وجمِّ عطائه، حمداً لا يحده حدٌ ولا يُحصيه عدٌّ.

مصادر السمهودي:

سبق أنْ ذكرت أنَّ السمهودي كان ينقل بالواسطة فيشير حيناً إلى مصادره ويغفل أحيانا كثيرة الإشارة إليها، وقد استطعت الوصول إلى بعض هذه المصادر من مقارنة نصوص **وفاء الوفا** مع نصوصها، وقد صدق الشيخ حمد الجاسر في قوله: "فمن الصعب إيراد جميع أسماء الكتب التي نقل عنها لأنها تبلغ المئات" ولا مبالغة في هذا[1]، فأورد واحداً وعشرين مصدراً في بحثه، وقد سردناها ضمن قائمتنا مع تغيير يسير في بعض ألفاظها والزيادة عليها.

إضافة إلى كتب الحديث النبوي الشريف المعروفة وكتب السنن والمسانيد ومصنفات ابن أبي شيبة وعبد الرزاق الصنعاني وغيرهما، وكتب الأدب ودواوين الشعر والتاريخ وما إلى ذلك، التي سأفردها إن شاء الله مع غيرها بفهرس الكتب، فإن السمهودي استقى كثيراً من معلوماته من مصادر اما معروفة متداولة أو من مصادر مجهولة مثل كتاب أخبار النواحي المجهول، أو من مصادر مفقودة، أو من مصادر لم تزل مخطوطة، وقد ذكرت أهم هذه المصادر، أما ما تركته هنا فهو مذكور في مكان وروده من الحواشي، وهي كما يأتي:

١) أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي المدني: المتوفى سنة ٨١٦ هـ، **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**: لخص المراغي فيه كتاب **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة** لابن النجار وكتاب **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة** لمحمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٤١هـ، والكتب الثلاثة مطبوعة طبعات غير محققة.

---

(١) رسائل في تاريخ المدينة ٤٠.

٢) رزين بن معاوية العبدري السرقسطي الأندلسي، إمام الحرمين: المتوفى سنة ٥٣٥هـ ، له كتاب **أخبار دار الهجرة**: استقى منه السمهودي كثيراً، وهو غير معروف حتى الآن.

وله كتاب **التجريد في الجمع بين الصحاح الستة**، وهو من مصادر ابن حجر في **فتح الباري** فنقل عنه السمهودي بالواسطة، ومنه نسخة حسنة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٣) الزبير بن بكار المدني القرشي: المتوفى سنة ٢٥٦هـ، له كتاب **جمهرة أنساب قريش وأخبارها** الذي وصل إلينا ناقصاً، وكتاب **الموفقيات**[١]، وله كتاب **أخبار المدينة** الذي روى فيه كثيراً عن شيخه ابن زبالة المشهور بالضعف، ونقل ابن حجر منه كثيراً في **فتح الباري** بيد أنَّ السمهودي لم يطلِّع عليه، إلاَّ أن المجد الفيروزأبادي صاحب كتاب **المغانم المطابة في معالم طابة** اطَّلع على كتاب الزبير فنقل السمهودي عنه وعن ابن حجر بالواسطة، إلاَّ أنَّ السمهودي أطَّلع على كتاب **العقيق** للزبير فنقل منه كثيراً، وهو يسميه: «عقيق المدينة»، وينقل السمهودي أيضاً من كتاب **النسب** للزبير أما مباشرة أو بالواسطة.

٤) أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي المكي: المتوفي سنة ٦٧٦ هـ، له كتاب **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر** نقل منه السبكي في **شفاء السقام**، وقد كانت نسخة منه عند السبكي عليها خط المؤلف[٢]، والفاسي، وذكره ابن رشيد الاندلسي في رحلته[٣]، وهو من مصادر السمهودي، إذ ينقل عنه مباشرة.

ويقول حمد الجاسر: «ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة لدى الشيخ محمد

---

(١) منه نسخة مخطوطة في مكتبة آل باش أعيان بالبصرة، وقدحققها سامي مكي العاني ونشرته رئاسة ديوان الأوقاف في بغداد سنة ١٩٧٢.

(٢) شفاء السقام ٤.

(٣) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تح محمد الحبيب ابن خوجة ٥/ ٢٢٣ وقد جاء العنوان فيها: إتحاف الزائر وإطراب المقيم والسائر"

سلطان النمنكاني الكتبي بالمدينة المنورة».

وأنبأني أخي الدكتور مازن مطبقاني من المدينة الشريفة: "أنَّ الاستاذ حسين محمد علي شكري قد إنتهى من تحقيقه وسوف يظهر قريباً".

٥) عفيف الدين عبد الله بن محمد بن احمد المطري: المتوفى سنة ٧٦٥ للهجرة[١]، له كتاب **الاعلام بمن دخل المدينة من الاعلام** ذكره السخاوي في **الإعلان**، واطَّلع عليه السمهودي واستفاد منه.

٦) محمد بن محمد بن أمين الآقشهري: المتوفى سنة ٧٩٦ هـ له كتاب **الروضة الفردوسية في أسماء من دفن في البقيع**[٢] ذكره السخاوي في **الإعلان**، ومنه نسخة بخط المؤلف في برلين برقم:٢٠٨٢ وهي النسخة نفسها التي قرأها السمهودي وعليها خطه على عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح الكناني كما تقدم، فقد نقل منها السمهودي كثيراً.

٧) الأقشهري: له أيضاً كتاب **منسك القاصد الزائر**، نقل منه السمهودي، وهو لم يصل إلينا بعد.

٨) بدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون: المتوفى سنة ٧٦٩ هـ له كتاب **نصيحة المشاور وتعزية المجاور** وهو في تاريخ المدينة وتراجم رجالها نقل منه السمهودي وذكره السخاوي في **الإعلان**[٣]، ومنه نسخة في القاهرة جاء فيها ان الكتاب انجز في سنة ٧٧٧هـ، وهذا وهمٌ، فلعلَّ الناسخ أخطأ في التاريخ، فلا بدَّ أن يكون ٧٦٧هـ وهي مؤرخة في سنة ١٠٩٣هـ. وعندي مصورة منها[٤]، ونشره حديثاً حسين محمد علي شكري بالمدينة.

٩) ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلِّص الذهبي: المتوفى سنة ٣٩٣هـ ، له كتاب **الإنتقاء في أخبار المدينة**، لم يصل إلينا بعد، نقل منه

---

(١) انظر ترجمته الطويلة في التحفة اللطيفة ٢/ ٧٥.

(٢) انظر وصفها في: التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ٦٣.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين ٤٢٧.

(٤) انظر: بروكلمان ملحق ٢/ ٢٢١ وفيه: "وتسلية المجاور".

السمهودي مباشرة أو بالواسطة[1].

١٠) يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني العلوي: المتوفى سنة ٢٧٧هـ له كتاب **أخبار المدينة**، كان عند السمهودي ثلاث نسخ منه، فلعلها احترقت مع كتبه، وهو من مصادره التي نقل عنها فأكثر النقل، ولم يصل إلينا هذا الكتاب بعد[2].

١١) تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي: المتوفى سنة ٧٥٦هـ، له كتاب **تنزيل السكينة على قناديل المدينة**[3]، نقل السمهودي منه مباشرة وبالواسطة من **المغانم المطابة** حيث اختصر الفيروزأبادي محتواه في القسم الذي لم يُنشر بعد.

١٢) تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي: له أيضاً كتاب **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**[4]، ويسمى: **شن الغارة على من انكر السفر للزيارة**، وهو في الردّ على ابن تيمية، نقل منه السمهودي مباشرة كثيراً وبخاصة في الباب الثامن **"في زيارة النبي ﷺ"** أو بواسطة المطري أو المراغي، وهو مطبوع، ونقل أيضاً من **الصارم المنكي في الرد على السبكي** لابن عبد الهادي، وهو مطبوع أيضاً.

١٣) عبد الله بن عبد الملك المرجاني: المتوفى سنة ٧٧٠ هـ له كتاب **بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار**، يعمل د/ محمد عبد الوهاب فضل بجامعة ام القرى على تحقيقه، ومنه نسخة في مكتبة الحرم المكي الشريف وأخرى في مكتبة عارف حكمت وأخرى في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، نقل منه السمهودي في مواضع.

١٤) ابن النجار محمد بن محمود: المتوفى سنة ٦٤٧هـ له كتاب **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة** طبع ملحقا بالجزء الثاني من كتاب **شفاء الغرام** للفاسي

---

(١) انظر عن مؤلفه: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٨ مع مصادر ترجمته.

(٢) انظر: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز لأحمد صالح العلي ١٢٩، وعن مؤلفه: كحالة ١٣/ ١٩٠ والزركلي ٩/ ١٧٠ وسزكين ١/ ٢٧٣.

(٣) طبقات الشافعية١٠/ ٣١٣.

(٤) طبقات الشافعية ١٠/ ٥، ١٥٠، ٣٠٨

بمطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٥، ونشره صالح جمال في سنة ١٣٦٦هـ وطبع مرتين آخرها الطبعة التي اصدرتها مكتبة الثقافة بمكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ، ونشره حديثاً محمد زينهم محمد عزب بالقاهرة سنة ١٤١٦هـ، على نشرة البابي دون زيادة أو نقص، بل زاد في أخطائه وأوهامه، ونشره حديثاً حسين محمد علي شكري بالمدينة الشريفة، نقل منه السمهودي كثيراً مباشرة، واستفاد من كتابه الآخر: **ذيل تاريخ بغداد** أيضاً.

١٥) أبو العباس الغَرَّافي العراقي: تلميذ ابن النجار، له ذيل **الدرة الثمينة**، وصلت نسخة منه للسمهودي ونقل منها في مواضع، والكتاب لم يصل إلينا بعد.

١٦) محمد بن أحمد الأسدي: أكثر السمهودي النقل عنه، ولا سيما في وصف الطريق من المدينة إلى مكة، وذكر عنه أنه من أهل القرن الثالث للهجرة، وذكر أيضاً أن له منسكاً، والواقع أنَّ النقول التي أوردها هي في الغالب من كتاب **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة** الذي نشره الشيخ حمد الجاسر وحقق نسبته إلى أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي المتوفى سنة ٢٨٥هـ، أو لتلميذه القاضي وكيع؛ محمد بن خلف بن حيَّان الضبي البغدادي المتوفى سنة ٣٠٦هـ[1] الذي له كتاب **الطريق**، وهذا أرجح[2]، ويظهر أنَّ السمهودي اطَّلع على نسخة من هذا الكتاب من رواتها هذا الذي دعاه الأسدي، وتختلف نصوص السمهودي كثيراً عن نصوص كتاب **المناسك**، ولعل ما وصل إليه هو نسخة مختصرة من **المناسك**.

ويظهر أيضاً أنه لم يطالع النسخة كلها لأنَّ فيها نقولاً عن يحيى الحسيني في تاريخ المدينة لم يرد لها ذكر في كتاب السمهودي، ونقولاً في تحديد مواضع بقرب المدينة لم يذكرها أيضاً.

١٧) محمد بن أحمد بن علي القسطلاني، قطب الدين: المتوفى سنة ٦٨٦هـ، ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٤٢٥، له رسالة سماها

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٧ مع مصادر ترجمته.

(٢) انظر: مقدمة كتاب المناسك ومجلة العرب س ٢٣/ ٤٣٣.

السمهودي: **عروة التوثيق في النار والحريق**[١]، وهي تتضمن تفصيل خروج النار في سنة ٦٥٤هـ وحريق المسجد النبوي الشريف في السنة نفسها، وقد لخصها السمهودي في كتابه وأضاف إليها من كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين** لأبي شامة.

١٨) محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي: من أصحاب مالك بن أنس، وهو من أوائل من ألَّف كتاباً في تاريخ المدينة، ألَّفه سنة ١٩٩هـ، وقد اطَّلع السمهودي على كتابه، فأكثر النقل منه ـ مع تأكيده مراراً على ضعفه ـ ويمكن أن يُعَدَّ من أهم مصادره، بيد أنَّ هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضاً فقد فُقد بعد عصر السمهودي، والظاهر أنه احترق أيضاً مع كتبه[٢].

١٩) محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي، مجد الدين: المتوفى سنة ٨١٧ هـ، مؤلف **القاموس المحيط** وغيره، له كتاب **المغانم المطابة في معالم طابة**، وقد اعتمد عليه السمهودي اعتماداً كلياً فاتخذه أساساً بنى عليه كتابه **وفاء الوفا**، فأكثر النقل منه وأضاف إليه إضافات كثيرة[٣] وصحح بعض أخطائه وأخطاء غيرة من المؤرخين.

وقد نشر الشيخ حمد الجاسر القسم المتعلق بالمواضع منه فقط، ولم يزل الباقي منه مخطوطاً، وهو جدير بالتحقيق والنشر والإذاعة، وعندي مصورة من الكتاب كله من نسخة فيض الله بتركيا، زودني بها الشيخ حمد الجاسر فله أجزل الشكر.

٢٠) ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، نقل منه السمهودي كثيراً جداً مباشرة، ونقل اقتباساته الكثيرة من المصادر المختلفة

---

(١) سماها السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/٤٢٦: «جمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز».

(٢) انظر ما كتبه عنه أستاذنا صالح أحمد العلي في: **المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز**، في مجلة **المجمع العلمي العراقي**، مج١١، ص١٢٧ ـ ١٢٩.

(٣) وزاد عليها زيادات ميَّزها بحرف "ز" بيد أنَّ أغلب مخطوطات **وفاء الوفا** لم تثبت هذه العلامة أو لم تتضح في التصوير إذ كتبت بالمداد الأحمر، وجُلُّ ما زاد هو مما نقله عن الهجري.

بالواسطة، بل أنه كان ينقل منه مناقشاته ونقوده بعزوٍ وبدون عزوٍ.

٢١) هارون بن زكريا الهجري: من أهل القرن الثالث والرابع[١]، له كتاب **التعليقات والنوادر** أكثر السمهودي النقل عن الهجري مما لا يوجد في ما وصل إلينا من هذا الكتاب في الأحماء وفي العقيق وفي مواضع أخرى بقرب المدينة، وأشار إلى أنَّ له كتاباً عن العقيق، وقد وصلت للسمهودي نسخة مضطربة من أحد مؤلفات الهجري، «ولهذا جاء ما نقله في هذا الكتاب مضطرباً وخاصة في الفصول المتعلقة بتحديد الأحماء حيث أدخل بعض تحديدها في بعض فاختلطت تلك التحديدات . . . وإن ما نقله السمهودي هنا مختلاً نقله البكري في **معجم ما استعجم** صحيحاً»[٢].

٢٢) محمد بن عمر الواقدي: المتوفى سنة ٢٠٧هـ، له كتاب **الحرَّة** التي وقعت حوادثها في سنة ٦٣هـ ، ولم يذكره النديم في **الفهرست** ضمن مؤلفات الواقدي، نقل منه السمهودي مباشرة في مواضع.

٢٣) محمد بن سعد، كاتب الواقدي: المتوفى سنة ٢٣٠هـ، له كتاب **الطبقات** نقل منه السمهودي كثيراً مباشرة وبالواسطة.

٢٤) داود الشاذلي: له كتاب **البيان والانتصار في زيارة النبي المختار**، قرأه السمهودي على عبد الله بن عبد الرحمن الكناني المتوفى سنة ٨٨٤هـ، كما جاء في **التحفة اللطيفة** للسخاوي، نقل منه السمهودي في مواضع قليلة مباشرة، ولم يصل إلينا بعد.

٢٥) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي: المتوفى سنة ٧٩٤هـ، له كتاب **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، نقل كثيراً من المصادر المختلفة وناقش رواياتها فنقل السمهودي عنه كثيراً بالواسطة، والكتاب مطبوع.

٢٦) القاضي عياض اليحصبي: المتوفى سنة ٥٤٤هـ، له كتاب مشارق

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ حمد الجاسر عنه في: **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع**، ٧ ـ ١٧٢.
(٢) المصدر نفسه ١٥٤ ـ ١٥٥.

الأنوار في صحاح الآثار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، نقل منه السمهودي مباشرة وبواسطة **شرح صحيح مسلم** للنووي و**فتح الباري** لابن حجر، وقد طبع من كتاب **المشارق** جزءآن حتى الآن، ونقل من كتاب **الشفا** له ومن غيره.

٢٧) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد: المتوفى سنة ٥٢٠هـ، له كتاب **شرح العتبية** وهو: **البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**، وهذا العنوان مخالف لما نشره محمد حجي وسعيد أعراب، نقل السمهودي منه ومن **العتبية** مباشرة وبالواسطة، والكتاب مطبوع في ١٨ جزءاً دون فهارس وافية.

٢٨) الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى: المتوفى سنة ٦٣٤هـ، له كتاب **الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا**، نقل منه السمهودي في مواضع متعددة مباشرة، وقد طبعت أجزاء ثلاثة منه حتى الآن، واحد في الجزائر قديماً واثنان في القاهرة حديثاً.

٢٩) ياقوت بن عبد الله الحموي: المتوفى سنة ٦٢٦هـ، له كتاب **معجم البلدان**، وهو من مصادر الفيروزآبادي في **المغانم المطابة**، نقل منه السمهودي ما يتعلق بالمواضع المضافة للمدينة إما بواسطة الفيروزآبادي أو مباشرة.

٣٠) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي: المتوفى سنة ٧٦٥هـ له كتاب مثير **الغرام إلى زيارة القدس والشام**، وهو لم يزل مخطوطاً، نقل منه السمهودي في مواضع من كتابه مباشرة.

٣١) ابن الجوزي: المتوفى سنة ٥٩٧هـ، له كتاب **مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن**، نقل منه السمهودي في مواضع قليلة مباشرة، ونقل أيضاً من كتاب **المنتظم** وكتاب **الوفا بأحوال المصطفى** لابن الجوزي ويسميه أحيانا: **شرف المصطفى**، وهذه الكتب مطبوعة.

٣٢) عمر بن شَبَّة النميري البصري: المتوفى سنة ٢٦٢هـ، له كتاب **أخبار المدينة**، وصلت إلينا نسخة ناقصة منه بقلم أحد بني فهد المكيين وليست بقلم ابن حجر، كما رأى ناشرها، اطَّلع عليها السمهودي ونقل منها كثيراً، وهي الآن في

مكتبة رباط مظهر بالمدينة[1]، ويظهر أنَّ كثيراً من كلماتها استعصى فهمها على السمهودي فتركها وقرأ بعضها قراءة غير صحيحة (على رأي حمد الجاسر)، وقد نُشرت حديثاً بعنوان: **تاريخ المدينة المنورة**[2]، وعندي مصورة منها.

٣٣) عرام بن الأصبغ الأعرابي السلمي: من أهل القرن الثالث للهجرة، ألَّف رسالة عن جبال تهامة ومياهها، ذكر فيها كثيراً مما حول المدينة، ونقل منها البكري والحازمي وياقوت كلَّ ما فيها، وقد اطَّلع السمهودي عليها ونقل منها، ورسالة عرام طبعت مراراً، آخرها في دار الكتب العلمية السيئة الصيت ببيروت بتحقيق د/ محمد صالح شنَّاوي الذي كتب تحت اسمه: «أستاذ بجامعة الأزهر ـ فرع أسيوط»، فقد «سرق» هذا المدَّعي الأشر ـ إنْ كان موجوداً حقاً ـ تحقيقَ عبد السلام هارون، رحمه الله وإيانا، بكامله، ولم يكتف بذلك بل أغار على مقدمته أيضاً، دون خجل أو حياء.

٣٤) ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني البلنسي: المتوفى سنة ٦١٤هـ، له كتاب **الرحلة**، استفاد منه السمهودي مباشرة وبواسطة الفيروزآبادي في **المغانم المطابة**، وقد طبع الكتاب مراراً، آخرها في دار ومكتبة الهلال ببيروت سنة ١٩٨٦ دون فهارس.

٣٥) أبو الخير سعيد بن عبد الله الدِّهْلي البغدادي: المتوفى سنة ٧٤٩هـ، له كتاب **تفتت الأكباد في واقعة بغداد**، وهو في حوادث سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ، استفاد منه السمهودي مباشرة، والكتاب لم يصل إلينا بعد.

٣٦) كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي: المتوفى سنة ٧٤٨هـ، له كتاب **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**، وهو مطبوع، استفاد منه السمهودي مباشرة ونقل منه في مواضع.

---

(١) وصفها الشيخ حمد الجاسر في مجلة **العرب** جزء شوال، السنة الرابعة.

(٢) وهذه النشرة التي أطال حمد الجاسر القول في نقدها في مجلة العرب، قال فيها: "لا يصح التعويل عليها ولا على النسخة التي طبعت عنها بتحقيق أحد العلماء (أي: التي نشرتها مكتبة العليان بالرياض) فهي صورة طبق الأصل منها"، وأقول: إنَّ المحقق الأول أقحم في نصها الكثير مما ليس منها.

٣٧) ونقل من **فضائل المدينة** للجندي (مطبوع) **وأخبار مكة** لابن شبة (مفقود) **وكتاب الأنواء** لعبد الملك بن يوسف (مفقود) ومن **مدارك** القاضي عياض (مطبوع) **وغريب الحديث** للخطابي (مطبوع) **والانتصارات الإسلامية** للأسنوي (مطبوع) **وعوارف المعارف** للسهروردي (مطبوع) وغيرها كثير، تجدها في النص والحواشي وجريدة المصادر.

مصنفات السمهودي:

ألف السمهودي في بعض العلوم التي كانت معروفة متداولة في عصره، فقد عاش في فترة "الجمع والتلفيق" وهي الفترة التي عاش فيها ابن حجر والسيوطي والمقريزي والسخاوي وأضرابهم حيث نضب منهل التجديد أو كاد، إلاَّ أنها كانت خصبة بالعلماء الأعلام، فالتفت علماء هذا العصر إلى تنظيم ما وصل إليهم من العلوم وتبويبها والجمع بين ما تشابه منها أو تفرق، فكان عصر الموسوعات بحق، ولم يكن السمهودي إلا ابن عصره فهو لذلك اتبع ما تعوَّد عليه وقرأه على شيوخه فألف في الفقه الشافعي وفي غيره من العلوم وبخاصة في ما يتعلق بالجوانب الفقهية العملية التي عاشها في المدينة.

ومع أنَّ السخاوي قد سرد له أسماء ٣٨ عنواناً بين رسالة وكتاب، فإنَّ ما وصل إلينا منها يدلُّنا على منهجه الفقهي والتاريخي، وليس من المستبعد أن يكون قد ألَّف بعد ذلك أو أكمل من مؤلفاته ما لم يذكره السخاوي في **التحفة اللطيفة والضوء اللامع** أو مؤلف **الفيض الشهودي في بعض مناقب السيد السمهودي** المجهول[1].

ومع أنَّ كثيراً من مؤلفاته احترق في حريق المسجد النبوي الشريف مع كتبه الأخرى، إلا أنَّ ما بقي منها وبخاصة ما يتعلق بتاريخ المدينة الشريفة يمكن أنْ يُعَدَّ أوفى وأشمل ما كُتب عن تاريخ هذه المدينة المقدسة، حتى أنَّ السخاوي قال فيه:

---

(١) منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض برقم: (٢) ١٥٨٦، وقد تفضل الأخ أبو زكريا صالح الحجي، رئيس قسم المخطوطات فيها بتزويدي بمصورة منها فله أجزل الشكر والثناء.

"عمل للمدينة تاريخاً تعب فيه، قرّضه كاتبه والبرهان ابن ظهيرة، وقرىء عليه بعضه بمكة "[1].

قلت: وفي ما يأتي بعض ما استطعت العثور عليه من مؤلفات السمهودي، وهي:

١) **كشف الجلباب والحجاب عن القدوة في الشبَّاك والرحاب**: وهو في شبابيك ورحبة المسجد النبوي، ذكره في **وفاء الوفا**.

٢) **دفع التعرض والإنكار لبسط روضة المختار**: ذكره في **وفاء الوفا**، وذكره السخاوي[2]، وهو تلخيص كتاب **دلالات المسترشد على كون الروضة من المسجد** لجمال الدين الريمي الذي يرد فيه على الخطيب ابن جملة.

٣) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**: صنَّفَهُ قبل **وفاء الوفا**، ومنه نسخة في الاسكوريال ٢/ ١٧٠٧، وقد أخطأ بروكلمان حين ظنها كتاب وفاء الوفا، وقد نشره حمد الجاسر في: **رسائل في تاريخ المدينة**، ومنه نسخة في لايدن بعنوان: **ذروة الوفا بما يجب بحضرة المصطفى**: مخطوطة ضمن مجموعة برقم: (2) Or. 832 ما بين الورقة ٨٨ ب ـ ١٦٢أ.

٤) **درر السموط فيما للوضوء من الشروط**: منه نسختان في لايدن:

تقع الأولى في ٣٠ صفحة، ومؤرخة في سنة ٨٩٥ هـ برقم: Or. 2533.

وتقع الثانية ضمن مجموعة ما بين ٦٢أ ـ ٧٥ب، برقم: (4) Or. 946 وهي مؤرخة في سنة ٩٩٣ هـ، وقد طبع في ٢٥ صفحة ببولاق سنة ١٢٨٥هـ.

٣) **جواهر العقدين في فضل الشرفين**: وهو في شرف العلم وشرف النسب، ومنه نسختان في لايدن:

تقع الأولى في ٢٠٦ ورقات ومؤرخة سنة ٩٠٤هـ، برقم: Or. 790.

والثانية نسخة مختصرة مؤرخة في سنة ٩٩٥هـ برقم: (7) Or. 5665 وتقع ضمن مجموعة ما بين ورقة ١٩٩ب ـ ٢٧٣ب.

---

(١) الضوء اللامع ٥/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه ٥/ ٢٤٦.

ومنه نسخة في جستر بيتي برقم: ٥٣٤٥ وتقع في ٢٦٥ ورقة، كتبها عبد اللطيف بن محمد بن علي الدرعي المدني المالكي في ١٨ رجب من شهور سنة ٩٤٨هـ ومنها مصورة في معهد المخطوطات العربية في الكويت برقم: ١٦٧٢، وأخرى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومركز الملك فيصل بالرياض، وفي أماكن أخرى؛ ذكره صدِّيق بن حسن القنَّوجي في **أبجد العلوم**[1]، وقد اختصره الحسين بن المنصور بالله القاسم اليمني بعنوان: **آداب العلماء والمتعلمين**، وطبع بمدينة صنعاء سنة ١٣٤٤هـ.

٤) **شفاء الأشواق لحكم ما يكثر بيعه في الأسواق**: منه نسخة في لايدن، مؤرخة في سنة ٨٩٥ هـ وتقع في ٨٠ صفحة، برقم: Or. 25570.

٥) **طيب الكلام بفوائد السلام**: منه نسخة في جستر بيتي برقم: ٣٦٢٤ ومؤرخة في سنة ٨٩٣هـ وتقع في ١٠٠ ورقة، ذكره بروكلمان ١/ ١٧٤.

٦) **إيضاح البيان لما رآه الحجة من ليس في الإمكان**: منه نسخة في جستر بيتي برقم: ٤٨٧١ وتقع في ٣٧ ورقة ومؤرخة في سنة ٩٩١هـ (شرح قول الغزالي: ليس في الإمكان) ذكره بروكلمان ١/ ١٧٤.

٧) **القول المستجاد في شرح كتاب امهات الأولاد**: منه نسخة في مكتبة جستر بيتي برقم: ٤٨٩٩ وتقع في ٢٨ ورقة، غير مؤرخة.

٨) **الغماز على اللماز**: منه نسخة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، برقم ١٣١٠ وأخرى بدار الكتب المصرية.

٩) **الأنوار السنية في جواب الأسئلة اليمنية**: منه نسخة في مجموعة حسن حسني عبد الوهاب بتونس، ضمن مجموعة برقم: ١٧٠٣٤ وأخرى في الخزانة العامة بمدينة الرباط.

١٠) **نصيحة اللبيب في مرأى الحبيب**: وهو في رؤية النبي ﷺ يقظة أو مناماً، ذكره في **وفاء الوفا**.

---

(١) إعداد عبد الجبار زكار، دمشق ١٩٧٨، ١/ ١٣٣.

١١) **النصيحة الواجبة القبول في بيان وضع منبر الرسول ﷺ** : ذكره السمهودي في كتابه وفاء الوفا.

١٢) **الإفصاح في شرح الإيضاح**، في مناسك الحج، وسماه القطبي النهروالي مؤرخ مكة في «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام»: إيضاح المناسك، وهو شرح كتاب الإيضاح في المناسك للنووي، ذكره السخاوي[١]، وكتاب النووي مطبوع.

١٣) **اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى**: وهو أصل وفاء الوفا، وقد احترقت مسودته مع كتبه الأخرى في حريق المسجد النبوي الشريف في ١٣ رمضان سنة ٨٨٦ هـ.

١٤) **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**: وهو مختصر وفاء الوفا، وقد طبع مرتين اولاهما في مطبعة بولاق سنة ١٢٨٥هـ، والأخرى في دمشق سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ وهما نشرتان غير محققتين.

١٥) **أمنية المعتنين بروضة الطالبين**: وهو حاشية على روضة الطالبين للنووي، إلا أنه لم يكمله، نقل السمهودي من الروضة مراراً.

١٦) **المواهب الربانية في وقف العثمانية**: ذكره السخاوي[٢].

١٧) **مصابيح القيام في شهر الصيام**، ذكره في وفا الوفا.

١٨) **المقالات المسفرة عن دلائل المغفرة** ذكره بروكلمان ١/ ١٧٤.

١٩) **الآراء في حكم الطلاق والإبراء** ذكره بروكلمان ١/ ١٧٤.

مؤلفات السمهودي كما وردت في كتاب الفيض الشهودي لمؤلف مجهول:

١) جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم وشرف النسب.

٢) اقتفاء الوفا باخبار دار المصطفى.

٣) وفاء الوفا.

---

(١) الضوء اللامع ٥/ ٢٤٧.

(٢) ابو علي الهجري ٣٧.

٤) خلاصة الوفا.

٥) الوفا (والذروة)[١] لما يجب لحضرة المصطفى في تنظيف الحجرة من هدم الحريق.

٦) نصيحة اللبيب في من أتى الحبيب.

٧) ورود السكينة على بسط المدينة.

٨) الانتصار لبُسُط روضة المختار.

٩) مصابيح القيام في شهر الصيام.

١٠) الأقوال المسفرة عن دلائل المغفرة.

١١) الموارد الهنية في مولد خير البرية.

١٢) الأربعون حديثاً في فضل الرمي بالسهام.

١٣) الحكم العشرة في مقابلة شم الطيب بسؤال المغفرة.

١٤) العقد الفريد في أحكام التقليد.

١٥) مواهب الكريم الفتاح في المسبوق المشتغل بالاستفتاح.

١٦) شفاء الأشواق لحكم ما يكثر بيعه في الأسواق.

١٧) فتح الرب الواهب بإكمال المواهب.

١٨) رفع الجلباب والحجاب عن القدوة في الشباك والرحاب.

١٩) المواهب الربانية في وقف العثمانية.

٢٠) تحرير العبارة في بيان موجب الطهارة.

٢١) حواشي على الدميري.

٢٢) جمع الجوامع للمحلِّي.

٢٣) كشف اللبس عن المسائل الخمس.

٢٤) الفوائد الجمة في المسائل الثلاثة المهمة.

---

(١) كتبت فوق كلمة الوفا.

٢٥) المحرر من الآراء وتعليق الطلاق بالإبراء.

٢٦) شرح أمهات الأولاد من المنهاج.

٢٧) ختم البخاري ومسلم.

٢٨) شرح الباب الأخير من ابن ماجه.

٢٩) كشف المغطى في شرح الموطا.

٣٠) الافصاح بنكت مناسك الإيضاح.

٣١) حاشية شرح العقائد.

٣١) درر السموط في ما للوضوء من الشروط.

٣٢) مسودة شرح الورقات.

٣٣) النصيحة الواجبة القبول في بيان وضع منبر الرسول.

٣٤) زاد المسير لزيارة البشير.

٣٥) أمنية المعتنين بروضة الطالبين.

٣٦) أجوبة الفتاوى السواكنية واليمانية.

٣٧) قصائد نبويات[١].

وأخيراً: فانني لم أُتَرْجِمْ للسمهودي هنا كما هو معهود ومتوقع في النصوص المحققة، إلاَّ أنني ارتأيت ـ وقد كَبُر حجم هذا الجزء كثيراً ـ أنْ أُصَدِّرَ الجزءَ الثاني إنْ شاء الله تعالى بترجمته.

قاسم السامرائي

لايدن ـ هولندا

---

(١) سرد سيد كسروي حسن محقق ديوان الإسلام لمحمد بن عبد الرحمن الغزي واحداً وعشرين مصنفاً في حاشية ترجمة السمهودي القصيرة (ص١٠١ ـ ١٠٢).



وَفَاءُ الوَفَا
بأخبار دار المصطفى

تأليف
نور الدين علي بن عبد الله السمهودي
المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق وتقديم
الدكتور قاسم السامرائي



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أما بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف أنبيائه
وعلى آله وأصحابه وأصفيائه، وبعد :

فقد سألني مَنْ طاعتُهُ غُنْمٌ ومُخَالَفَتُهُ غُرْمٌ، أنْ اختصرَ تأليفي المُسَمَّى بـ: اقتضاء[1] الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ وزاده شرفاً وفضلاً لديه، اختصاراً مع توسُّطٍ غيرِ مُفْرِطٍ ولا مُفَرِّط، هذا مع كونه بعدُ لم يقدر اتمامه ولم تتكامل أقسامه، لسلوكي فيه طريقة الاستيعاب وجمع ما افترق[2] من معاني تلك الأبواب؛ وتلخيص مقاصد جميع تواريخ المدينة التي وقفت عليها، وإضافة ما اقتضى الحال أن يضاف إليها، مع عروض الموانع، وترادف الشواغل والقواطع؛ فأجبته إلى سؤاله لما رأيت من شغفه[3] بذلك وإقباله، مع ما رأيت في ذلك من الاتحاف بأمور لا توجد في غيره من المختصرات، بل ولا المبسوطات، سيما في ما يتعلق بأخبار الحجرة الشريفة ومعالمها المنيفة، فإني قد استفدتها عياناً، وعلمت أخبارها إيقاناً، بسبب ما حدث في زماننا من العمارة التي سنشير إليها، ونقف في محلِّها عليها، لاشتمالها على تجديد ما كاد أنْ يَهِيَ[4] في الحجرة الشريفة من الأركان وإحْكَامِ ما

---

(١) في الأصول والمطبوع: اقتفاء، والظاهر انه تصحيف لأنَّ الاقتضاء أنسب هنا من الاقتفاء.
(٢) ص: ما فترق.
(٣) ص: تغفه.
(٤) وهى يَهِي: وَهَى الحائِطُ إذا ضَعُفَ وهَمَّ بالسُّقُوط.

أحاط بها من البنيان، وتشرَّفتُ بالخدمة في إعادة بنيانها، وتجنبتُ شهودَ نقضِ أركانها، وحَظِيتُ بالوقوف في[1] عَرَصتِها، وتمتعت بانتشاق تربتها، ونَعِمَت العين بالاكتحال بأرضها الشريفة، ومحال الأجساد المنيفة، فامتلأ القلب حياءً ومهابةً، واكتسى من لباس الذلّ أثوابَه، هذا وقد جُبِلت القُلوبُ على الشَغَفِ بأخبارِ هذا المَحَلِّ وأحوالِه، كما هو دَأبَ كُلِّ مُحِبٍّ مُغْرَمٍ وَالهٍ، ولله دَرُّ القائل:

أمْلِيَاني حَديثَ مَنْ سَكَنَ الجزْ ... عَ ولا تَكْتُبَــاه إلا بــدَمْعِــي

فاتَنِي أنْ أرى الدِّيـارَ بِطَرْفي ... فَلَعَلِّي أرى الـدِّيـارَ بسَمْعَي[2]

ولعمري إنَّ الاعتناء بذالك وضبطه وإفادته من مُهمَّات الدين، وإن النظر فيه مما يزيد في الإيمان واليقين، لما فيه من معرفة معاهد دار الإيمان، ونشرأعلامها المرغمة للشيطان، وتذكّر آياتها الواضحة التبيان، والمرجُوُّ من اللّٰه تعالى أن يكون كتابنا هذا تحفةً لِمُحِبي دار الأبرار، ومن سكن بهـا من الأخيـار، أو وفـد عليهـا من الزُوَّار، وقد بذلت الجهدَ في تهذيبه وتقريبه وترتيبه، رجاءَ دَعوةٍ تَمْحُو الأوزارَ، وتُقيلُ العِثارَ، ونظرةَ قَبُولٍ من المصطفى المختار ﷺ وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار وسميته: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ﷺ وشرَّف وعظَّم، ورتبته على أبواب:

البـاب الأول: في أسماء هذه البلدة الشريفة.

الباب الثاني: في فضائلها، وبدء شأنها، وما يؤول إليه أمرها، وما يتعلق بذلك[3]، وفيه ستة عشر فصلاً:

الأول: في تفضيلها على غيرها من البلاد.

---

(١) خ: على.

(٢) البيتان للشريف الرضي إلا أن رواية البيت الأول (في ديوانه، بيروت ١٣٠٧هـ ١/ ٥٠٠) هي:
واستملا حديث من سكن الخيـ...... ـف ولا تكتبـاه إلا بـدمعـي
وانظر أيضاً: شرح تقي الدين السبكي للبيت الثاني في **طبقات الشافعية** لولده تاج الدين عبد الوهاب السبكي ١٠/ ٢٨٢ وما بعدها.

(٣) م٢: يتعلق عليه بذلك.

الثاني: في الحث على الإقامة بها، والصبر على لأوائها وشدتها، وكونها تنفي الخَبَثَ والذنوب، ووعيدِ من أرادها وأهلَها بسوءٍ أو أحدث[1] بها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً.

الثالث: في الحثِّ على حفظِ أهلها وإكرامهم، والتحريض على الموت بها وإتخاذ الأصل.

الرابع: في بعض دعائه ﷺ لها ولأهلها، وما كان بها من الوباء، ودعائه بنقله.

الخامس: في عصمتها من الدجال والطاعون.

السادس: في الاستشفاء بترابها وتمرها.

السابع: في سرد خصائصها.

الثامن: في صحيح ما ورد في تحريمها.

التاسع: في بيان عَيْر وثَور اللذين وقع تحديد الحرم بهما.

العاشر: في أحاديث أُخر تقتضي زيادة الحرم على ذلك التحديد وأنه مقدر ببريد.

الحادي عشر: في بيان ما في هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد، ومن ذهب إلى مقتضاها.

الثاني عشر: في حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم.

الثالث عشر: في أحكام هذا الحرم الكريم.

الرابع عشر: في بدء شأنها، وما يؤول إليه أمرها.

الخامس عشر: في ما ذكر من وقوع ما ورد من خروج أهلها وتركهم لها، وذكر كائنة الحَرَّة المقتضية لذلك.

السادس عشر: في ظهور نار الحجاز ألمُنْذَر بها من أرضها، وانطفائها عند وصولها إلى حرمها.

---

(١) خ: وأحدث.

الباب الثالث: في أخبار سكانها في سالف الزمان، ومقدمه ﷺ إليها، وما كان من أمره بها في سِني[1] الهجرة، وفيه اثنا عشر فصلاً:

الأول: في سكانها بعد الطوفان، وما ذكر في سبب سكنى اليهود بها وبيان منازلهم.

الثاني: في سبب سكنى الأنصار بها.

الثالث: في نسبهم.

الرابع: في ظهورهم على اليهود، وما اتفق لهم مع تُبَّع.

الخامس: في منازلهم بعد إذلال اليهود، وشيء من آطامهم وحروبهم.

السادس: في ما كان بينهم من حرب بُعَاث.

السابع: في مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبي الكريم، وذكر العقبة الصغرى.

الثامن: في العقبة الكبرى وما أفضت إليه.

التاسع: في هجرته ﷺ[2].

العاشر: في دخوله ﷺ أرضَ المدينة وتأسيس مسجد قُباء.

الحادي عشر: في قدومه ﷺ باطن المدينة، وسكناه بدار أبي أيوب، وخبر هذه الدار، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار.

الثاني عشر: في ما كان من أمره ﷺ بها في سني[3] الهجرة.

الباب الرابع: في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم، والحجرات المنيفات وما كان مُطِيفاً به من الدور والبلاط، وسوق المدينة، ومنازل المهاجرين، واتخاذ السور، وفيه سبعة وثلاثون فصلاً:

الأول: في أخذه ﷺ لموضع مسجده الشريف، وكيفية بنائه.

الثاني: في ذَرْعِه وحدوده التي يتميز بها عن سائر المسجد اليوم.

---

(١) في الأصول: سنين.

(٢) س: في هجرته ﷺ إليه؛ م٢: في هجرته ﷺ إليها، م١: في هجرته ﷺ، خ: في مبدأ هجرته ﷺ.

(٣) في الأصول: سنين.

الثالث: في مَقَامِهِ الذي كان يقوم به قبل تحويل القبلة وبعده، وما جاء في تحويلها.

الرابع: في خبر الجِذْع، واتخاذ المنبر، وما اتفق فيه[1].

الخامس: في فضل المسجد الشريف.

السادس: في فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة.

السابع: في الأساطين المنيفة.

الثامن: في الصُّفَّة وأهلها، وتعليق الأقناء لهم بالمسجد.

التاسع: في حُجَره ﷺ، وبيان إحاطتِها بمسجده إلا من جِهة المغرب.

العاشر: في حجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها.

الحادي عشر: في الأمر بسدِّ الأبواب، وبيان ما استُثْنِي من ذلك.

الثاني عشر: في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد.

الثالث عشر: في البطيحاء التي بناها بناحيته، ومنعه من إنشاد الشعر ورفع الصوت فيه.

الرابع عشر: في زيادة عثمان رضي الله عنه.

الخامس عشر: في المقصورة التي اتخذها به.

السادس عشر: في زيادة الوليد على يد عمر بن عبد العزيز.

السابع عشر: في ما اتَّخذه عمر فيها من المحراب والشرُفات والمَنَارات والحرس، ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه.

الثامن عشر: في زيادة المهدي.

التاسع عشر: في ما كانت عليه الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة في مبدأ الأمر.

---

(١) خ: منه.

العشرون: في عمارتها بعد ذلك، والحائز الذي أُدير عليها.

الحادي والعشرون: في ما روي في صفة القبور الشريفة بها، وأنه بقي هناك موضع قبر لعيسى عليه الصلاة[1]والسلام، وتَنَزُّل الملائكة حافِّينَ بالقبر الشريف، وتعظيمه، والاستسقاء به.

الثاني والعشرون: في ما ذكر من صفتها وصفة الحائز الدائر عليها، وما شاهدناه مما يخالف ذلك.

الثالث والعشرون: في عمارةٍ اتفقت بها بعد ما تقدم، على ما نقله بعضهم، وما نقل من الدخول إليها وتأزيرها بالرخام.

الرابع والعشرون: في الصندوق الذي في جهة الرأس الكريم، والمسمار الفضة المواجه للوجه الشريف، ومقام جبريل عليه السلام، وكسوة الحجرة وتَخليقها.

الخامس والعشرون: في قناديلها ومعاليقها.

السادس والعشرون: في الحريق الأول القديم المستولي على تلك الزخارف المُحْدَثة بها وبالمسجد وسقفهما، وما أُعيد من ذلك.

السابع والعشرون: في اتخاذ القُبَّة الزرقاء تمييزاً للحجرة الشريفة والمقصورة الدائرة عليها.

الثامن والعشرون: في عمارتها المتجددة في زماننا، على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، وما حصل بسببها من إزالة هَدْمِ الحريق من ذلك المحل الشريف ومَشَاهدة وضعه المنيف، وتصوير ما استقر عليه أمر الحجرة الشريفة[2].

التاسع والعشرون: في الحريق الثاني الحادث في زماننا بعد ذلك وما ترتب عليه ألحقته هنا[3] لحدوثه بعد الفراغ من مسودة هذا الكتاب[4]، وفي آخره خاتمة

---

(١) سقطت من س.

(٢) سقطت من س،خ.

(٣) في خ زيادة: "مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه في الفصول".

(٤) خ: من مسودة كتابنا هذا.

في ما نُقِل من عَمَل نور الدين الشهيد لخندق مملوء من الرَّصَاص حول الحجرة الشريفة[1].

الثلاثون: في تحصيب المسجد[2]، وأمر البزاق فيه وتخليقه وإجماره[3] وشيء من أحكامه.

الحادي والثلاثون: في ما احتوى عليه من الأَرْوِقَة والأساطين والبالوعات والسقايات والحواصل، وغير ذلك.

الثاني والثلاثون: في أبوابه وخوخاته وما يميزها من الدورالمحاذية لها.

الثالث والثلاثون: في خوخة آل عمر رضي الله عنه.

الرابع والثلاثون: في ما كان مطيفاً به من الدور.

الخامس والثلاثون: في البلاط وما حوله من منازل المهاجرين.

السادس والثلاثون: في سوق المدينة.

السابع والثلاثون: في منازل القبائل من المهاجرين، وما حدث من اتخاذ السور.

الباب الخامس: في مُصَلَّى النبي ﷺ في الأعياد، وغير ذلك من مساجد المدينة التي صَلَّى فيها النبي ﷺ أو جلس، مما علمتُ عَيْنَه أو جهته وفضل مقابرها، ومن سُمِّيَ ممن دَفِنَ بها، وفَضْلُ أُحْدِ والشهداء به، وفيه سبعة فصول:

الأول: في مُصَلَّى الأعياد.

الثاني: في مسجد قباء، وخبر مسجد الضِّرَار.

الثالث: في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا.

الرابع: في ما علمت جهته من ذلك، ولم يعلم عينه.

---

(١) سقطت من خ.

(٢) فضائل المدينة للجندي ٣٦.

(٣) التخليق والإجمار: من الخَلوق وهو الطيب، والإجمار: استعمال البخور في تطييبه، وحصبه: فرش أرضه بالحصباء وهي صغار الحصى.

الخامس: في فضل مقابرها.

السادس: في تعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت رضوان الله عليهم، والمشاهد المعروفة بها.

السابع: في فضل أُحُد والشهداء به.

الباب السادس: في آبارها المباركات، والعين والغراس والصدقات التي هي للنبي ﷺ منسوبات، وما يُعْزَى إليه من المساجد التي صلى فيها في الأسفار والغزوات، وفيه خمسة فصول:

الأول: في الآبار المباركات، وفيه تتمة في العين المنسوبة للنبي ﷺ والعين الموجودة في زماننا.

الثاني: في صدقاته ﷺ وما غَرَسَهُ بيده الشريفة.

الثالث: في ما يُنسب إليه من المساجد التي بين مكة والمدينة بالطريق التي كان يسلكها ﷺ.

الرابع: في بقية المساجد التي بينهما بطريق ركب الحاج في زماننا، وطريق المشيان[١]، وما قرب من ذلك.

الخامس: في بَقيَّة المساجد المتعلقة بغزواته وعُمَرِه ﷺ.

الباب السابع: في أوديتها وأحمائها وبِقَاعها وجبالها وأعمالها ومضافاتها، ومشهور ما في ذلك من المياه والأودية، وضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك، وفيه ثمانية فصول:

الأول: في فضل وادي العقيق وعَرَصته وبيان حدوده.

الثاني: في ما جاء في إقطاعه وابتناء القصور به، وظريف[٢] أخبارها.

---

(١) لعله يريد طريق المشاة، وورد "طريق الماشي" في معجم شيوخ عمربن فهد الهاشمي المكي، ٣٨٣، وورد «طريق المشيان» في نصيحة المشاور لابن فرحون ورقة ٣٨ب ـ ٣٩أ حيث سار فيه ابن فرحون للحج.

(٢) خ: وطريق.

الثالث: في العرصة وقصورها، وشيء مما قيل فيها وفي العقيق من الشعر.

الرابع: في جمَّاواته وأرض الشجرة، وثَنِيَّة الشريد وغيرها من جهاته، وفيه خاتمة في سرد ما يدفع فيه من الأودية وما به من الغُدْرَان.

الخامس: في بقيَّة أودية المدينة.

السادس: في ما سُمِّي من الأحماء ومَنْ حَمَاها، وشرح حال حِمى النبي ﷺ بالنقيع[1].

السابع: في شرح حال بقية الأحماء وأخبارها.

الثامن: في بقاع المدينة وأعراضها وأعمالها ومُضَافاتها وأوديتها[2] وجبالها وتِلاعها، ومشهور ما في ذلك من الآبار والمياه والأودية، وضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك وبالمساجد والآطام والغزوات، وشرح حال ما يتعلق بجهات المدينة وأعمالها من ذلك، على ترتيب حروف الهجاء.

الباب الثامن: في زيارته ﷺ، وفيه أربعة فصول:

الأول: في الأحاديث الواردة في الزيارة نصاً.

الثاني: في بقية أَدِلَّتها، وبيان تأكد مشروعيتها، وقربها من درجة الوجوب، حتى أطلقه بعضهم عليها، وبيان حياة النبي ﷺ في قبره، وشدِّ الرِّحالِ إليه، وصحة نَذْرِ زيارته والاستئجار للسلام عليه.

الثالث: في توسُّلِ الزائر[3]وتَشَفُّعِهِ به ﷺ إلى ربِّـه تعالى، واستقباله له ﷺ في سلامه وتوسله ودعائه.

الرابع: في آداب الزيارة والمجاورة والتبرك بتلك المساجد والآثار[4]، وهذا

---

(١) النقيع: موضع معروف الآن في أعلى عقيق المدينة، بقربها، انظر: بلاد العرب ٤١٢، وذكر ياقوت روايات كثيرة فيه وفي اختلاف تسميته، معجم البلدان ٣٠١/٥ وما بعدها وكذلك الفيروزابادي في المغانم المطابة ٤١٥ ـ ٤١٧.

(٢) ر، س، ص، م٢، خ: وانديتها.

(٣) سقطت من ص.

(٤) س: الابار.

الباب وإن كان من حقه التقديم، لكنه لما كان كنتيجة الكتاب، ومقدماته ما تقدمه من الأبواب، ختمت به أقسامه، ليكون المسكُ خِتَامَه، وسِرُّ الوجود تمامه[١]، وتفاؤلاً بأن يفتح لي به ثمانية أبواب الجنة، ويعظم لي بسببه سوابغ المنَّة، وبالله لا سواه أعتصم، وأسأله العصمة مما يَصِمُ[٢] فهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) خ: وتمامه.

(٢) الوصم: العيب والعار.

الباب الأول
في أسماء هذه البلدة الشريفة

اعلم أنَّ كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى، ولم أرَ أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة، وقد استقصيتها بحسب القدرة، حتى إني زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازي اللغوي[(١)] ـ وهو أعظم الناس في هذا الباب ـ نحوَ ثلاثين اسماً[(٢)]، ورقمت على ذلك صورة (ز) لتتميز[(٣)]، وها أنا أوردها مرتبة على حروف المعجم:

الأول: أثْرِب، كمسجد[(٤)]: بفتح الهمزة وسكون المثلثة وكسرالـراء وباء موحدة، لغة في: يثرب، الآتي أواخر الأسماء كَأَلَمْلَم ويَلَمْلَم.

قيل: سميَّت بذلك لأنه اسم من سكنها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام في البلاد، وهل هو اسم للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ أو للمدينة نفسها، أو لموضع مخصوص من أرضها؛ أقوال:

---

(١) هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المتوفى بزبيد اليمن سنة ٨١٧هـ، مؤلف القاموس المحيط والمغانم المطابة في معالم طابة، نشر الشيخ حمد الجاسر قسم المواضع منه في الرياض سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ وأعرض عن بقيته لسبب ذكره في مقدمة الكتاب، وانظر: بروكلمان ٢/ ١٨١ وملحقه ٢/ ٢٣٤ ومعجم المؤلفين ١٢/ ١١٨ مع مصادر ترجمته.

(٢) ذكر الفيروزأبادي في المغانم المطابة ص ٩٦ ـ ١٣٩ خمسة وستين اسماً للمدينة (نسخة فيض الله ١٥٢٩ وهي مرقمة حسب الصفحات، ولهذا فإن الإشارة إليها ستكون بحرف«ص» ورقم الصفحة.

(٣) ر، س، ص: لتتميز أسماؤها، خ: ليتميز.

(٤) سقطت من: س، ت، ص.

الأول: لأبي عبيدة[1].

والثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومشى عليه الزمخشري[2].

والثالث: هو المعْنيُّ بقول محمد بن الحسن، أحد أصحاب مالك ويعرف بابن زَبَالة[3]: وكانت يثرب أم قرى المدينة، وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وما بين المال الذي يقال له البرني[4] إلى زبالة[5].

وقد نقل ذلك الجمال المَطَري[6] عنه، وزاد في النقل: أنه كان بها ثلاث مئة صائغ من اليهود[7]، وابن زبالة إنما ذكر: أن ذلك كان بزهرة[8]، وقد غاير بينها وبين يثرب، وكأنَّ الجَمالَ فَهِمَ اتحادَهما، وقد قال عقب نقله لذلك عنه: وهي - يعني[9]:

---

(١) نقل ابن النجّار قول ابي عبيدة معمر بن المثنى في الدرة الثمينة ٢/٣٢٣، قال: "وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يثرب اسم أرض ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها"، وانظر: التعريف للمطري ١٦ قال: "وهي اليوم معروفة بهذا الاسم وفيها نخيل كثير ملك لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم وهي غربي مشهد أبي عمارة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وشرقي الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الأزرق ينزلها الركب الشامي في وروده وصدوره وتسميها الحجاج عين حمزة".

(٢) أقوال أبي عبيدة وابن عباس والزمخشري نقلها السمهودي من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٣٥وجاء فيه: «وعن أبي عبيدة: يثرب اسم أرض ومدينة الرسول ﷺ في ناحية منها، وقال الماوردي في يثرب وجهان: أحدهما: المدينة، حكاه ابن عباس، والثاني: أن المدينة في ناحية من يثرب، قاله أبو عبيدة. وفي الكشاف: يثرب اسم للمدينة».

(٣) محمد بن الحسن بن زبالة مؤلف أخبار المدينة المتوفى في حدود سنة ٢٠٠هـ، انظر: بروكلمان ١/١٣٧؛ والمشتبه للذهبي ٢١٣ وهدية العارفين للبغدادي ٢/٩ وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢٩ وكتاب الضعفاء الصغير للبخاري ٩٩ "عنده مناكير" والتحفة اللطيفة للسخاوي ٢/٤٦٩.

(٤) في الدرة الثمينة ٢/٣٢٣: البرناوي، واورد هذا النص عن ابن زبالة أيضاً.

(٥) نقلاً من المغانم المطابة ٨٩، والمخطوطة ص٩٨ عن الزبير بن بكار، وحدد السمهودي في "بقاع المدينة" موضع زبالة فقال: زبالة الزج" ويرى حمد الجاسر أن: "الزج" مقحمة في غير موضعها.

(٦) هو محمد بن أحمد الأنصاري المطري، المتوفى بالمدينة الشريفة سنة ٧٤١هـ، مؤلف التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، انظر: بروكلمان ٢/١٧١ وملحقه ٢/٢٢٠ ومعجم المؤلفين ٨/٢٥٧.

(٧) التعريف للمطري ١٧ والدرة الثمينة في تاريخ المدينة لابن النجار ٢/ ٣٢٣ والمغانم المطابة ١٧٣.

(٨) قال ابن النجار ٢/٣٢٣: "وكانت زهرة من أعظم قرى المدينة" ومثله في المغانم المطابة ١٧٣.

(٩) خ: معنى.

يثرب ـ معروفة اليوم بهذا الاسم، وفيها نخيل كثيرة ملك لأهل المدينة، وأوقاف للفقراء وغيرهم، وهي غربي مشهد سيدنا حمزة، وشرقي الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الأزرق[1]، ينزلها الحاج الشامي في ورده وصدره[2]، وتسميها الحجَّاج عيون حمزة[3]، انتهى.

وهي إلى اليوم معروفة بهذا الاسم، أعني: يثرب[4].

وربما قالوا فيها: أثارب، بصيغة الجمع.

ويه عبَّر البرهان ابن فرحون[5] في مناسكه، فلك أن تَعدَّهُ اسماً آخر، وهذا الموضع المعروف بيثرب.

قال المَطَري: كان به منازل بني حارثة؛ بطن ضخم من الأوس؛ قال: وفيهم نزل قوله تعالى في يوم الأحزاب: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآيِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾[6] ورجح به القول الثالث، وذلك أنَّ قريشاً وَمَنْ معهم نزلوا يوم الأحزاب ويوم أُحُدٍ أيضاً ـ على ما ذكره المَطَري ـ بِرُومَة[7] وما والاها بالقرب من

---

(١) عين الأزرق: قال السمهودي: وتسميها العامة العين الزرقاء. وقال المطري في التعريف ١٦، ٥٨: "عين الأزرق وهو مروان بن الحكم التي أجراها بأمر معاوية وهو واليه على المدينة، وأصلها من قباء"، وذكر المطري تاريخها بالتفصيل.

(٢) في التعريف للمطري ١٦: "ينزلها الركب الشامي في وروده وصدوره".

(٣) التعريف للمطري ١٦والدرة الثمينة ٢/ ٣٢٢ والمغانم المطابة (المخطوطة ص٩٨)، ونقل الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٣٧٢ عن المطري أيضاً في تحديد موضع جبل مخيض، قوله: «جبل بالمدينة وهو الجبل الذي على يمين القادم من طريق الشام حيث يفضي من الجبال إلى البركة، وهو موضع مورد الحجاج من الشام ويسمونها عيون حمزة»، قلت: وما يزال جبل مخيض معروفاً بالمدينة المنورة.

(٤) هذا قول المطري في التعريف ١٦، وذكرها عبد القدوس الأنصاري رحمه الله وإيانا في خريطة المدينة الملحقة بكتابه: آثار المدينة.

(٥) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري الأندلسي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٩٩هـ، مؤلف الديباج المذهب في أعيان المذهب وكتاب إرشاد السالك في أفعال المناسك ومنه نسخة في جامع الزيتونة بتونس، انظر: بروكلمان ٢/ ٢٢٦ وملحقه ٢/ ٢٢٦ ومعجم المؤلفين ١/ ٦٨ مع مصادر ترجمته.

(٦) سورة الأحزاب ١٣.

(٧) التعريف ١٧، رومة: بضم الراء وسكون الواو، أرض بالمدينة بين الجُرف وزِغابة نزلها المشركون=

منازل بني حارثة من الأوس ومنازل بني سلمة من الخزرج، وكان الفريقان مع رسول الله ﷺ في مركز[1] الحرب، ولذلك خافوا على ذَرَاريهم وديارِهم من العدو يوم أحد؛ فنزل فيهما: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[2]، قال عقلاؤهم: ما كَرِهْنَا نزولَها لتولِّي الله إيانا[3]، ودفع الله[4] عنهم ببركة النبي ﷺ وصدق نياتهم[5].

وقيل: إنَّ القائل لبني حارثة: «يا أهلَ يثربَ لا مقام لكم» هو أوْسُ بن قَيْظِي وَمَنْ معه، وقيل غير ذلك.

قلت: ويُرَجِّحُ القولَ الثالث أيضاً قولُ الحافظ عمر بن شَبَّةَ النميري[6].

قال: أبو غسان[7] وكان بالمدينة في الجاهلية سوق بزَبَالة في الناحية التي تُدعى يثرب[8]، انتهى.

ولا شكَّ في إطلاق يثرِب على المدينة نفسها، كما ثَبَت في الصحيح، وشواهدُه أشهر من أن تُذكر؛ وسيأتي أول الفصل الرابع عشر من الباب الثاني ما يقتضي أنه تعالى سمَّاها به قبل أن تُعْمَرَ وتُسْكَنَ فإما أن يكون موضوعاً لها، أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكلِّ أو من باب عكسه على الخلاف المتقدم.

= عام الخندق وفيها بئر رومة ابتاعها عثمان بن عفان وتصدق بها، معجم البلدان، انظر: "رومة"، "بئر رومة"، ولها ذكر كثير في كتب الحديث والتواريخ وشراء عثمان رضي الله عنه لها ووقفها على المسلمين.

(١) في التعريف للمطري ١٧: "مجلس".

(٢) سورة آل عمران ١٢٢.

(٣) صحيح مسلم ٧/ ١٧٣ وفتح الباري ٧/ ٣٥٧.

(٤) س: الملك.

(٥) التعريف للمطري ١٧ وفيه: "في مجلس الحرب".

(٦) خ: الفهري، توفى ابن شبة بسر من رأى سنة ٢٦٢هـ، مؤلف أخبار المدينة، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢٠٩ وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٩ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٦ مع مصادر ترجمته فيها.

(٧) هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني، من أصحاب الإمام مالك، وكان عالماً بأخبار المدينة، روى عنه الزبير بن بكار (سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٥، ٤/ ٥٦٣).

(٨) تاريخ المدينة ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

وروى ابن زبالة وابن شبّة نَهْيَه ﷺ عن تسمية المدينة: يثرب[١].

وفي تاريخ البخاري حديث: «من قال يثرب مرة فَلْيَقلْ المدينة عشر مرات»[٢].

وروى أحمد[٣] وأبو يَعْلى[٤] حديث: «من سمّى المدينة يثرب فليستغفر اللّه هي طابة هي طابة[٥]، ورجاله ثقات».

وفي رواية: «فَلْيَسْتَغْفِرِ اللّهَ ثلاثاً»[٦].

ولهذا قال عيسى بن دينار[٧]: من سمّى المدينة يثرب كُتِبَتْ عليه خطيئة[٨]، وكره بعض العلماء تسميتها بذلك؛ وما وقع في القرآن من تسميتها به إنما هو حكاية عن قول المنافقين[٩].

ووجه كراهة ذلك، إما لأنه مأخوذ من الثرب ـ بالتحريك ـ وهو الفساد[١٠] أو لكراهة التثريب وهو المؤاخذة بالذنب[١١]، أو لتسميتها باسم كافر[١٢].

وقد ينازع في الكراهة بما في حديث الهجرة في الصحيحين من قوله ﷺ: «فذهب وَهْلي[١٣] إلى اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة يثرب»[١٤]. وحديث

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧ وتاريخ المدينة ١/ ١٦٥.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٧.

(٤) مسند أبي يعلى ٣/ ٢٤٨ (١٦٨٨).

(٥) تاريخ المدينة ١/ ١٦٥ والتعريف للمطري ١٦ وفتح الباري ٤/ ٨٧، وأورده الذهبي في ميزان الإعتدال ٤/ ٤٢٥ ومجمع الزوائد ٣/ ٣٠٠ ومسند البزار ٦/ ٢٢١.

(٦) تاريخ المدينة لابن شَبّة ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٧) في فتح الباري ٤/ ٨٧ زيادة: "من المالكية".

(٨) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٧ وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٦٧ والتعريف للمطري ١٦.

(٩) شرح صحيح مسلم ٥/ ١٦٧ وفتح الباري ٤/ ٨٧: "عن قول غير المؤمنين" والتعريف للمطري ١٦.

(١٠) التعريف للمطري ١٦.

(١١) فتح الباري ٤/ ٨٧ وإعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٣٥..

(١٢) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ٢٢أ.

(١٣) الوَهَل: الوهم والاعتقاد، لسان العرب: "وهل"، وورد الحديث فيه؛ وانظر: المعجم المفهرس ٧/ ٣٤٠.

(١٤) انظر صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٥٣ وصحيح مسلم ٧/ ٥٧.

مسلم: «إنه وجهت لي أرض[1] ذات نخل لا أراها إلا يثرب»[2]، وكذا جاء في غيرهما من الأحاديث؛ وقد يجاب: بأنَّ ذلك كان قبل النهي.

الثاني: **أرض الله** (ز): قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[3]، ذكر مقاتل[4] والثعلبي[5] وغيرهما: أنَّ المراد به المدينة[6]، وفي هذه الإضافة من مزيد التعظيم ما لا يخفى.

الثالث: **أرض الهجرة**: كما في حديث: «المدينة قُبَّة الإسلام»[7].

الرابع: **أكَّالة البلدان**: لِتَسَلُّطِها على جميع الأمصار، وارتفاعها على سائر بلدان الأقطار، وافتتاحها منها على أيدي أهلها فغنموها وأكلوها.

الخامس: **أكَّالة القرى**(ز): لحديث الصحيحين: «أُمِرْتُ بقريةٍ تأكل القُرى»[8]، وقد استدل به مُثْبِتُو الاسم قبله، وهو أَصْرَحُ في هذا للفرق بين البلدة والقرية»[9].

السادس: **الإيمان**: قال الله تعالى، مثنياً على الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ

---

(١) ص: أرض الله.

(٢) صحيح مسلم ٧/ ١٥٤.

(٣) سورة النساء ٩٧.

(٤) هو مقاتل بن سليمان الأزدي المتوفى سنة ١٥٠هـ أو مقاتل بن حيان المتوفى في حدود سنة ١٥٠هـ، والأرجح انه ابن حيان فقد كان كتابه في التفسير أحد مصادر كتاب الكشف والبيان للثعلبي، انظر: سزكين ١/ ٣٦ وابن حجر: لسان الميزان ٦/ ٨٢ ـ ٨٣ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٣١٧.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧هـ، مؤلف كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن، انظر: بروكلمان ١/ ٣٥٠ وملحقه ١/ ٥٩٢ ومعجم المؤلفين ٢/ ٦٠ مع مصادر ترجمته.

(٦) في الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/ ٤٠٥: "والأرض الأولى هي أرض مكة وأرض الله هي الأرض"، وفي تفسير ابن عباس ٧٨: "ألم تكن أرض الله: أرض المدينة".

(٧) نقلاً من المغانم المطابة ص١١٤، مخطوطة فيض الله: ١٥٢٩، (وهي مرقمة حسب الصفحات و الإشارة إليها ستكون بحرف «ص» ورقم الصفحة)، وهو في: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٣٩٩ وفي ترتيب المدارك تح أحمد بكير محمود ١/ ٦٠ وفي الحجج المبينة للسيوطي ٤٤ نقلاً عن الطبراني.

(٨) صحيح البخاري ٣/ ٥٥؛ صحيح مسلم ٤/ ١٢٠ وجامع الأصول ٩/ ٣٢٠ لابن الأثير (تح عبد القادر الأرناؤوط) عن البخاري ومسلم والموطأ.

(٩) خ: القرية والبلد.

﴿وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

وأسند ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر، قالا: سمَّى الله المدينة: الدَّارَ والإيمانَ[2].

وأسْنَدَه ابنُ شَبَّة عن الثاني فقط[3].

وقال البيضاوي في تفسيره: قيل سَمَّى الله المدينة بالإيمان لأنها مَظْهَرُه ومَصِيرُه[4].

وروى أحمد الدِّيْنَوَري[5] في كِتابه **المجالسة**، في قصة طويلة عن أنس بن مالك: أنَّ مَلَكَ الإيمان قال: أنا أسكن المدينة، فقال ملك الحياء: وأنا معك، فاجمعت الأمَّة على أنَّ الإيمان والحياء ببلد رسول الله ﷺ[6]، وسيأتي في حديث: «الإيمان يَأرِزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيَّةُ إلى جُحرها»[7].

السابع: **البارَّة**.

الثامن: **البَرَّة**: هما من قولك: امرأة بارة وبَرَّة، أي: كثيرة البر، سميَّت بذلك لكثرة برها إلى أهلها خصوصاً وإلى جميع العالم عموماً؛ إذ هي مَنْبَعُ الأسرار وإشراق الأنوار، وبها العيشة الهنيَّة والبركات النبوية.

---

(١) سورة الحشر ٩، والخبر في تفسير البيضاوي ٧٢٦.

(٢) فتح الباري ٤/٨٩ عن الزبير بن بكار في أخبار المدينة، وابن زبالة شيخ الزبير، والمغانم المطابة ص١١١.

(٣) في تاريخ المدينة ١/١٦٢: "سمى الله المدينة: الدار والإيمان" عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

(٤) نقلاً من المغانم المطابة ص١٠٠.

(٥) نقلاً من المغانم المطابة ١٠١ ـ ١٠٢وفيه: «كتاب المحاسن». والدينوري: هو أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي المتوفى في حدود سنة ٣٣٠هـ، انظر: بروكلمان ١/١٥٤ وملحقه ١/٢٤٩، ومعجم المؤلفين ٢/١٧٤، ومن كتاب المجالسة نسخ في باريس برقم: ٣٤٨١ وأجزاء في الآصفية والظاهرية بدمشق وقد نشره فؤاد سزكين بالتصوير في فرانكفورت عن نسخة بتركيا.

(٦) نقلاً من المغانم المطابة (نسخة فيض الله) ص ١٠١ ـ ١٠٢ وانظر: كتاب المجالسة وجواهر العلم ٢٩١.

(٧) يأرز: يلجأ إليه ويعتصم به ويلوذ به، وعن الحديث، انظر: المعجم المفهرس ١/٥٢ والمصنف ٧/٥٥١.

التاسع: البَحْرة: بفتح أوله وسكون المهملة[1].

العاشر: البُحَيْرة: تصغير ما قبله.

الحادي عشر: البَحِيرَة: بفتح أوله؛ نُقِلتْ ثلاثتها عن منتخب كُرَاع[2]، والأولان منها عن معجم ياقوت[3]؛ والاستبحار: السَّعَة.

ويقال: هذه بَحْرَتُنَا: أي أرضنا أو بلدتنا[4]، فسميَّت بذلك لكونها في مُتَّسَعٍ من الأرض.

وفي الصحيح قول سعد[5] في قصة ابن أُبَيّ: «ولقد اصطلح أهلُ هذه البحيرة على أن يُتَوِّجُوه»[6].

رواه ابن شَبَّة بلفظ: أهل هذه البحرة[7].

وقال عياض في المشارق[8]: البَحْرَةُ مدينة النبي ﷺ، ويروى: البحرة والبحيرة ـ بضم الباء مصغرٌ، وبفتحها على غير التصغير ـ وهي الرواية هنا ويقال: البَحْر أيضاً بغير تاء، ساكن الحاء، وأصله القرى، وكل قرية بحرة[9]؛ انتهى.

---

(١) قال كراع في المنجد ٣٨: "البحرة بالحاء الأرض والبلدة، يقال هذه بحرتنا، والبحرة أيضاً الفجوة من الأرض، وجمعها بحارٌ وجمعها بَحَرات.

(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٣٥، وكراع النمل هو: علي بن الحسن الهنائي اللغوي المتوفى في حدود سنة ٣١٠هـ، أما كتاب المنتخب من غريب كلام العرب فقد حققه محمد بن أحمد العمري وهو غير كتاب المُجَرَّد من كتاب المُنَضَّد في اللغة الذي حققه أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي. ولم أجد فيه إلا: "البحرة: بالحاء الارض والبلدة، يقال: هذه بحرتنا، والبحرة أيضاً: الفجوة من الأرض وجمعها بحار، وثلاث بَحَراتٍ" ١٣٨، وعن كراع، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢٠١ و معجم المؤلفين ٧/ ٧١ مع مصادر ترجمته.

(٣) معجم البلدان ١/ ٣٤٦ "والبحرة أيضاً من أسماء مدينة الرسول ﷺ، والبحيرة أيضاً من أسمائها".

(٤) المنتخب من غريب كلام العرب لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكُراع النَمل ١/ ٤٠٧.

(٥) هو سعد بن عُبادة الأنصاري والحديث وشرحه في شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ٣٩٩.

(٦) أورده البخاري في أربعة مواضع ومسلم وأحمد، انظر: المعجم المفهرس ١/ ١٤٦.

(٧) تاريخ المدينة ١/ ٢٥٧.

(٨) هو مشارق الأنوار فبي صحاح الآثار في تفسير غريب حديث الموطّأ والبخاري ومسلم، وعياض: هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤هـ، انظر: معجم المؤلفين ٨/ ١٦ مع مصادر ترجمته.

(٩) مشارق الأنوار ١/ ٢١٣ باختلاف واضح في الألفاظ.

الثاني عشر: البَلَاط (ز): بالفتح، نُقِلَ عن كتاب ليس لابن خالويه[1].

وهو لغةً: الحجارةُ التي تُفرش على الأرض[2]، والأرض المفروشة بها والمستوية الملساء، فكأنها سميَّت به لكثرته فيها، أو لاشتمالها على مواضع تعرف به، كما سيأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

الثالث عشر: البلد (ز): قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[3].

قال الواسطي[4]، في ما نقله عنه عياض، أي: يحلف لك بهذا البلد الذي شرَّفتُه بمكانك فيه حياً وببركتك ميِّتاً، يعني: المدينة، وقيل: المراد مكة[5].

ونُقِلَ عن ابن عبَّاس، وبه استدلَّ مَن ذكره في أسمائها، ورجَّحَه[6] عياض لكون السورة مكيَّة، والبلد لغةً: صدر القرى.

الرابع عشر: بيت الرسول ﷺ (ز): قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾[7]، قال المفسرون: أي: من المدينة لأنها مُهَاجَرُهُ ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه، أوالمراد بيته بها.

الخامس عشر: تندد(ز): بالمثناة الفوقية والنون وإهمال الدالين.

السادس عشر: تندر(ز): براء بدل الدال الأخيرة مما قبله، وسيأتي دليلهما

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٣٤، والإشارة هنا إلى كتاب ليس في كلام العرب المطبوع مراراً، وابن خالويه: هو الحسين بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ، انظر: سزكين ٩/ ١٧٠، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣١٠ مع مصادر ترجمته.

(٢) لم أقف على هذا المعنى في كتاب ليس فلعله فاتني وإنما جاء في ص١٥٨: "القضض: الحصا الصغار".

(٣) سورة البلد ١.

(٤) هو خلف بن محمد بن علي الواسطي المتوفى سنة ٤٠١هـ، مؤلف كتاب أطراف الصحيحين ومنه نسخة في القاهرة وأخرى في داماد عمومية، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢٨١ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٠ ومعجم المؤلفين ٤/ ١٠٧ مع مصادر ترجمته في كليهما.

(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٨٢ ومشارق الأنوار ١/ ٢٤١.

(٦) ر: ويرجحه.

(٧) سورة الأنفال ٥.

في يندد ويندر، بالمثناة التحتية، وأن المجد[1] صوَّب حذف ما عدا يندد بالتحتية.

السابع عشر: **الجابرة**: لِعَدِّهِ في حديث: «للمدينة عشرة أسماء»[2] سميَّت به، لأنها تَجْبُر الكسير، وتُغني الفقير وتجبرعلى الإذعان لمطالعة بركاتها وشهود آياتها؛ وَجَبَرَتِ البلادَ على الإسلام.

الثامن عشر: **جبار**(ز): كحَذَامِ، رواه ابن شَبَّة بدل **الجابرة** في الحديث المذكور[3].

التاسع عشر: **الجبارة** (ز): نقله صاحب كتاب **أخبار النواحي**[4] مع **الجابرة والمجبورة** عن التوراة.

العشرون: **جزيرة العرب** (ز): قال ابن زبالة: كان ابن شهاب[5] يقول: جزيرة العرب المدينة، وسيأتي في حديث ابن عباس: «خرجتُ مع رسول الله ﷺ من المدينة، فالْتَفَتَ إليها وقال: إنَّ الله بَرَّأَ هذه الجزيرة من الشِرْك»[6].

ونقل الهروي[7] عن مالك[8] أنَّ المراد من حديث: «أخرِجُوا المشْرِكينَ مِنْ

---

(١) المغانم المطابة ص ١٣٩ وانظر: يندد.

(٢) فتح الباري ٤/ ٨٩ حيث سرد أسماءها.

(٣) تاريخ المدينة ١/ ١٦٢.

(٤) لعله يعني: كتاب النواحي في أخبار البلدان لإبراهيم بن أبي عون أحمد بن أبي النجم، الفهرست للنديم، تح رضا تجدد، طهران ١٣٩١هـ/ ١٩٧١، ١٦٤ ـ ١٦٥ أو كتاب الطرق ويعرف بالنواحي لمحمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع المتوفى سنة ٣٠٦هـ، وهو يشتمل على أخبار البلدان ومسالك الطرق، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥/ ٢٣٦ ومقدمة حمد الجاسر لكتاب المناسك للحربي ٢٤٩.

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، الإمام القرشي المدني المتوفى سنة ١٢٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٢٦ مع مصادر ترجمته.

(٦) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ١/ ١٨٤.

(٧) هو أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المعروف بابن السماك المتوفى بمكة المكرمة سنة ٤٣٤هـ، مؤلف المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم وغيره، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٤ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ٦/ ٣٢ ـ ٣٣ مع مصادر ترجمته أيضاً.

(٨) في فتح الباري ٦/ ١٧١: "وقال الزبير بن بكار في أخبار المدينة: اخبرت عن مالك عن ابن شهاب قال: جزيرة العرب المدينة".

جزيرة الْعَرَب»[1] المدينة خاصةً، والصحيح عن مالك ـ كقولنا ـ أنَّ المراد الحجاز[2].

الحادي والعشرون: **الجُنَّةُ الحصينة** (ز): بضم الجيم، وهي الوقاية، لما حكاه بعضهم من قوله ﷺ في غزوة أحد: أنا في جُنَّةٍ حَصينَة ـ يعني: المدينة ـ فَدعُوهُمْ يَدْخُلُونَ نقاتلهم[3].

وروى أحمد برجال **الصحيح** حديث: «رأيت كأنِّي في دِرْعٍ حَصِيْنَةٍ، ورأيت بَقَراً تُنْحَر، فأوَّلتُ الدرعَ الحصينةَ المدينة»[4].

وهذا هو المذكور في كتب السير.

الثاني والعشرون: **الحبيبة**: لحبه ﷺ لها، وقال: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كَحُبِّنا مكَّةَ أو أشدّ"[5]، وسيأتي مَزِيدُ بَيانٍ لذلك في اسمها **المحبوبة**.

الثالث والعشرون: **الحرم**: بالفتح بمعنى: الحرام، لتحريمها، وفي حديث مسلم: المدينة حرم[6]، وفي رواية: «إنها حرمٌ آمنٌ»[7].

الرابع والعشرون: **حَرَمُ رسول الله ﷺ**: لأنه الذي حرَّمها، وفي الحديث: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ حَرَمِي أَخَافَهُ اللّه»[8].

وروى ابن زبالة حديث: "حَرَمُ إبراهيم مكةُ وحَرَمي المدينةُ".

---

(1) فتح الباري ٦/ ١٧٠، ٢٧١ وصحيح مسلم ٥/ ١٦٠ بلفظ آخر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) نقلاً من شرح صحيح مسلم للنووي ٦/١٠٥: "والصحيح عن مالك أنها مكة والمدينة واليمامة واليمن"، وانظر: فتح الباري ٦/ ١٧٠ ـ ١٧١ وفيهما تحديد حدود الجزيرة عن أبي عبيد والأصمعي.

(3) المعجم المفهرس: ١/ ٤٧٤ و ٢/ ١٢٠، ذكر الحديث مرتين في مسند أحمد وأخرى في مسند الدارمي.

(4) ورد مرتين في مسند أحمد، انظر: المعجم المفهرس ١/ ٤٧٤ وهو في سنن الدارمي ٢/١٢٩.

(5) المعجم المفهرس: ١/ ٤٠٥، وجاء في صحيح مسلم ٤/١١٩ "كما حببت مكة أو أشد...".

(6) صحيح مسلم ٤/١١٥، ١١٦ "المدينة حرمٌ ما بين عير إلى ثور... الحديث" و " المدينة حرمٌ فمن أحدث فيها حدثا... الحديث"، وعن الحديث الآخر: صحيح مسلم ٤/١١٨.

(7) انظر: جامع الأصول ٩/ ٣١٢ والمصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٥١.

(8) المعجم الكبير للطبراني ٧، أرقام الحديث ٦٦٣١ ـ ٦٦٣٧.

الخامس والعشرون: حَسَنَة: بلفظ مقابل السيئة، قال تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[1]، قال المفسرون: مَبَاءة حسنة[2]، وهي المدينة، وقيل: حسنة اسم المدينة، وقد اشتملت على الحُسْن الحسِّيّ والمعنوي.

السادس والعشرون: **الخيِّرة**: بتشديد المثناة التحتية كالنيِّرة.

السابع والعشرون: **الخَيْرَة**: كالذي قبله إلا أن الياء مخففة، تقول: رجلٌ خيِّرٌ وخَيْر، وامرأة خَيِّرةٌ وخَيْرة، بالتشديد والتخفيف بمعنىً، وهو الكثير الخير، وإذا أردتَ التفضيلَ قلت: فلان خَيْرُ الناس.

وفي الحديث: «والمدينة خَيْرٌ لَهُمْ لو كانوا يعلمون»[3].

وسيأتي حديث: «المدينة خَيْرٌ من مكة»[4].

الثامن والعشرون: **الدار**: لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾[5] على ما سبق في الإيمان، سُمِيَّتْ به لأمنها والاستقرار بها وجَمْعِها البناءَ والعَرْصة.

التاسع والعشرون: **دار الأبرار**.

الثلاثون: **دار الأخيار**: لأنها دارالمصطفى المختار والمهاجرين والأنصار، ولأنها تَنفي شِرَارَها، ومن أَقَامَ بها منهم فليست في الحقيقة له بدار، وربما نقُل منها بعد الدفن على ما جاء في بعض الأخبار.

الحادي والثلاثون: **دار الإيمان**: كما في حديث: «المدينة قُبَّةُ الإسلام ودار الإيمان[6]، إذ منها ظهورُه وانتشاره».

---

(١) سورة النحل ٤١.

(٢) المباءة: من تبوأ المكانَ إذا اتخذه منزلاً، وبوأته إياه أحللته.

(٣) صحيح مسلم ٤/١١٣، ١٢٢ ومسند الحميدي ٢/ ٣٨٢.

(٤) إعلام الساجد ١٨٩ والروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٠ب عن رافع بن خديج، وفي فضائل المدينة ٢٣ وفي التاريخ الكبير للبخاري ١/١/ ١٦٠ "المدينة خير من مكة" والطبراني في المعجم الكبير ٤/ ٣٤٣ «المدينة أفضل من مكة» ومجمع الزوائد ٣/ ٢٩٨ وقال: «رواه الطبراني، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن الرداد، وهو مجمع على ضعفه».

(٥) سورة الحشر ٩.

(٦) الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٣٩٩ وفي تح مصطفى عبد الواحد ٢٥٣: "المدينة قبة =

وسيأتي حديث «الإيمان يأرزُ إلى المدينة كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها»[1].

الثاني والثلاثون: دار السنَّة.

الثالث والثلاثون: دار السلامة (ز).

الرابع والثلاثون: دار الفتح.

الخامس والثلاثون: دار الهجرة: ففي صحيح البخاري قول عبدالرحمن بن عوف لعمر رضي الله عنهما: «حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسُنَّة»[2]، وفي رواية الكُشْمِيْهَني[3]: «والسلامة»[4]، وقد فُتِحتْ منها مكة وسائر الأمصار، وكانت بهـا عصابـة الأنصار، وإليها هجرةُ النبي المختار ﷺ والمهاجرين الأبرار، ومنها انتشرت السنَّة في الأقطار.

السادس والثلاثون: ذات الحُجَر(ز): لاشتمالها عليها.

قال أبو بكر رضي الله عنه مثنياً على الأنصار: ما وَجَدْتُ لنا ولهذا الحيِّ من الأنصار مَثَلاً إلا ما قال طُفَيْلٌ[5] الغَنَوِيُّ:

أَبَـوْا أَنْ يَمَلُّـونَـا وَلَـوْ أَنَّ أُمَّنَـا ... تُلَاقِي الَّـذِي يَلْقَوْن مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ خَلَطُونَا بالنُّفُوسِ وَأَوْلَجُوا ... إلَـى حُجُرَاتٍ أدفأتْ وأظلَّتِ[6]

السابع والثلاثون: ذاتُ الحِرَار (ز): لكَثْرةِ الحِرَار بها، وفي قصة خُنافـر بن

= الإسلام وقلب الإيمان وما بين الحلال والحرام»، وفي المغانم المطابة ص١٢٣: «المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبوء الحلال والحرام».

(١) انظر: المعجم المفهرس ١/ ٥٢ والمصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٥١.

(٢) صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٨٢ وفتح الباري ١٣/ ٣٠٣ والمعجم المفهرس ٧/ ٦٦.

(٣) أي: في روايته لـ: صحيح البخاري، وهو محمد بن مكي المروزي المتوفى سنة ٣٨٩هـ، حدَّث بـ: صحيح البخاري عن الفِرَبْري وحدَّث عنه أبو ذر الهروي وآخرون، سيرأعلام النبلاء ١٦/ ٤٩١ مع مصادر ترجمته.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٦٥.

(٥) ص: الطفيلي.

(٦) في تاريخ المدينة لابن شبة ٢/ ٤٨٩ ثلاثة أبيات، وانظر: آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ٢٧٧ ومسند أبي بكر للسيوطي ١٥٧ عن كتاب الأشراف لابن أبي الدنيا.

التوأم الحميري الكاهن عن رَئِيِّهِ من الجن وقد وصف له دين الإسلام فقال له خنافر: من أين أبغي هذا الدين؟ قال: مِنْ ذاتِ الأحَرِّينَ والنَّفرِ المَيَامِين أهل المَاءِ وَالطِّين.

قلتُ: أوضحْ! قال: الْحَقْ بيثرب ذاتِ النَّخْلِ والحَرَّةِ ذاتِ النَعل[١].

قال الأصمعي: أَحَرُّونَ وحِرَار جمع حَرَّة[٢].

الثامن والثلاثون: **ذاتُ النَّخْل**(ز): وهو وذات **الحجر** مما استعمله المتأخرون في أشعارهم، وقد نسجتُ على مِنْوَالهم حيث قلت في مطلع قصيدة:

أَشْجَانُ قَلْبِي بِذاتِ النَّخْلِ والحُجَرِ ... وَأُخْتِهَا تِلْكَ ذَاتِ الحِجْرِ والحَجَرِ[٣]

تَقَسَّمَ القَلْبُ بَيْنَ البلدتين، فَلاَ ... أَنْفَكُ مِنْ لَهَبِ الأشْوَاقِ في سُعُرِ

وفي أحاديث الهجرة: «أُريتُ دارَ هجرتي ذَاتَ نَخلٍ وحَرَّة»[٤].

وقال عمران بن عامر الكاهن يصف البلاد لقومه: ومَنْ كان منكم يُرِيدُ الراسِخات في الوَحْل، المُطْعِمات في المَحْلِ، فليَلْحَق بالحرة ذات النخل[٥]، وروي ـ كما سيأتي ـ بيثرب ذات النخل.

التاسع والثلاثون: السلقة (ز): ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري[٦]

---

(١) النعال جمع نعل، وهو ما غَلُظ من الأرض في صلابة، ومنه الحديث: "إذا ابتَلَّت النِعال فالصلاة في الرحال"، **النهاية في غريب الحديث** ٥/ ٨٢.

(٢) هذا قول الخليل، كما جاء عند ياقوت في **معجمه** ٢/ ٢٤٥ **والنهاية في غريب الحديث** ١/ ٣٦٥.

(٣) ذات الحَجَر: إشارة إلى الحجر الأسود، وهنا يريد مكة المكرمة.

(٤) **صحيح البخاري** ٥/ ١٦٠: "إني أُريتُ دارَ هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان" **والمستدرك للحاكم** ٣/ ٤٠٠: «أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب».

(٥) أورد ياقوت قولاً لعمرو بن عوف شبيهاً بهذا، **معجم البلدان** ٥/ ٨٥ ولم يورده لعمران بن عامر الكاهن سيد حمير وكهلان في "مأرب"، والنص في **الدرة الثمينة** لابن النجار ٢/ ٣٢٦.

(٦) الأقشهري (نسبة إلى آق شهر) توفى بالمدينة المنورة سنة ٧٣١هـ، وهو مؤلف كتاب **الروضة الفردوسية** في تاريخ المدينة وتراجم من دُفن بالبقيع، ومنه نسخة بمكتبة دحداح، بروكلمان: ملحق ٢/ ٩٢٨ واخرى بخط المصنف في برلين اقتنتها المكتبة حديثاً، وعن الأقشهري، انظر: **معجم المؤلفين** ٨/ ٢٣٥.

في أسمائها المنقولة عن التوراة، ولم يضبطه[1]، وهو محتمل بفتح اللام وكسرها، والسَّلَق بالتحريك: القاعُ الصَّفْصَف[2]، وسَلَقْتُ البيضَ: أغليته بالنار، والمِسْلاَق: الخطيبُ البليغ، وربما قيل للمرأة السليطة: سَلِقَة - بكسر اللام - فتسميتها بذلك لاتساعها وبُعْدِهَا عن جبالها؛ أو لِلأْوَائِها وشدَّةِ حَرِّها وما كان بها من الحمَّى الشديدة؛ أو لأنَّ اللّه تعالى سَلَّطَ أهلَها على سائر البلاد فافتتحوها.

الأربعون: **سيدة البلدان** (ز): لما أسنده الديلمي[3] من **الحلية**[4] لأبي نعيم عن ابن عمر مرفوعاً: «يا طيبة يا سيِّدَةَ البلدان»[5].

الحادي والأربعون: **الشافية**: لحديث: «ترابها شِفاء من كلِّ داءٍ»[6]، وذُكر الجذام[7] والبرص.

وقد شاهدنا من استشفى بترابها من الجذام فنفعه الله به.

والاستشفاء بتربة صُعيب[8] من الحمى مشهور، كما سيأتي، وَلِمَا صحَّ في الاستشفاء بتَمْرها.

---

(١) **الروضة الفردوسية** للأقشهري (مخطوطة برلين Or. 2082)، ورقة ٢٢أ.

(٢) القاع الصفصف: الأرض المستوية المطمئنة التي لا ترى فيها عِوَجاً.

(٣) هو شيرويه بن شهردار الهمداني الديلمي المتوفى سنة ٥٠٩هـ، له كتاب **فردوس الأخبار** جمع فيه عشرة آلاف حديث من كتاب **شهاب الأخبار** للقضاعي وغيره، ويسمى: **مسند الفردوس**، انظر: بروكلمان ١/ ٣٤٤ وملحقه ١/ ٥٨٦ وسير **أعلام النبلاء** ١٩/ ٢٩٤ مع مصادر ترجمته.

(٤) في **الخلاصة** ١٠: "من المعرفة لأبي نعيم" بدلاً من "**الحلية** لأبي نعيم"، والحلية: هو كتاب **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، انظر عنه: بروكلمان ١/ ٣٦٢ وملحقه ١/ ٦١٦ وسير **أعلام النبلاء** ١٧/ ٤٥٣ و**معجم المؤلفين** ١/ ٢٨٢ مع مصادر ترجمته فيها كلها، أما كتابه الثاني فهو: **معرفة الصحابة** ومنه نسخ مخطوطة ذكرها بروكامان، وطبعت منه ثلاثة أجزاء فقط.

(٥) «الأربعون. . . البلدان» سقطت كلها من ص، وانظر: **الفردوس بمأثور الخطاب** ٥/ ٣٠٠.

(٦) ذكر السمهودي في **خلاصة الوفا** ٤٢ ذلك عن رزين وابن الأثير.

(٧) **الوفا في أحوال المصطفى** ١/ ٣٩٩ "قال رسول الله ﷺ: غبار المدينة شفاء من الجذام".

(٨) جاء في **خلاصة الوفا** للسمهودي ٤٣ روايةً عن طاهر بن يحيى العلوي أن "صعيب وادي بطحان دون الماجشونية أي: الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه، وقال الفيروزابادي في **القاموس المحيط** ٤/ ٢٧١ "والماجشونية موضع بالمدينة"، وانظر: **المغانم المطابة في معالم طابة** ٢١٨.

وذكر ابن[1] مُنْدي[2] الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم، وسيأتي أنها تنفي الذنوب فتشفي من دائها.

الثاني والأربعون: طَابَة: بتخفيف الموحدة.

الثالث والأربعون: طَيْبَة: بسكون المثناة التحتية.

الرابع والأربعون: طيِّبَة: بتشديدها[3].

الخامس والأربعون: طائب(ز): ككاتب، وهذه الأربعة مع اسمها المطيِّبة أخوات لفظاً ومعنىً، مختلفات صيغةً ومَبْنىً.

وقد صَحَّ حديث: «إنَّ اللّه سمَّى المدينة طابة»[4].

وفي رواية: «إنَّ اللّه أمَرَني أنْ أُسَمِّي المدينة طابة»[5].

وروى ابن شَبَّةَ وغيره: كانوا يُسمُّون المدينة: يَثْرِبَ، فسماها رسول الله ﷺ: «طيبة»[6].

وفي حديث: للمدينة عشرة أسماء هي: المدينة وطيبة وطابة[7].

ورواه صاحب أخبارالنواحي[8] بلفظ: طابت[9] بدل طيبة.

وعن وهب بن مُنَبِّه: والله إن اسمها في كتاب الله ـ يعني التوراة ـ طيبة وطابة.

---

(١) سقطت من ص.

(٢) هو محمد بن يوسف الأزدي الغرناطي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٦٦٣هـ، له إعلام الناسك بأعلام المناسك وغيره، معجم المؤلفين ١٢/ ١٤٠ مع مصادر ترجمته.

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم ٥/١٦٧: "من الطيب بفتح الطاء وتشديد الميم وهو الطاهر، لخلوصها من الشرك وطهارتها، وقيل: من طيب العيش بها".

(٤) تاريخ المدينة ١/ ١٦٤.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٨٩٢، ١٩٧٠، ١٩٧٦، ١٩٧٨ مثلاً، ومسند البزار ٦/ ٢٢١ ومنتخب كنز العمال ٥/ ٣٥٣ عن أبي هريرة: "إنَّ الله أمرني أن أسمي المدينة طيبة".

(٦) تاريخ المدينة ١/ ١٦٤ والتاريخ الكبير للبخاري ١/٢/١٤٦.

(٧) المصدر نفسه ١/ ١٦٢.

(٨) سبقت الإشارة إليه.

(٩) ص: طايب.

ونُقلَ عن التوراة تسميتها بـ: المطيبة أيضاً، وكذا بطابة والطيبة؛ وتسميتها بهذه الأسماء إما من الطيِّب، بتشديد المثناة، وهو الطاهر لطهارتها من أدناس الشرك، أو لموافقتها من قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[1]، أو لحلول الطَّيِّبِ بها ﷺ، أو لكونها كالكير تَنْفي خَبَثَهَا ويَنْصَعُ طِيبُها[2]، وإما من الطِّيْبِ ـ بسكون المثناة ـ لطيب أمورها كلها وطيب رائحتها ووجود ريح الطيِّب بها.

قال ابنُ بَطَّال[3]: من سكنها يَجِدُ من تربتها وحيطانها رائحةً حَسَنَةً[4].

وقال الإشبيلي: لِتُربةِ المدينة نَفْحَةٌ، ليس طيبها كما عهد من الطيب، بل هو عَجَبٌ من الأعاجيب[5].

وقال ياقوت: من خصائصها طيبُ ريحها، وللعطر فيها رائحة لا توجد في غيرها[6]؛ وما أحسن قَولَ أبي عبد الله العطَّار:

بطيبِ رَسُولِ اللّه طَابَ نَسِيمُهَا

فَمَا المِسْكُ مَا الكافُورُ ما المَنْدَلُ الرَّطْبُ[7]

السادس والأربعون: طِبَابا: ذكره ياقوت[8] ولم يضبطه، وهو إما بكسر

---

(١) سورة يونس ٢٢.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٦٨/٥ ومسند الحميدي ٥٢١/٢.

(٣) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي المتوفى سنة ٤٤٩هـ، له شرح الجامع الصحيح للبخاري، معجم المؤلفين ٨٧/٧؛ سير أعلام النبلاء ٤٧/١٨ مع مصادر ترجمته، ولابن المنيِّر على بن محمد الأسكندري او الأسكندراني المتوفى سنة ٦٨٥هـ حاشية على شرح ابن بطّال اقتبس منها ابن حجر في فتح الباري كثيراً، انظر: معجم المصنفات الواردة في فتح الباري ١٧٨.

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٣٣.

(٥) نقلاً من المغانم المطابة، ص١١٦ والإشبيلي: هو أبومحمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي المعروف بـ: ابن الخَرَّاط المتوفى ببجاية سنة ٥٨١ هـ، مؤلف الجمع بين الصحيحين و الأحكام وغيرها انظر: بروكلمان ٣٧١/١ وملحقه ٦٣٤/١ وسير أعلام النبلاء ١٩٨/٢١ ومعجم المؤلفين ٩٢/٥ مع مصادر ترجمته فيها.

(٦) معجم البلدان ٨٧/٥: ومن خصائص المدينة أنها طيبة الريح وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها وفتح الباري ٨٩/٤ فقد سرد الأقوال في طيبها.

(٧) نقل السمهودي قول ياقوت وبيت أبي عبد الله ابن العطار الأفريقي من المغانم المطابة، ص١١٨.

(٨) س: ظبابا؛ خ: طبابا ؛ وفي معجم البلدان ٨٣/٥ "طبابا".

المهملة أو بفتح المعجمة[1].

فالأول: بمعنى القطعة المستطيلة من الأرض[2].

والثاني: من طَبَّ وَطَبْطَبَ[3]: إذا حُمَّ ؛ لأنها كانت لا يدخلها أحدٌ إلا حُمَّ، قاله المجد[4].

السابع والأربعون: **العاصمة**: لأنها عَصَمتِ المهاجرين ووَقَتْهُمْ أذى المشركين، وَلِمَا تَقَدَّم في **الجُنَّة الحصينة**.

ويُحتَمَل أنْ يكون بمعنى المعصومة، لعصمتها قديماً بجيوش موسى وداود عليهما السلام المبعوثة إلى من كان بها من الجبابرة، وحفظها حديثاً نَبيَّ الرحمة ﷺ حتى صارت حَرَماً آمنـاً لا يدخلها الدجال ولا الطاعون؛ ومن أرادها وأهلها بسـوء أذابه اللّه[5].

الثامن والأربعون: **العذراء**: بإهمال أوله وإعجام ثانيه، منقول من التوراة، سميَّت به لحفظها من وَطْءِ العدو القاهر في سالف الزمان، إلى أنْ تَسَلَّمها مالِكُهَا الحقيقي سيِّدُ الأنام مع صعوبتها وامتناعها على الأعداء، ولذلك سُميَّت البِكر بالعذراء.

التاسع والأربعون: **العَرَّاء**: بإهمال أوله[6] وثانيه وتشديده، بمعنى الذي قبله.

قال أئمة اللغة: **العرَّاء** الجارية العذراء، كأنها شُبِّهت بالناقة العَرَّاء التي لا

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ، ص ١١٩.

(٢) "الطبة والطبابة بكسرهما والطبيبة كحبيبة القطعة المستطيلة الضيقة من الأرض"، تاج العروس "طَبَّ"، القاموس المحيط ١/٩٦، وطُبْطُبَ الرجل بالضم حُمَّ، القاموس المحيط ١/٩٩.

(٣) وردت بمعانيها في تاج العروس: "طَبَّ" وفي القاموس المحيط: "الطب" و "الظاب".

(٤) المغانم المطابة، ص ١١٩ والقاموس المحيط ١/٩٩.

(٥) الإشارة هنا إلى جملة من الأحاديث عند مسلم في كتاب الحج ، باب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها و باب: من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله.

(٦) ص: أوله وبالراء المشددة.

سنَام لها، أو صغر سنامها كصغر نَهْدِ العذراء أو عدمه، فيجوز أن يكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها في السماء.

الخمسون: **العَرُوض**: كصبور، وقيل: هو اسم لها ولما حولها، لانخفاضِ مواضعَ منها ومسايلِ أوديةٍ فيها.

وقال الخليل: العَرُوض: طريقٌ في عرض الجبل[1]، وعَرَضَ الرجلُ إذا أتى المدينة، فإنَّ المدينة سميت عروضاً لأنها من بلاد نجد، ونجد كلها على خط مستقيم طولاني والمدينة معترضة عنها ناحيةً على أنها نجدية.

الحادي والخمسون: **الغَرَّاء**: بالغين المعجمة، تأنيث الأغر، وهو ذو الغُرَّة من الخيل أي: البياض في مُقَـدَّم وجهه.

والغرة أيضاً: خِيارُ كلِّ شيء وغُرَّة الإنسان: وجهه، والأغر: الأبيض من كل شيء، والذي أخذتِ اللحيةُ جميعَ وجهه إلا القليل، ومن الأيام الشدِّيدُ الحَرّ، والرجل الكريم.

والغَرَّاء: نبت طيب الرائحة، والسيدة الكبيرة في قبيلتها، فسميت المدينة بذلك لشرف معالمها ووضوح مكارمها واشتهارها وسطوع نُورها وبياض نَورها وطيب رائحتها وكثرة نخلها وسيادتها على القرى وكرم أهلها ورفعة محلها.

الثاني والخمسون: **غَلَبَة**: محركة بمعنى الغَـلَب، لظهورها واستيلائها على سائر البلاد، وهو اسم قديم جاهلي.

قال ابن زبالة: حدثني داود بن مسكين الأنصاري عن مشيخته، قالوا: كانت يثرب في الجاهلية تدعى: غَلَبَة، نزلت اليهـود على العماليق فغلبتهم عليها، ونزلت الأوس والخزرج على اليهود فغلبوهم عليها، ونزل الأعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها[2]؛ كذا في النسخة التي وَقَفْتُ عليها من كتاب ابن

---

(١) انظر: معجم البلدان ٤/ ١١٢ "قال صاحب العين".

(٢) روى البكري الخبر بنصه في المسالك والممالك ١/ ٣١٧، وكان الكتاب رسالة جامعية قدمها أولهما سنة ١٩٧٥لجامعة السربون، والكتاب بنشرته الحالية لا يصح الاعتماد عليه قط.

زبالة؛ ونقله المجد[١] عن الزبير بن بكار- راوي كتاب ابن زبالة - وقال فيه بدل قوله: «ونزل الأعاجم، ونزل المهاجرون على اوس والخزرج فغلبوهم عليها»[٢].

الثالث والخمسون: **الفاضحة** (ز): بالفاء والضاد المعجمة والحاء المهملة، نقله بعضُهم عن كُرَاع[٣]؛ ومأخذها ما سيأتي: في معنى كونها تَنْفي خَبَثَها من أنها تميزه وتُظْهِرُه فلا يُبْطِنُ بها أحدٌ عقيدةً فاسدةً أو يُضمِرُ أمراً إلا ظهر عليه وافتضح به، بخلاف غيرها من البلاد، وقد شاهدنا ذلك بها.

الرابع والخمسون: **القاصمة**: بالقاف والصاد المهملة، نُقِلَ عن التوراة[٤]: سميت به لقَصْمِها كلَّ جبار عناها[٥] وكسرِ كلِّ متمرِّدٍ أتاها، ومن أرادها بسوء أذابه الله.

الخامس والخمسون: **قُبَّةُ الإسلام**: لحديث: «المدينة قبة الإسلام»[٦].

السادس والخمسون: **قرية الأنصار**[٧]: قال ابن سِيْدَه[٨]: القرية، بفتح القاف وكسرها، المصر الجامع، من قَرَيت الماءَ في الحوض إذا جمعته.

---

(١) يريد: مجد الدين الفيروزأبادي الشيرازي.

(٢) **المغانم المطابة**، ص ١٢٢، قال الفيروزابادي: «قال الزبير بن بكار: وكانت يثرب في الجاهلية تدعى: غلبة، نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها، ونزلت الأوس والخزرج على اليهود فغلبوهم عليها، ونزل المهاجرون على الأوس والخزرج فغلبوهم عليها».

(٣) هو كراع النمل: علي بن الحسن الهنائي اللغوي المتوفى في حدود سنة ٣١٠هـ، وقد سبق ذكره، ولم ترد هذه اللفظة في **المُنَجَّد**، وفي **المنتخب من غريب كلام العرب** ١/ ٤٠٥ ورد في أسماء المدينة: «القاصمة» فلعل «الفاضحة» مصحفة منها، إلاَّ إذا تصحفت هذه الأخيرة على محقق كتاب المنتخب.

(٤) ذكرها كُراع ضمن أسماء المدينة في **المنتخب** ١/ ٤٠٥.

(٥) س، ر، ص: عتاها.

(٦) **الوفا بأحوال المصطفى** لابن الجوزي ١/٣٩٩.

(٧) ذكر السمهودي في **الخلاصة** ١٢ "القرية" قبل هذه، ووضع "ز" للتدليل على أن الفيروزأبادي لم يذكرها.

(٨) هو علي بن إسماعيل الأندلسي الضرير المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وهو مؤلف كتاب **المحكم والمحيط الأعظم في لغة العرب**، وكتاب **المخصص**، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٨/ ١٤٤ مع مصادر ترجمته، وبروكلمان ١/ ٣٠٨ وملحقه ١/ ٥٤٢ و**معجم المؤلفين** ٣٦/٧ مع مصادر ترجمته أيضاً.

وقال أبو هلال العسكري[1]: العربُ تسمي كلَّ مدينة صغُرَت أو كَبُرتْ قرية؛ قلت: وسيأتي في معنى: المدينة، ما يقتضي أنه يعتبر في مسماها زيادتها على القرية ونقصها عن المصر.

وقيل: يطلق عليه[2].

والأنصار: واحدهم ناصر، سُموا بذلك لنصرهم رسولَ الله ﷺ وإيوائهم له وللمهاجرين، فمدحهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾[3]، فسماهم رسول الله ﷺ: الأنصار، وكان يقال لهم قبل ذلك: الأوس والخَزْرَج.

وفي الصحيح: أنَّ[4] غيلان بن جرير قال: قلت لأنس بن مالك: أرأيتم اسمَ الأنصار، كنتم تسمون به أم سمَّاكُم الله به؟ قال: بل سمَّانا الله به[5]، وسيأتي في حديث: «إنَّ الله قد طهَّر هذه القرية من الشِرْك»[6]، فَلَكَ أن تَعُدَّهُ اسماً آخرَ.

السابع والخمسون: قرية رسول الله ﷺ (ز): لِمَا سيأتي في عصمتها من الدجال من قوله ﷺ: «ثم يسير[7] حتى يأتي المدينة، ولا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذاك الرجل»، يعني: النبي ﷺ.

الثامن والخمسون: قلب الإيمان(ز): أورده ابن الجوزي في الوفا في حديث: «المدينة قبة الإسلام»[8].

---

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥هـ، مؤلف كتاب الفروق في اللغة والأوائل والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء وغيرها. انظر: معجم المؤلفين ٣/ ٢٤٠ مع مصادر ترجمته؛ وبروكلمان ١/ ١٢٦ وملحقه ١/ ١٩٣.

(٢) يريد: يُطلق على المصر مسمى القرية.

(٣) سورة الأنفال ٧٢.

(٤) ر، ص: عن.

(٥) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، (أنقرة) ٥/ ٧٩ والتاريخ الكبير ٤/ ١/ ١٠١ ـ ١٠٢ وفتح الباري ٧/ ١١٠.

(٦) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر، تح حبيب الرحمن الأعظمي، ١/ ١٨٤ عن أبي يعلى.

(٧) ص: يصير.

(٨) الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٣٩٩وفي تح مصطفى عبد الواحد ٢٥٣: "المدينة قبة الإسلام وقلب الإيمان وما بين الحلال والحرام"، وفي المغانم المطابة ص١٢٣: «المدينة قبة =

التاسع والخمسون: المؤمنة: إما لتصديقها بالله حقيقة كذوي العقول، إذ لا بُعْدَ في خلق الله تعالى قوةً في الجماد قابلة للتصديق والتكذيب، وقد سُمِعَ تسبيح الحصى في كفِّه ﷺ، أو مجازاً لاتِّصاف أهلها بذلك، ولانتشار الإيمان منها، واشتمالها على أوصاف المؤمن من النفع والبركة وعدم الضرر والمسكنة، وإما لإدخالها أهلَهَا في الأمان من الأعداء، وأمنهم من الدجال والطاعون.

وروى ابن زبالة في حديث: «والذي نفسي بيده إنَّ تربتها لمؤمنة»[1]، وروى: أنها مكتوبة في التوراة مؤمنة.

الستون: المباركة: لأنَّ اللّه تعالى بارك فيها بدعائه ﷺ لحديث: «اللهمَّ اجعل بالمدينة ضِعْـفَيْ ما جعلتَ بمكة من البركة»[2] وغيره من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وآثار تلك الدعوات من الأمور الظاهرات.

الحادي والستون: مُبَوَّأُ الحلال والحرام: رواه الطبراني في حديث: «المدينة قُبَّةُ الإسلام»[3]، والتبوُّؤ: التمكن والاستقرار، سميت به لأنها محل تمكن[4] هذين الحكمين واستقرارهما.

وفي بعض النسخ: مثوى، بالمثلثة الساكنة بدل الموحدة، والأول هو الذي رأيته بخط الحافظ أبي الفتح المراغي[5].

الثاني والستون: مبين الحلال والحرام(ز): رواه ابن الجوزي والسيـد أبو العباس الغَرَّافي[6] في حديث: «المدينة قبة الإسلام»، بدل الذي قبله، سميت به

= الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبوء الحلال والحرام».

(١) تحقيق النصرة للمراغي ٢٠٤.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١١٥.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٥/ ٢٨٧ الحديث وهو في ترتيب المدارك ١/ ٦٠: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبوأ الحلال والحرام».

(٤) ص: تمكين.

(٥) هو ابو بكر بن الحسين بن عمر بن طولون، زين الدين القرشي المراغي المتوفى بالمدينة سنة ٨١٦ هـ، مؤلف كتاب تحقيق النصرة في تلخيص معالم دار الهجرة وغيره، انظر: بروكلمان ٢/ ١٧٢ وملحقه ٢/ ٢٢١ ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٠ مع مصادر ترجمته.

(٦) نسبة إلى "الغرّاف" وهو بلد ونهر لم يزالا مشهورين في العراق، وقد ذكر السخاوي أن أبا العباس=

لأنها المحل الذي ابْتُدِيءَ فيه ببيان الحلال والحرام[1].

الثالث والستون: **المجبورة**: بالجيم، ذكره في حديث: «للمدينة عشرة أسماء»، ونُقل عن الكتب المتقدمة، وسميِّتْ به لأنَّ الله تعالى جَبَرهَا بسكنى نَبيِّـه وَصَفيِّـهِ ﷺ حياً وضمها لأعضائه الشريفة ميتاً بعد نَقْلِ حُمَّـاهَا وتطييب مَغْنَاهَا، والحث على سكناها، وتنزل البركات بمُـدِّها وصَاعِها، فهي بهذا السرِّ الشريف مسرورة، وبهذه المِنَحِ العظيمة مجبورة، تسحب ذيل الفخار على سائر الأقطار.

الرابع والستون: **المُحبَّة**: بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة، نَقْلٌ عن الكتب المتقدمة.

الخامس والستون: **المحببة**: بزيادة موحدة على ما قبله.

السادس والستون: **المحبوبة**: نقلٌ عن الكتب المتقدمة أيضاً، وهذه ثلاثة[2] مع ما تقدم من اسمها **الحبيبة** من وادٍ واحدٍ، سميت بذلك لما تقدم من حبه ﷺ لها ودعائه بذلك، وجاء ما يقتضي أنها أَحَبُّ البِقاعِ إلى الله تعالى، ويؤيده أنه تعالى اختارها لحبيبه ﷺ حياً وميتاً، فهي محبوبة إلى الله تعالى ورسوله وسائر المؤمنين، ولهذا ترتاح النفوس لذكرها وتهيم القلوب لشهود سرِّهَا.

السابع والستون: **المحبورة**: من الحَبَرَ وهو السرور، وكذلك الحَبْرُ والحُبُورُ والحَبْرَةُ ـ لما تقدم في المجبورة ـ أو هو من الحَبْرَةِ: بمعنى النعمة، والحَبرة أيضاً: المبالغة في ما وُصِفَ بجميل، والمِحْبَار من الأرض: السريعة النباتِ الكثيرة الخيرات.

= الغرافي ذيَّل في كرَّاسة على كتاب الدرة الثمينة لابن النجار ولم يزد، **علم التاريخ عند المسلمين**، لفرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي ٦٤٢، فلعله أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن أحمد الحسيني الغرافي، والد علي بن أحمد المتوفى سنة ٧٠٤هـ والذي ترجم له ابن حجر في **الدرر الكامنة** ٣/ ١٧ وابن العماد في **الشذرات**٦/ ١٠ والسيوطي في **حسن المحاضرة** ١/ ٣٨٧ وابن القاضي في **درة الحجال** ٣/ ٢١٥ و٢١٦.

(١) في **الوفا بأحوال المصطفى** تح النجار ١/ ٣٩٩ وتح مصطفى عبد الواحد ٢٥٣: «ما بين الحلال والحرام» وهو تصحيف ظاهر.

(٢) ص: الثلاثة.

الثامن والستون: **المحرَّمة**: لما سيأتي في تحريمها[1].

التاسع والستون: **المحفوفة**: لأنها محفوفة بالبركات وملائكة السماوات محفوظة من المخاوف والأوجال، وعلى أبوابها وأنقابها[2] الملائكة يَحرُسونها من الطاعون والدجال.

وسيأتي حديث: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نَقْبٍ منها مَلَك، لا يَدْخُلُها الدجال ولا الطاعون»[3].

السبعون: **المحفوظة**: لأنَّ الله تعالى حفظها من الدجال والطاعون وغيرهما؛ وفي حديث: «القرى المحفوظة أربع» وذكر المدينة منها.

وفي حديث آخر رويناه في فضائل المدينة للمفضل الجَنَدي[4]: «المدينة مشتبكة بالملائكة، على كل نَقْبٍ منها مَلَكٌ يَحْرُسُها»[5]، فَلَكَ أنْ تسميها المحروسة[6] أيضاً.

الحادي والسبعون: **المختارة**: لأنَّ اللّه تعالى اختارها للمختار من خلقه في حياته ومماته.

الثاني والسبعون: **مدخل صدق**: قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ... الآية﴾[7].

قال بعض المفسرين: مدخل صدق: المدينة، ومخرجُ صدق: مكة،

---

(١) أضاف السمهودي في الخلاصة ١٣ "المحروسة" مع حرف "ز"، ولم ترد في المغانم المطابة.
(٢) الأنقاب: واحدها نقب بفتح أو بضم فسكون هو الطريق في الجبل.
(٣) فتح الباري ١٣/ ١٠١.
(٤) هو المفضل بن محمد الجَنَدي الشعبي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٣٠٨هـ، مؤلف كتاب **فضائل المدينة** (منه قطعة في الظاهرية، مجموعة رقم: (٧١) وقد نُشر بدمشق، و**فضائل مكة** لم يصل إلينا بعد، انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٧ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٣١٥ وسزكين ١/ ٣٤٦ مع مصادر ترجمته في كل هذه المصادر.
(٥) فضائل المدينة ٢٣.
(٦) ص: بالمحروسة.
(٧) سورة الإسراء ٨٠.

وسلطاناً نصيراً: الأنصار[1]، وروي ذلك عن زيد بن أسلم[2]، ويَدُلُّ له ما رواه الترمذي[3] وصححه في سبب نزول الآية.

الثالث والسبعون: المدينة.

الرابع والسبعون: مدينة الرسول ﷺ، من مَدَنَ بالمكان إذا أقام، أو من دَانَ إذا أطاع[4]، فالميم زائدة، لأنَّ السلطان يسكن المدن فتقام له الطاعة فيها أو لأنَّ الله تعالى يُطَاع فيها.

والمدينة: أبيات مجتمعة كثيرة تجاوز حدَّ القُرى كثرةً وعمارةً، لم تبلغ حدَّ الأمصار، وقيل: يقال لكل مصر؛ والمدينة وإن أطلق على أماكن كثيرة فهو علم لمدينة الرسول ﷺ، وهُجِرَ كونه علماً في غيرها بحيث إذا أطلق لا يتبادر إلى الفهم غيرها، ولا يستعمل فيها إلا معرفة.

قيل: لأنه ﷺ سكنها، وله دانت الأمم ولأمته، والنكرة اسم لكل مدينة، وقد نسبوا للكل: مديني، وإلى مدينة الرسول ﷺ: مَدَني للفرق؛ وتسميتها بذلك متكررة في القرآن العظيم، ونُقِل عن التوراة.

الخامس والسبعون: المرحومة: نقل عن التوراة؛ سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين ومحل تَنَزُّلِ الرحمة من أرحم الراحمين، وأول بلد رُحِمَتْ بسيد المرسلين ﷺ.

السادس والسبعون: المرزوقة: لأنَّ اللّه تعالى رَزَقَها أفضلَ الخلق فسكنها، أو المرزوق أهلُها أرزاقاً حسيَّة ومعنوية؛ من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولا يخرج أحدُ منها رغبةً عنها إلا أبدلَها اللّه خيراً منه، كما جاء في الحديث.

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٨٨.

(٢) الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٣٢ والتعريف للمطري ١٤ وتحقيق النصرة للمراغي ١٧.

(٣) الجامع الكبير للترمذي ٥/ ٢٠٧ (بشار عواد): "كان النبي ﷺ بمكة ثم أُمر بالهجرة فنزلت عليه".

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٦٧.

السابع والسبعون: مسجد الأقصى (ز): نقله التادلي[1] في منسكه[2] عن صاحب المطالع[3].

الثامن والسبعون: المسكينة: نقل عن التوراة، وذكر في حديث: «للمدينة عشرة أسماء».

وروي عن علي يرفعه: إنَّ اللّه تعالى قال للمدينة: يا طيبة، يا طابة، يا مسكينة، لا تقبلي الكنوز، أرفع أجَاجِيرَكِ على أجاجير القرى[4].

عن كعب أنه وجد ذلك في التوراة. والأجاجير[5]: السطوح، وأصل المسكنة: الخضوع، فسميت بذلك إمّا لأنَّ اللّه تعالى خَلَقَ فيها الخضوع والخشوع له، وإما لأنّها مسْكَنُ المساكين؛ سكنها كلُّ خاضعٍ وخاشعٍ.

وفي الحديث: «اللهمَّ أحْيِني مسكيناً وأمِتْنِي مِسْكيناً واحْشُرْني في زُمْرَةِ المساكين»[6].

التاسع والسبعون: المسلمة: كالمؤمنة، وقد قدمناه، والإسلام يُطلق على الانقياد والانقطاع إلى اللّه تعالى، فسميت بذلك إما لأنَّ اللّه تعالى خلَقَ فيها الانقياد والانقطاع إليه، وإما لانقياد أهلها بالطاعة والاستسلام[7]، وفتح بلدهم بالقرآن[8]، لا بالسيف والسهام، وانقطاعهم إلى اللّه ورسوله، وتَبَتُّلهم لنصره وتحصيل سُولِهِ.

---

(١) ص: الشاذلي.

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٤١هـ، مؤلف شرح عمدة الأحكام وشرح رسالة ابن أبي زيد، انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ٨١ وترجم له الفيروزابادي في المغانم المطابة ص٤٦١ ـ ٤٦٢ ولم يذكر سنة وفاته.

(٣) هو كتاب مطالع الأنوار على صحاح الآثار لإبراهيم بن يوسف الوهراني المعروف بـ: ابن قرقول المتوفى سنة ٥٦٩ هـ، وهو مختصر مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، انظر: بروكلمان ١/ ٣٧٠ وملحقه ٢/ ٦٣٣ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٠ مع مصادر ترجمته.

(٤) تاريخ المدينة ١/ ١٦٣ وفتح الباري ٤/ ٨٩ والتعريف للمطري ١٦ كلها عن كعب الأحبار.

(٥) الأجاجير: السطوح التي لا ستارات عليها، ويقال في الجمع: أجاجرة ومفردها إنجار بإبدال الجيم نوناً.

(٦) انظر: المعجم المفهرس ٦/ ٢٢٦، رواه الترمذي وابن ماجه.

(٧) ص: والاستلام.

(٨) انظر أقوال العلماء في هذا الحديث في: إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٦ وسيأتي.

الثمـانون: **مَضْجَع رسول الله ﷺ** (ز): لما سيأتي في حفظ أهلها وإكرامهم من قوله ﷺ: «المدينة مُهَاجَرِي ومَضْجَعِي في الأرض»[1].

الحادي والثمانون: **المُطَيَّـبَة**: بضم أوله وفتح ثانيه، تقدم مع أخواته في **الطيِّبة**.

الثاني والثمانون: **المقدَّسَة**: لتَنزُّهِها ولطهارتها من الشرك والخَبَائِث، ولأنها يُتَبَرَّكُ بها ويُتَطَهرُ عن أرجاس الذنوب والآثام.

الثالث والثمانون: **المَقَـر**(ز): بالقاف، من القرار كما رأيتُه في بعض كتب اللغة، وسيأتي في دعائه ﷺ لها قوله: «اللهمَّ اجعل لنا بها قَرَاراً ورِزقاً حَسَناً»[2].

الرابع والثمانون: **المَكَّتَـان**(ز): قال [عبد الله بن][3] سعد بن أبي سَرْح في حصار عثمان:

أرَى الأمرَ لا يَزْدادُ إلاَّ تَفَاقُمَاً ... وأنصَـارُنَـا بـالمَكَّتَيْـنِ قَليـلُ[4]

وقال نصر بن حَجَّاج في ما كتب به إلى عُمَر رضي الله عنه بعد نفيه إياه من المدينة لَمَّا سَمِع بعض النساء[5] تترنم به في شعرها لجماله:

حَقَقْتَ بي الظَّنَّ الذي ليس بَعْدَه ... مُقَـامٌ، فمـا لـي بـالنَّـدِيّ كـلامُ

فأصْبَحتُ مَنْفِيّاً عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ ... وَقَـدْ كانَ لي بالمَكَّتَيْنِ مُقَامُ[6]

والظاهر أن المراد: المدينة، لأنَّ قصة عثمان ونصر بن حجاج كانتا بها،

---

(١) التعريف للمطري ١٤ وتحقيق النصرة للمراغي ١٩.

(٢) رواه ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٨٣، وفيه: "ورزقا واسعا".

(٣) كذا في الأصول، و الخلاصة ١٥، أما في كتاب الردة والفتوح لسيف بن عمر ١٩٨ فقد جاء: "وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح" مع بيتين آخرين، وهو الصواب، وانظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣ مع مصادر ترجمته وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقي الفاسي، القاهرة ١٩٥٦، ١/ ٥٢ نقلا من الروض الأنف للسهيلي ٢/ ٢٧٤.

(٤) الردة والفتوح ١٩٨ وجاء ضمن أربعة أبيات.

(٥) ر، س: امرأة، والتصحيح من حاشيتيهما.

(٦) قصة نصر بن حجاج مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسماعه إحدى النساء تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج، مشهورة.

وأطلق ذلك عليها لانتقال أهل مكة أو غالبهم إليها وانضمامهم إلى أهلها.

وقد ذكر البرهان القيراطي[(١)] المكتين في أسماء مكة؛ قال التقي الفاسي[(٢)]: ولعله أخذه من قول وَرَقة بن نوفل:

ببطـن المكتيـن علـى رجـائـي [حديثك أن أرى منه خروجا][(٣)]

قال السهيلي[(٤)]: ثنّى مكة، وهي واحدة، لأنَّ لها بِطاحاً وظَوَاهر[(٥)]، وإنما مقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلـدة ـ أو أعلى البلد وأسفلها ـ فيجعلونها اثنتين على هذا المعنى[(٦)]، انتهى.

ويحتمل أن تكون التثنية في ما استشهدنا به من قبيل التغليب، وأنَّ المراد: مكة والمدينة فيسقط الاستشهاد به.

الخامس والثمانون: **المَكِينة**: لتمكنها في المكانة والمنزلة عند اللّه تعالى.

السادس والثمانون: **مُهَاجَرُ رسول الله ﷺ** (ز): لقوله: المدينة مُهَاجَرِي.

السابع والثمانون: **المُوَفِّيـة**: بتشديد الفاء من التوفية[(٧)]، ويجوز تخفيفها إذ التوفية والايفاء بمعنى سُمِّيت به لتوفيتها حق الواردين واحسانها نزل الوافدين حساً ومعنى، أو لأنَّ سكانها من الصحابة المُوفُونَ بما عاهدوا اللّه عليه.

الثامن والثمانون: **الناجية**: بالجيم من نجا: إذا خَلَص أو أسرع، أو من نَجَاه

---

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر المتوفى بمكة المكرمة سنة ٧٨١هـ، مؤلف كتاب الوشاح المفصَّل، انظر: بروكلمان ٢/ ١٤ وملحقه ٢/ ٧ ومعجم المؤلفين ١/ ٥٤.

(٢) انظر: شفاء الغرام ١/ ٥٢ هو تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي، مؤرخ مكة المكرمة، توفي بمكة المكرمة سنة ٧٣٢هـ، مؤلف كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام و كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وهما مطبوعان، انظر: معجم المؤلفين ٨/ ٣٠٠ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ٢/ ١٧٢ وملحقه ٢٢١.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من شفاء الغرام للتقي الفاسي ١/ ٥٢.

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي المتوفى بمراكش سنة ٥٨١هـ، مؤلف كتاب الروض الأنف في شرح السيرة النبوية وغيره، انظر: معجم المؤلفين ٥/ ١٤٧ مع مصادر ترجمته.

(٥) الظواهر: ظهر مكة أو أعلاها، والبطاح: باطنها أو اسفلها، انظر: لسان العرب ٦/ ١٩٧ .

(٦) نقل السمهودي هذا النص عن السهيلي من شفاء الغرام للتقي الفاسي ١/ ٥٢.

(٧) ر، س، ص: الفوقية.

ونَاجَاهُ: سَارَّه، أو من النَّجْوَة: للأرض العالية، سميت بذلك لنَجاتِها من العُتَاة والطاعون والدجَّال، ولإسراعها في الخيرات، وسَبْقِها إلى حيازة السبق بأشرف المخلوقات، ولارتفاع شأنها بين الوَرَى، ورفع أجَاجِيرها على أجاجير القُرَى.

التاسع والثمانون: **نبلاء** (ز): نقلٌ من كُرَاع[1]، وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة، ممدوداً، من النُّبْل، بالضم والسكون، وهو الفضل والنجابة، ويقال: امرأة نبيلة في الحسن، بَيِّنَة النَبَالة، وأنْبَلَ النخلُ: أرْطَبَ، والنُّبْلة، بالضم، الثواب والجزاء والعطية.

التسعون: **النَّحْر**: بفتح النون وسكون الحاء المهملة، سميت به إما لشدة حَرِّها كما يقال: نَحْرُ الظهيرة، ولذا شاركتها مكة فيه، وإما لإطلاق النحر على الأصل، وهما أساس بلاد الإسلام وأصلها.

الحادي والتسعون: **الهذراء**[2]: ذكره ابن النجَّار[3]بدل **العذراء** نقلاً عن التوراة، وتبعه جماعة كالمَطَري[4]، فلذلك أثبتناه، وإن كان الصواب إسقاطه كما بيناه في الأصل[5].

وقد رويناه في كلام مَنْ أثبته بالذال المعجمة، فالتسمية به لشدة حَرِّها؛ يقال" يوم هاذر: شديد الحر، أو لكثرة مياهها وسَوَانيها المُصَوِّتَةِ عند سَوقها.

يقال: هَذَرَ في كلامه، إذا أكثر، والهَذَرُ: محركاً، الكثير الرديء، ويُحتَمل أن يكون بالمهملة من: هَدَرَ الحمام، إذا صَوَّتَ، والماء: انْصَبَّ وانهمر،

---

(١) لم ترد اللفظة في كتاب **المُنَجَّد** لكراع ولم أقف عليها في المنتخب ولم يذكرها صاحب تاج العروس مع أنه ذكر كل معاني النبل والنبيل والنبالة.

(٢) ورد عند ابن النجار "العذراء" بدلاً من "الهذراء"، وذكرالمطري: «الهذراء» في التعريف ١٦، والظاهر أنَّ ناشري الدرة الثمينة ظنوا «الهذراء» تصحيفاً، انظر: الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٣.

(٣) هو محمد بن محمود ابن النجار البغدادي المتوفى ببغداد سنة ٦٤٣هـ، وهو مؤلف كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة، انظر: معجم المؤلفين ١١/ ٣١٧ وبروكلمان ١/ ٣٦٠ وملحقه ١/ ٦١٣ مع مصادر ترجمته.

(٤) التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة ١٦.

(٥) يشير إلى أصل كتابنا هذا وهو بعنوان: إقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى، وقد ورد ذكره في مقدمة خلاصة الوفا المنشور باسم: الوفا بأخبار دار المصطفى، وقد احترق الأصل مع كتب اخرى للمؤلف.

والعُشْبُ: طال، وارض هادرة: كثيرة النبات.

الثاني والتسعون: يثرب: لغة في أثرب، وقد تقدم الكلام عليه فيه، وليست المذكورة في قول الشاعر[١]:

وَعَدْتَ وكانَ الخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً   مواعيدَ عُرْقُوبٍ أخاهُ بِيَتْرَبِ[٢]

لأن المجد[٣] قال: أجمعوا فيه على تثنية التاء وفتح الراء، وقال: هي مدينة بحضرموت، قيل: كان بها عرقوب صاحب المواعيد[٤]، مع أن المجد صحّح أنه من قدماء يهود مدينة النبي ﷺ[٥].

وفي مشارق[٦] عياض قيل: إن يثرب المذكورة في البيت مثل يثرب المدينة، وقيل: قرية باليمامة، وقيل: إنما هي يترب، بمثناة فوقية[٧] وراء مفتوحة، اسم تلك القرية.

وقيل: اسم قرية من بلاد بني سعد من تميم، كما أُخْتُلِفَ في عرقوب هذا، فقيل: رجل من الأوس من أهل المدينة، وقيل: من العماليق أهل اليمامة، وقيل: من بني سعد المذكورين، إنتهى.

وأما قول هند بنت عتبة:

---

(١) هو الأشجعي كما ذكر الخطيب البغدادي في كتاب البخلاء ١٢٩.

(٢) اورده الفيروزابادي بالنص في القاموس المحيط ١/ ١٠٣ [عرقوب] وانظر: ١/ ٣٩ عن "يَتْرَب".

(٣) قال الفيروزابادي ١/ ٣٩: "ويترب موضع قرب اليمامة وهو المراد بقوله: مواعيد [عرقوب] أخاه بيترب".

(٤) قال: "انه من العمالقة أكذب أهل زمانه"، القاموس المحيط ١/ ١٠٣. [عرقوب]، وذكر الخطيب البغدادي جملة من قصصه في كتاب البخلاء، ١٢٨ ـ ١٣٠.

(٥) قال الفيروزابادي في المغانم المطابة ص٩٨ ـ ٩٩: "أما عرقوب صاحب المواعيد المعروفة فالصحيح أنه من أهل يثرب مدينة الرسول ﷺ من قدماء يهودها لكن أجمعوا على تثنية التاء وفتح الراء".

(٦) هو كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثارفي تفسير غريب الحديث، وعياض: هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ، مؤلف الشفا في تعريف حقوق المصطفى المشهور، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٩ وملحقه ١/ ٦٣٠ ومعجم المؤلفين ٨/ ١٦ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢ مع مصادره.

(٧) في ص زيادة: أي بدل الثاء المثلثة.

لَنَهْبِطَـــنَّ يَثْـــرِبَـــــهْ   بِغَـــارَةٍ مُنْشَعَّبَـــهْ[1]

فالظاهر أنَّ الهاء فيه للسكت، فليس اسماً آخر.

الثالث والتسعون: ينِدد: ذكره كراع[2] هكذا بالمثناة التحتية ودالين، وهو إما من النَّدّ وهو الطيب المعروف، وقيل: العنبر، أو من النَّد للتَـلِّ المرتفع، أو من الناد وهو الرزق[3].

الرابع والتسعون: يندر: بإبدال الدال الأخيرة من الاسم قبله راء، ذكره المجد[4] عند سرد الأسماء[5] ولم يتكلم عليه بعد، لما سنذكره، وإثباته لوقوعه كذلك في حديث: «للمدينة عشرة أسماء» في بعض الكتب، وفي بعضها بمثَّناة فوقية ودالين، وفي بعضها كذلك مع إبدال الدال الأخيرة راء؛ فتحرر من مجموع ذلك أربعة أسماء: اثنان بالمثَّناة التحتية واثنان بالفوقية؛ وذلك المستند في تقديمها في محلها.

وقال المجد: إنَّ ذلك كله تصحيف، وإن الصواب يندد بالمثناة التحتية

---

(١) في الأصول: منشعبة.

(٢) المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل ١/٤٠٥، وجاء ذكرها في اللسان ٤/٤٣٠ وتاج العروس ٢/٥١٣: "ويندد موضع وقيل هي من أسماء مدينة النبي ﷺ"، وعند البكري في معجم ما استعجم ٨٥٧.

(٣) قال الفيروزابادي في المغانم المطابة ص١٣٩: «هكذا ذكره كراع في المنتخب بدالين مهملتين، وقال: يندد اسم مدينة النبي ﷺ، فيحتمل أن يكون من ندَّ البعير نداً ونديداً وندوداً ونداداً، إذا شرد ونفر، والند بالفتح والكسر وهو الطيب المعروف، وقيل: العنبر، أو من الند للتل المرتفع والأكمة العظيمة، أو من الناد وهو الرزق، ويقال: ما له ناد، أي: ما له رزق، ويندد أيضاً: اسم موضع آخر فيما ذكر الصاغاني، ووقع ذكر هذا الاسم في حديث رواه الزبير بن بكار بسنده عن زيد أسلم رضي الله عنه يرفعه: «للمدينة أسماء هي المدينة وهي طيبة وطابة ومسكينة وجابرة ومجبورة ويندد ويثرب والدارة»، ووقع في بعض الكتب تيدد بتاء مثناة من فوق، وفي بعضها كذلك، إلاَّ أنَّ في آخره راء مهملة، وكل ذلك تصحيف، والصواب: ما رواه أولاً، والله الموفق»، وانظر: المنتخب من غريب كلام العرب ١/٤٠٥.

(٤) قال الفيروزابادي في القاموس ١/٣٤١ و٢/١٤٠: "ندد": "ويندد: موضع ومدينة النبي ﷺ"، وقال في "ندر": "ونيدر كحيدر من أسماء المدينة أو هو بدالين".

(٥) جاء ذلك في صفحة ٩٧ من نسخة فيض الله فقد عدد الفيروزابادي أسماء المدينة وذكر يندر إلا أنه لم يتكلم عليه بعد أن تكلم على يندد إذا رأى أن يندر مصحيف من يندد.

ودالين[1]، وفيه نظر[2]، لأنَّ الزركشي[3]، عند ذكر أسماء المدينة، جمع بين اثنين من هذه الأربعة وقال: ذكرهما البكري[4]؛ فيحتمل ثبوت الأخيرين، وحديث «للمدينة عشرة أسماء» رواه ابن شَبَّة من طريق عبد العزيز بن عمران، وسَرَدَها فيه ثمانية فقط[5].

ثم روى من طريقه أيضاً عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: سمَّى اللّهُ المدينة: الدارَ والإيمان[6].

قال: وجاء في الحديث الأول ثمانية أسماء، وجاء في هذا اسمان، فالله أعلم أهما تمام العشرة أم لا[7]، انتهى.

ورواه ابنُ زبالة كذلك إلا أنه سَرَد تسعة فزاد اسم الدار واسقط العاشر.

ونقل ابن زبالة: أنَّ عبد العزيز بن محمد الدراوردي[8] قال: بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسماً[9]، والله أعلم.

---

(١) المغانم المطابة، ص١٣٩.

(٢) انظر: الخلاصة ١٦.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٥.

(٤) البكري: هو ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز المتوفى سنة ٤٨٧هـ، مؤلف كتاب معجم ما استعجم من البلدان والأماكن و المسالك والممالك، انظر: بروكلمان ١/ ٤٧٦ وملحقه١/ ٨٧٥ ومعجم المؤلفين ٦/ ٧٥ مع مصادر ترجمته. وقد ذكر البكري في معجم ما استعجم ٥١٧: «يثرب، الدار، طيبة، طابة، العذراء، جابرة، المجبورة، المحبة، المحبوبة، القاصمة، يندد»، وذكر يندد أيضاً (٨٥٧) وقال: «ذكر ذلك كله أبو عمر» يعني: يوسف بن عبد البَرّ النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، انظر: معجم المؤلفين ١٣/ ٣١٥ مع مصادر ترجمته. وذكر البكري أسماء المدينة الشريفة أيضا في المسالك والممالك ١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ دون يندد.

(٥) تاريخ المدينة ١/ ١٦٢.

(٦) المغانم المطابة ص١٠٠، ١١١ وإعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٧) تاريخ المدينة ١/ ١٦٢ ـ ١٦٣ وانظر: فتح الباري ٤/ ٨٩ عن ابن شبة وغيره.

(٨) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٨٧هـ، انظر: ترتيب المدارك ١/ ٢٨٨ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٤ مع مصادر ترجمته. وقوله في فتح الباري ٤/ ٨٩ وفي التعريف للمطري ١٦.

(٩) ذكر ياقوت: أن لها تسعة وعشرين اسماً، وسردها، معجم البلدان ٥/ ٨٣ وذكر المطري في التعريف ١٦، أحد عشر اسماً لها.

الباب الثاني

في فضائلها وَبدْءِ شأنِها وما يؤول إليه أمرُها، وظُهُور النار المُنذر بها من أرضها وانطفائِها عندَ الوُصُول إلى حَرَمِها وفيه ستة عشر فصلاً

الفصل الأول

في تفضيلها على غيرها من البلاد

قد انعقد الإجماع على تفضيل ما ضمَّ الأعضاء الشريفة، حتى على الكعبة المنيفة[١]، واجمعوا بعدُ على تفضيل مكةَ والمدينة على سائر البلاد، واختلفوا أيهما[٢] أفضل؛ فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبدُ الله ومالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة[٣].

وأحْسَنَ بعضُهم فقال: محلُّ الخِلافِ في غير الكعبة الشريفة، فهي أفضل من المدينة ما عدا ما ضَمَّ الأعضاء الشريفة إجماعاً.

وحكاية الإجماع على تفضيل ما ضَمَّ الأعضاء الشريفة نقله القاضي

---

(١) القول للعبدي المالكي، كما جاء في شفاء السقام للسبكي ٦١، ٧١.

(٢) ص: ايتهما.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص١٢٨، وفي فتح الباري ٣/ ٦٧: "لكن المشهور عن مالك وأكثر أصحابه تفضيل المدينة".

عياض[1]، وكذا القاضي أبو الوليد البَاجِي[2] قبله، كما قاله الخطيب ابن جملة[3]، وكذا نقله ابو اليمن ابن عساكر[4] وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة الشريفة[5].

بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي[6]: أنَّ تلك البقعة أفضل من العرش[7].

وقال التاج الفاكهي[8]: قالوا لا خلاف أن البقعة التي ضمَّت الأعضاء

---

(1) قال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨٢: "ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض"، وفي شرح صحيح مسلم للنووي ١٧٨/٥ : " قال القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض... " وذكر اختلاف العلماء، ومثله ورد في فتح الباري ٦٨/٣ وتحقيق النصرة ١٠٤ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧/٢٧ ـ ٣٨ وإعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٤٢ والمغانم المطابة ص٢٠.

(2) هوأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ، انظر: مقدمة أبي لبابة حسين لكتاب التعديل والتجريح لمن خَرَّج له البخاري في الجامع الصحيح للباجي ١٩/١ ـ ٢٦٠.

(3) هو محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة الشافعي خطيب الجامع الأموي بدمشق المتوفى سنة ٧٦٤هـ، مؤلف كتاب الوقاية الموضحة لشرف المصطفى ومنه نسخة في رامبور، انظر: بروكلمان: ملحق ٧٧/٢ والمعجم المختص للذهبي ٢٧٩ مع مصادر ترجمته والدرر الكامنة ٣٣٢/٤ وطبقات الشافعية ٣٨٥/١٠ مع مصادر ترجمته أيضاً. وذكره السمهودي أكثر من مرة في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٥٦، ١٥٨، ١٦٥، ١٦٦ مثلاً.

(4) تحقيق النصرة للمراغي ١٠٤، وهو أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي المكي، نزيل الحرم المكي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٦٨٦هـ، مؤلف كتاب إتحاف الزائر، انظر: التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ٤٩ ومعجم المؤلفين ٢٣٦/٥ مع مصادر ترجمته في كليهما.

(5) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٦.

(6) هو علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي شيخ ابن الجوزي، توفي ببغداد سنة ٥١٣ هـ، مؤلف كتاب الفنون (حققه جورج مقدسي ـ بيروت، دار المشرق ١٩٧٠) وغيره، انظر: بروكلمان ٣٩٨/١ وملحقه ٦٨٧/١ ومعجم المؤلفين ١٥١/٧ مع مصادره.

(7) انظر كل هذه الأقوال منسوبة إلى قائليها في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٦ ـ ١٠٧.

(8) هو عمر بن علي بن سالم اللخمي الإسكندراني الفاكهي المتوفى بالإسكندرية سنة ٧٣١ أو ٧٣٤هـ، وله كتاب التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة وكتاب البدر المنير في الصلاة على البشير النذير، انظر: بروكلمان ٢٢/٢ وملحقه ١٥/٢ ومعجم المؤلفين ٢٩٩/٧ ودرة الحجال ١٩٨٠/٣.

الشريفة أفضل بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبة[١].

ثم قال: وأقول أنا: وأفضل بقاع السماوات أيضاً.

ولم أر من تعرض لذلك، والذي أعتقده أن ذلك لو عُرِضَ على علماء الأمة لم يختلفوا فيه[٢].

وقد جاء أن السماوات تشرفت بمواطىء قدميه ﷺ[٣]، بل لو قال قائل: ان جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكون النبي ﷺ حالاً فيها، لم يبعد، بل هو عندي الظاهر المتعيِّن[٤].

قلت: وقد صرح بما بحثه من تفضيل الأرض على السماء ابن العماد[٥] نقلاً عن الشيخ تاج الدين إمام الفاضلية، قال: وقال: إنَّ الأكثرين عليه لأنَّ الأنبياء خُلِقُوا من الأرض وعبدوا الله فيها ودُفِنُوا بها[٦]، انتهى.

وقال النووي[٧]: المختار الذي عليه الجمهور، أنَّ السماوات أفضل من الأرض، وقيل: الأرض أشرف لأنها مستقر الأنبياء ومدفنهم، وهو ضعيف.

قلت: وكأنَّ وَجْهَ تضعيفَه للثاني أن الكلام في مطلق الأرض، ولا يلزم من

---

(١) الروضة الفردوسية للأقشهري، ورقة ١١ب دون نسبة لقائل، وهي في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٦ وسبق قول العبدي المالكي كما ورد في شفاء السقام للسبكي ٦١، ٧١.

(٢) هذا قول الفاكهي أيضاً كما ورد في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٦.

(٣) يشير إلى البيت الذي أورده المراغي في تحقيق النصرة ١٠٤ دون نسبة، وهو:

أرض مشى جبريل في عرصاتها   والله شـرَّف أرضهـا وسماءهـا

(٤) قول الفاكهي بنصه في كتاب الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٦ للسمهودي، وقال: "وعبارة العلامة تاج الدين الفاكهاني في كتابه البدر المنيرقالوا. . . ".

(٥) هو أحمد بن عماد بن محمد الأقفهسي المتوفى سنة ٨٠٨هـ، مؤلف نظم الدرر من هجرة خير البشر وشرحها وكشف الأسرار عما خفي على الأفكار وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ٩٣ وملحقه ٢/ ١١٠ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٦ مع مصادر ترجمته.

(٦) بالنص في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٧ وقال: "قال العلامة ابن العماد في كتابه كشف الأسرار وأما تفضيل. . . قال جلال الدين إمام الفاضلية والأكثرون. . . "

(٧) هو يحيى بن شرف بن مري النووي المتوفى بنوى سنة ٦٧٧هـ، مؤلف كتاب تهذيب الأسماء واللغات وكتاب رياض الصالحين وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ٤٩٤ وملحقه ١/ ٦٨٠ ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٠٢ مع مصادر ترجمته.

تفضيل بعضها لكونه مدفن الأنبياء تفضيل كلها، وضعف أيضاً بأن أرواح الأنبياء في السماوات والأرواح أفضل من الأجساد، وجوابه: ما سنحققه إن شاء الله تعالى من حياة الأنبياء في قبورهم صلوات الله وسلامه عليهم.

وقال شيخنا المحقق ابن إمام الكاملية[١] في تفسير سورة الصف[٢]: والحق ان مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف من كلٍّ ما سواها من الأرض والسماء، ومحل الخلاف في غير ذلك كما كان يقرره شيخ الإسلام البُلقيني[٣].

قال الزركشي: وتفضيل ما ضمَّ الأعضاء الشريفة للمجاورة[٤] ولهذا يُحرَّم على المحدث مَسُّ جلد المصحف[٥].

قال القرافي[٦]: ولما خَفِيَ هذا المعنى على بعض الفضلاء أنكر حكاية الإجماع على تفضيل ما ضمَّ الأعضاء الشريفة، وقال: التفضيلُ إنما هو بكثرة الثواب على الأعمال، والعملُ على قبر رسول الله ﷺ مُحَرَّم، قال: ولم يعلم أن أسباب التفضيل أعمُّ من الثواب، والإجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه لا بكثرة الثواب، ويلزمه أن لا يكون جِلْدُ المصحف؛ بل ولا المصحف نفسه[٧]؛

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي القاهري المتوفى سنة ٨٧٤هـ مؤلف شرح أنوار التنزيل للبيضاوي وغيره، انظر: بروكلمان ٢/ ٧٧ وملحقه ٢/ ٨٥ ومعجم المؤلفين ١١/ ٢٣١ مع مصادر ترجمته والمنجم في المعجم للسيوطي، تح إبراهيم برجس ٢٠٥ مع مصادر ترجمته أيضاً، وعن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الزين الكمال إمام الكاملية المتوفى سنة ٩٠٣هـ، انظر: التحفة اللطيفة ٢/ ١٥٢.

(٢) هو بسط الكف في تفسير سورة الصف، انظر: الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ورقة ١٠٠ب ففيه الخبر أبسط وأكمل مما هنا.

(٣) هو عمر بن رسلان بن نصير الكناني الشافعي القاهري المتوفى سنة ٨٠٥هـ، انظر: بروكلمان ٢/ ٩٣ وملحقه ٢/ ١١٠ و معجم المؤلفين ٧/ ٢٨٤ مع مصادر ترجمته.

(٤) س: المجاورة.

(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٦، ٢٤٢ وكلها في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ٦٥.

(٦) القرافي: لعله أحمد بن أدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المعروف بالقرافي المتوفى بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ، مؤلف كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ٣٨٥ وملحقه ١/ ٦٦٥ ومعجم المؤلفين ١/ ١٥٨ مع مصادر ترجمته و:

M. Steinschneider, Polemische... etc, p.17.

(٧) فتح الباري ٣/ ٦٨.

أفضَلَ من غيره لتعذر العمل فيه، وهو خرق للإجماع[1].

قلت: وما ذكره من التفضيل بالمجاورة مُسَلَّمٌ، لكن ما اقتضاه من عدم التفضيل بكثرة الثواب في ذلك ممنوع لما سنحققه.

وأصل الإشكال لابن عبد السلام[2] فإنه قال في أماليه: تفضيل مكة على المدينة أو عكسه معناه أن الله يرتِّب على العمل في أحداهما[3] من الثواب أكثر مما يرتبه على العمل في الاخرى[4]، فيشكل قول القاضي عياض: أجمعت الأمة على أن موضع القبر الشريف أفضل[5]، إذ لا يمكن أحد أن يعبد الله فيه[6].

قال التقي السبكي[7]: وقد رأيت جماعة يستشكلون نقل هذا الإجماع، وقال لي قاضي القضاة السروجي الحنفي[8]: طالعت في مذهبنا خمسين مصنَّفاً[9] فلم أجد فيها تعرضاً لذلك.

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٢ ـ ٢٤٣ وانظر: الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) هو الإمام الهمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُلَمي الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠هـ، انظر: طبقات الشافعية ٨/٢٠٩ ـ ٢٥٥ مع مصادر ترجمته.

(٣) ر: أحديهما.

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام لعز الدين بن عبد السلام ١/٤٥ ـ ٥٠ وتحقيق النصرة للمراغي ١٠٤.

(٥) تحقيق النصرة للمراغي ١٠٤.

(٦) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ورقة ١٠١أ.

(٧) هو علي بن عبد الكافي الأنصاري الشافعي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ، وهو والد صاحب طبقات الشافعية تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، انظر: بروكلمان ٢/٨٦ وملحقه ٢/١٠٢ مع مصادر ترجمته. ناظر ابن تيمية في مسألة الزيارة وصنف كتاباً في الرد على من أنكر الزيارة وهو: شن الغارة على من أنكر السفر للزيارة ويسمى: شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ومنه يقتبس السمهودي كثيراً، وانظر ترجمته الموسعة في طبقات الشافعية ١٠/١٣٩ ـ ٣٣٨.

(٨) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي المتوفى بالقاهرة سنة ٧١٠هـ، انظر: بروكلمان ٢/٣١٥ وملحقه ٢/٤٣٤ والمنهل الصافي لابن تغردي بردي ١/٢٠١ ومعجم المؤلفين ١/١٤٠ مع مصادر ترجمته.

(٩) ص،خ: تصنيفاً.

قال السبكي: وقد وقفت على ما ذكره ابن عبد السلام من أن الأزمان والأماكن كلها متساوية، ويفضلان بما يقع فيهما، لا بصفات قائمة بهما، ويرجع تفضيلهما إلى ما يُنيل اللّهُ العبادَ فيهما، وأن التفضيل الذي فيهما أن الله يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما[1].

قال السبكي: وأنا أقول: قد يكون التفضيل لذلك، وقد يكون لأمر آخر فيهما، وإن لم يكن عمل؛ فإنَّ القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر[2] العقول عن إدراكه، وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون أفضل الأمكنة؟ وليس محل عمل لنا فهذا معنى غير تضعيف الأعمال فيه، وأيضاً فباعتبار ما قيل: أن كلَّ أحدٍ يُدْفَن بالموضع الذي خُلق منه[3].

وأيضاً فقد تكون الأعمال مضاعفة فيها[4] باعتبار أن النبي ﷺ حَيٌّ وأن أعماله مضاعفة أكثر من كلِّ أحدٍ، فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن[5].

قلت: وهذا من النفاسة بمكان، على أني أقول: الرحمات والبركات النازلة بذلك المحل يعمُّ فَيْضُها الأمة، وهي غير متناهية لدوام ترقياته عليه الصلاة والسلام، وما تناله الأمة بسبب نبيها هوالغاية في الفضل، ولذا كانت خيرَ أمةٍ[6] بسبب كون نبيها خير الأنبياء فكيف لا يكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه منبعَ فيض الخيرات[7]؟ ألا ترى أن الكعبة ـ على رأي من منع الصلاة فيها ـ ليست محل عملنا، أفيقول عاقل بتفضيل المسجد حولَها عليها لأنه محل العمل مع ان

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ١/ ٤٥ ـ ٥٠ وتحقيق النصرة للمراغي ١٠٤ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٦.

(٢) ص: يقصر.

(٣) تحقيق النصرة للمراغي ١٠٤ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٦.

(٤) خ: فيه.

(٥) تحقيق النصرة للمراغي ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٦) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٧) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٧.

الكعبة هي السبب في إنالة تلك الخيرات؟ وأيضاً فاهتمامه ﷺ بأمر أمته معلوم، وإقبال الله عليه دائم، وهو بهذا المحل الشريف، فتكثر شفاعته فيه لأمته وإمداده إياهم.

وقد ورد في حديث: «وَفَاتِي خَيْرٌ لكم»، بيان ذلك: بأنَّ «أعمالكم تعرض عليَّ، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غيرَ ذلك استغفرت لكم»[1].

وفي رواية: استوهَبْتُ اللهَ ذنوبَكم؛ وله شواهد تقوِّيه، وسيأتي في الباب الثامن: أنَّ المجيءَ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾[2]، حاصلٌ بالمجيء إلى قبره الشريف.

وأيضاً فزيارته والمجاورة عنده من أفضل القُرُبَات، وعنده تجاب الدعوات وتحصل الطلبات، فقد جعله الله تعالى سبباً في ذلك؛ وأيضاً فهو روضة من رياض الجنة، بل أفضل رياضها، وقد قال ﷺ: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»[3]؛ بل لو تعلق متعلق بما قررناه من كون القبر الشريف منبع جميع الخيرات وهو بالمدينة فتكون هي أفضل لكان له[4] وجه.

وقد قال الحكيم الترمذي[5] في نوادره: سمعت[6] الزبير بن بكّار يقول: صنَّفَ بعض أهل المدينة في المدينة كتاباً، وصنَّف بعض أهل مكة في مكة كتاباً[7] فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة يريد كل واحد منهما أن يبرز

---

(١) مجمع الزوائد ٩/ ٢٤ وقال: "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح" وشفاء السقام ٤٥.

(٢) سورة النساء ٦٤.

(٣) فتح الباري ٤/ ١٠٠، ٦/ ١٥، ٨٥ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١٠٧ وفي إعلام الساجد ١٩١: «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وفي التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١٠٩: «قيد سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها».

(٤) ساقطة من ص.

(٥) هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠هـ، مؤلف كتاب نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، انظر: سزكين ١/ ٦٥٣وبروكلمان ١/ ١٩٩ وملحقه ١/ ٢١٦ و معجم المؤلفين ١٠/ ٣١٥ مع مصادر ترجمته.

(٦) في نوادر الأصول ٧٢: «وذكر الزبير...».

(٧) لا نعرف عن هذين الكتابين شيئاً ولكن وصل إلينا مناظرة الحرمين ومناضلة المحلين لعلي بن يوسف الزرندي المتوفى سنة ٧٧٢هـ.

على صاحبه بها، حتى برز المدني على المكي في خَلَّةٍ واحدة عجز عنها المكي وهي أن المدني قال: ان كل نفس إنما خُلقت من تربته التي يدفن فيها بعد الموت، فكان نفس الرسول ﷺ إنما خُلقت من تربة المدينة فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأراضي[١].

قلت: ويدل لما ذكر من ان النفس تخلق من تربة الدفن ما رواه الحاكم في مستدركه[٢] وقال: صحيح وله شواهد صحيحة؛ عن أبي سعيد قال: مرَّ النبي ﷺ عند قبر فقال: قبر من هذا؟ فقالوا: فلان الحبشي يا رسول الله، فقال: «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي منها خُلِقَ»[٣].

ورواه الحكيم الترمذي بنحوه عن أبي هريرة[٤]، ورواه البزار عن أبي سعيد بنحوه، وفيه عبد الله والد ابن المديني[٥] وهو ضعيف.

وروى الطبراني في الأوسط نحوه عن أبي الدرداء، وفيه الأحوص بن حكيم، وثَّقـه العجلي[٦] وضعَّفه الجمهور، وروى في الكبير أيضاً نحوه عن ابن عمر؛ وقال الذهبي في بعض رواته: ضعفوه[٧].

وأسند ابن الجوزي في الوفا[٨] عن كعب الأحبار: لما أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخلق محمداً ﷺ، أمَرَ جبريل فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضعُ قبره ﷺ، فعُجِنَتْ بماءِ التَّسْنيم، ثم غمست في أنهار الجنة، فَطِيْفَ بها في السماوات

---

(١) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ١٥٠أ وفيها: "على سائر الأرضين"، وانظر: نوادر الأصول ٧٢.

(٢) هو المستدرك على الصحيحين في الحديث، نشر في حيدراباد سنة ١٣٣٤ هـ في ٤ أجزاء.

(٣) المستدرك ١/٣٦٧ والدرة الثمينة ٢، ٣٩١.

(٤) نوادر الأصول ٧١.

(٥) هو الإمام علي بن عبد الله البصري المعروف بابن المديني (سير أعلام النبلاء ١١/٤١ مع مصادر ترجمته) المتوفى سنة ٢٣٤هـ بسامراء. قال الذهبي: "كان أبوه محدثاً مشهوراً ليِّن الحديث، مات سنة ثمان وسبعين ومئة"، وزاد في ميزان الإعتدال ٢/٤٠١ روايات أخر في تضعيفه.

(٦) قال العجلي فيه: "لا بأس به"، تاريخ الثقات ٥٨ وضعفه النسائي والجوزجاني وابن حبان وغيرهم، انظر: ميزان الإعتدال ١/١٦٧.

(٧) انظر: ميزان الإعتدال ١/١٦٧ عن الأحوص بن حكيم ورأي أهل الجرح والتعديل فيه.

(٨) س، ر، ص: الوفى.

والأرض فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام[١].

وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ في سرد خصائصها.

وقال الحكيم الترمذي، في حديث: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعلَ له إليها حاجةً»[٢] إنما صار أجَلُه هناك لأنَّه خُلِقَ مِنْ تلك البقعة، وقد قال الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ... الآية﴾[٣]، قال: فإنما يُعاد المرء من حيث بُديءَ منه[٤].

وقال: وروي أن الأرض عَجَّتْ[٥] إلى ربِّها لمَّا أُخِذَتْ تربةَ آدم عليه السلام، فقال لها: سأردُّها إليكِ، فإذا مات دُفن في البقعة التي منها تربته[٦].

وعن يزيد الجريري قال: سمعت ابن سيرين يقول: لو حَلَفْتُ حلفتُ صادقاً باراً غير شاكٍ ولا مستثنٍ أنَّ الله تعالى ما خلق نبيَّه ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر إلا من طينة واحدة ثُمَّ ردَّهم إلى تلك الطينة[٧].

وروى ابن الجوزي في الوفا عن عائشة قالت: لما قُبِضَ النبي ﷺ اختلفوا في دفنه، فقالوا: أين يُدفن رسول الله ﷺ؟ فقال عليّ: انه ليس في الأرض بقعة أكرمُ على الله من بقعة قَبَضَ فيها نفس نبيه ﷺ[٨].

وروى يحيى[٩]: أن علياً قال لما اختلفوا: لا يُدفن إلا حيث توفاه

(١) انظر: الوفا بأحوال المصطفى ١/ ٧٠ وفيه: "أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه فأتاه بالقبضة البيضاء".

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٢٧٦ والكامل لابن عدي ٤/ ٣٢٧.

(٣) سورة طه ٥٥.

(٤) نوادر الأصول ٧١ بألفاظ مختلفة عن ما ها هنا.

(٥) أي: جهرت بالشكوى.

(٦) نوادر الأصول ٧١.

(٧) نقلاً من الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ٥٠أ، وانظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي ٧٢.

(٨) الوفا بأحوال المصطفى تح مصطفى عبد الواحد ٧٩٧.

(٩) هو يحيى بن سعيد الأنصاري التابعي المتوفى بالعراق سنة ١٤٣هـ، انظر: كتاب التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ٣/ ١٢١٦ مع مصادر ترجمته، وانظر: الوفا بأحوال المصطفى ٢/ ٥٥١ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٣ حيث روى خبراً شبيهاً عن سعيد بن المسيب، وانظر: قول الباجي في =

الله عزَّ وجلَّ، وانهم رضوا بذلك.

قلت: ويوجد[1] مما قاله عليٌّ مستَنَد؛ نقل الإجماع السابق على تفضيل القبر الشريف لسكوتهم عليه ورجوعهم إلى الدفن به.

ولما قال الناس لأبي بكر رضي الله عنه: يا صاحب رسول الله، أين يُدفن رسول الله ﷺ؟ قال: في المكان الذي قَبَضَ الله تعالى روحه فيه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيِّب، رواه الترمذي في شمائله والنسائي في الكبرى وإسناده صحيح[2].

ورواه أبو يعلى الموصلي[3]، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يُقْبَضُ النبي إلاَّ في أَحَبِّ الأمكنة إليه[4].

قلت: وأحبُّها إليه أحبُّها إلى ربه، لأنَّ حبَّهُ تابعٌ لحُبِّ ربِّه، إذ لا يكون حبُّه عن هَوَى نفسٍ، وما كان أحبَّ إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضلَ؛ ولهذا أخذتُ تفضيلَ المدينة على مَكَّةَ من قوله ﷺ ـ كما في الصحيح ـ: «اللَّهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» أي: بل أشد أو وأشد، كما روي به؛ ومن إجابة دعوته ﷺ وسلم حتى كان يُحَرِّكُ دابته إذا رآها من حُبِّها.

وقد روى الحاكم في مستدركه: حديث: «اللهمَّ إنك أخرَجْتَنِي من أحبِّ البقاع إليَّ فاسكنِّي في أَحَبِّ البقاع إليك»[5]، وفي بعض طرقه، أنه ﷺ قاله حين

= روايته عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة "ولا يصح ليحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ حديث" في التعديل والجرح ١/٣٠٦.

(١) ص: ويؤخذ.

(٢) انظر: السيرة النبوية ١/١٠١٩ و"كتاب الجنائز" من الموطأ و"كتاب الجنائز" من جامع الترمذي والبداية والنهاية ٥/٢٦٦.

(٣) هو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧هـ، مؤلف المسند في الحديث و المعجم في شيوخه، وقد وصل إلينا المسند والمعجم، انظر: بروكلمان ملحق ١/٢٥٨ وسزكين ١/١٧٠ و معجم المؤلفين ٢/١٧ مع مصادر ترجمته.

(٤) مسند أبي يعلى ١/٤٥ (٤٥) وانظر حديث ابن عباس ١/٣١ (٢٢): "ما قُبض نبي إلا دُفنَ حيث قُبض".

(٥) المستدرك ٣/٣ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٩ والحجج المبينة للسيوطي ٤١، قال ابن عبد=

خرج من مكة؛ وفي بعضها أنه وقف بالحَزْوَرَة[1] وفي بعضها بالحَجُون[2]، فقاله[3]، وقد ضعَّفَه ابن عبد البَر[4].

قيل: ولو سلمت صحته، فالمراد أحبَّ البقاع إليك بعد مكة، لحديث: «إن مكة خير بلاد الله»، وفي رواية: «أحب أرض الله إلى الله»[5]، ولأنه قد صحَّ لمسجد مكة من المضاعفة زيادة على ما صحَّ لمسجد المدينة، كما سيأتي.

قلت: في ما قدَّمناه من دعائه ﷺ بحبها أشَدَّ من حب مكة مع ما أشرنا إليه من إجابة دعائه ﷺ، ومن أنه تعالى لا يجعلها أحبَّ إلى نبيه إلاَّ بعد جعلها أحبَّ إليه تعالى غنيةٌ عن صحة هذا الحديث، وكون المراد منه ما ذكر خلاف الظاهر، وما ذكر لا يصلح مستنداً في الصَّرفِ عن الظاهر لأنه ﷺ قصد به الدعاء للدار التي تكون هجرته إليها، فطلب من الله أن يُصيِّرها أحبَّ البقاع إليه تعالى، والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب، وهذا يمكن تجدده بعد إن لم يكن.

وقوله: «إن مكة خير بلاد الله وأحبها إليه» محمول على أنه ﷺ قاله في بَدءِ[6] الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة، فلما طالت إقامته ﷺ بالمدينة وأظهر الله بها دينه وتجدد لها ما سيأتي من الفضائل حتى عاد نفعها على مكة، فافتتحها الله وسائر بلاد الإسلام منهـا، فقد أنالها الله تعالى وأنال بها من الخير ما لم يُنِلْهُ غيرَها

= البر فيه: "لا يختلف أهل العلم أنه منكر موضوع".

(١) المستدرك ٣/ ٧، كانت الحزوزة سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه، انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٥٥ وأخبار مكة للفاكهي، تح عبد الملك بن دهيش ٢/ ٨٧ «أن حدَّ المسجد الحرام من الحزوزة إلى المسعى»، واسهب التقي الفاسي في تحديد موقعها ومعناها في شفاء الغرام ١/ ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) الحجون جبل باعلى مكة المكرمة، انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٢٥.

(٣) فتح الباري ٣/ ٦٧ ـ ٦٨ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٤) هو يوسف بن عبد الله النمري القرطبي الأندلسي المتوفى بشاطبة سنة ٤٦٣هـ، مؤلف كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٧ وملحقه ١/ ٦٢٨ و معجم المؤلفين ١٣/ ٣١٥ مع مصادر ترجمته.

(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٧ ـ ١٨٩ وفيه: «قال ابن عبد البر في الاستذكار: لا يختلف أهل العلم في نكارته ووضعه»، وانظر: فتح الباري ٣/ ٦٧.

(٦) في الاصول: بدى.

من البلاد، فظهر إجابة الدعوة الكريمة، وأنها صارت خيرَ أرض الله وأحبَّهَا إليه بعد ذلك ، ولهذا لم يَعُدْ النبي ﷺ إلى مكة بعد فتحها.

فإن قيل: إنما لم يعد إليها لأن الله افترض عليه المقام بدار هجرته، قلنا: لم يكن الله ليفترض عليه المقام بها إلاَّ وهي أفضل، لكرامته عنده، وقد حثَّ ﷺ على الاقتداء به في سكناها والإقامة بها، وقال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[1].

فإن قيل: قال التقي الفاسي[2]: ظن بعض أهل عصرنا أن النبي ﷺ قال: «إن مكة خير بلاد الله» حين خرج من مكة للهجرة، وليس كذلك، لأنَّ في بعض طرق الحديث أن النبي ﷺ قال ذلك وهو على راحلته بالحزوزة، وهو لم يكن بهذه الصفة حين هاجر، لأن الأخبار تقتضي أنه خرج من مكة مستخفياً، ولو ركب بالموضع المشار إليه ـ وهو الذي يقول له عوام مكة: عزورة ـ لأَشْعَرَ[3] ذلك بسفره[4].

قلنا: جاء في رواية لابن زبالة أن النبي ﷺ حين أمره الله بالخروج قال: «اللَّهمَّ إنك أخرجتني. . .» الحديث[5]؛ وقد وقع في رواية لابن حِبَّان[6] في حديث الهجرة: فركبا؟ يعني: هو وأبو بكر، حتى أتيا[7] الغار وهو ثور ؟ فتواريا فيه[8].

---

(١) التاريخ الكبير ٤/ ٢/ ٣٣٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين الفاسي المالكي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٨٣٢هـ، وهو مؤلف كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ١٧٢ وملحقه ٢/ ٢٢١ ومعجم المؤلفين ٨/ ٣٠٠ مع مصادر ترجمته.

(٣) ص: لأنشر.

(٤) انظر: شفاء الغرام ١/ ٧٥ بالنص.

(٥) أعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٩٨ : «اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إليَّ فأسكني أي أحب البقاع إليك» عن المستدرك للحاكم وابن زبالة، وقال فيه: «حديث لا يصح» وذكر الزركشي أقوال ابن عبد البر وابن حزم فيه.

(٦) هو محمد بن حبان البستي المتوفى ببست سنة ٣٥٤هـ، مؤلف كتاب الجرح والتعديل ومشاهير علماء الأمصار ، انظر: بروكلمان ١/ ١٦٤ وملحقه ١/ ٢٧٣ ومعجم المؤلفين ٩/ ١٧٣ مع مصادر ترجمته.

(٧) ص: أتى.

(٨) نقلا من فتح الباري ٧/ ٢٣٦ : "ووقع في رواية هشام بن عروة عند ابن حبان" .

وسيأتي في أحاديث الهجرة ما يقتضي انهما توجها إلى الغار ليلاً بعد أن ذَرَّ ﷺ تراباً على رؤوس جماعة من الكفار كانوا يرصدونه، وقرأ أوائل يس يستتر بها منهم فلم يروه؛ فلا يمنع[1] أن يكون راكباً في هذا الموضع.

وأما أمرُ مَزيدِ المضاعفة لمسجد مكة فجوابه: أنَّ[2] أسباب التفضيل لا تنحصر في المضاعفة؛ ألا ترى إن فعل الصلوات الخمس للمتوجِّه إلى عرفات وظهر يوم النحر بمنىً أفْضَلُ من فعلها بمسجد مكة، وإنْ اشتمل فعلها بالمسجد على المضاعفة إذ في الإتِّباع ما يَرْبو عليها، ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة، كما سيأتي مع قوله بتفضيل المدينة، وغايته أنَّ للمفضول مزيةً ليست للفاضل، ويؤيد ذلك ما سيأتي من أن المضاعفة تعمُّ الفرض والنفل، وان النفل بالبيت أفضل على أنه إنْ أريد بالمسجد الحرام في حديث المضاعفة الكعبة فقط، كما ستأتي[3] الإشارة إليه.

فالجواب: أن الكلام في ما عداها، مع ان دعاءه ﷺ للمدينة بضعفي ما بمكة من البركة، ومع البركة بركتين شاملٌ للأمور الدينية والدنيوية، وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير، ولهذا استُدِلَّ به على تفضيل المدينة لأكثرية المدعو به لها من البركة الشاملة.

ولا يُرَدُّ[4] على ما قررناه ما جاء في فضل الكعبة الشريفة، إذ الكلام في ما عداها، ولهذا روى مالك في الموطأ: أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الله بن عياش المخزومي: أنت القائل: لمكة خير من المدينة؟ فقال عبد الله: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً، ثم قال عمر: أنت القائل: لمكة خير من المدينة؟ فقال: عبد الله: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته، فقال عمر:

---

(١) ص: يمتنع.
(٢) ساقطة من ص.
(٣) ر، ص: سيأتي.
(٤) في الأصول: يورد، وهذا من الأخطاء السماعية وهو دليل على أن النسخة كانت تُملى على الناسخ.

لا أقول في حرم الله ولا في بيت الله شيئاً[١]، ثم انصرف[٢].

وفي رواية لرُزَين[٣]: فاشتد[٤] على ابن عياش، فانصرف.

ولا يرد[٥] أيضاً ما بمكة من مواضع النُسُك لتعلق النسك بالكعبة، وأيضاً فقد عوَّضَ اللهُ المدينة عن العمرة ما سيأتي في مسجد قباء، وعن الحج ما سيأتي مرفوعاً: "من خرج لا يريد إلاَّ الصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة"، وهذا أعظم لكونه أيسر، ويتكرر في اليوم والليلة مراراً والحج لا يتكرر، ويؤخذ منه أنه يضاف إلى ما جاء في المضاعفة بمسجدها الحجة لمن أخلص قصده للصلاة.

ولا يرد أيضاً كونه ﷺ أقام بمكة بعد النبوة أكثر من إقامته بالمدينة على الخلاف فيه، لأنَّ إقامته بالمدينة كانت سبباً في إعزاز دين الله وإظهاره، وبها تقررت الشرائع، وفُرِضت غالب الفرائض، وأكمل الله الدين، واستقر بها ﷺ إلى قيام الساعة.

وقد ثبت في محبته ﷺ للمدينة ما لم يثبت مثله لمكة، وحثَّ على الإقامة والموت بها والصبر على لأوائها وشدتها، كما ستقف عليه، وسيأتي حديث: «اللَّهمَّ لا تجعل منايانا بمكة»[٦]، وحديث: «ما على الأرض بقعةٌ أَحَبُّ إليَّ من أن يكون قبري بها منها» يعني: المدينة، قالها ثلاث مرات[٧].

---

(١) الجملة هنا لم تُكرر كما تبدوا للقارىء، وإنما هي للتأكيد لاختلاف جواب عمر رضي الله عنه.

(٢) انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ والموطــأ للإمام مالك (الطبعة الحجرية) ٣١٢ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ١٩٠ ـ ١٩١.

(٣) هو رزين بن معاوية العبدري السرقسطي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٥٣٥هـ، مؤلف التجريد في الجمع بين الصحاح الستة وكتاب في أخبار مكة، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٦٣٠ ومعجم المؤلفين ٤/ ١٥٦ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٤ مع مصادر ترجمته.

(٤) ر: "فاشير علي [...] انصرف"، ما بين المعقوفتين مطموس فيها، ص: فاشير.

(٥) في الأصول: ولا يورد.

(٦) تحقيق النصرة للمراغي ٢٠٦.

(٧) جامع الأصول ٩/ ٣٢١ عن الموطأ في الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، واسناده منقطع، قال ابن عبد البر: هذا الحديث لا أحفظه مسنداً، ولكن معناه موجود من رواية مالك وغيره.

وقد شرع الله لنا أن نحب ما كان رسول الله ﷺ يحبه وأن نعظم ما كان يعظمه؛ وإذا ثبت تفضيل الموت بالمدينة ثبت تفضيل سكناها، لأنها طريقه.

هذا، وقد روى الطبراني[1] في **الكبير**[2] والمفضل الجندي[3] في **فضائل المدينة**[4] وغيرهما عن رافع بن خَدِيج[5] رضي الله عنه قال سمعت، وفي رواية: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «المدينةُ خيرٌ مِنْ مكة»[6]، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن الرَدَّاد، وقد ذكره ابن حِبَّان في **الثقات** وقال: كان يخطىء، وقال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال أبو زرعة: ليِّن، وقال الأزدي: لا يكتب حديثه، وقال ابن عدي: روايته ليست محفوظة[7]، ولهذا قال ابن عبد البر: هو حديث ضعيف[8]، وفي ما قدمناه غنية عنه.

وفي **الصحيحين** حديث[9]: «أن الإيمان يأرِز إلى المدينة كما تأرِزُ الحيَّة إلى جحرها»[10]، ويأرز: كمسجد، أي: ينقبض ويجتمع وينضم ويلتجيء، وقد رأينا

---

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني المتوفى بأصبهان سنة ٣٦٠هـ، مؤلف **المعجم الكبير**، انظر: بروكلمان ١/١٦٧ وملحقه ١/٢٧٩ و**معجم المؤلفين** ٤/٢٥٣ مع مصادر ترجمته.

(٢) **المعجم الكبير** ٤/٢٨٨، رقم: ٤٤٥٠.

(٣) هو المفضل بن محمد الجندي الشعبي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٣٠٨هـ، مؤلف كتاب **فضائل المدينة** (منه نسخة في الظاهرية، مجموعة (٧١) و **فضائل مكة** ٠ انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٤/٢٥٧ و**معجم المؤلفين** ١٢/٣١٥ وسزكين ١/٣٤٦ مع مصادر ترجمته.

(٤) **فضائل المدينة** ٢٣

(٥) ترجم له ابن الشيخ الأنصاري في **طبقات المحدثين باصبهان** ١/٢٥١ مع مصادر ترجمته.

(٦) **المعجم الكبير** للطبراني ٤/٢٨٨، وأورده الذهبي في **ميزان الأعتدال** ٣/٦٢٣ في ترجمة ابن الرداد، وذكر طرقه. قال: "ليس بصحيح وقد صحَّ في مكة خلافه" وأورده التقي الفاسي في **شفاء الغرام** ١/٧٩ نقلا من معجم الطبراني، وذكر أقوال علماء الحديث فيه، وورد في **إعلام الساجد بأحكام المساجد** للزركشي ١٨٩، وورد في **فضائل المدينة** للجندي ٢٣: «المدينة أفضل من مكة».

(٧) نقل السمهودي أقوالهم من **ميزان الاعتدال** ٣/٦٢٣ بالنص، وفيه: محمد بن عبد الرحمن بن الرداد، وانظر: **إعلام الساجد بأحكام المساجد** للزركشي ١٨٩.

(٨) نقلاً من **إعلام الساجد** ١٨٩ أو من **شفاء الغرام** للتقي الفاسي ١/٧٩، وقول ابن عبد البر هو: "ضعيف الإسناد ولا يُحتجُّ به" وفي **إعلام الساجد** زيادة: «وقيل: إنه موضوع».

(٩) ص: من حديث.

(١٠) انظر: **المعجم المفهرس** ١/٥٢ و**المصنف** ٧/٥٥١، وقد سبق ذكره أكثر من مرة.

كلّ مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لحبه في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة، لأنه في زمنه ﷺ للتعلم منه وفي زمن الصحابة والتابعين للاقتداء بهم، ومن بعد ذلك لزيارتـه وفضل بلده والتبرك بمشاهـدة آثاره، والاتباع له في سكناها.

وروينا في **فضائل المدينة** للجندي حديثَ: «يوشك الإيمان أن يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»، يعني: يرجع إليها الإيمان[1].

وأسند ابن زبالة حديث: «لا تقوم الساعة حتى يُحَازَ الإيمان إلى المدينة كما يَحُوزُ السِّيل الدِّمَنَ».

وقد تقدَّم في الأسماء حديث **الصحيحين**: «أُمرت بقرية تأكل القرى»، يقولون يثرب وهي المدينة[2].

قال ابن المُنَيِّر[3]: يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبة فضلها على فضل غيرها، فمعناه: أن الفضائل تَضْمَحِلُّ في جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدماً، وهذا أبلغ من تسمية مكة: أم القرى، لأن الأمومة لا ينمحي معها ما هي له أم، لكن يكون لها حق الأمومة[4]؛ انتهى.

وجزم القاضي عبد الوهاب[5] بهذا الاحتمال[6].

وروى البزار عن علي رضي الله عنه حديث: «إن الشياطين قد يئست أن تُعبد ببلدي هذا» يعني: المدينة «وبجزيرة العرب، ولكن التحريش بينهم»، وله أصل في

---

(١) **فضائل المدينة** ٢٥.

(٢) **فتح الباري** ٤/ ٨٧ و**مسند الحميدي** ٢/ ٤٨٨.

(٣) ص: ابن المنذر، وابن المنير: هو علي بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندري المعروف بابن المنير المتوفى سنة ٦٩٥هـ، مؤلف **الحاشية على شرح ابن بطال على صحيح البخاري** وغيرها، **معجم المؤلفين** ٧/ ٢٣٤ مع مصادر ترجمته و**سيرة الإمام البخاري** للمباركفوري ١٨٩.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ٤/ ٨٧.

(٥) هو عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي المتوفى بمصر سنة ٤٢٢هـ، مؤلف **التلقين في فروع الفقه المالكي** وغيره، انظر: بروكلمان ملحق ١/ ٦٦٠ و**معجم المؤلفين** ٦/ ٢٢٦ و**سير أعلام النبلاء** ١٧/ ٤٢٩ مع مصادر ترجمته.

(٦) نقلاً من **فتح الباري** ٤/ ٨٧.

صحيح مسلم من حديث جابر[1].

وروى أبو يعلى بسند فيه من أُخْتُلِفَ في توثيقه وبقية رجاله ثقات عن العباس رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت إليها وقال: إن الله قد بَرَّأ[2] هذه الجزيرة من الشرك[3]، وفي رواية: إن الله قد طهَّر هذه القرية من الشرك[4] إن لم تضلهم النجوم، قالوا[5]: يا رسول الله، كيف تضلهم النجوم؟ قال: ينزل الله الغيث فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا[6].

وقد تقدم في الأسماء تسميتها بـ: **المؤمنة والمسلمة** وانه لا مانع من إجرائه على ظاهره فهو مقتضٍ للتفضيل سيما وسببه ما سبق من كونه ﷺ خُلِقَ من تربتها.

وقد استدل أبو بكر الأبهري[7] من المالكية على تفضيلها على مكة بما سبقت الإشارة إليه من أن النبي ﷺ: «مخلوق من تربة المدينة[8] وهو أفضل البشر، فكانت تربته أفضل الترب»[9].

قال الحافظ ابن حجر: وكون تربته أفضل الترب لا نزاع فيه، وإنما النزاع هل يلزم من ذلك أن تكون المدينة أفضل من مكة لأن المجاور للشيء[10] لو ثبت

---

(١) سنن البزار ٣/ ١٣١، ٣٢٢ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٤ عن صحيح مسلم ٨/ ١٣٨ (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ـ باب تحريش الشيطان) ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٣٦٣ مع المصادر التي ذكرته.

(٢) س: "قد برأ أهل هذه".

(٣) مسند أبي يعلى ١٢/ ٧٠، ٧٧ (٦٧٠٩، ٦٧١٤) ومجمع الزوائد ٨/ ١١٤.

(٤) في الحديث زيادة: "ولكن أخاف أنْ. . ."، انظر: المطالب العالية لابن حجر ١/ ١٨٤ مثلاً.

(٥) العبارة: «قالوا: يا رسول الله. . . كذا وكذا» سقطت من ص.

(٦) البخاري: أذان ١٥٦، استسقاء ٢٨، مغازي ٣٥؛ مسلم: إيمان ١٢٥؛ ابو داود: طب ٢٢؛ الترمذي: تفسير سورة ٥٦؛ النسائي: استسقاء ١٦، الدارمي: رقاق ٤٩ وورد في الموطأ وفي مسند أحمد.

(٧) هو محمد بن عبد الله الأبهري المالكي المتوفى سنة ٣٧٥هـ، مؤلف كتاب فضل المدينة على مكة الذي لم يصل إلينا بعد، وعن الأبهري، انظر: سزكين ١/ ٤٧٧ ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٤١ مع مصادر ترجمته

(٨) انظر: فتح الباري ٣/ ٦٨، ١٣/ ٣٠٨.

(٩) نقلاً من فتح الباري ١٣/ ٣٠٨.

(١٠) «أن تكون المدينة [. . . .] للشيء»، ما بين المعقوفتين مطموس في ر بفعل الرطوبة.

له جميع مزاياه لكان لمجاورِ[1] ذلك المجاور نحو ذلك، فيلزم أنْ يكون ما جاور المدينة أفضل من مكة، وليس كذلك اتفاقاً؛ كذا أجاب به بعض المتقدمين، وفيه نظر[2]، انتهى.

قلت: لم يبين وجه النظر، ولعل وجهه أن الأفضل لقوة أصالته في الفضل يفيد مجاوِرَهُ الأفضلية لمزية هذه المجاورة الخاصة، وهي منتفية عن مجاور المجاور؛ ألا ترى أن جلد المصحف قد ثبت له مزية التعظيم للمجاورة، ولم يلزم[3] ثبوت نحوها لمجاوره؟ وأيضاً فالمقتضي لتفضيل المدينة خَلْقُهُ ﷺ من تربتها[4]، وهذا لا يوجد لمجاورها، والله أعلم.

---

(١) ص: لجار.

(٢) نقلاً من فتح الباري ١٣/٣٠٨ وانظر أيضاً: ٣/٦٧ ـ ٦٨.

(٣) ص: ولم يلزم من ذلك.

(٤) فتح الباري ٣/٦٨.

الفصل الثاني

في الحث على الإقامة بها والصبر على لأوائها وشدتها وكونها تنفي الخبث والذنوب ووعيد من أرادها وأهلها بسوء أو أحدث بها حدثاً أو آوى محدثاً

روينا في الصحيحين حديث: «من صَبَرَ على لأوائها وشدتها كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد[2] مولى المهري أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرَّة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثْرَةَ عِيالِه، وأخبره أنْ لا صَبْرَ له على جَهْد المدينة ولأوائها، فقال: ويحك! لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر أحدٌ»[3] وفي رواية: «لا يثبت أحَدٌ على لأوائها وجَهْدها إلاَّ كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة».

وفي رواية: فقال أبو سعيد: لا تفعل، الزم المدينة، وذكر الحديث بزيادة قصتة[4].

وفي مسلم والموطأ والترمذي عن يُحَنَّسَ[5]، مولى مصعب بن الزبير[6]،

---

(١) المعجم المفهرس ٦/٧٨ والمعجم الكبير للطبراني ٢٣/١٤١.

(٢) ص: عن سعيد.

(٣) ص: لا يصبر دون أحد.

(٤) صحيح مسلم ٤/١١٧، ١١٨.

(٥) ص: نجيس.

(٦) في صحيح مسلم ٤/١١٩ «مولى الزبير»، وفي حديث آخر «مولى مصعب» وفي المعجم الكبير =

أنه كان جالساً عند ابن عمر في الفتنة، فأتته مولاة له[1] تُسَلِّمُ عليه، فقالت: إني أردت الخروجَ يا أبا عبد الرحمن؛ اشتدَّ علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدي لكَاعِ[2]، ولفظ الترمذي: "اصبري لكاع"، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبرَ على لأوائها وشدتها أحدٌ إلاَّ كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة»[3].

فإن قيل: ما معنى الترديد في قوله: شفيعاً أو شهيداً؟ وما معنى هذه الشفاعة مع عموم شفاعته ﷺ؟

قلنا: ذكر عياض ما ملخصه: أن بعض مشايخه جعل "أو" للشك من الراوي، وأن الظاهر خلافه لكثرة رواته بذلك، بل الظاهر أنه من لفظه ﷺ فإما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا، وإما أن تكون أو للتقسيم، ويكون شفيعاً للعاصين وشهيداً للمطيعين، أو شهيداً لمن مات في حياته وشفيعاً لمن مات بعده[4].

قال: وهذه الشفاعة أو الشهادة زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاصين[5] في القيامة وعلى شهادته على جميع الأمم، فيكون لتخصيصهم بذلك مزية وزيادة منزلة وحظوة؛ قال: ويحتمل أن يكون أو بمعنى الواو[6].

قلت: ويدلُّ له ما رواه البزَّارُ برجال الصحيح عن عمر رضي الله عنه بلفظ: فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة.

وأسند ابن النجار بلفظ: «كنت له شفيعاً وكنت له شهيداً يوم القيامة»[7].

وأسنده المفضل الجَنَدي في فضائل المدينة عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: «لا

= ١٢/٣٤٧ "مولى الزبير" عن ابن عمر.

(١) سقطت من الأصول وهي في صحيح مسلم.

(٢) أي: يا حمقاء.

(٣) صحيح مسلم ٤/١١٩ والموطأ ٢٠٩ (الطبعة الحجرية) "اقعدي لكع" وجامع الأصول ٩/٣١٥ والمعجم الكبير للطبراني ١٢/٣٤٧ ورواه أحمد أكثر من مرة والترمذي ٤٠١١.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٥) في الأصول: للعالمين، وفي إعلام الساجد بأحكاتم المساجد ٢٥٠ «للعاصين» وهو الصواب.

(٦) نقلاً حرفياً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٠ واسقط بعد: "على جميع الأمم: «وقد قال في شهداء أحد: أنا شهيد على هؤلاء» فيكون لتخصيصهم. . ." وكل هذا من قول القاضي عياض.

(٧) الدرة الثمينة ٢، ٣٣٥.

يصبر أحد على لأواء المدينة»، وفي نسخة: «وحرِّها إلاَّ كنت له شفيعاً وشهيداً»[١].

قال القاضي[٢]: وإذا جعلنا "أو" للشك، فإن كانت اللفظة "شهيداً" فالشهادة أمر زائد على الشفاعة المجردة المدخرة لغيرهم من الأمة، وإن كانت اللفظة شفيعاً فهذه شفاعة غيرالعامة تكون لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو[٣] تخفيف الحساب أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواعٍ من الكرامات كإيوائهم في ظِلِّ العرش أو كونهم في رَوْحٍ وعلى منابر أو الإسراعَ بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات[٤].

قلت: ويُحتَمل أن يجمع لهم ببركة شفاعته ﷺ أو شهادته الخاصة بين ذلك كله، فالجاه عظيم والكرم واسع، وتأكيد الوصية بالجار يؤيد ذلك، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد مع ذلك البشرى بموتهم على الإسلام؛ لأنَّ شفاعته وشهادته ﷺ المذكورة خاصة بالمسلمين، وكفى بذلك نعمة ومزية، وستأتي الإشارة إلى نحو ذلك في أول الباب الثامن.

وفي الموطأ والصحيحين حديث: «تفتح اليمن فيأتي قوم يَبُسُّونَ فيتحملون بأهليهم[٥] ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[٦]، الحديث.

وقوله: يَبُسون ـ بفتح المثناة التحتيّة أوله وضم الباء الموحدة وكسرها ـ ويقال: بضم المثناة وكسر الموحدة ـ أي: يسوقون بَهائِمَهُم سوقاً شديداً، وقيل: البَسَّ: أيضاً سرعة الذهاب[٧].

وفي مسلم حديث: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه أو قريبه:

---

(١) فضائل المدينة ٢٨: "على لأوائها وشدتها أحد...".
(٢) يريد: القاضي عياض.
(٣) ص: وتخفيف.
(٤) اختصر السمهودي هنا قول القاضي عياض الوارد في شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٣.
(٥) في الأصول: بأهلهم.
(٦) فتح الباري ٤/ ٩٠ وصحيح مسلم ٤/ ١٢٢ والموطأ ٣٠٩ ـ ٣١٠.
(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٢٦ ـ ١٢٧.

هَلُمَّ إلى الرخاء! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لـو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم[1] أحد رغبةً عنها إلا أخْلَفَ الله فيها خيراً منه، ألا إنَّ المدينة كالكير[2] تخرج الخبث؛ لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارَها كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد»[3].

وفي الصحيحين: أُمِرتُ بقريةٍ تأكُلُ القُرى، يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناسَ كما ينفي الكير خَبَثَ الحديد[4].

وفي رواية لابن زبالة: إن المدينة تنفي خبث الرجال[5].

وفي رواية: خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد.

وفي صحيح البخاري حديث: «إنها طَيْبَة[6] تنفي الذنوب كما ينفي الكير[7] خبث الفضة»[8].

وفي الصحيحين قصة الأعرابي الذي بايع وجاء من الغد محموماً فقال: «أَقِلْني بيعتي، فأبى ﷺ، فخرج الأعرابي فقال ﷺ: إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتَنصَعُ[9] طَيِّبَها»[10].

---

(١) "منهم" ساقطة من الأصول ومن الدرة الثمينة ٣٣٤، وهي في مسلم مما يُظهر أن السمهودي ينقل من الدرة مباشرة وليس من صحيح مسلم.

(٢) كير الحداد: وهو المبني بالطين، وقيل: منفخه من زِقٍّ أو جلد غليظ ذي حافات، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢١٧ وتاج العروس.

(٣) جامع الأصول ٨/ ٢٣٤ عن البخاري ومسلم والترمذي، وانظر: صحيح مسلم ٤/ ١٢٠، ورواه ابن النجار في الدرة الثمينة ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٢٠، جامع الأصول ٩/ ٣٢٠ عن البخاري ومسلم والموطأ.

(٥) جامع الأصول ٨/ ٢٣٤ عن البخاري ومسلم والترمذي.

(٦) صحيح مسلم ٤/ ١٢١ "يعني المدينة".

(٧) فتح الباري ٧/ ٣٥٦: "كما تنفي النار".

(٨) انظر صحيح مسلم ٤/ ١٢١ وجامع الأصول ٩/ ٣٢٠ وفتح الباري ٧/ ٣٥٦.

(٩) الناصع: الخالص من كل شيء، ونَصَع الثوب: اشتدَّ بياضه وخَلَصَ من الدَّرَن.

(١٠) صحيح مسلم ٤/ ١٢٠ ـ ١٢١ وفتح الباري ٤/ ٩٦ وفسر معنى: "تنصع" واختلاف العلماء في معناها، والمصنف ٧/ ٥٥١ والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٢١٧، ٥/ ٦٥ بتخفيف الياء في: «طيبها» في كليهما.

قوله: أقلني بيعتي، أي: انقض العهدَ حتى أرجع إلى وطني، وكأنه كان قد بايع على هجرة الإقامة.

وقوله: «تنفي خبثها، يحتمل أن يكون بمعنى الطرد والإبعاد لأهل الخبث، وقصة الأعرابي المذكور ظاهرة فيه، وخَصَّه ابنُ عبد البر بزمنه[1] ﷺ والظاهر ـ كما قال النووي ـ: عدم التخصيص»[2].

ففي الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها» يعني: عند ظهور الدجال[3].

وسيأتي في الفصل الخامس، في حديث أحمد وغيره برجال الصحيح، قصة خروج مَنْ بالمدينة من المنافقين إلى الدجال؛ ثم قال: «وذلك يوم التخليص، ذلك يوم تنفي المدينة الخبث»[4].

وقال عمر بن عبد العزيز، مشفقاً إذ خرج منها، لمن معه: أتخشى أن تكون ممن نفت المدينة[5]؟ وقد طهَّرها الله تعالى ممن كان بها من أرباب الأديان المخالفين لدين الإسلام، وأهْلَكَ مَنْ كان بها من المنافقين.

وهؤلاء هم أهل الخبث الكامل، ومَنْ عداهم من أهل الخبث والذنوب قد يكون طرده وإبعاده إن استمر على ذلك بآخرة الأمر بنقل الملائكة له إلى غيرها من الأرض كما أشار إليه الأقشهري[6]، قال: ويكون قوله: «تنفي خبثها، وتنفي

---

(١) هذا قول القاضي عياض كما ورد في فتح الباري ٤/٨٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٥/١٦٧، وهذا القول للنووي كما في فتح الباري ٤/٨٨ أيضاً وإعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه وفتح الباري ٤/٨٨..

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢٥/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧ حديث الدجال بطوله.

(٥) الموطا ٣١٠: «أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة التفت إليها فبكى ثم قال: يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة»، وفي المغانم المطابة ص١٤٧: عن يعقوب بن عتبة قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه حين عُزل عن المدينة إلى الشام، فكان كثيراً ما يقول لي: يا يعقوب أتخشى أن تكون من المنفيين فأقول لا إن شاء الله.

(٦) الروضة الفردوسية ورقة ٢٣أ، وهو محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري (نسبة إلى آق شهر) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٣١هـ، وله الروضة الفردوسية ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة دحداح، =

الذنوب» أي: أهل ذلك، على طريقة حذف المضاف؛ ويحتمل أن يكون بمعنى طرد أهل الخبث الكامل، وهم أهل الشقاء والكفر، لا أهل السعادة والإسلام؛ لأنَّ القسم الأول ليس قابلاً للشفاعة ولا للمغفرة، وقد وعد ﷺ من يموت بها بالشفاعة[1] فوجب انتفاء القسم الأول منها، ويحتمل أن يكون بمعنى تخليص النفوس من شرهها وميلها إلى اللذات بما فيها من اللأواء والشدة.

ويؤيده رواية: «إنها طيبة تنفي الذنوب» الحديث، ويكون نفيها للذنوب على ظاهره، سيما وقد اشتملت على عظيم المضاعفات وتنوّع المَثُوبات وتوالي الرحمات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2] مع ما لأهلها من الشهادة أو الشفاعة الخاصة وما بها من تضاعف البركات.

ويحتمل أن يكون بمعنى أنه لا يخفى حال من انطوى فيها على خَبَثٍ، بل تظهر طويته كما هو مُشَاهَد بها، ولم أرَ الآن مَنْ نَصَّ على هذا الاحتمال، وهو في حفظي قديماً، ويؤيده ما في غزوة أحد في **الصحيح** من أنه ﷺ لمَّا خرج إلى أحد رَجَع ناس من أصحابه ـ أي: وهم المنافقون ـ فقال ﷺ: «المدينة كالكير» الحديثَ، ولهذا سُمِّيت بـ: **الفاضحة** كما قدمته؛ مع أن الذي ظهر لي من مجموع الأحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة أنها تنفي خبثها بالمعاني الأربعة.

وقوله: «وتنصع»[3] بالفوقانية المفتوحة والنون والمهملتين كـ: «تَمنع»، أي: تخلص[4]، والناصع: الخالص الصافي[5]، و"طَيِّبَها": بفتح الطاء والتشديد منصوباً على أنه مفعول، هذا هو المشهور فيه[6]، والله أعلم.

= بروكلمان: ملحق ٢/٩٢٨ وأخرى بخطه في برلين برقم: Or. 2082 وانظر: **معجم المؤلفين** ٨/٢٣٥ **والتاريخ والمؤرخون بمكة** لمحمد الحبيب الهيلة ٦١ ـ ٦٤.

(١) يشير للحديث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها»، **المصنف** ٧/٥٥٠.

(٢) سورة هود ١١٤.

(٣) م٢: تصنع.

(٤) في **المغانم المطابة** ص١٤٣: «تنصع: بالنون والصاد المهملة كيمنع أي: يخلص ويتصفى».

(٥) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٤٣.

(٦) فصَّل ابن حجر القول في تفسير اللفظ في **فتح الباري** ٤/٩٦ كما سبق.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في تحريم المدينة مرفوعاً: «ولا يُريدُ أَحَدُ أهلَ المدينةِ بسوءٍ إلاَّ أذابه الله في النار ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أو ذوب الملح في الماء»[(١)].

قال عياض: قوله: «في النار»: يدفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها هذه الزيادة، ويبين أن هذا حكمه في الآخرة[(٢)].

قال: وقد يكون المراد به أنَّ مَنْ أرادها في حياة النبي ﷺ كُفِيَ المسلمون أمره واضمحلَّ كيده، كما يضمحل الرصاص في النار.

قال: ويحتمل أن يكون المراد مَنْ كادَهَا اغتيالاً وطلباً لغرتها فلا يتمُّ له أمر، بخلاف من أتى ذلك جهاراً[(٣)].

قال: وقد يكون في اللفظ تقديم وتأخير، أي: أذابه الله كذوب الرصاص في النار، ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطاناً، بل يُذهبه عن قرب، كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أميَّة مثل مسلم بن عقبة[(٤)]، فأُهْلِكَ في منصرفه منها، ثم هلك يزيد بن معاوية مُرْسِلُه على أثر ذلك، وغيرهما ممن صنع صنيعهما[(٥)]، انتهى.

وهذا الاحتمال الأخير هو الأرجح، وليس في الحديث ما يقتضي أنه لا يتم له ما أراد منهم، بل الوعد بإهلاكه، ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى زماننا هذا لما تظاهرت طائفة العياسى[(٦)] بإرادة السوء بالمدينة الشريفة لأمر اقتضى خروجهم

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٣ وبعضه في مسند الحميدي ٢/ ٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) فتح الباري ٤/ ٩٤.

(٤) هو مسلم بن عقبة المري صاحب وقعة الحرة وهي حرة زهرة بموضع يعرف بواقم، وخبرها مشهور في التاريخ، كان على رأس الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية، فاستباح المدينة المنورة ثلاثة أيام، ومات منصرفه منها سنة ٦٤ هـ، وسيأتي كلام السمهودي عنها، وانظر: خلاصة الوفا ٧٤ ومعجم البلدان ٢/ ٢٤٩ مثلاً.

(٥) نقل السمهودي أقوال القاضي عياض من شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٦) ر: العيات، س: العاسى، خ: العباسي، ص: العباسي، وكتب فوقها: العياشي. والعياسى هم الأشراف بنو عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني وهو جد العياسى، التحفة اللطيفة ٢/ ٣٦٦=

منها حتى[1] أهلك الله تعالى عُتَاتهم مع كثرتهم في مدة يسيرة.

وقد يقال: المراد من الأحاديث الجمع بين إذابته بالإهلاك في الدنيا وبين إذابته في النار في الأخرى، والمذكور في هذا الحديث هو الثاني، وفي غيره الأول.

ففي روايةٍ لأحمد برجال الصحيح من جملةِ حديثٍ: «من أرادها بسوء»، يعني: المدينة أذابه الله كما يذوب الملح في الماء[2].

وفي فضائل المدينة للجندي حديث: «أيما جَبَّارٍ أراد المدينة بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح في الماء»[3].

وفي روايةٍ لـ: مسلم من أراد أهلَ هذه البلدة بسوءٍ ـ يعني: المدينة ـ أذابه الله كما يذوب الملح في الماء[4].

وفي روايةٍ له أيضاً: «من أراد أهلَ هذه البلدة بدَهْمٍ أو بسوءٍ»[5].

وروى البزار بإسنادٍ حَسَنٍ حديثَ: «اللهمَّ اكْفِهِمْ مَنْ دَهَمَهم ببأس»، يعني: أهل المدينة، ولا يُريدها أحَدٌ بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء.

وقوله: "دهمهم" محركاً أي: غشيهم بسرعة.

وقوله في الحديث قبله: "بدهمٍ" بفتح أوله وإسكان ثانيه، أي: بغائلة وأمرٍ عظيم، ولذا قيل: المراد غازياً مغيراً عليها.

= وقد ورد فيها محرفاً: "وهو جد العباسي"، ومثل ذلك في ترجمة ضغيم بن خشرم ومقتل القاضي الزكوي ١/ ٤٦٤ فقال: "بسبب أخذ دار الأشراف العباسيين"، أي: العياسى، وذكر السخاوي هذه الحوادث في ترجمة ضغيم هذا.

(١) ساقطة من: ر، خ، ص.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٢١.

(٣) فضائل المدينة ٢٨.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٢١ وفضائل المدينة ٢٩.

(٥) المصدر نفسه ٤/ ١٢٢، جامع الأصول ٩/ ٣٢٥ ورواه البخاري في فضائل المدينة، والدهم: الجماعة من الناس، وأمر دَهْم، أي: عظيم، كأنه قد دَهَمَ، أي: جاء بغتةً، وهو من الدهمة وهي السواد.

وفي **البخاري** حديث: «لا يكيد أهلَ المدينةِ أَحَدٌ إلاّ انماع[1] كما يَنْمَاعُ الملح في الماء»[2].

وأسند ابن زبالة عن سعيد بن المسيب أنَّ رسول الله ﷺ أشرف على المدينة فرفع يديه حتى رؤي[3] عُفْرَة[4] إبطيه ثم قال: «اللَّهُمَّ مَنْ أرادني وأهلَ بلدي بسوء فعَجِّلْ هلاكه».

وروى الطبراني في **الأوسط** برجال **الصحيح** حديث: «اللهمَّ من ظلم أهلَ المدينةِ وأخافَهم فأَخِفْهُ وعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ[5] ولا عَدْل»[6].

وفي رواية لغيره: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة، وغَضِبَ عليه، ولم يقبل منه صَرْفاً ولا عدلاً»[7].

وروى **النسائي** حديث: «من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله، وكانت عليه لعنة الله. . . » الحديث، ولابن حبان نحوه[8].

وروى **أحمد** برجال **الصحيح** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ أميراً من أمراء الفتنة قَدِمَ المدينة، وكان قد ذهب بصر جابر، فقيل لجابر: لو تنحيَّت[9] عنه، فخرج يمشي بين ابنيه، فنكب[10]، فقال: تَعِسَ مَنْ أخاف رسول الله ﷺ!

---

(١) انماع: ذاب، وماع الشيء: سال وجرى ومثله تميَّع.

(٢) انظر: **جامع الأصول** ٩/ ٣٢٥ عن البخاري ومسلم، ورواه ابن النجار في **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٣٥ نقلاً من صحيح البخاري.

(٣) ص: راى.

(٤) العفرة: بياض ليس بالناصع، ولكن كلون عَفَر الأرض، **النهاية في غريب الحديث** ٣/ ٢٦١.

(٥) ص: صرفا.

(٦) **المعجم الكبير** ٧/ ١١٤.

(٧) **المصنف** لابن أبي شيبة ٧/ ٥٥١ **والمعجم الكبير** للطبراني ٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤ (أرقام ٦٦٣١ ـ ٦٦٣٧).

(٨) نقلا من **فتح الباري** ٤/ ٩٤.

(٩) أي: لو تفاديته وابتعدت عنه.

(١٠) نكب: عثر، ومنه نَكِبَتْ إصبعه: أي نالتها الحجارة، **النهاية في غريب الحديث** ٥/ ١١٣.

فقال ابناه، أو أَحَدُهُمَا: يا أبتِ[١]، فكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف أهلَ المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيْ»[٢].

قلت: والظاهر أنَّ الأمير المُشَار إليه هو بُسْر بن أرطَاَة.

فإنَّ[٣] القرطبي[٤] ذكر في رواية ابن عبد البر: أنَّ معاوية رضي الله عنه بعد تحكيم الحكمين أرسَلَ بُسْر بن أرطَاة في جيش، فقدموا المدينة، وعاملها يومئذٍ لعلي رضي الله عنه أبو أيُّوبَ الأنصاري رضي الله عنه، ففرَّ أبو أيوب ولحق بعلي، ودخل بسر المدينة وقال لأهلها: والله لولا ما عَهِد إليَّ أمير المؤمنين ما تركت فيها محتلماً إلاَّ قتلته، ثم أمرَ أهلَ المدينة بالبيعة لمعاوية، وأرسل إلى بني سلمة فقال: ما لكم عندي أمانٌ ولا مبايعةٌ حتى تأتوني[٥] بجابر بن عبد الله، فأُخبر جابر، فانطلق حتى جاء أمَّ سلمة زوج النبي ﷺ، فقال لها: ماذا تَرَيْنَ؟ فإني أخشى أن أُقتل، وهذه بيعة ضلالة[٦]! فقالت: أرى أنْ تُبايع، وقد أمرتُ ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع فأتى جابر بسراً فبايعه، وهدَّم بسر دوراً بالمدينة، ثم انطلق[٧].

وفي رواية ستأتي في الفصل الخامس عشر: أن أهل المدينة فَرُّوا يومئذٍ حتى دخلوا الحَرَّة؛ حَرَّة بني سليم[٨]، والله أعلم.

وفي الكبير للطبراني حديث: «من آذى أهلَ المدينة آذاه الله، وعليه لعنة الله

---

(١) ص: يا ابة.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٥٠، ٤٩٨وذكره السهيلي في الروض الأنف، انظر ما نقله وستنفيلد منه في: السيرة النبوية ٢/ ١٦٠.

(٣) ص: قال.

(٤) لعله أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المتوفى بالاسكندرية سنة ٦٥٦هـ، مؤلف مختصر الصحيحين والمُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم والتذكرة في ذكر الموتى وأحوال الآخرة وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ٣٨٤ وملحقه ١/ ٦٦٤ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٧ مع مصادر ترجمته.

(٥) ص: تأتوا.

(٦) خ: ضلال.

(٧) والخبر في المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ والاستيعاب لابن عبد البر (بهامش الإصابة لابن حجر) ١/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٨) حرة بني سليم: قال ياقوت: قرب المدينة و"هي وحرة ليلى وحرة شوران في عالية المدينة" معجم البلدان ٢/ ٢٤٦.

والملائكة والناس أجمعين، ولا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ».

وروى ابن النجار حديث: «من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[1]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وفي الصحيحين في أحاديث تحريم المدينة: «فمن أَحْدَثَ فيها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفاً ولا عَدْلاً»[2].

ولفظ البخاري: «لا يُقْبَلُ منه صرف ولا عدل».

قيل: الصرف: الفريضة، والعدل: التطوع، ونقل عن الجمهور.

وقيل عكسه، وقيل: الصرف: التوبة، والعدل: الفدية.

قيل: والمعنى لا تُقبل فريضته ونافلته أو توبته قَبُولَ رضىً، ولا يجد في القيامة فداء يفتدي به من يهودي أو نصراني، بخلاف سائر المذنبين. وقيل: غير ذلك[3].

ومعنى هذا اللَّعنِ: المبالغة في الإبعاد عن رحمة الله تعالى والطَّردِ عن الجنة أول الأمر لأنه كلَعْن الكفَّار[4].

قال القاضي: ومعنى قوله: «من أحدث فيها حدثاً...» إلى آخره: من أتى فيها إثماً أو آوى من أتاه وضَمَّه إليه وحَمَاه، وآوى بالمد والقصر[5].

قال: واستدلُّوا به على أنَّ ذلك من الكبائر؛ لأنَّ اللَّعْنَةَ لا تكون إلاَّ في كبيرة[6].

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٥.

(٢) فتح الباري ٤/ ٨١ ١٣/ ٢٧٥/ ٢٨١ وانظر: المعجم المفهرس ١/ ٤٣٤ عند البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وأحمد.

(٣) كلُّ ذلك نقله السمهودي من صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ١٥٥ وانظر: فتح الباري ٤/ ٨٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) بالنص في صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ١٥٥، وفيه: "ويقال: أوى وآوى بالقصر والمد...".

(٦) بالنص في المصدر نفسه.

قلت: فيستفاد[1] منه أنَّ إثم[2] الصغيرة بها كإثم[3] الكبيرة بغيرها؛ لِصِدق الإثم بها، بل نقل الزركشي عن مالك رحمه الله ما يقتضي شمول الحديث المذكور للمكروه[4] كما بيَّناه في الأصل، وذلك لأنَّ الإساءة بحضور الملك ليست كالإساءة في أطراف المملكة.

وفقنا الله تعالى لحسن الأدب في هذه الحضرة.

---

(١) ص: ويستفاد.

(٢) ص: اسم، وهذا دليل على أن الناسخ كان يكتب ما يُملى عليه بلهجة حجازية ـ مصرية.

(٣) ص: كاسم.

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٧٢، ٣٥٧ وهو يشير هنا إلى قول مالك لعبد الرحمن بن مهدي: «أتفعل مثل هذا؟» لأنَّ ابن مهدي وضع شيئاً كان عليه بين الصفوف فأمر مالك فأُخذ.

الفصل الثالث

في الحث على حفظ أهلها وإكرامهم والتحريض على الموت بها واتّخاذ الأصل

روينا في كتاب ابن النجار عن مَعْقل بن يَسَار، قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة مُهَاجَرِي، فيها مَضْجَعي، وفيها مَبْعَثي، حَقِيقٌ على أُمَّتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر، مَنْ حفظهم كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة، ومن لم يحفظهم سُقي من طينة الخَبَال».

قيل للمزني: ما طينة الخبال؟ قال: عُصارة أهل النار[1].

قلت: قال بعضهم: المراد بالمزني: مَعْقِل بن يَسَار، وتفسير طينة الخبال بذلك رفعه مسلم[2].

والحديث في الكبير للطبراني بسندٍ فيه متروك، ولفظه: المدينة مهاجري ومضجعي في الأرض، حق على أمتي أن يكرموا جيراني ما اجتنبوا الكبائر، فمن لم يفعل ذلك منهم سقاه الله من طينة الخَبَال، قلنا: يا أبا يسار! وما طينة الخبال؟

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٦ بالنص والتعريف للمطري ١٤ ـ ١٥ عن ابن النجار، وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/٣٦٧: «طينة الخبال: صديد أهل النار».

(٢) صحيح مسلم ٦/ ١٠٠ (كتاب الأشربة) "قال رسول الله ﷺ: كلُّ مُسكِرٍ حَرامٌ إنَّ على الله عز وجلَّ عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عَرَقُ أهل النار أو عُصَارة أهل النار".

قال: عُصارة أهل النار[1].

وروى القاضي أبو الحسن علي الهاشمي[2] في فوائده عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله: «المدينة مُهَاجِرِي وفيها مَضْجَعي، ومنها مَخْرَجي، حَقٌّ على أمتي حِفْظَ جيراني فيها، مَنْ حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة، ومن ضَيَّعها، أورده الله حوضَ الخَبال، قيل: وما حوض الخبال يا رسول الله قال: حوضٌ من صديد أهل النار»[3].

وروى ابن زبالة عن عطاء بن يسار وغيره حديثَ: «إنَّ الله جعل المدينة مهاجري، وفيها[4] مضجعي، ومنها مبعثي، فحقٌّ على أمتي حفظ جيراني ما اجتبنوا الكبائر، فمن حفظ فيهم حرمتي كنت له شفيعاً يوم القيامة، ومن ضَيَّعَ فيهم حرمتي أورَدَهُ الله حوض الخَبَال»[5].

وفي رواية له: «المدينة مهاجري وبها وفاتي ومنها محشري، وحقيقٌ على أمتي أن يحفظوا جيراني ما اجتنبوا الكبيرة، من حفظ فيهم حرمتي كنت له شهيداً أو شفيعاً[6] يوم القيامة».

وفي مدارك عياض، قال محمد بن مسلمة: سمعت مالكاً يقول: دخلت على المهدي[7] فقال: أوصِنِي، فقلت: أوصيك بتَقْوَى الله وَحْدَهُ، والعَطْفِ على أهل

---

(1) التعريف للمطري ١٤ ـ ١٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.
(2) هو تاج الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي الغرّافي الشريف الهاشمي، محدِّث الإسكندرية المتوفى سنة ٧٠٤هـ، حدَّث عنه ابن النجار في الدرة الثمينة والمطري في التعريف والسبكي في طبقات الشافعية، وترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/ ١٧ والسيوطي في حسن المحاضرة ١/ ٣٨٧ وابن القاضي في درة الحجال ٣/ ٢١٥، ٢١٦ وابن العماد في شذرات الذهب ٦/ ١٠ والذهبي في المعجم المختص ١٨٥.
(3) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٦ بالنص والتعريف للمطري ١٤ ـ ١٥ عن ابن النجار.
(4) ر: وبها.
(5) صحيح مسلم ٦/ ١٠٠ (كتاب الأشربة).
(6) ص: وشفيعاً.
(7) هو الخليفة المهدي بن المنصور العباسي، تولى الخلافة سنة ١٥٨هـ وتوفي سنة ١٦٩هـ، انظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ٦٩ ـ ٧٢.

بلد رسول الله ﷺ وجيرانه، فإنه بَلَغنا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المدينة مُهَاجَرِي ومنها مبعثي وبها قبري وأهلها جيراني، وحقيقٌ على أمتي حفظ جيراني؛ فمن حفظهم فيَّ كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيَّتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال»[1].

وروى مالك في الموطأ: أن النبي ﷺ كان جالساً وقَبْرٌ يُحْفَرُ بالمدينة، فاطَّلَعَ رجل في القبر فقال: بئسَ مضجع المؤمن! فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما قلتَ»! قال الرجل: إني لم أُرِدْ هذا؛ إنما أردتُ القتلَ في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا مِثْلَ للقتل في سبيل الله، ما على الأرض بُقْعَةٌ أحبُّ إليَّ من أن يكون قبري بها منها» يعني: المدينة؛ ثلاث مرات[2].

وروى ابن شَبَّة في أخبار مكة عن سعيد بن أبي هند قال: «سمعت أبي يذكر أن النبي ﷺ كان إذا دخل مكة قال: اللهمَّ لا تجعل منايانا بمكة حتى نخرج منها»[3].

ورواه أحمد في مسنده برجال الصحيح عن ابن عمر مرفوعاً، إلاَّ أنه قال: «حتى تُخْرِجَنَا منها»[4].

وروى مالك والبخاري ورُزَين العَبْدَري[5]: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهمَّ ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك[6]، زاد رزين: أنَّ ذلك كان من أَجَلِّ[7] دعاء عمر.

---

(١) ترتيب المدارك ١/ ٦٠ والتعريف للمطري ١٤ ـ ١٥ والتحفة اللطيفة للسخاوي ٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢.

(٢) انظر: التعريف للمطري ١٥ وجامع الأصول ٩/ ٣٢١ عن الموطأ في الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، واسناده منقطع، قال ابن عبد البر: هذا الحديث لا أحفظه مسنداً، ولكن معناه موجود من رواية مالك وغيره.

(٣) تحقيق النصرة للمراغي ٢٠٦.

(٤) مسند أحمد ٢/ ٣٤، ١٦٨.

(٥) هو رزين بن معاوية العبدري الأندلسي، وقد سبق التعريف به.

(٦) جامع الأصول ٩/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ ولم يذكر الزيادة في رواية رزين والتاريخ الكبير ٣/ ١/ ١٣٢.

(٧) من أجلِّ: من أعظم.

وسَبَقَ ما جاءَ في أنَّ الإنسانَ يُدْفَنُ في التربة التي خُلِقَ منها؛ فالنبي ﷺ وأكثر أصحابه وأفضلهم خلقوا من تربة المدينة، وقد ثَبَتَ حديث: «من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة».

ورواه البيهقي[1] بلفظ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فَلْيَمُتْ، فمن مات بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً»[2].

وفي رواية له: فإنه مَنْ يَمُتْ بها أَشْفَعْ له أو أشهد له، وقد ذكر هذه الرواية ابنُ حِبَّان في صحيحه.

وروى الترمذي وابن حبان في صحيحه وابن ماجه والبيهقي وعبد الحق[3] وصححه، حديث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليَمُتْ بها، فإني أشفع لمن يموت بها»[4].

ولفظ ابن ماجه: «فإني أشهد» بدل: «فإني أشفع»[5].

ورواه الطبراني في الكبير بسند حسن، ولفظه: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت؛ فإنه من مات بها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة»[6].

ورواه رزين بنحوه، وزاد: «وإني أول من تَنْشَقُّ عنه الأرض، ثم أبو بكر ثم

---

(١) هو أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، مؤلف دلائل النبوة و الجامع المصنف في شعب الإيمان وغيرهما، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٣ وملحقه ١/ ٦١٨ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٦ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣ مع مصادر ترجمته.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٢٣١ ـ ٣٣٢، ٢٥/ ١٨٧ وابن النجار في الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٧ عن ابن عمر، وجاء فيه: "فإن مات" بدلاً من: "فمن مات" وانظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٨ عن ابن عمر.

(٣) هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الخراط مؤلف الأحكام الكبرى والصغرى وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٩٨ مع مصادره وشفاء السقام للسبكي ٥٠.

(٤) مسند أحمد ٢/ ١٠٠، ١٤٠ والاحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لعلي بن بلبان الفارسي ٦/ ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٣٩ وجامع الترمذي ، مناقب ٦٧ والاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦/ ٢١.

(٦) المعجم الكبير ٢٤/ ٣٣٢.

عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون، ثم انتظر أهل مكة فاحشر بين أهل الحرمين»[١].

وفي رواية لابن النجار: «فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيُبعثون، ثم يُبعث أهل مكة»[٢].

وروى الطبراني حديث: «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف»[٣].

وأخرجه الترمذي بـ: "الواو" بدل "ثم"[٤]، وسيأتي في فضل البقيع زيادة تتعلق بذلك.

وبالجملة فالترغيب في الموت في المدينة لم يثبت مثلُه لغيرها والسكنى بها وُصْلَةٌ[٥] إليه، فيكون ترغيباً في سكناها وتفضيلاً لها على غيرها واختيار سكناها هو المعروف من حال السلف، ولا شك أن الإقامة بالمدينة في حياته ﷺ أفضلُ إجماعاً، فيُسْتَحبُّ[٦] ذلك بعد وفاته حتى يثبت إجماع مثله برفعه.

وأسند ابن شَبَّة في أخبار مكة عن إسماعيل بن سالم قال: سألت عامراً[٧] عن فتيا أفتى بها حبيب بن أبي ثابت[٨]، فقال: ألا يفتي حبيب نفسه حيث نزل مكة

---

(١) الجامع الكبير للترمذي ٦/ ٦٤ (بشار عواد) والمغانم المطابة ص٢٠٨، وانظر: سنن الترمذي ٥/ ٥٨١ وسنن أبي داود ٥/ ٥٨١ والدرة الثمينة ٢٢٩ وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ وقال: "هذا حديث لا يصح"، ولكنه أورده في مثير العزم الساكن ٤٩٤ وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٨٩، ٤٦٦ وقال فيه: "منكر جداً"، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣١٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٣٠٥ والحاكم في المستدرك ٣/ ٦٨ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ١٨٨ وما بعدها.

(٢) رواه ابن النجار في الدرة الثمينة ٢/ ٤٠١: والمراغي في تحقيق النصرة ١٢٥.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٩ نقلاً من معجم الطبراني وانظر: سنن البزار ٤/ ١٧٢.

(٤) المصدر نفسه: «وأخرجه البزار في مسنده بالواو».

(٥) أي: اتصال وذريعة، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة والجمع وُصَل.

(٦) في الأصول: فيستصحب، وهو تحريف بيِّن.

(٧) هو عامر بن شراحيل الشعبي المتوفى سنة ١٠٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤ مع مصادر ترجمته.

(٨) أبو يحيى القرشي الأسدي، حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار المتوفى سنة ١١٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٨ مع مصادر ترجمته.

وهي قرية أعرابية، ولأن أنزل دَوْرَان[1] أحب إليَّ من أن أنزل مكة، وهي قرية هاجر منها النبي ﷺ .

وعن الشعبي انه كان يكره المقام بمكة، ويقول: هي دارٌ أعرابيةٌ، هاجر منها رسول الله ﷺ.

وقال: ألا يفتي حبيب نفسه حيث يجاور بمكة وهي دار أعرابية؟.

وقال عبد الرزاق[2] في مصنفه: كان أصحاب رسول الله ﷺ يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون.

قلت: ولم أظفر عن السلف بنقلٍ في كراهة المجاورة بالمدينة الشريفة بخلاف مكة، لكن اقتضى كلام النووي في شرح مسلم حكاية الخلاف فيهما وكأنَّه قاسَ المدينة على مكة من حيث إنَّ علَّةَ الكراهة؛ وهي خوف الملل وقلة الحرمة للأنس وخوف ملابسة الذنوب، لأنَّ الذنب بها أقبح، ونحوه موجود في المدينة، ولهذا قال: والمختار أنَّ المجاورة بهما جميعاً مستحبة إلا أنْ يَغْلِبَ على ظَنِّهِ الوقوع في المحذورات المذكورة[3].

وقال الزركشي، عقب نقل كلام النووي: إن الظاهر ضعف الخلاف في المدينة؛ أي: لما قدمناه من الترغيب فيها[4]، ولأنَّ كلَّ من كَرِه المجاورة بمكة استدلَّ بتركِ الصحابة الجوار بها، بخلاف المدينة، فكانوا يُحَرَّضون على الإقامة بها.

---

(١) دوران: ذكر ياقوت أكثر من موضع، وهنا موضع بين قديد والجحفة، من نواحي مكة، معجم البلدان ٢/ ٤٨٠ ويؤيده أن السمهودي ذكره في خلاصة الوفا ٣٢ فقال: "عند طرف قديد"، وقال حمد الجاسر في الأماكن للحازمي ١/ ٤٦٥ حاشية ٤: «دوران وادٍ لا يزال معروفاً يقع بين مكة والمدينة ويبعد عن مكة نحو مئة وأربعين كيلاً شمالها».

(٢) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، مؤلف كتاب المصنف في الحديث، انظر: سزكين ١/ ٩٩ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣ مع مصادر ترجمته.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٦٤.

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

وقد روى الطبراني في الأوسط حديث: «من غاب عن المدينة ثلاثة[1] أيام جاءها وقلبه مُشْرَبٌ جَفْوَةً[2]».

واسند ابن أبي خيثمة[3] حديث: «من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً ولو قَصَرَةً»[4].

قال ابن الأثير: القصرة، محركة، أصل الشجرة[5]، أي: ولو نخلة واحدة. والقصرة أيضاً: العنق[6].

وقال الخطابي[7]: القصرة النخلة، وقرأ الحسن: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصَرِ﴾[8]، وفسروه بأعناق النخل[9].

ورواه الطبراني في الكبير بلفظه إلى قوله: «فليجعل له بها أصلاً»، وقال عقبه: فليأتيَنَ على الناس زمان يكون الذي ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها.

ورواه ابن شَبَّة أيضاً بنحوه، ثم أسند عن الزهري: أن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا الأموال بمكة، واتخذوها في دار هجرتكم، فإنَّ المرء مع ماله[10].

وأسند أيضاً عن ابن عمر حديث: «لا تتخذوا من وراء الروحاء مالاً، ولا

---

(1) ص: ثلاث.
(2) مجمع الزوائد ٣/ ٣١٠ وقال: "رواه الطبراني في الأوسط وفيه علقمة بن علي ولم أعرفه".
(3) ص: حشمة.
(4) غريب الحديث للخطابي ٣٤٨/١ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٥.
(5) النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٨/٤ وأورد: "من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به".
(6) في النهاية في غريب الحديث ٦٩/٤: "والقصرة أي العنق وأصل الرقبة".
(7) هو حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى ببست سنة ٣٨٨هـ، مؤلف شرح البخاري و شرح سنن أبي داود وغريب الحديث وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ١٦٥ وملحقه ٢٧٥/١ وسزكين ١/ ٢١٠ ومعجم المؤلفين ٢/ ٦٢، ٤/ ٧٤، ٣٦٦/١٣ مع مصادر ترجمته.
(8) سورة المرسلات ٣٢.
(9) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٥ وانظر: غريب الحديث ٣٤٨/١، وفي النهاية في غريب الحديث ٦٩/٤ "قَصَر النخل وهو ما غلظ من أسفلها أو أعناق الإبل، واحدتها قَصَرة".
(10) لم أقف على هذا الخبر وما يليه في ما نُشر من كتاب ابن شبة.

ترتدوا على أعقابكم بعـد الهجرة ولا تُنْكِحُوا بناتكم طُلَقَاء أهل مكة، وانكحوهن بأترابهن فأترابهن».

وهذا كله متضمن للحثِّ على سُكْنَى المدينة وتفضيله على سكنى مكة، وهي جديرةٌ بذلك، لأنَّ الله تعالى اختارها لنبيِّه ﷺ قَرَاراً وجعل أهلَهَا شيعةً له وأنصاراً، وكانت لهم أوطاناً، ولو لم يكن إلاَّ جواره[1]؟ بها، وقد قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار»[2] الحديث، ولم يخصَّ جاراً دون جار، ولا يخرج أحد عن حكم الجار وإن جارَ، ولهذا اخترتُ تفضيل سكناها على مكة، مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة؛ إذ جهة الفضل غير منحصرة في ذلك، فتلك لها مَزِيدُ العدد ولهذه تَضَاعُفُ البركة والمدد، ولتلك جوار بيت الله ولهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله، سر الوجود، والبركة الشاملة لكلِّ موجود.

قال عياض في المدارك: قال مَصْعَب: لما قدم المهديُّ المدينةَ استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما بصر بمالك انحرف المهديُّ إليه[3] فعانقه وسلَّم عليه وسايره، فالتفت مالك إلى المهديِّ فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمرُّ بقوم عن يمينك ويسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلِّم عليهم، فإنَّ ما على وجه الأرض قومٌ خيرٌ من أهل المدينة، ولا خير من المدينة، قال: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال: لأنَّه لا يُعْرَفُ قبر نبيٍّ اليومَ على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ، ومن كان قبر محمد ﷺ عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم، ففعل المهديُّ ما أمره به[4]، فأشار مالك رحمه الله إلى أنَّ المقتضيَ للتفضيل هو وجود قبر النبي ﷺ ومجاورة أهلها له.

---

(١) سقطت من ص.
(٢) وتتمته: "حتى ظننت أنه سيورثه".
(٣) سقطت من ص.
(٤) ترتيب المدارك ١/ ٢١٢ والتحفة اللطيفة ٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢ عن المدارك.

الفصل الرابع

في بعض دعائه ﷺ لها ولأهلها
وما كان بها من الوباء ونقله

روينا في الصحيحين حديث: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»[١].

ورواه رزين العبدري والجَنَدي بالواو[٢] بدل "أو" مع أن "أو" في تلك الرواية بمعنى: بل.

وقد صحَّ عنه ﷺ في محبة المدينة ما لم يرد مثله لمكة؛ ففي صحيح البخاري و جامع الترمذي حديث: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سَفَرٍ فنظر إلى جُدرات المدينة أوْضَعَ[٣] راحلته، وإن كان على دابَّةٍ حركها من حبها»[٤].

وفي رواية لابن زبالة: تَبَاشُراً بالمدينة.

وفي رواية له: «كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية طرح رداءه عن منكبيه وقال: هذه أرواح طَيْبَة»، وقد تكرر دعاؤه ﷺ بتحبيب المدينة إليه كما سيأتي، والظاهر أن الإجابة حصلت بالأول، والتكرير لطلب الزيادة.

---

(١) صحيح مسلم ١١٩/٤.

(٢) فضائل المدينة ٢٠.

(٣) وَضَعَ البعير: أسرع في سيره وأوضعه راكبه إذا اسرع به.

(٤) فتح الباري ٩٨/٤ مع شرحه، وفي ٣/ ٦٢٠ "فأبصر دَرجات المدينة..." وفي حديث آخر: "جُدُرات" وانظر: جامع الأصول ٩/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ مع أماكن ورود الحديث واختلافات القراءة.

وفي كتاب الدعاء للمحاملي[1] وغيره عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه: «كان إذا قدم من سفر من أسفاره فأقبل على المدينة يسير أتمَّ السير، ويقول: اللهمَّ اجعل لنا بها قَرَاراً ورزقاً حسناً»[2].

وفي الصحيحين حديث: «اللهمَّ اجعل بالمدينة ضِعْفَيْ ما جعلت بمكة من البركة»[3].

وفي مسلم: «اللهمَّ بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صَاعِنَا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهمَّ إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك[4] لمكة، وأنا أدعوك[5] للمدينة بمثل ما دعاك[6] لمكة ومثله معه»[7].

وفيه أيضاً: اللهمَّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمَّ بارك لنا في صَاعِنَا، اللهمَّ بارك لنا في مُدِّنا، اللهمَّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمَّ اجْعَلْ مع البركة بركتين[8].

وفيه أيضاً[9] وفي الترمذي حديث: «كان الناس إذا رأوا أولَ الثمرة جاءوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه قال: اللهمَّ بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا[10] في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا[11] في مدنا[12]...» الحديث.

---

(1) هو الحسين بن إسماعيل الضبي البغدادي المتوفى سنة ٣٣٠هـ، مؤلف كتاب الأمالي وكتاب السنن في الفقه وكتاب الدعاء، ومنه نسختان في شهيد علي برقم:٥٤٦ والظاهرية برقم: ٣٤٨ وكلاهما ضمن مجموعة، انظر: بروكلمان ملحق ١/٥١٩ وسزكين ١/١٨٠ ومعجم المؤلفين ٣/٣١٥ مع مصادر ترجمته.

(2) رواه ياقوت في معجم البلدان ٥/٨٣، وفيه: "ورزقا واسعا".

(3) صحيح مسلم ٤/١١٥ وجامع الأصول ٩/٣٢٤ عن البخاري ومسلم والموطأ.

(4) ر، ص: دعا، والتصحيح من صحيح مسلم.

(5) س، ر: أدعو، والتصحيح من صحيح مسلم.

(6) ص: دعا.

(7) صحيح مسلم ٤/١١٦ ـ ١١٧.

(8) المصدر نفسه ٤/١١٨.

(9) المصدر نفسه ٤/١١٦.

(10) ساقطة من ر، س، والتصحيح من جامع الأصول.

(11) سقطت من: ر، س، ص.

(12) انظر: جامع الأصول ٩/٣٢٦ عن مسلم والموطأ والترمذي.

وهو يقتضي تكرر هذا الدعاء بتكرر ظهور الثمرة والإتيان بأولها.

وفي الترمذي، وقال: حسن صحيح، عن علي رضي الله عنه: «خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنَّا بحَرَّة السقيا[1] التي كانت لسعد بن أبي وَقَّاصٍ فقال رسول الله ﷺ: ائتوني بوَضُوء، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال: اللهمَّ إنَّ إبراهيم كان عبدك وخليلك، ودعاك لأهل مكة بالبركة وأنا عبدُك ورسولُكَ أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصَاعهم مِثْلَيْ ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين»[2].

ورواه ابن شَبّة في أخبار مكة بنحوه، إلا أنه قال: حتى إذا كنَّا بالحَرَّة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بوَضُوء، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبَّر ثم قال...» الحديثَ بنحوه.

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد، ولفظه: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا عند السقيا التي كانت لسعد قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إن إبراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك وإني أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم مثل ما باركت لأهل مكة، واجعل مع البركة بركتين؛ هكذا في النسخة التي وقعت لنا، ولعله "مِثْلَيْ" كما في الرواية السابقة، ويؤخذ منه الإشارة إلى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة»[3].

وفي حديثٍ رواه ابنُ زبالة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: «خرج إلى ناحية من المدينة، وخرجتُ معه، فاستقبل القبلة ورفع يديه حتى إني لأرَى بياضَ ما تحت منكبيه، ثم قال: اللهمَّ إن إبراهيم نبيك وخليلك دعاك لأهل مكة، وأنا نبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة، اللهمَّ بارك لهم في مُدِّهم وصاعهم، وقليلهم

---

(١) حرة السقيا: نسبة إلى بئر السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، والبئر في طرف المدينة، وسوف يحددها السمهودي نقلاً عن المطري الذي قال: أنها في آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى بئر علي بالحرّة الغربية. وانظر: المغانم المطابة ١٨٠ وما بعدها.

(٢) جامع الأصول ٩/ ٣٢٤ عن الترمذي، في المناقب: باب ما جاء في فضل المدينة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٧/ ٤١٨ رقم: ٦٨١٤.

وكثيرهم، ضِعْفَي ما باركت لأهل مكة، اللهمَّ من ها هنا وهنا وهنا، حتى أشار إلى نواحي الأرض كلها، اللهمَّ من أرادهم بسوء فأذِبْهُ كما يذوب الملح في الماء».

وفي الأوسط للطبراني، ورجاله ثقات، عن ابن عمر قال: صَلَّى رسول الله ﷺ الفَجْرَ، ثم أقبل على القوم فقال: «اللهمَّ بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا وصاعنا. . .» الحديث.

وفي الكبير له، ورجاله ثقات، عن ابن عباس نحوه.

وروى أحمد والبزار، وإسناده حسن، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يوماً، نظر إلى الشام فقال: «اللهمَّ أَقْبِلْ بقلوبهم، ونظر إلى العراق فقال: اللهمَّ مثل ذلك، ونظر قبل كلِّ أُفُقٍ فَفَعَلَ ذلك، وقال: اللهمَّ ارْزُقْنَا من ثَمَراتِ الأرض، وبارك لنا في مدنا وصاعنا»[1].

وفي الصحيحين حديث: «اللهمَّ بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مُدِّهم»[2].

قال القاضي[3] في الكلام عليه: البركة هنا بمعنى: النُّمُوّ والزيادة، وتكون بمعنى: الثبات، فقيل: يحتمل أن تكون هذه البركة دينية، وهي ما تتعلق بهذه المقادير في الزكاة[4] والكفَّارات؛ فتكون بمعنى: الثبات لها لِثَبَاتِ الحكم بها وبقائه ببقاء الشريعة، ويُحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الْكَيلِ والقَدْر بهذه الأكيال حتى يكفي منه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة، أو ترجع البركة إلى كثرة ما يكال بها من غَلَّاتها وثمارها، وفي هذا كلِّه ظهر إجابة دعوته ﷺ[5].

وقال النووي: الظاهر أن المراد البركة في نفس المكيل في المدينة، بحيث

(١) ص: صاعنا ومدنا، مسند أحمد ٣/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١١٤ ـ ١١٥ وفتح الباري ٤/ ٣٤٧، ٩/ ٥٥٤، ١١/ ٥٩٧، ١٣/ ٣٠٤.
(٣) اختصر السمهودي قول القاضي عياض الوارد في شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٦.
(٤) في الأصول: الزكوات، والتصحيح من فتح الباري ٤/ ٩٨.
(٥) انظر: فتح الباري ٤/ ٩٨.

يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها[1].

قلت: هذا هو الظاهر في ما يتعلق بأحاديث الكيل، وأما غيرها فعلى عمومه في سائر الأمور الدينية والدنيوية.

وروينا في **فضائل المدينة** للجندي حديث: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد، وصَحِّحْها لنا وبارك لنا في مُدِّها وصاعها وانقل حُمَّاها واجعلها بالجُحْفَةَ»[2].

وروى أحمد برجال **الصحيح** عن أبي قَتَادة أنَّ النبي ﷺ صَلَّى بأرض سعد بأصل الحرَّة عند بيوت السقيا ثم قال: «اللهمَّ إنَّ إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مِثْلَيْ ما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهمَّ حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل ما بها من وباء بخُمّ»[3]. . . الحديث.

وقوله: "بخم"، بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم، مكان قرب[4] الجُحفة، كما سيأتي في موضعه.

وروى ابن زبالة حديث: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ فيها أصحابه.

وفيه: فجلس رسول الله ﷺ على المنبر، ثم رفع يده ثم قال: «اللهمَّ انْقُلْ عنَّا الوباء، فلما أصبح قال: أتيت هذه الليلة بالحُمَّى، فإذا بعجوز سوداء مُلَبَّبَة في يَدَي الذي جاء بها، فقال: هذه الحُمَّى فما ترى فيها؟ فقلت: اجعلوها بخُم».

وفي مسلم[5] حديث عائشة: قدمنا المدينة وهي وَبِيئَةٌ فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه[6] قال: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥/١٥٦ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٠.
(٢) فضائل المدينة ٢٠ وفتح الباري ٧/ ٢٦٢ وجامع الأصول ٩/ ٣٢٣.
(٣) مسند أحمد ٥/ ٣٨٨ واورده ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٨٣.
(٤) خ: قريب
(٥) صحيح مسلم ٤/ ١١٨، ورواه ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٨٣.
(٦) ص: «شكواهما» بدلاً من: «شكوى أصحابه».

المدينة كما حببت مكة أو أشد وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها وحَوِّلْ حُمَّاها إلى الجُحْفَة».

وهو في البخاري[1] بلفظ: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّح في أهلهِ والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه[2] يرفع عَقِيرتَه ويقول:

ألا لَيْتَ شِعْري هل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجَلِيلُ

وهل أرِدَن يوما مياه مِجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ[3]

اللهمَّ الْعَنْ شَيْبَة بن ربيعة وعُتْبَة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء».

ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حَبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدَّ، اللهمَّ بارك لنا في صاعنا وفي مُدِّنا وصححها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة»[4].

قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان بُطْحان[5] يجري نجلاً[6]، تعني: ماءً آجناً[7].

ورواه في **الموطأ** بزيادة: «وكان عامر بن فهيرة» يقول:

---

(١) **جامع الأصول** ٩/ ٣٢٢ وما بعدها، عن البخاري ومسلم والموطأ.

(٢) قلع عنه: ذهب وكفَّ بحران الحمى، واقلعت عنه الحمى: إذا فارقته، ورفع عقيرته: رفع صوته، انظر: **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ١٠٢.

(٣) خ: وهل تبدون، وانظر: **فتح الباري** ٤/ ٩٩ **والموطأ** ٣١١، وعن طفيل، انظر: **معجم البلدان** ٤/ ٣٧ «جبلان على نحو من عشر فراسخ من مكة».

(٤) **دلائل النبوة للبيهقي** ٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

(٥) بطحان: واد بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة، **معجم البلدان** ١/ ٤٤٦.

(٦) النجل: "النزُّ الذي يخرج من الأرض ومن الوادي وهو الماء المستنقع"، **تاج العروس**: "نجل"، وورد هذا الحديث فيه "وكان واديها نجلاً يجري، أي: نَزّاً وهو الماء القليل"، وانظر: **جامع الأصول** ٩/ ٣٢٤.

(٧) **دلائل النبوة للبيهقي** ٢/ ٥٦٧ وحول شرح الحديث، انظر: **فتح الباري** ٤/ ١٠١.

قد ذُقْتُ طعمَ الموتِ قَبلَ ذَوْقِهِ   إنَّ الجَبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ[1]

ورواه ابن إسحاق بزيادة أخرى، ولفظه: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة قَدِمَها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابَهُ منها بلاءٌ وسَقَمٌ[2]، وصرفه الله عن نبيه ﷺ، قالت[3]: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيتٍ واحدٍ، فأصابتهم الحمى، فدخلتُ عليهم أعُودُهم، وذلك قبل أن يُضربَ الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلاّ الله من شدة الوَعْك ، فدنوت من أبي بكر، فقلت له: كيف تجدك يا أبه؟ أي: كيف تجد نفسك؟ فقال:

* كلُّ امريءٍ . . . . *

البيت المتقدم، فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول! ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة، فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

كُلُّ امرِيءٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ   كالثَوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ[4]

قالت: فقلت ما يدري عامر ما يقول؛ قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته وقال:

* ألا ليت شعري . . . * البيتين.

ورواه ابن زبالة بلفظ: «لما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينةَ وُعِكَ أصحابه».

* لقد لقيت الموت قبل ذوقه . . . * البيت المتقدم.

فخرج من عنده، فدخل على بلال فوجده يَهْجُر وهو يقول:

* إلا ليت شعري . . . * البيتين المتقدمين.

ودخل على أبي أحمد بن جَحْش فوجده مَوْعُوكاً، فلما جلس إليه قال:

---

(١) الموطأ ٣١١.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٤١٣.

(٣) يريد: عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٤١٤، وروق الثور: قرنه.

واحبــــذا مَكَّـــةُ مِـــنْ وادي	أرض بهـــا تَكْثُـــرُ عُـــوَّادي

أرضٌ بهـــا تُضْـــرَبُ أوتـــادي	أرضٌ بهـــا أهلـــي وأولادي

أرضٌ بها أمشي بلا هَادي

فخرج رسول الله ﷺ، فدعا أن يُنْقَلَ الوَبَاء من المدينة فيجعله بخم.

وفي رواية له أنه: «أمرَ عائشة بالذهاب إلى أبي بكر ومَوْلَيَيْهِ، وأنها رجعت فأخبرته بحالهم، فكره ذلك، ثم عمد إلى بقيع الخيل»[١]، وهو سوق المدينة، فقام فيه ووجهُه إلى القبلة، فرفع يديه إلى الله فقال: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهمَّ بارك لأهل المدينة في سُوقهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مُدِّهم، اللهمَّ انقل ما كان بالمدينة من وباء إلى مهيعة»[٢].

قوله: "رفع عقيرته": أي: صوته؛ وقوله: "بواد": روي "بفَخٍ"[٣]: وهو وادي الزاهر، والجليل، بالجيم: الثمام، ومِجَنَّة، بكسر الميم وفتحها: سوق بأسفل مكة.

وقال الأصمعي: بمَرِّ الظهران[٤]، وشامة وطفيل: جبلان يُشْرِفانِ على مجنة[٥]، قاله ابن الأثير[٦].

---

(١) بقيع الخيل: قال ياقوت: "بالمدينة عند دار زيد بن ثابت"، معجم البلدان ١/ ٤٧٤، وهو الذي يعرف اليوم بسوق المناخة.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

(٣) س، ر: بفتح، وانظر: معجم البلدان ٣/ ٣١٥ [شامة].

(٤) مر الظهران: يعرف الآن بـ: وادي فاطمة وهو واد كانت فيه عيون كثيرة بقرب مكة المكرمة.

(٥) انظر أقوال الأصمعي في كتاب بلاد العرب للحسن بن عبد الله الأصفهاني ١٦،٣٢ وفي معجم البلدان ٥/ ٥٨ "مجنة" واورد بيتي بلال أيضاً.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٠١ حيث أورد بيت بلال وقال: "مجنة : موضع باسفل مكة على أميال، وكان يقام بها للعرب سوق"، وفي ٣/ ١٣٠ أورد عجز بيت بلال وقال: "قيل هما جبلان بنواحي مكة، وقيل عينان"، جامع الأصول ٩/ ٣٢٤؛ وذكر ياقوت في معجم البلدان ١/ ٣١٥ البيتين والحديث الشريف وقال: "شامة جبل قرب مكة يجاوره آخر يقال له طَفيل" وذكر قول الأصمعي.

قال: ويقال: شابة، بالباء الموحدة، وهو جبل حجازي[1].

قال المحب الطبري: وروايته بالباء الموحدة بخط شيخنا الصاغاني[2]، وكتب عليها صح.

قال الطبري: والأشهرأنهما جَبَلان على مراحل من مكة من جهة اليمن.

وقال الخطَّابي: عينان[3].

وقوله: "بطوقه" أي: بطاقته؛ وقوله: "بروقه" أي: بقرنه، و"مهيعة": هي الجُحفة أَحَدُ المواقيت المشهورة، و"خم": بقربها، وإنما دعا ﷺ بنقل الحمى إليها لأنها كانت دار شرك، ولم تزل من يومئذٍ أكثر بلاد الله حمًّى[4].

قال بعضهم: وإنه ليُتَّقى شرب الماء من عينها التي يقال لها: عين خم، فَقَلَّ مَنْ شرب منها إلاَّ حُمَّ[5].

وروى البيهقي حديث عائشة من طريق هشام بن عُروة عن أبيه، وفيه قال هشام: «فكان المولود يُولَدُ بالجُحْفَة فلا يبلغ الحلم حتى تَصْرَعَه الحُمَّى»[6].

وقال الخطَّابي: كان أهل الجحفة إذ ذاك يهوداً[7]، وقيل: إنه لم يبق أحد من أهلها إلاَّ أخذته الحمى[8].

قال النووي: وهذا علمٌ من أعلام نبوته ﷺ فإنَّ الجحفة من يومئذٍ وَبِيئة، ولا

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٦٣ والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٥٢١.

(٢) هو الحسن بن محمد، رضي الدين الصغاني والصاغاني المتوفى ببغداد سنة ٦٥٠هـ، مؤلف كتاب مجمع البحرين في اللغة وكتاب العباب الزاهر واللباب الفاخر، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٠ وملحقه ١/ ٦١٣ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٨٩ مع مصادر ترجمته.

(٣) معجم البلدان ٤/ ٣٧ وفتح الباري ٧/ ٢٦٣ ومشارق الأنوار للقاضي عياض ٢/ ٣٩٢ فقد أورد كلَّ هذه الأقوال، وفي غريب الحديث للخطابي ٢/ ٤٣: «وشامة وطَفيل جبلان مشرفان على مَجنة».

(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٤.

(٥) نقلاً من المصدر نفسه.

(٦) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٦٨، وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٢٣.

(٧) خ: يهود، وانظر قول الخطابي في: شرح مسلم للنووي ٥/ ١٥٩.

(٨) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٤.

يشرب أحد من مائها إلاّ حُمَّ[1].

وبطحان: من أودية المدينة كما سيأتي، والماء الآجن: المتغير الطعم واللون.

واتفق أهل الأخبار على أن الوباء بالمدينة كان شديداً، حتى روى ابن إسحاق عن هشام بن عروة، قال: «كان وباؤها معروفاً في الجاهلية[2]، وكان الإنسان إذا دخلها وأراد أن يَسْلَم من وبائها قيل له: انهق، فينهق كما ينهق الحمار»[3].

وفي دلائل النبوة[4] من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله، وواديها بُطْحَان نَجِلٌ يجري، عليه الأثل»[5].

قال هشام[6]: وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وَبِيّاً فأشرف عليه الإنسان قيل له: انهق نهيقَ الحِمارِ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي، قال الشاعر حين أشرف على المدينة:

لعمري لئن عشَّرتُ من خيفَةِ الرَّدَى ... نهيقَ الحمار إنني لَجَزُوعُ[7]

قالت عائشة: فاشتكى أبو بكر[8]... الحديث.

وروى ابن شَبَّة عن عامر بن جابر قال: «كان لا يدخل المدينة أحدٌ إلاَّ من طريق واحدٍ؛ من ثَنِيَّة الوداع، فإن لم يُعَشِّرْ بها، أي: يَنْهَق كالحمار عشرةَ أصواتٍ في طَلْقٍ واحدٍ، مات قبل أن يخرجَ منها، فإذا وقف على الثنيَّة قيل: قد ودَّعَ،

---

(١) شرح مسلم للنووي ٥/ ١٦٠ وفيه: "علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ، فإن الجحفة من يومئذ مجتنبة ولا يشرب أحدٌ من مائها إلا حُمَّ".

(٢) في السيرة النبوية ١/ ٤١٣، تح وستنفيلد، كوتنكن ١٨٥٨: "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرضِ الله من الحُمَّى فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم فصرف الله ذلك عن نبية ﷺ"، ولم ترد بقية الخبر.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٦٢ وانظر: تاريخ المدينة ١/ ٢٦٩.

(٤) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٢٣ نقلاً من دلائل النبوة للبيهقي.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٦٧.

(٦) هو هشام بن عروة بن الزبير، وسوف يرد الخبر قريباً عن ابن إسحاق.

(٧) في البداية والنهاية ٣/ ٢٢٣ "لئن عبرت"، وفي فتح الباري ٧/ ٢٦٢: "لئن غنيت... نهيق حمارٍ إنني لمروع، وكل ذلك تصحيف واضح.

(٨) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٧.

فسمِّيت: ثنيّة الوداع، حتى قدم عُروة بن الوَرْد العبسي فقيل له: عشِّر بها! فلم يعشِّر»، وأنشأ يقول:

لعمري لئن عَشَّرتُ من خشية الردى نُهَاقَ الحمار إنني لجزوعُ

ثم دخل فقال: «يا معشر يهود! ما لكم وللتعشير؟» قالوا: إنه لا يدخلها أحدٌ من غير أهلها فلم يُعشِّر بها إلاَّ مات، ولا يدخلها أحدٌ من غير ثنية الوداع إلاَّ قتله الهُزالُ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ودخلوا من كلِّ ناحية[1].

وتحويل الوباء منها من أعظم المعجزات؛ إذ لا يقدر عليه جميع الأطباء.

وفي البخاري حديث: «رأيت امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة، فتأولتها[2] أنَّ وباء المدينة نُقِلَ إلى مهيعة»[3].

وفي الأوسط للطبراني نحوه.

وفي كتاب ابن زبالة: «أصبح النبي ﷺ يوماً، فجاءه إنسان كأنه قَدِمَ من ناحية طريق مكة، فقال له النبي ﷺ: هل لقيت أحداً؟ قال: لا! إلاَّ امرأةً سوداء عُريانة ثائرة الشعر، فقال رسول الله ﷺ: تلك الحمى، ولن تعود بعد اليوم أبداً».

وفيه أيضاً حديث: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة، وانقل وباءها إلى مهيعة، وما بقي منه فاجعله تحت ذنب مشعط»[4].

وحديث: «إن كان الوباء في شيء من المدينة فهو في ظل مشعط»[5].

---

(١) تاريخ المدينة ١/٢٦٩. وهذه حيلة يهودية طريفة لمنع الغرباء وإذلالهم.

(٢) خ: فأولتها.

(٣) فتح الباري ١٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٢٣ عن البخاري، وقال: "لم يخرجه مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٩٠ والبيهقي في دلائل النبوة"، وانظر: المعجم المفهرس ٧/ ١٢١عن البخاري والترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد.

(٤) نقلاً من المغانم المطابة ص١٥٠، وقال الفيروزأبادي: "جبل أو موضع بالمدينة"، المغانم المطابة ٣٨٢ وضبطه البكري في معجم ما استعجم بضم أوله على لفظ الذي يُسعط به، وأورده بالسين المهملة، وقال: اطم كان لبني حديلة (من بني النجار) وضبطه السمهودي ـ كما سيأتي في آخر الكتاب ـ بصيغة مرفق.

(٥) المغانم المطابة ٣٨٢ والمخطوطة ص١٥٠.

قال المجد: هو جبل أو موضع بالمدينة[1].

قلت: سيأتي عن ابن زبالة في المنازل أن بني حُديَلة ابتنوا أُطُمَيْن؛ أحدهما يقال له: «مشعط، كان موضعه في غربي مسجد بني حُدَيلة[2]، وفي موضعه بيت يقال له: بيت أبي نبيه، ثم أورد عقبه»[3] الحديث المذكور، فأفاد أنه هو المراد.

وفيه أيضاً حديث: «أصحّ المدينة من الحمَّى ما بين حَرَّة بني قريظة والعريض»، وهو يؤذن ببقاء شيء من الحُمَّى بالمدينة، وأن الذي نقل عنها أصلاً ورأساً سلطانها وشدتها ووباؤها[4] وكثرتها بحيث لا يُعَدُّ ما بقي بالنسبة إليه شيئاً.

ويحتمل أنها رفعت أولاً بالكلية، ثم أُعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها، كما أشار إليه الحافظ ابن حجر[5].

ويَدُلُّ له ما روى أحمد[6] برجال الصحيح وأبو يَعْلى[7] وابن حِبَّان في صحيحه عن جابر: «استأذَنَتِ الحمَّى على رسول الله ﷺ فقال: مَنْ هذه؟ فقالت: أمُّ مِلْدَم، فأمر بها إلى أهل قباء، فَلَقُوا ما لا يعلمه إلاَّ الله، فأتوه فشكوا ذلك إليه، فقال: ما شئتم، إنْ شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم، وإن شئتم تكون لكم طَهُوراً، قالوا: أوَ تفعل؟ قال: نعم! قالوا: فَدَعْهَا»[8].

ورواه الطبراني بنحوه، وقال فيه: «إن شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم، قالوا: فَدَعْها يا رسول الله».

---

(١) المغانم المطابة ٣٨٢ وفي المغانم (النسخة المخطوطة) ص١٥٠: «وعن يحيى بن عبد الرحمن...».

(٢) مسجد بني حديلة: داخل البقيع على يمين الداخل من بابه متصل بسوره. وقال المراغي في تحقيق النصرة ١٤٩: "مسجد بني حديلة ـ بالحاء المهملة المضمومة ـ وهو مسجد أُبيّ بن كعب، ودار بني حديلة عند بئر حاء شمالي سور المدينة من جهة المشرق".

(٣) ر، ص: عقيبه.

(٤) في الأصول: وباها.

(٥) فتح الباري ١٠/١٩١.

(٦) مسند أحمد ٣/٤٠١ (١٤٣٧٧).

(٧) مسند أبي يعلى ٣/٤٠٩ (١٨٩٢) و٤/٢٠٨ (٢٣١٩) ومجمع الزوائد ٢/٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٨) تاريخ المدينة ١/٥٠ ـ ٥١ والمستدرك ١/٣٤٦.

وروى أحمد، ورجاله ثقات، حديث: «أتاني جبريل بالحمَّى والطاعون فأمسكت الحمَّى بالمدينة وأرسلت الطاعون بالشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورِجْزٌ[1] على الكفار»[2].

والأقرب أن هذا كان في آخر الأمر بعد نقل الحمَّى بالكلية، لكن قال الحافظ ابن حجر: «لما دخل رسول الله ﷺ المدينة كان في قِلَّةٍ من أصحابه فاختار الحمى لقلة الموت بها على الطاعون لما فيها من الأجر الجزيل، وقضيتها إضعاف الأجساد، فلما أُمِرَ بالجهاد دعا بنقل الحمى إلى الجُحْفة، ثم كانوا من حينئذ مَنْ فاتته الشهادة بالطاعون ربما[3] حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار، ثم استمر ذلك بالمدينة، يعني: بعد كثرة المسلمين تمييزاً لها على[4] غيرها»[5]، انتهى.

وهو يقتضي عود شيء من الحمَّى إليها بآخرة الأمر، والمشاهد في زماننا عدم خلوها عنها أصلاً، لكنه ليس كما وصف أولاً، بخلاف الطاعون، فإنها محفوظة عنه[6] بالكلية، كما سيأتي.

والأقرب أنه ﷺ لما سأل ربه تعالى لأمته أن لا يلبسهم شيعاً ولا يُذِيق[7] بعضَهم بأسَ بعضٍ فمنعه ذلك[8] فقال في دعائه: «فحمَّى إذاً أو طاعوناً»، أراد بالدعاء بالحمى للموضع الذي لا يدخله طاعون، كما سنشير إليه في الفصل الآتي؛ فيكون ما بالمدينة اليوم ليس هو حُمَّى الوباء، بل حُمَّى رحمةٍ بدعائه ﷺ كما سنوضحه»، والله أعلم.

---

(١) الرجز: الإثم والذنب، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٠٠.
(٢) س، ر، ص: الكافر، مسند أحمد ٥/١١١ : "على الكافرين".
(٣) خ: بها.
(٤) خ: عن.
(٥) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ١٩١.
(٦) خ: منه.
(٧) ص: يزيق، وهذا دليل أيضاً على أن النسخة كانت تُملى في المدينة فإنَّ اللهجة المصرية هي الغالبة.
(٨) انظر: جامع الأصول ٩/١٩٩ ـ ٢٠٠ وأورد ابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٢٣٠ حديثاً شبيهاً به والمستدرك ٤/٥١٦ ـ ٥١٧ وفضائل المدينة للجندي ٤٢ ـ ٤٣ وكشف الأستار ٤/ ٩٩ ـ ١٠١.

الفصل الخامس

في عصمتها من الدجال والطاعون

روينا في الصحيحين وغيرهما حديث: «على أنقاب[1] المدينة ملائكة يحرسونها، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»[2].

وفيهما أيضاً حديث: «ليس من بلد إلاَّ سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلاَّ عليه ملائكة صافين يحرسونها[3]، فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كلُّ كافر ومنافق»[4].

وفي رواية: «فيأتي سبخة الجُرف، فيخرج إليه كلُّ منافق ومنافقة»[5].

وفي البخاري حديث: «لا يدخل المدينة رُعبُ المسيح لها يومئذ سبعة أبواب على كلِّ بابٍ مَلَكانِ»[6].

وفي مسلم حديث: «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمَّتَه المدينة حتى ينزل

---

(١) أنقاب: جمع نقب، وهو الطريق الضيق في الجبل، تاج العروس "نقب" ١/ ٤٩١، واورد الحديث.

(٢) في صحيح مسلم ٤/ ١٢٠ الحديث وليس فيه: "يحرسونها"، ولكنها وردت في حديث الدجال ٨/ ٢٠٥، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٠٢.

(٣) في صحيح مسلم ٨/ ٢٠٦ "تحرسها"، وانظر: جامع الأصول ٩/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ عن البخاري ومسلم والموطأ، ورواه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

(٤) س: "كل منافق وكافر"، والحديث رواه البخاري ومسلم، انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٢٨ وذكره ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٥٥١، ٨/ ٦٥٣.

(٥) المصدر نفسه ٨/ ٢٠٧ وفيه "سبخة الجرف فيضرب رواقه وقال فيخرج. . . "

(٦) جامع الأصول ٩/ ٣٢٧ عن البخاري، وانظر: المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٥٠.

دبر أحد، ثم تَصرفُ الملائكة وجهَهُ قِبَلَ الشام، وهنالك يهلك»[1].

وفي **الصحيحين**: قصة خروج الرجل الذي هو خير الناس، أو من خير الناس، من المدينة إلى الدجال إذا نزل بعض سباخها فيقول له: «أشهد إنك الدجال الذي حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثه الحديث بطوله»[2].

قال مَعْمَر في ما رواه أبو حاتم: يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

وروى أحمد والطبراني في **الأوسط**، ورجال أحمد رجال **الصحيح** عن جابر بن عبد الله قال: «أشْرَفَ رسولُ الله ﷺ على فَلَقٍ[3] من أفلاق الحَرَّة ونحن معه فقال: نعم الأرض المدينة، إذا خرج الدجال، على كلِّ نَقْبٍ من أنقابها مَلَكٌ لا يدخلها، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة إلاّ خرج إليه، وأكثرهم ـ يعني من يخرج إليه ـ النساء، وذلك يوم التخليص، ذلك يوم تَنفي المدينة الخبث كما ينفي الكِيرُ خبثَ الحديد، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود، على كلِّ رجلٍ منهم ساجٌ[4] وسيفٌ محلًّى؛ فيضرب قبَّته بهذا الضرب الذي بمجتمع السيول»[5]، الحديثَ بطوله[6].

ولفظ الطبراني: «يا أهل المدينة، اذكروا يوم الخلاص! قالوا: وما يوم الخلاص» قال: يُقْبِلُ الدجال حتى ينزل بذُبَاب[7]، فلا يبقى في المدينة مشرك ولا

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٢٠.

(٢) ورد الحديث بطوله في صحيح مسلم ٨/ ١٩٩ وما بعدها وفتح الباري ١٣/ ١٠١.

(٣) الفلق: قال الأصمعي: الفلق المطمئن من الأرض بين ربوتين وجمعه فُلقان ويجمع أيضاً على أفلاق، تاج العروس "فلق"، وذكر جزءاً من الحديث.

(٤) الساج: جمعه سيجان وهو الطيلسان الأخضر، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٣٢: «كلهم ذو سيف مُحَلًى وساج» في حديث الدجال.

(٥) مسند أحمد ٣/ ٣٧٠ وحدث فيه تصحيف غريب: "فيضرب رقبته بهذا الضرب عند مجتمع السيول".

(٦) أحاديث الدجال مروية في كشف الأستار ٤/ ١٦٨ ـ ١٧٢.

(٧) في معجم البلدان ٣/ ٣ "ذكره الحازمي بِكسر أوله وبائين وقال: جبل بالمدينة، له ذكر في المغازي والأخبار، وعن العمراني: ذباب بوزن الذُباب الطائر جبل بالمدينة". والنص كما جاء عند الحازمي في كتاب الأماكن ١/ ٤٢٣ هو: «بَابُ دَبَاب ودِبَاب وذبَاب وذِبَاب وذِنَاب ودِيَافٍ» إلى أنْ قال: «وأما الثالث أوله ذالُ معجمة بعدها باء موحدة مخَفَّفة نحو ما قبلَه، جبلٌ بالمدينة له ذكرُ في المغازي =

مشركة، ولا كافر ولا كافرة، ولا منافق ولا منافقة، ولا فاسق ولا فاسقة، إلاَّ خرج إليه، ويخلص المؤمنون، فذلك يوم الخلاص[1].

وروى أحمد برجال الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟ ثلاثاً، فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: يجيء الدجال فيصعد أحداً فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة فيجد بكلِّ نَقْبٍ منها ملكاً مُصْلِتاً، فيأتي سبخة الجرف، فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة، إلاَّ خرج إليه فذلك يوم الخلاص»[2].

وقال الحافظ ابن حجر: إن أحمد والحاكم أخرجا من رواية محجن بن الأدرع[3] رفعه: «يجيء الدجال فيصعد أحداً فيطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد في كلِّ نقب من أنقابها مَلَكاً مَصْلِتاً سيفَهُ وبقيته بلفظ الحديث المذكور، إلاَّ أنه قال في آخره: فتخلص المدينة، فذلك يوم الخلاص»[4].

والمراد بـ: "الرواق" : الفُسْطَاط.

ولابن ماجه من حديث أبي أمامة: «ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة».

= والأخبار». وقال الأصفهاني: "وذُباب بالمدينة وقربها"، بلاد العرب ٣٥. وقال السمهودي: وهو الجبل الذي فوقه مسجد الراية، بأعلى ثنيَّة الوداع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام. وقال حمد الجاسر: «وهذا المسجد معروف» وهو عند العياشي في المدينة بن الماضي والحاضر ١٢٢: «وذباب هو ما نعرفه اليوم بالقرين التحتاني».

(١) المعجم المفهرس ٢/ ٦٠ عن ابن ماجه وأحمد.

(٢) المصدر نفسه وانظر: المغانم المطابة ص١٤٦.

(٣) س: محمد بن الأروع، هو محجن بن الأدرع الأسلمي، قال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٥٢: «قديم الإسلام نزل البصرة واختط مسجدها، له أحاديث» وترجم له ابن حجر في الإصابة ٣/ ٣٦٦(٧٧٣٨).

(٤) مسند أحمد ٤/ ٤٥٥ وفتح الباري ١٣/ ٩٤ والمستدرك ٤/ ٥٤٣ والمغانم المطابة ص١٤٦.

ولأحمد من حديث ابن عمر: «ينزل الدجال في هذه السبخة بمرِّ قناة»[1]، أي: ممرِّها.

وفي عقيق المدينة[2] للزبير بن بكّار عن أبي هريرة: «ركب رسول الله ﷺ إلى مجتمع السيول، فقال: ألا أُخبركم بمنزل الدجال من المدينة؟ ثم قال: هذا منزله، يريد المدينة، لا يستطيعها، يجدها متمنطقة بالملائكة، على كلِّ نَقْبٍ من أنقابها مَلَكٌ شاهرٌ سلاحَه، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون، فيزلزل بالمدينة وبأصحاب الدجال زلزلة، لا يبقى منافق ولا منافقة إلاَّ خرج إليه، وأكثر من يتبعه النساء، فلا يعجز الرجل أن يُمسِكَ سفيهته».

قلت: يستفاد منه أن المراد من قوله في الأحاديث المتقدمة: "فترجف المدينة"، يعني: بسبب الزلزلة، فلا يشكل بما تقدم من أنه لا يدخل المدينة رُعْبُ المسيح الدجال فيستغنى عن ما جمع به بعضهم من أن الرعب المنفي هو أن لا يحصل لمن بها بسبب قربه منها خوفٌ، أو هوعبارة عن غايته، وهو غلبته عليها، والمراد بالرجفة: إشاعة مجيئه وأن لا طاقة لأحد به، فيتسارع حينئذ إليه مَنْ كان يَتَّصِفُ بالنفاق أوالفسق، قاله الحافظ ابن حجر[3]، وما قدمناه أولى.

وفي الأوسط للطبراني حديث: «ينزل الدجال حَذْوَ المدينة، فأول من يتبعه النساء والإماء»[4].

وفي حديث رواه أحمد والطبراني، واللفظ له، ورجاله ثقات، في وصف الدجال: «ثم يسير حتى يأتي المدينة، ولا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل[5]، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عزَّ وجلَّ عند عقبة أَفِيقٌ»[6].

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٩١، وقد فصل السمهودي القول في هذا الوادي في آخر الكتاب.

(٢) هو كتاب العقيق، لم يصل إلينا بعد، وقد أكثر السمهودي النقل منه في كلامه على وادي العقيق، وقد اقتبس منه ياقوت في معجم البلدان انظر: سزكين ١/ ٣١٨.

(٣) فتح الباري ٤/ ٩٦، ١٣/ ٩٤ ومن هنا نقل السمهودي قول ابن حجر.

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٥٣ نقلاً من المعجم الأوسط للطبراني.

(٥) سقطت من م٢.

(٦) مسند أحمد ٥/ ٢٢٢ والمعجم الأوسط ٧/ ٩٨ برقم: ٦٤٤٥، وعقبة أفيق: "بالفتح ثم الكسر وياء=

وروى أبو يَعلى حديث الجسَّاسة[1] المشهور في **الصحيح** بإسنادين؛ أحدهما رجاله رجال **الصحيح** وزاد فيه: هو المسيح تُطوى له الأرض في أربعين يوماً، إلاَّ ما كان من طَيْبَةَ، قال رسول الله ﷺ: «وطيبة المدينة، ما بابٌ من أبوابِها إلاَّ ومَلَكٌ مُصْلِتٌ سيفَه يمنعه، وبمكة مثل ذلك»[2].

وفي البخاري والترمذي حديث: «المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى»[3].

وروى أحمد، ورجاله ثقات، وابن شَبَّة برجال **الصحيح** حديث: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كلِّ نَقْبٍ منها مَلَكٌ لا يدخلها الدجال ولا الطاعون»[4].

وروى أحمد مُرْسَلاً وابنُه[5] متصلاً، وكذا الطبراني، ورجاله ثقات، حديث: «ذكر لرسول الله ﷺ رجل خرج من بعض الأرياف، حتى إذا كان قريباً من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء، ففزع الناس؛ فقال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن لا يطلع علينا نقابها»، يعني: المدينة[6]، ونَقابها وأنقابها: طرقها وفجاجها، واحدها: نِقبٌ، بكسر النون وضمِّها[7].

= ساكنة وقاف، قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، تنزل من هذه العقبة إلى الغور وهو الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين"، انظر: معجم البلدان لياقوت ١/ ٢٣٣.

(١) ص: الجساس، وعن حديث الجساسة الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد، انظر: المعجم المفهرس ١/ ٣٤٧ ومسند أبي يعلى ٤، ١١٩، ١٢٩، ١٤٢، والمصنف ٨/ ٦٥٨ـ٦٥٩ والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ٥٤ ـ ٥٦.

(٢) صحيح مسلم: ٨/ ٢٠٥ وفي الترمذي: باب الفتن ٦٦ والمعجم الكبير للطبراني ٢٥/ ٢٩٢.

(٣) انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٢٨ عن البخاري والترمذي وفي صحيح مسلم ٤/ ١٢٠: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

(٤) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ١٩١عن كتاب مكة لابن شبة، ١٣، ١٠١ وإعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٥٣ ـ ٢٥٤ وانظر: مسند أحمد ٢/ ٦٣٨.

(٥) أي: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، له زيادات كثيرة واضحة عن عوالي شيوخه في مسند والده، أنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٦ مع مصادر ترجمته.

(٦) مسند أحمد ٥/ ٢٦٤ أو (٥/ ٢٠٧).

(٧) المعجم الكبير للطبراني ١/ ١٢٩ برقم: ٤٠١ والأنقاب: واحدها نقب بفتح أو بضم فسكون هو =

وقوله في الرواية المتقدمة: «فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله اختلف في الاستثناء، فقيل: للتبرك فيشملهما، وقيل: للتعليق وأنه مختص بالطاعون، فيقتضي جواز دخول الطاعون المدينة، ويرده الجزم في سائر الأحاديث، والصواب حفظها منه كما هو المشاهد.

وقد أُسْتُشْكِلَ قرن الدجال بالطاعون مع أن الطاعون شهادة ورحمة، فكيف يُتَمَدَّحُ بعدمه».

والجواب من وجوه:

أحدها: أنَّ كونه كذلك، ليس لذاته، وإنما المراد ترتب ذلك عليه، وقد ثَبَت تفسيره من رواية أحمد: بوَخْزِ أعدائكم من الجن، فتكون الإشارة بذلك إلى أن كفَّار الجن وشياطينَهم ممنوعون من الطعن بها، كما أنَّ الدجال ممنوع منها، ألا ترى أن قتل الكافرِ المسلمَ شهادةٌ ولو ثبت لمحل أن الكفار لا تُسَلَّطُ عليه لحاز بذلك غاية الشرف.

ثانيها: أن أسباب الرحمة لم تنحصر في الطاعون، وقد عوَّضهم ﷺ عنه الحمَّى حيث اختاروها عندما عُرِضَا[1] عليه، كما تقدم، وهي طُهْرَةٌ[2] للمؤمن وحظه من النار، والطاعون يأتي في بعض الأعوام، والحمَّى تتكرر في كلِّ حين، فيتعادلان، وفيه نظر؛ لأنَّ تكثير أسباب الرحمة مطلوب، ولأنه لا يدفع إشكال التمدح بعدمه.

ثالثها: أنه وإنْ اشتمل على الرحمة والشهادة، فقد ورد أن سببه أشياء تقع من الأمة كظهور بعض المعاصي، وقد روى أحمد بأسانيد حسان وصحاح عن شرحبيل بن حسنة وغيره: «أنه ـ يعني الطاعون ـ رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم».

= الطريق الضيق في الجبل أو الطريق بين الجبلين، تاج العروس ٤٩١/١ وذكر الحديث؛ والفائق في غريب الحديث ٣٦٦/٢ والنهاية في غريب الحديث ١٠٢/٥، وفيهما ورد الحديث أيضاً.

(١) ص: عرض.

(٢) ر: ظهرة.

وروى أحمد أيضاً تفسير كونه «دعوة نبيكم» عن أبي قلابة: «بأنه ﷺ سأل ربه عزَّ وجلَّ أنْ لا يُهلكَ أمته بسَنَةٍ فأعطيها، وسأله ألاَّ يُسَلِّطَ عليهم عدواً من غيرهم، فأعطيها، وسأله ألاَّ يلبسهم شِيَعَاً ويُذِيقَ بعضَهم بأسَ بعض، فمنعه»[1]، فقال ﷺ في دعائه: فحُمَّى إذاً أو طاعوناً» كرره ثلاثاً.

فقد تضمَّن الطاعون نوعاً من المؤاخذه، لأنه ﷺ دعا به لتحصل[2] كفاية إذاقة بعضهم بأس بعض، ويكون هلاكهم حينئذ بسبب لا يعصون به، بل يُثابون، فحفظ الله تعالى بَلَدَ نبيه ﷺ من الطاعون المشتمل على الانتقام إكراماً لنبيه ﷺ وجعل لهم الحمَّى المضعِفة للأبدان عن إذاقة بعضهم بأس بعض والمطهرة لهم.

فقوله ﷺ: «فحُمَّى إذاً» أي: للموضع الذي لا يدخله الطاعون، بل عصم منه وهو جواره الشريف، وقوله: «أو طاعوناً» أي: للموضع الذي لم يعصم منه، وهو سائر البلاد.

هذا ما ظهر لي في فهم الأحاديث، وهو يقتضي شرف الحمَّى الواقعة بالمدينة وفضلها، لأنها دعوة نبينا محمد ﷺ ورحمة ربنا أيضاً، لأنها من لازم دعوته ﷺ ولأنها جُعلت في مقابلة الطاعون الذي هو رحمة لغيرهم، فتكون[3] الحمى رحمة لهم، فهي غير حمى الوباء الذاهبة من المدينة.

رابعها: ذكره الحافظ ابن حجر[4] نقلاً عن القرطبي[5]، وهو أنَّ المعنى لا يدخل إلى المدينة من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عَمَواس.

قال الحافظ ابن حجر: وهو يقتضي أن الطاعون يدخلها في الجملة، وليس كذلك، فقد جزم ابن قتيبة وتبعه جمع جَمٌّ من آخرهم النووي بأن الطاعون لا

---

(١) المستدرك ٤/ ٥١٦ ـ ٥١٧ ومجمع الزوائد ٢/ ٣١١ وكشف الأستار ٤/ ٩٩ ـ ١٠١.

(٢) ص: ليحصل.

(٣) ص: فيكون.

(٤) نقل ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ١٩٠ قول القرطبي في كتابه المفهم.

(٥) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المتوفى بالاسكندرية سنة ٦٥٦هـ، مؤلف مختصر الصحيحين والمُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم والتذكرة في ذكر الموتى وأحوال الآخرة وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ٣٨٤ وملحقه ١/ ٦٦٤ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٧ مع مصادر ترجمته.

يدخل المدينة أصلاً ولا مكة أيضاً، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام سنة تسع وأربعين وسبع مئة، بخلاف المدينة، فلم يذكر أحدٌ قط أنه دخلها أصلاً[1].

ثم ذكر الحافظ ابن حجر الحديثَ المتقدم المشتمل على ذكر مكة أيضاً، ثم قال: «وعلى هذا فالذي نقل أنه وجد بمكة ليس كما ظنَّ ناقله كونه طاعوناً، بل وباءً، وهو أعمُّ من الطاعون، أو يجاب بجواب القرطبي المتقدم، قال: ولعله بنى جوابَه على أن الطاعون ما ينشأ عن فساد الهواء فيقع به الموت الكثير، وليس كذلك، ففي **الصحيح** قول أبي الأسود: قدمت المدينة وهم يموتون بها موتاً ذَريعاً[2]، فهذا وقع بالمدينة وهو وباءٌ، ولكن الشأن في تسميته طاعوناً، قال: والحق أن المراد بالطاعون في هذه الأحاديث الذي ينشأ عن طعن الجن فيهيج به الدم في البدن فيَقْتُل، فهذا لم يدخل المدينة قط»[3].

قلت: نقل الزركشي عن القرطبي أنه فَسَّرالطاعون بالموت العام الفاشي[4] وهو صريح في أنه أراد ما فهمه عنه الحافظ ابن حجر، ويرده قوله في الحديث المتقدم: «حتى إذا كان قريباً من المدينة ببعض الطرق أصابه الوباء فأفزع الناس» فإن المراد فيه بالوباء: الطاعون المعروف بعلاماته عندهم، وإلاَّ فموت الشخص الواحد لا يُفزع ولا يُسمَّى موتاً عاماً ويبعد جعل الموت العام بمجرده شهادةً، وقد أخبر بعضُ الأولياء بمشاهدة الجن يَقَظَةً يطعنون الناس في بعض سني الطاعون، ورأيته أنا كذلك مناماً، ورأيت أن بيني وبينهم حائلاً، فحماني الله منه في تلك السنة.

على أنه لو سلم أن المراد ما ذكره القرطبي، فالإشكال المتقدم باقٍ، إذ يقال: لِمَ لَمْ يكْثُرْ بالمدينة وهو رحمة؟ فالحق ما قدَّمناه، وهذا ، كما قال

(١) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ١٩٠.
(٢) جامع الأصول ٩/ ١٨١ عن البخاري والترمذي والنسائي.
(٣) فتح الباري ١٠/ ١٩٠ _ ١٩١.
(٤) أعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٥٤ _ ٢٥٥.

بعضهم، من المعجزات العظيمة المستمرة التي هي من أعلام نبوته ﷺ؛ لأنَّ الأطباء بأجمعهم قد عَجَزُوا عن دفع الطاعون عن بلد ما في دهرٍ من الدهور، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهورالطويلة[1] مع أنه يقع بالحجاز الشريف، ويدخل قرية الينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف[2] وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة، ولا يدخلها هي كما شاهدنا ذلك في طاعون أواخر سنة إحدى وثمانين وثمان مئة مع أوائل التي بعدها، فإنه عَمَّ أكثر الأماكن القريبة من المدينة، وكَثُرَ بجدة، واخْتُلِفَ في دخوله مكةَ، والذي تحققناه كَثْرَةَ الموتِ بها في ذلك الزمان، وكثرة[3] الحمَّى بالمدينة، لكن لم يكثر بها موت، وبالجملة: فهي محفوظةٌ منه أتمَّ الحِفْظِ، فللّه الحَمْدُ والمِنَّة.

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ١٩١.

(٢) ذكر ياقوت أكثر من خيف بقرب المدينة، معجم البلدان ٢/ ٤١٢؛ والصفراء: واد به نخل بينه وبين المدينة ليلتان للراكب، ويفيض وادي الصفراء إلى بدر ثم إلى البحر، بلاد العرب ٤١٠ قال عرام في أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ٤٢٨: «والصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كله وهي فوق ينبع مما يلي المدينة»، وانظر: المغانم المطابة ٢١٩والأماكن للحازمي ١/ ٦٠٣، وقال حمد الجاسر: «وقد ضعف ما في وادي الصفراء من النخل والزرع»، والفُرع: قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد على طريق مكة، المغانم المطابة ٣١٥ ـ ٣١٧ ومعجم البلدان ٤/ ٢٥٢ وقد حدد حمد الجاسر موضع الفرع وذكر شيئاً من تاريخه في حاشية ٢ من كتاب الأماكن للحازمي ٢/ ٧٤٠.

(٣) ص: وكثرت.

الفصل السادس
في الاستشفاء بترابها وبتمرها
وما جاء فيه

روينا في كتاب ابن النجار[١] والوفا لابن الجوزي[٢] حديث: غُبار المدينة شفاء من الجُذَام[٣].

وفي جامع الأصول لابن الأثير ـ وبيَّض لمخرجِه[٤] ـ عن سعد رضي الله عنه قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من تَبُوك تلَّقاه رجال من المخلَّفين من المؤمنين، فأثاروا غباراً، فخمَّر أو فغطَّى بعض مَنْ كان مع رسول الله ﷺ أنفه، فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه، وقال: والذي نفسي بيده إنَّ في غبارها شفاءً من كلِّ داءٍ، قال: وأراه ذكر: ومن الجُذَام والبَرَص»[٥].

وقد أورده كذلك رُزَين العبدري في جامعه[٦] وهو مستَنَد ابن الأثير في إيراده.

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٢ وتحقيق النصرة للمراغي ٢٠٤ عن رزين.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١/ ٣٩٩..

(٣) التعريف للمطري ١٥ عن ابن النجار.

(٤) في الخلاصة ٤٢ ورد النص هكذا: "وفي جامع الأصول لرزين وابن الأثير وبيَّضا لمخرجه". قلت: أما قوله: "وبيض لمخرجه" أي: ترك مكان اسم مخرجه بياضاً، وهذا ما يظهر في جامع الأصول المنشور.

(٥) انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٣٤ والمغانم المطابة ص١٤٧.

(٦) هو تجريد الصحاح وقد جمع فيه بين الموطأ والصحاح الخمسة، وعليه اعتمد ابن الأثير في تصنيف كتابه جامع الأصول، كما ذكر ذلك في مقدمته.

قال الحافظ المنذري: ولم أره في الأصول.

وروى رزين أيضاً عن ابن عمر نحوه، إلا أنه قال: فمدَّ رسول الله ﷺ يده فأماطه عن وجهه، وقال: «أما علمت أن عَجْوَة المدينة شِفاءٌ من السَّقَم، وغبارَها شفاءٌ من الجذام»[١].

ورواه ابن زَبَالة مختصراً عن صيفي بن أبي عامر، ولفظه: «والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة، وإنها شفاء من الجذام»[٢].

وروى أيضاً عن أبي سلمة: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال: «غبار المدينة يطفىء الجذام»[٣].

قلت: وقد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام، وكان قد أضرَّ به كثيراً فصار يخرج إلى الكومة البيضاء ببُطْحَان بطريق قباء ويتمرغ بها ويتخذ منها في مرقده، فنفعه ذلك جداً.

وروى ابن زبالة ويحيى بن الحسن بن جعفرالحجة العلوي[٤] وابن النجار؛ كلاهما من طريقه: أن النبي ﷺ أتى بَلْحَارث، فإذا هم رَوبى[٥] فقال: « ما لكم يا بني الحارث رَوْبَى؟ قالوا: أصابتنا يا رسول الله هذه الحمَّى قال: فأين أنتم عن صُعَيْب؟ قالوا: يا رسول الله ما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله، تراب أرضنا بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنا، ففعلوا، فتركتهم الحمَّى»[٦].

قال ابن النجار عقبه: قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوي: صعيب: وادي

---

(١) تحقيق النصرة للمراغي ٢٠٤ والمغانم المطابة ص ١٢٧، ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) هو أبو الحسين يحيى بن الحسن الحجة العقيقي المدني المتوفى سنة ٢٧٧هـ، له كتاب أخبار المدينة لم يصل إلينا بعد، ووصلت إلينا قطعة من كتاب أنساب الطالبيين له، انظر: سزكين ١/ ٢٧٣.

(٥) قوم روبى: كهلكى وسكرى، خُثَراء النفس أثخنهم السفر أوالوجع، تاج العروس١/ ٢٧٢.

(٦) الدرة الثمينة ٢، ٣٣٢ والتعريف للمطري ٤٩ وتحقيق النصرة للمراغي ٢٠٣ كلاهما عن ابن النجار.

بطحان دون الماجشونية، وفيه حفرة مما يأخذ[1] الناس منه، وهو اليوم إذا وَبِيءَ[2] إنسان أخذ منه[3].

قلت: قد رأيت ذلك في نسخة كتاب يحيى التي رواها ابنه طاهر بن يحيى عنه؛ والماجشونية: هي الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية[4].

وقال ابن النجار عقبه: وقد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم، والناس يأخذون منها، وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحاً، قال: وأخذت أنا منه أيضاً[5].

قلت: وهذه الحفرة موجودة اليوم، مشهورة سلفاً عن خلف، يأخذ[6] الناس منها وينقلونه للتداوي، وقد بعثتُ منها لبعض الأصحاب، أخذاً مما ذكروا في أخذ نبات الحرم للتداوي.

ثم رأيتُ الزركشي قد قال: ينبغي أن يُسْتَثْنى من منع نقل تُراب الحَرَم تربةُ حمزة رضي الله عنه[7]، لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوي من الصداع[8].

فقلت عند الوقوف عليه: أين هو من تُراب صُعَيب لما قدمناه فيه؟ بخلاف ما ذكره إذ لا أصل له.

وذكر المجد: أن جماعة[9] من العلماء ذكروا أنهم جَرَّبوا تراب صُعَيب

---

(١) ر: يأخذون.

(٢) في الأصول: وبا، ووبىء: أي أصابه المرض، وجاء اللفظ: "ربا" مصحَّفاً في الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٣، انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٤٤، وانظر: تحقيق النصرة للمراغي ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٣.

(٤) المغانم المطابة ٢١٨، ٤٥٤.

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٣ ومنه نقل الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٢١٨ والتعريف للمطري ٤٩.

(٦) ر: يأخذون.

(٧) في حاشية ص ورد: «ويقول برهان الدين المذنب نزيل طيبة: أنا جربته في بعض الأمراض التي عجز الناس من دوائه؛ أخذت من بعض الحجاج الذين ذهبوا به إلى الهند واستعملته في محل ذلك المرض فحصل به [الشفاء] بإذن الله والحمد لله على ذلك».

(٨) لم أقف على هذا القول في إعلام الساجد بأحكام المساجد المطبوع.

(٩) ص: جماعات.

للحمَّى فوجدوه صحيحاً[1].

قال: وأنا بنفسي سقيته غلاماً لي مريضاً من نحو سنة تواظبه الحُمَّى، فانقطعت عنه من يومه[2].

وذكر المجد أيضاً في موضع آخر: كيفية الاستشفاء به: أنه يُجْعل في الماء ويُغْتَسل به[3].

وكذا ذكره الجمال المطري عند ذكر صعيب فقال: وفيه حفرة يؤخذ من ترابها ويجعل في الماء ويغتسل به من الحمَّى[4].

قلت: فينبغي أن يجعل في الماء ثم يتفل عليه، وتقال الرقية الواردة، ثم يجمع بين الشرب والغسل منه، ويُسْتَأنَس للغسل بما روينا في جزء أبي مسعود بن الفرات الرازي[5] عن ثابت بن قيس: «أن النبي ﷺ عاده وهو مريض فقال: أذْهِبِ البَاسَ رَبَّ الناس»[6].

عن ثابت بن قيس بن شماس، ثم أخذ كفاً من بطحاء، فجعله في قَدَحٍ من ماء، ثم أمر فَصُبَّ عليه[7].

ورواه أبو داود في سننه[8] إلا أنه قال: ثم أخذ تراباً من بطحان ـ بالنون،

---

(١) نقل الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٢١٨ هذا القول من الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٣٣.

(٢) الخلاصة ٤٣ والمغانم المطابة ص١١٤، ونصه: «فإنَّ جماعات من العلماء ذكروا أنهم جربوا تراب صعيب للحمى فوجدوه صحيحاً، وأنا بنفسي سقيته غلاماً لي مريضاً من نحو سنة تواظبه الحمى فانقطعت عنه الحمى من يومه».

(٣) المغانم المطابة ٢١٨ اسقط السمهودي هنا بعض الكلمات من النص.

(٤) العريف للمطري ٤٩.

(٥) هو أبو مسعود أحمد بن الفرات الرازي، محدِّث أصفهان المتوفى سنة ٢٥٨هـ، مؤلف المسند، انظر: سزكين ١/ ١٣٥، وذكر أن من جزئه نسخة في الظاهرية ومعجم المؤلفين ١/ ٤٥ مع مصادر ترجمته.

(٦) معرفة الصحابة ٣/ ٢٢٢وفتح الباري١٠/ ٢٠٦ ويمكن أن تكون: «أذْهَبَ البأسَ ربُّ الناس».

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٧١ وانظر: كتاب المعرفة والتاريخ للبسوي ١/ ٣٢٢، وسنن ابن ماجه، تح محمد فؤاد عبد الباقي ١١٥٠.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٢١٤ ومعرفة الصحابة ٣/ ٢٢٢ مع مصادر وروده.

يعني: الوادي المعروف[1].

وفي الصحيحين حديث: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال باصبعه هكذا، ووضع سفيان سَبَّابته بالأرض ثم رفعها، وقال: بسم الله، تربة أرضنا، بريقة[2] بعضنا، يشفي سقيمنا، بإذن ربنا»[3].

ورواه أبو داود بنحوه.

وفي رواية يقول: «يقول بريقه، ثم قال به في التراب: تربة أرضنا».

وروى ابن زبالة: «أنَّ رجلاً أُتِيَ به رسول الله ﷺ وبرجله قرحة، فرفع رسول الله ﷺ طرف الحصير، ثم وضع أصبعه التي تلي الإبهام على التراب بعد ما مسَّها بريقه، وقال: بسم الله، ريق بعضنا، بتربة أرضنا، ليشفي سقيمنا، بإذن ربنا، ثم وضع أصبعه على القرحة، فكأنما حُلَّ من عِقَال».

وروى أيضاً حديث: «تراب أرضنا، شفاء لقرحنا، بإذن ربنا».

وأنَّ أمَّ سَلمة كانت تنعت[4] من القرحة تراب الضبَّة[5].

وفي مسلم حديث: «مَنْ أكَلَ سبعَ تَمرَاتٍ مما بين لابتيها حين يُصبح لم يضره سمٌّ حتى يُمسي»[6].

وفي الصحيحين حديث: «من تَصَبَّحَ بسبع تمرات عَجْوة لم يضره في ذلك اليوم سمٌّ ولا سحرٌ»[7].

ورواه أحمد برجال الصحيح بلفظ: من أكل سبع تمرات عجوة مما بين

---

(١) العبارة: "ورواه أبو داود... الوادي المعروف"، سقطت من ر، س، م١، ت.
(٢) ص: بريق.
(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٠٦ والمغانم المطابة ٢١٨ ومسند الحميدي ١/ ١٢٣.
(٤) تنعت: تَصِفُ.
(٥) نقلاً من المغانم المطابة ص١٥٠، والضبَّة: حديدة عريضة يضبب بها الباب، وتعني هنا: المغلاق.
(٦) س، ص: "شيء" وانظر: صحيح مسلم ٦/ ١٢٣ وجامع الأصول ٧/ ٥٢٠ وطبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٢٨٣ مع تخريجاته.
(٧) جامع الأصول ٧/ ٥٢٠ وصحيح مسلم ٦/ ١٢٣ وفتح الباري ١٠/ ٢٣٨.

لأَبَتَي المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي[(١)]، قال فليح[(٢)]: وأظنُّه قال: «وإن أكلها حين يُمسي لم يضره شيء حتى يُصْبِح»[(٣)].

ورواه ابن زبالة بلفظ: «من تَصبَّحَ بسبع تمرات من العجوة» ولا أعلمه إلا قال: «من العالية لم يضره يومئذ سمٌّ ولا سحرٌ»[(٤)].

وفي صحيح مسلم حديث: «إنَّ في عجوة العالية شفاءً أو إنها ترياق أول البُكرة»[(٥)].

وروى أحمد برجال الصحيح حديثاً فيه: «واعلموا أنَّ الكمأة دواء العين وأن العجوة من فاكهة الجنة»[(٦)].

وروى النسائي وأبو داود الطيالسي والطبراني، في الثلاثة بسندٍ جيد، حديثَ: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين[(٧)]، والعجوة من الجنة، وهي شفاء من السم»[(٨)].

وقد صحَّ في سنن[(٩)] أبي داود عن سعد بن أبي وقاص، قال: «مَرِضْتُ مرضاً، فأتاني رسول الله ﷺ يَعُودُني، فوضع يده بين ثَدْيَيَّ، حتى وجدتُ بَرْدَها على فؤادي، فقال: إنك رجل مَفْؤُود، أئتِ الحارث بن كَلَدة أخا ثقيف فإنَّه رجل

---

(١) صحيح مسلم ٦/ ١٢٣ وشرح صحيح مسلم ٧/ ٢٤٩ مع شرح الحديث للنووي.

(٢) هو فليح بن سليمان المدني، انظر: معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبي ١٥٨ ـ ١٥٩ وأورد المحقق هذه الأقوال عن الذهبي كما جاءت هنا.

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٠٨، ٢١٨: "ثنا فليح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر".

(٤) صحيح مسلم ٦/ ١٢٣ وشرح صحيح مسلم ٧/ ٢٥٠ مع شرحه ومعجم الطبراني الصغير ٨ والمصنف ٥/ ٤٢٩.

(٥) صحيح مسلم ٦/ ١٢٤ وجامع الأصول ٧/ ٥٢١ والمصنف ٥/ ٤٢٩.

(٦) روى البخاري ومسلم والترمذي حديثاً شبيهاً به، وفي صحيح مسلم ٦/ ١٢٤ "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين"، وانظر عن هذا الحديث: جامع الأصول ٧/ ٥١٢ وفتح الباري ١٠/ ١٦٣.

(٧) المعجم الكبير ١٢/ ٦٣، ٢٤٦ والمصنف ٥/ ٤٦٢ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/ ١١ مع مصادر وروده.

(٨) انظر: المعجم المفهرس ٣/ ١٥٦، ١٥٧ عن البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وابن ماجه والدارمي وهو في معجم الطبراني الصغير ٦٩.

(٩) ر: سند.

يتطبب، فليأخذ[1] سبع تمرات من عجوة المدينة، فلْيَجَأْهُنَّ ثم ليَلُدَّكَ بهن»[2].

ورواه الطبراني لكن عن سعد بن أبي رافع[3].

قوله: "فليجأهن" أي: فليدقهن، قاله عياض، وقال ابن الأثير: فليجأهن: أي فليدقهن[4]، وبه سميَّت الوجيئة، وهو تمرٌ يُبَلُّ بلَبَنٍ ثم يُدقُّ حتى يَلتَئِم.

ومنه الحديث: «أنه[5] عاد سعداً فوصف له الوجيئة»[6].

وقوله: "ثم ليلدك" أي: يسقيك، يقال: لَدَّه باللَّدُود، إذا سقاه الدواء في أحد جانبي الفم[7].

وفي كامل ابن عدي[8] حديث: «ينفع من الدُّؤَامِ[9] أن يأخذ سبْعَ تمرات من عجوة المدينة كلَّ يوم، يفعل ذلك سبعة أيام»[10].

وفي غريب الحديث للخطَّابي عن عائشة رضي الله عنها: «أنها كانت تأمر للدُّؤَامِ والدُّوَارِ بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الريق»[11].

والدؤام والدوار: ما يأخذ الإنسان في رأسه فيدومه[12]، ومنه تدويم الطائر،

---

(١) ص: فيأخذ.

(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٤، وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود بلفظ: «فليجأهن بنواهن» وسقطت: «بنواهن» من إعلام الساجد، وهذا دليل أن السمهودي لم يكن ينقل مباشرة، وعن الحديث، انظر: جامع الأصول ٧/ ٥٢١.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٦/ ٥٠.

(٤) وجأْتُ النوى ونحوه: إذا دققته، جامع الأصول ٧/ ٥٢١ والنهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥٢.

(٥) سقطت من س، ر.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥٢.

(٧) المغانم المطابة ص١١٤، وهذا تفسير كراع النمل كما جاء في تاج العروس ٢/ ٤٩٣.

(٨) هو عبد الله بن عدي الجرجاني المعروف بابن القطّان المتوفى بجرجان سنة ٣٦٥هـ، مؤلف الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث وغيره، انظر: سزكين ١/ ١٩٨وبروكلمان ١/ ١٦٨ وملحقه ١/ ٢٨٠ومعجم المؤلفين ٦/ ٨٢ مع مصادر ترجمته.

(٩) ر: الدام، وفي إعلام الساجد للزركشي ٢٦٣: «الجذام».

(١٠) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٣

(١١) المصدر نفسه ٢٦٢، ٢٦٥.

(١٢) في إعلام الساجد ٢٦٥: «فيدار به».

وهو أن يستدير في طيرانه[1].

وقال الخطابي: كون العجوة عُوذة من السم والسحر إنما هو من طريق التبرك بدعوة رسول الله ﷺ، لا لأنَّ طبعها يفعل شيئاً[2].

وقال النووي: في[3] تخصيصها دون غيرها، وعدد السبع من الأمور التي عَلِمَها الشارع ولا نعلم نحن حِكْمَتَهَا، فيجب الإيمان بها واعتقاد فضلها، وما ذكره المازري[4] والقاضي[5] في هذا باطل، وقصدت بذلك التحذير من الاغترار به[6]، انتهى.

وأشار به لقول[7] القاضي في أثناء تعليل ذلك: إنه لتأثيرٍ في الأرض أو الهواء، ولقول المازري: لعلَّ ذلك كان لأهل زمنه ﷺ خاصة أو لأكثرهم[8]، إذ لم يثبت استمرار وقوع الشفاء في زمننا غالباً، وإن وجد ذلك في الأكثر حُمِلَ على أنه أراد وصف غالب الحال[9]، انتهى.

وقد جعله ابن التين[10] احتمالاً، وزاد عليه آخَرَ أعجبَ منه، فقال: يُحْتَمَلُ أن يكون المراد نخلاً خاصاً من المدينة لا يُعرف الآن، ويحتمل أن يكون ذلك

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٥.

(٢) نقلاً من إعلام الساجد للزركشي ٢٦٣، وانظر: فتح الباري ١٠/ ٢٣٩: "كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة لا لخاصية في التمر".

(٣) سقطت من ر، س.

(٤) المازري: هو محمد بن علي بن عمر المازري المالكي المعروف بالإمام المتوفى بالمهدية سنة ٥٣٦هـ، مؤلف كتاب المُعْلِم بفوائد مسلم وشرح التلقين لعبد الوهاب وغيرهما، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٦٦٣ ومعجم المؤلفين ١١/ ٣٢ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤ مع مصادر ترجمته.

(٥) يريد: القاضي عياض اليحصبي.

(٦) اختصر السمهودي كلام النووي، شرح صحيح مسلم ٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ وفتح الباري ١٠/ ٢٤٠.

(٧) ص: لقوله.

(٨) ص: ولأكثرهم.

(٩) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ٢٤٠.

(١٠) هو عبد الواحد بن التين السفاقسي المتوفى سنة ٦١١هـ مؤلف المنجد الفصيح في شرح البخاري الصحيح ذكره ابن حجر مراراً في فتح الباري وردَّ عليه كثيراً وبيَّن أوهامه.

خاصاً بزمانه ﷺ [1]، انتهى.

وهو مردود، لأنَّ سَوْقَ الأحاديث وإيراد العلماء لها وإطباق الناس على التبرك بعجوة المدينة وتمرها يَرُدُّ التخصيص بزمانه ﷺ، مع أنَّ الأصل عدمه، ولم تزل العجوة معروفة بالمدينة يأثرُها الخلف عن السلف، يعلمها كبيرهم وصغيرهم علماً لا يقبل التشكيك.

وقال الداوودي [2]: هي من أوسط التمر، كما هو المشاهد اليوم [3].

وقال غيره: هي من أجود تمر المدينة [4]، ومراده أنها ليست من رَدِيِّهِ [5].

وقال ابن الأثير: العجوة ضرب من التمر أكبرمن الصَّيْحَاني يضرب إلى السواد، وهو مما غرسه النبي ﷺ بيده بالمدينة [6].

وذكر هذا الأخيرَ البزارُ أيضاً [7]، فلعل الأوداء [8] التي كاتب سلمان الفارسي أهله عليها وغَرَسَها ﷺ بيده الشريفة بالفُقَيْـر [9] أوغيره من العالية كانت عجوة [10]، والعجوة بالفقير توجد إلى يومنا هذا [11]، ويبعد أن يكون المراد أن هذا النوع إنما

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ٢٣٩.

(٢) هو ابو جعفر أحمد بن سعيد مؤلف شرح البخاري.

(٣) نقلا من فتح الباري ١٠/ ٢٣٨.

(٤) هذا قول ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٢٣٨ : "العجوة ضرب من أجود تمر المدينة وألينه".

(٥) يريد: رديئه.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٨٨ وفتح الباري ١٠/ ٢٣٨.

(٧) نقلاً من فتح الباري ١٠/ ٢٣٨ وفيه: "القزاز".

(٨) الأوداء جمع ودي على وزن غني (ولم يزل اللفظ معروفاً في الجزيرة العربية) هو صغار النخل، والواحدة: وَدِيَّة، انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٧٠، وتسمى في العراق: الفسائل جمع فسيل وهي الصنبور عند القاسم بن سلام، انظر: إصلاح الغلط في غريب الحديث، لابن قتيبة، تح جيرار لكونت ١٨٣.

(٩) في المغانم المطابة ٣١٨:"فقير مثال زبير: موضع قرب خيبر"، وانظر: معجم البلدان ٤/ ٧١، ٢٦٦ وتاريخ المدينة ١/ ١٧٤، وانظر:فتح الباري ٧/ ٢٧٧ وفصل: الشراء من المشركين من كتاب البيوع، حول مكاتبة سلمان على غرس الودي، وقد أوضح السمهودي مكانه وأنه في عالية المدينة في آخر الكتاب.

(١٠) لا يُعرف هذا النوع من التمر الآن بهذا الاسم في المدينة المنورة، فأنَّ الأسماء تتغير بتغير الأزمان.

(١١) ذكر السمهودي "الفقير" كما سيأتي، في آخر كتابه في الفصل الثامن من الباب السابع.

حدث بغرسه ﷺ وإن جميع ما يوجد منه من غرسه كما لا يخفى[١].

وروى ابن حِبَّان عن ابن عباس قال: كان أحبَّ التمر إلى رسول الله ﷺ العجوةُ.

وفي حديث ضعيف: «خيرُ تمركم البرني[٢]، يُخرج الداءَ ولا داءَ فيه»[٣]. ورواه ابن شَبَّة بنحوه، خطاباً لوفد عبد القيس[٤] في تمرهم[٥]، وكذا الحاكم في مستدركه[٦].

وفي مسلم حديث: «يا عائشة بيت لا تمرَ فيه جِيَاعٌ أهلُه»، قالها مرتين أو ثلاثاً[٧].

وفيه أيضاً حديث: «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر»[٨].

وفي الكبير والصغير للطبراني، ورجال الصغير رجال الصحيح عن ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ إذا أُتِيَ بالباكورة[٩] من الثمار وضعها على عينه ثم قال: اللهمَّ كما أطعمتنا أوله فأطعمنا آخره، ثم يأمر به للمولود من أهله»[١٠].

ولفظ الكبير: «كان إذا أُتِيَ بالباكورة من التمر قبَّلَهَا وجعلها على عينة»[١١]... الحديث.

---

(١) انظر ذلك مفصلاً في السيرة النبوية ١/ ١٤١ ـ ١٤٢ وفتح الباري ٤/ ٤١٢.

(٢) البرني: تمر أصفر مدور وهو أجود التمر، وقال الأزهري: ضرب من التمر أحمر مشرب بصفرة كثير اللحاء، وقال البكري في معجم ما استعجم: انه منسوب إلى قرية برن، تاج العروس ٩/ ١٣٧. قلت: لعله هو المعروف بـ: البَربَن في العراق اليوم، وانظر: مسند أحمد، مسند المكيين ١٥٠٠٨، ومسند الشاميين ١٧١٦٢.

(٣) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٤ ومسند أحمد ٣/ ٥٥٨ وذكر البزار وغيره ضعفه.

(٤) لم يرد بالنص في تاريخ المدينة ٢/ ٥٨٨ وإنما ورد بلفظ: "... وتسمون هذا البرني؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال هو خير تمركم وأنفعه لكم" ومثله في مسند أحمد ٣/ ٥٥٨.

(٥) ر، س، ص، م٢: ثمارهم.

(٦) المستدرك ٤/ ٢٠٤ وانظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٧) انظر: جامع الأصول ٧/ ٤٧٨.

(٨) رواه مسلم والترمذي وأبو داود، انظر: جامع الأصول ٧/ ٤٧٨ والمصنف ٥/ ٥٦٢.

(٩) ص: البكورة.

(١٠) المعجم الصغير ١٦٣.

(١١) وهو كذلك في المصدر نفسه.

وفي نوادر الحكيم الترمذي[١] عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أُتِيَ بالباكورة من كلِّ شيءٍ قَبَّلها ووضعها على عينه اليمنى ثلاثاً ثم على عينه اليسرى ثلاثاً، ثم يقول: اللهمَّ»[٢] الحديث بنحوه.

وروى البزار بسند فيه ضعيف[٣] حديث: «يا عائشة إذا جاء الرطب فهنيني».

ورويناه في **الغيلانيات**[٤]، وفيها أيضاً حديث: «كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يُفطِر على الرطب في أيام الرطب، وعلى التمر إذا لم يكن رطب، ويختم بهن، ويجعلهن وتراً: ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً».

وفيها حديث: «كلوا التمر على الريق، فإنه يقتل الدود»[٥].

وأنواع تمر المدينة كثيرة، ذكرنا ما أمكن جمعه منها في الأصل[٦] فبلغ مئة وبضعاً وثلاثين نوعاً، منها: النوع المسمى بالصَّيْحَاني، وقد أسند الصَّدر إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموي[٧] في كتابه **فضل أهل البيت**[٨] عن جابر رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ يوماً في بعض حيطان المدينة، ويَدُ عليٍّ في يده، قال: فمررنا بنخل، فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء، وهذا عليٌّ سيد الأولياء أبو

---

(١) هو كتاب نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، طبع في استانبول سنة ١٢٩٤هـ.

(٢) نوادر الأصول ١٣٤.

(٣) أي: فيه راوٍ ضعيف.

(٤) الغيلانيات: تخريج الدارقطني، نسبة لأبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز المتوفى سنة ٤٤٠ هـ، وهي ما سمعه من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البغدادي الشافعي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩٨ ؛ والرسالة المستطرفة للكتاني ٩٢ ـ ٩٣ من الطبعة الثانية.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٤٠، شرح الحديث.

(٦) يشير إلى أصل كتابه هذا وهو: إقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، وقدذكره في مقدمة خلاصة الوفا باسم: الوفا بأخبار دار المصطفى ، وقد احترق الأصل مع ما احترق من كتب اخرى للمؤلف.

(٧) هو صدر الدين بن حمويه الجويني الشافعي الصوفي المتوفى سنة ٧٢٢هـ، مؤلف التاريخ باللغة العجمية، انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي، تح محمد محمد أمين، ١/ ١٥٥ مع مصادر ترجمته، وهو ولد سعد الدين محمد بن المؤيد ابن حمويه الحموي الصوفي المتوفى بخراسان سنة ٦٥٠هـ، انظر: بروكلمان: ملحق١/ ٨٠٣ وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٤ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٧٠.

(٨) لم أجد له ذكراً بعد في ما لدي من فهارس المخطوطات.

الأئمة الطاهرين، ثم مررنا بنخلٍ فصاح النخل: هـذا محمدٌ رسول الله، وهـذا عليٌّ سيف الله، فالتفت النبي ﷺ إلى عليٍّ، فقال له: يا علي سَمِّه الصَّيْحَاني»، فسمي من ذلك اليوم الصيحاني[1]، وهو حديث غريب، فكان هذا سبب تسمية ذلك النوع بهذا الاسم، لأنَّ تلك النخلات كانت منه؛ ويحتمل أن يكون المراد تسمية ذلك الحائط بهذا الاسم، وبالمدينة موضع بجِفَاف[2] يُعرف بالصيحاني.

وروى بعضهم هذا الحديث عن عليٍّ بألفاظٍ فيها نكارةٌ، وفي آخره: «يا علي سَمِّ نخل المدينة صيحانياً لأنهن صِحْنَ بفضلي وفضلك»[3].

---

(١) انكر الإمام أبو العباس ابن تيمية مثل هذا الهراء فقال في مناسك الحج من مجموع الفتاوى ١٥٤/٢٦: "وقول بعض الناس إنه صاح بالنبي ﷺ جهل منه، بل إنما سمي بذلك ليبسه، فإنه يقال: تصوَّح التمر إذا يبس".

(٢) جفاف: بالكسر وبفاءين، موضع أمام العوالي، المغانم المطابة ٨٩، وسيأتي تحديده في آخر الكتاب.

(٣) اختصره السمهودي في الخلاصة ٤٦، والحديث ليس غريباً وفيه نكارة بل ينضح بالوضع والتكلُّف.

الفصل السابع

في سرّ خصائصها

وهي كثيرة لا تكاد تنحصر، وها أنا ذاكرٌ ما حضرني منها الآن، وإنْ شاركَتْهَا مكةُ في بعضه، فأقول وبالله التوفيق:

الخاصة الأولى: ما تقدمت الإشارة إليه من كونه ﷺ خُلِقَ من طينتها، وكذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأكثر الصحابة والسلف ممن دُفِنَ بها.

وروي أنَّ الله تعالى بعث جبريل وميكائيل ليقبضا قَبْضَةً من الأرض فأَبَتْ، حتى بعث الله عزرائيل فقبض منها قبضةً، وكان إبليس قد وطيءَ الأرضَ بقدميه، فصار بعضُ الأرض بين قدميه وبعض الأرض موضع أقدامه، فَخُلِقتْ النفسُ مما مسَّ قدم إبليس، فصارت مأوى الشرّ، ومن التربة التي لم يصلْ إليها قدمُ إبليس أصل الأنبياء والأولياء.

قال في **العوارف**[1]: وكانت ذرّةُ رسول الله ﷺ موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسّها قدم إبليس.

وقيل لما خاطب الله السماواتِ والأرضَ بقولـه: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا... الآية﴾[2] أجاب من الأرض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها[3].

---

(١) عوارف المعارف لعمر بن محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى ببغداد سنة ٦٣٢هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٤٤٠ وملحقه ١/ ٧٨٨ و سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٢ ومعجم المؤلفين ٧/ ٣١٣ مع مصادر ترجمته.

(٢) سورة فصِّلت ١١.

(٣) عوارف المعارف للسهروردي (بهامش إحياء علوم الدين) ١/ ٢٨، ٣١.

وعن ابن عباس: أصل طينة النبي ﷺ من سُرَّة الأرض بمكة، يعني: الكعبة، وهو مُشْعِرٌ بأنَّ ما أجاب من الأرض ذرتُه ﷺ ومن الكعبة دُحِيَت[1] الأرض، فصار ﷺ هو الأصل في التكوين[2].

قال في العوارف عَقِبَهُ: وتربة الشخص مدفنه، فكان مقتضى ذلك أن يكون مدفنه هناك، لكن قيل: لما تَمَوَّج الماء رَمَى الزَّبَدَ إلى النواحي، فوقعت جوهرة النبي ﷺ إلى ما يحاذي تربته الشريفة بالمدينة، فكان مكياً مدنياً[3].

قلت: فلمكة الفضل بالبداية، وللمدينة بالاستقرار والنهاية.

الثانية: اشتمالها على البقعة التي انعقد الإجماع[4] على تفضيلها على سائر البقاع[5]، كما تقدم تحقيقه.

الثالثة: دفن أفضل الأمة بها والكَثيرِ من الصحابة الذين هم خير القرون.

الرابعة: أنها محفوفة بأفضل الشهداء الذين بَذَلُوا نفوسهم في ذات الله بين يَدَيْ نبيِّه ﷺ فكان شهيداً عليهم.

ونقل عياض في المدارك وابن الجوزي في منسكه[6]: أنَّ مالكاً كان يقول في فضل المدينة: هي دار الهجرة والسنة، وهي محفوفة بالشهداء، وبها خيار الناس بعد رسول الله ﷺ[7].

الخامسة: أنَّ الله تعالى اختارها داراً وقراراً لأفضل خلقه وأكرمهم عليه ﷺ.

السادسة: أنَّ الله تعالى اختار أهلَها للنصرةِ والإيواء.

---

(١) ص: دحية.
(٢) عوارف المعارف ١/٢٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٩ مع بعض التغيير في الألفاظ، وبعد هذا جاء: "مدنياً حنينه إلى مكة وتربته بالمدينة".
(٤) خ، م٢: إجماع الأمة.
(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٨٦.
(٦) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ٤٥٧ باختلاف ونقص في الألفاظ.
(٧) ترتيب المدارك ١/٥٩.

السابعة: أن سائر البلاد افتتحت بالسيف، وافتتحت هي بالقرآن[1]، كما هو مروي عن مالك، ورفعه ابنُ زَبَالة من طريقه[2].

الثامنة: أن الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الإسلام، حتى مكة المشرفة وجعلها مظهر دينه القويم.

التاسعة: ما ذكره عياض من الإتفاق علي وجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة، ووجوب سكناها لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالأنفُس، قال: ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة بمكة بعد الفتح، ورخص له في الإقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه.

العاشرة: أنه يُبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها، على ما نقله عياض في المدارك عن مالك في ضمن أشياء في فضل المدينة، قال: وهذا لا يقوله مالك من عند نفسه[3].

الحادية عشرة: ما تقدم في الأسماء من تسميتها بـ: **المؤمنة والمسلمة**، وأن تربتها لمؤمنة، وأنه لا مانع من أنَّ يخلق الله ذلك فيها.

الثانية عشرة: إضافتها إلى الله تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾[4]، على ما تقدم في الأسماء، وقد جاءت الأرض غير مضافة إلى الله تعالى والمراد بها مكة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[5].

الثالثة عشرة: إضافة الله إياها إلى رسوله بلفظ البيت في قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٦ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وأورد ما قاله ابن معين في محمد بن الحسن بن زبالة: «ليس بشيء».

(٢) انظر حكم علماء الجرح والتعديل في هذا الحديث في: إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٦: «قال يحيى: هذا كذب ليس بشيء، أصحاب مالك يروونه من كلام مالك» ورواه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ٤٥٧ عن الزبير بن بكار عن محمد بن يحيى عن مالك.

(٣) ترتيب المدارك ١/٥٩.

(٤) سورة النساء ٩٧.

(٥) سورة الأنفال ٢٦.

رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[1]، على ما تقدم في الأسماء.

الرابعة عشرة: إقسام الله[2] بها في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[3] على ما سبق في الأسماء، أي: نَحْلِفُ لك بهذا البلد الذي شَرَّفتُهُ بك و«لا» زائدة للتأكيد، ويدل عليه قراءة الحسن والأعمش: ﴿لأُقۡسِمُ﴾.

الخامسة عشرة: أن الله بدأ بها في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾[4]، فمدخل صدق هي؛ ومخرجه مكة كما تقدم، مع أنَّ القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع، فإنْ قيل: التقديم هناك للاهتمام بأمر المدخل، قلنا: في الاهتمام به كفاية.

السادسة عشرة: تسميتها في التوراة بـ: **المرحومة** ونحوه، ومخاطبة الله إياها كما تقدم.

السابعة عشرة: دعاؤه ﷺ بحبها كمكة وأشد، وتسميتها بـ: **الحبيبة**، وغيره كما تقدَّم، ودعاؤه أن يجعل الله له بها قراراً ورزقاً حسناً.

الثامنة عشرة: تحريكه ﷺ دابته أو إيضاعها إذا أبصر جدراتها عند قدومها، وأنه كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية[5] طرح رداءه عن منكبيه وقال: «هذه أرواح طَيْبَة»، كما تقدم.

التاسعة عشرة: اهتمامه ﷺ بأمر الدعاء لها بالبركة وغير ذلك.

العشرون: تحريمها على لسان[6] أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه إكراماً له، وكونُه لا جزاءَ فيها على القول به دليل على عظيم حرمتها حيث لم يشرع

---

(١) سورة الأنفال ٥.

(٢) ص: الله تعالى.

(٣) سورة البلد ١.

(٤) سورة الإسراء ٨٠.

(٥) الأثاية: تُفتح همزته وتُكسر، موضع في طريق الجُحفَة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً، وقد سبق التعريف به.

(٦) ساقطة من س.

فيها جائر[1].

الحادية والعشرون: تاسيس مسجدها الشريف على يده ﷺ وعَمَلُه فيه[2] بنفسه، ومعه خير الأمة؛ المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون.

الثانية والعشرون: اختصاصها بالمسجد الذي أنزل الله فيه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[3].

الثالثة والعشرون: كون ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة[4]، وفي رواية: «ما بين منبري وهذه الحُجَرِ»[5] يعني: حُجَرَهُ ﷺ، وسيأتي بيانُ أنَّ ذلك يَعِمُّ مسجدَه ﷺ على ما هو المشهور بين الناس في تحديد المسجد الشريف؛ ولهذا قال بعضهم: هذا المسجد هو المسجد الذي لا تُعرف بقعةٌ في الأرض من الجنة غيرَه.

الرابعة والعشرون: كون منبره الشريف على تُرْعَةٍ من تُرَع الجنة[6]، وأنَّ قوائمه رواتب[7] في الجنة[8]؛ وفي رواية: «ومنبري على حوضي»[9].

الخامسة والعشرون: ما ورد في مسجده الشريف من المضاعفة الآتي بيانها.

السادسة والعشرون: حديث: «مَنْ صَلَّى في مسجدي هذا أربعين صلاة كتب

---

(١) س، ص: جابر، ر: جاير.

(٢) ص: فيها.

(٣) سورة التوبة ١٠٨.

(٤) انظر: **جامع الأصول** ٩/٣٢٩: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"، اخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك في **الموطأ** و**التعريف** للمطري ١٨، ٢٠ ـ ٢١.

(٥) س: الحجرة يعني حجرته.

(٦) **معجم الطبراني الكبير** ٦/٥٧٧٩، ٥٨٠٩، ٥٨٨٨، ٥٩٧١، ٥٩٩٥ و**التعريف** للمطري ١٨، ٢١، وانظر: تفسير ابن قتيبة له في: **تأويل مختلف الحديث** ١٢٠ ـ ١٢١ و**طبقات ابن سعد** ١/٢٥٣.

(٧) رواتب: جمع راتب، وهي الشيء الثابت المقيم، انظر: **جامع الأصول** ٩/ ٣٣٠ و**التعريف** للمطري ٢١.

(٨) الحديث: أن النبي ﷺ قال: "إنَّ قوائم منبري هذا رواتبُ في الجنة"، أخرجه النسائي، وانظر: **جامع الأصول** ٩/ ٣٣٠ و**المستدرك** للحاكم ٣/ ٥٣٢ و**المعجم الكبير** للطبراني ٢٣/ ٢٥٤.

(٩) **جامع الأصول** ٩/٣١٩ عن الموطأ والبخاري ومسلم وانظر: **التعريف** للمطري ٢١: "وقبره في بيته وهو حجرة عائشة رضي الله عنها".

له براءة من النار، وبراءة من العذاب، وبَراءة[1] من النفاق»، رواه الطبراني في الأوسط[2].

السابعة والعشرون: ما سيأتي من[3] أن مَنْ خرج على طُهرٍ لا يُريد إلاَّ الصلاة فيه كان بمنزلة حَجَّة[4]، وأنَّ الخارج إليه من حين يخرج من منزله فرِجْلٌ تكتب حسنة ورجلٌ تَحُطُّ خطيئة[5].

الثامنة والعشرون: أنَّ إتيان مسجد قباء يعدل عمرةً كما سيأتي.

التاسعة والعشرون: حديث: «صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر في ما سواها[6]، وصلاة الجمعة في المدينة كألف صلاة في ما سواها»[7]، فسائر أفعال البر كذلك كما قيل به في مكة، وبه صرح أبو سليمان داود الشاذلي[8] في الانتصار، ثم رأيته في الإحياء[9]، قال: إنَّ الأعمال في المدينة تتضاعف، قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا»[10] الحديثَ، ثم قال: فكذلك كلُّ عمل بالمدينة بألف، انتهى.

---

(١) ر: وبريء.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٢١١ برقم: ٥٤٤٠.

(٣) سقطت من ص.

(٤) التعريف للمطري ١٩.

(٥) السنن الكبرى للنسائي ١/ ٢٠٢ بلفظ: «ورجل تمحو سيئة».

(٦) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٨، قال: «روى الطبراني بإسناد ضعيف...» ومثير العزم لابن الجوزي ٤٧٣ وقال في كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٢/ ٨٧: «هذا حديث لا يصح» وأورد أقوال علماء الجرح والتعديل في رجال سنده.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ١/ ٣٧٢ ومثير العزم الساكن ٤٧٢ وقال في العلل المتناهية ٢/ ٨٧: «هذا حديث لا يصح» وانظر: مجمع البحرين ٣/ ١٤٥، ٣٠١.

(٨) هو داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي الإسكندري المتوفى سنة ٧٣٣هـ، مؤلف شرح التلقين لعبد الوهاب البغدادي في فروع الفقه المالكي والبيان والانتصار في زيارة النبي المختار، انظر: معجم المؤلفين ٤/ ١٤٠ مع مصادر ترجمته.

(٩) هو كتاب إحياء علوم الدين، المشهور في العالمين، للغزالي.

(١٠) المعجم المفهرس ٢/ ٤٢٨ عن البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه والموطأ وأحمد مراراً وطبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٤٣٧ مع تخريجه والأوسط للطبراني، رقم: ١٦١١.

وقال ابن الرفعة في المطلب[1]: وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة، والصلاة بمكة أفضل من الصيام، مراعاة لنزول فرضيتهما[2]، انتهى.

قلت: ويؤخذ من هذه العلة أنَّ كلَّ عبادة شُرِعَتْ بالمدينة فهي بها[3] أفضل منها بمكة، ولك أن تعدَّ هذا خاصة مستقلة.

الثلاثون: حديث: «لا يَسْمَعُ النداء في مسجدي هذا ثم يخرج منه إلاَّ لحاجة ثم لا يرجِع إليه إلاَّ منافق»[4].

الحادية والثلاثون: تأكد التعلم والتعليم بمسجدها[5]، كما سيأتي.

الثانية والثلاثون: اختصاصه بمزيد الأدب وخَفْضِ الصوت لكونه بحضرة سيِّد المرسلين، واختصاصه عند بعضهم بمنع آكل الثوم ونحوه من دخوله، لاختصاصه بملائكة الوحي[6].

الثالثة والثلاثون: أنه لا يجتهد في محرابه، لأنه صواب قطعاً، فلا مَجَالَ للاجتهاد فيه حتى باليَمْنة واليَسْرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد مكان مُصَلاَّه ﷺ[7].

قال الرافعي[8]: وفي معناه سائر البقاع التي صلى فيها ﷺ إذا ضبط

---

(١) هو أحمد بن محمد بن علي ابن الرفعة الأنصاري المتوفى بمصر سنة ٧١٠هـ، مؤلف كتاب مطلب المعاني في شرح وسيط الغزالي في نحو أربعين مجلداً ولم يكمله، انظر: بروكلمان ٢/ ١٣٣ وملحقه ٢/ ١٦٤ ومعجم المؤلفين ٢/ ١٣٥ مع مصادر ترجمته.

(٢) يريد: أن الصلاة فرضت بمكة وأن الصيام فرض بالمدينة.

(٣) سقطت من ص.

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه ٢٧٣.

(٦) انظر: المصنف ٥/ ٥٦٠ وما بعدها والمعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٩٨؛ ٢٠/ ٢٢٤، ٤١٧.

(٧) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٨.

(٨) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني المتوفى بقزوين سنة ٦٢٣هـ، مؤلف فتح العزيز على كتاب الوجيز للغزالي في ١٦ مجلداً وشرح مسند الشافعي وغيرهما، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩٣ وملحقه ١/ ٦٧٨ ومعجم المؤلفين ٦/ ٣ و سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٢ مع مصادر ترجمته.

المحراب، قال[1]: وفي[2] ضبطه بغيرها[3] عسر أو تعذر[4].

الرابعة والثلاثون: أنَّ ما بين منبره ﷺ ومسجد المُصَلَّى روضة من رياض الجنة[5]، وهذا جانب كبير من هذه البلدة.

الخامسة والثلاثون: حديث: «أُحُدٌ على تُرعَةٍ من تُرَع الجنة» وحديث: «أحد جبل يحبنا ونحبُّـهُ»[6].

السادسة والثلاثون: حديث: «إنَّ بُطْحَان على ترعة من ترع الجنة»[7].

السابعة والثلاثون: وُصِفَ العقيق بالوادي المبارك[8]، وأنه ﷺ يُحِبُّـه، وفي رواية: «يحبنا ونحبه»[9].

الثامنة والثلاثون: حَثُّـهُ ﷺ على الإقامة بها.

التاسعة والثلاثون: حثه على اتخاذ الأصل بها.

الأربعـون: حَثُّـه على الموت بها، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أو هما[10].

الحادية والأربعون: حرصه ﷺ على موته بها.

---

(١) ر، س، ت، ص: قلت.
(٢) ص: في.
(٣) لم ترد في إعلام الساجد للزركشي، وهي من السمهودي.
(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٥٨ ـ ٢٥٩ و: «وفي ضبطه...تعذر»، هو قول الزركشي.
(٥) المصدر نفسه ٢٥١.
(٦) صحيح البخاري: باب الاعتصام ١٦، باب الجهاد ٧١،٧٤، باب الأطعمة ٢٨، باب الزكاة ٥٤، باب الأنبياء ١٠، باب الدعوات ٣٥، باب المغازي ٢٧؛ صحيح مسلم: باب الحج ٤٦٢، ٥٠٣، ٥٠٤، باب الفضائل ١٠ ورواه مالك في االموطأ ٣١٠ وأحمد مراراً وانظر فتح الباري ٦/ ٨٤، ٤٠٧ مثلاً مع شرحه.
(٧) تاريخ المدينة ١/ ١٦٨ وفي كشف الأستار ٢/ ٥٨ : "بُطحان على بركة من برك الجنة".
(٨) إشارة إلى الحديث: «أتاني آت من ربي فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك...» فتح الباري ٣/ ٣٩٢ وتاريخ المدينة ١/ ١٤٦ وكشف الأستار ٢/ ٥٨.
(٩) كشف الأستار ٢/ ٥٨ وفتح الباري ٨/ ١٢٥ والموطأ ٣١٠ وقد سبقت الإشارة إليه.
(١٠) يريد: أو هما معاً.

الثانيـة والأربعون: كون أهلها أول من يشفع لهم، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والإكرام، كما تقدم.

الثالثة والأربعون: بَعْثُ الميِّت بها من الآمنين، على ما سيأتي.

الرابعة والأربعون: أنه يُبعث من بقيعها سبعون ألفاً على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب، ومثله في مقبرة بني سلمة، وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع، كُلَّما امتلأت أخذوا بأطرافها فكَفَؤُها[1] في الجنة[2].

الخامسة والأربعون: بَعْثُ أهلها من قبورهم قبل سائر الناس.

السادسة والأربعون: شهادته أو شفاعته ﷺ لمن صبر على لأوائها وشدتها.

السابعة والأربعون: وجوب شفاعته ﷺ لمن زاره بها.

الثامنة والأربعـون: استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف، ويقال: أنه مستجاب عند الأسطوان المخلَّق وعند المنبر.

وفي رواية[3]: دارعقيل بالبقيع وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء، واستحباب الدعاء بمسجد الإجابة وبمسجد[4] السقيا وبالمصلى عند القدوم، وعند بركة السوق في يوم العيد، وعند أحجار الزيت وبالسوق، لما سيأتي عند ذكر هذه الأماكن من ورود ذلك عنه ﷺ بها.

التاسعة والأربعون: كونها تنفي خبثها.

الخمســون: كونها تنفي الذنوب كما تنفي النار خَبَثَ الفضة.

الحادية والخمسون: الوعيد الشديد لمن ظلم أهلَهَا أو أخافهم.

الثانية والخمســون: أنَّ[5] من أرادها وأهلَها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء.

---

(١) من كفأ يَكفأ الشيء إذا قلبه، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٨٣.

(٢) تحقيق النصرة للمراغي ١٢٥ والتعريف للمطري ٤٢.

(٣) س، ر، خ، م١، ت: زاوية.

(٤) ص: ومسجد.

(٥) سقطت من ر.

وفي رواية: أذابه الله في النار، ويؤخذ من ترتيب الوعيد على الإرادة مساواة المدينة لحرم مكة في هذا، وفيه قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ. . . الآية﴾[1]، ويتمسك للمساواة أيضاً بقوله ﷺ : «كما حَرَّمَ إبراهيمُ مكةَ».

فقولُ ابن مسعود رضي الله عنه[2]: ما من بلدة يؤآخذ العبد فيها بالهمِّ قبلَ الفعلِ إلاَّ مكة، و تلا الآية؛ مُشْكِلٌ[3].

وأيضاً فالهمُّ العارضُ الوارد من غيرِعَزْمٍ لا مؤاخذةَ به مطلقاً بالاتفاق، وأما الثابت الذي يصحبه التَّصميم فالعبد مؤاخذ به بمكة وبغيرها، وإنما خصوصية الحرم تعظيمُ العذاب لمن هَمَّ فيه لجرأته، ولذا روى أحمد في معنى الآية بإسناد صحيح مرفوعاً: «لو أنَّ رجلاً هَمَّ فيه بإلحاد وهو بِعَدَن أبيَن[4] لأذاقه الله عذاباً أليماً».

الثالثة والخمسون: الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثاً أو آوى محدثاً، وتقدم تفسير الحدث بالإثم مطلقاً، وأنه دالٌّ على أنَّ الصغيرة بها كبيرة، للوعيد الشديد في ذلك، لأنها حَضْرَةُ أشرفِ المرسلين ﷺ وسوء الأدب على بساط الملك ليس كالإساءة في أطراف المملكة.

قال بعض السلف: إياك والمعصية فإن عصيت ولا بدَّ فليكن في مواضع الفجورلا في مواضع الأجور، لئلا يتضاعف عليك الوزر أو تُعَجَّل لك[5] العقوبة.

فإن قيل: هذا قول بتضعيف السيئات في الحرم، والراجح خلافه، لقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[6].

---

(١) سورة الحج ٢٥.

(٢) «رضي الله عنه»: سقطت من ص.

(٣) يريد: قول ابن مسعود مشكل، فأخَّر الخبر.

(٤) عدن: موضع في جنوب اليمن مشهور، وابين: مخلاف عدن وتضاف إليها، انظر صفة جزيرة العرب٧٠ ـ ٧١ وتعليقات المحقق ومعجم البلدان ٤/ ٨٩.

(٥) سقطت من ص.

(٦) سورة الأنعام ١٦٠.

قلنا: تحرير النزاع أن القائل بالمضاعفةِ أراد مضاعفةَ مقدارِهَا، أي: عظمها لا العدد[١]، فإنَّ السيئة جزاؤها[٢] سيئة، لكن السيئات قد تتفاوت عقوبتها[٣] باختلاف الأشخاص والأماكن، كما أنَّ تعزير[٤] كلِّ أحدٍ بما يَليقُ به في الزجر، فجزاء السيئة مثلُها، ومن المماثلة رعاية ما اقترن بها مما دلَّ على جرأة مرتكبها، فلا[٥] تُكتب إلاَّ واحدة، والله أعلم.

الرابعة والخمسون: الوعيد لمن لم يُكرم أهلَهَا، وأنَّ إكرامهم وحفظهم حَقٌّ على الأمة، وأنه ﷺ شفيع أو شهيد لمن حفظهم فيه.

الخامسة والخمسون: حديث: «من أخافَ أهلَ المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّ»[٦].

السادسة والخمسون: حديث: «مَنْ غابَ عن المدينة ثلاثة أيام جاءها[٧] وقلبه مُشْرَب[٨] جَفْوَةً».

السابعة والخمسون: أنه: «لا يخرج أحد منها رغبةً عنها إلاَّ أخْلَفَ الله فيها خيراً منه»، كما في حديث مسلم.

قال المحب الطبري: فيه إشعار بذم الخروج منها، وذهب بعضهم إلى أنه مخصوص بمدة حياته ﷺ وأما[٩] بعد وفاته فقد خرج نفرٌ كثيرٌ من كبار الصحابة، وذهب آخرون إلى أنه عام أبداً.

---

(١) ص: لعدد.
(٢) ص: جزؤها.
(٣) ساقطة من ر.
(٤) س: تقرير، ص: تعذير.
(٥) ص: ولا.
(٦) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٥١ والدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٣٥، ورواه أحمد في مسنده عن جابر، كما جاء في حاشية الدرة الثمينة.
(٧) ر، م٢،ت،خ: جاء.
(٨) مشرب: على زنة مُفْعَل، اي: خالطه الجفاء والقساوة والجساوة.
(٩) ص: فأما.

قال الطبري[1]: وهو ظاهر اللفظ، نعم هو مخصوص بالمستوطن، لا مَنْ نَوَى الإقامة بها مدة ثم ينقلب إلى وطنه.

الثامنة والخمسون: إكرام الله لها بنَقْلِ وبائِها وتحويل حُمَّاهَا.

التاسعة والخمسون: الاستشفاء بترابها، وما تقدم في تمرها[2].

الستون: عصمتها من الطاعون.

الحادية والستون: عصمتها من الدجال، وخروج الرجل الذي هو خير الناس، أو من خير الناس، إليه منها، وقوله له: أشهد أنك الدجال، وأنه لا يُسَلَّطُ عليه بآخرة الأمر[3]، وبهذا تتميز على مكة، والسر فيه أنَّ سيِّد المرسلين، وهو حجة الله على العباد، بالمدينة.

الثانية والستون: ما في حديث الطبراني من قوله ﷺ: «وحق على كلِّ مسلم زيارتها»[4].

الثالثة والستون: سماعُه ﷺ سلامَ من سَلَّمَ وصلاةَ من صلى عليه عند قبره الشريف، وردُّه عليه.

الرابعة والستون: اختصاصها بمَلَكِ الإيمان والحياء، كما تقدم في الأسماء.

الخامسة والستون: كون الإيمان يأرزُ إليها.

السادسة والستون: اشتباكها بالملائكة وحِراستهم لها.

السابعة والستون: كونها أولَ أرضٍ اتُّخِذَ بها مسجدٌ لعامة المسلمين في هذه الأمة.

الثامنة والستون: كون مسجدها آخِرَ مساجد الأنبياء، وآخر المساجد[5] التي

---

(١) يريد: محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤هـ، صاحب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى وغيره.

(٢) في الأصول: ثمارها.

(٣) صحيح مسلم ٨/١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٢/٢٩١: "من جاءني زائراً..."، وفي ١٢/٤٠٧ بمعناه.

(٥) شرح صحيح مسلم ٥/١٧٦ والتاريخ الكبير ٤/٢/٢٥٤.

تُشَدُّ إليها الرِّحالُ، وكونه أحق المساجد أن يُزار كما سيأتي.

التاسعة والستون: كثرة المساجد والمشاهد والآثار بها، بل البركة عامة منبثَّة بها، ولهذا قيل لمالك: أيما أحبُّ إليك المقام هنا، يعني: بالمدينة أو بمكة؟ فقال: ها هنا، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلاَّ سلك عليها رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة؟.

السبعون: ما يوجد بها من رائحة الطيب الذكية[1]، على ما تقدم في الأسماء.

الحادية والسبعون: طِيْبُ العيش بها، على ما تقدم هناك أيضاً.

الثانية والسبعون: استحقاق مَنْ عَابَ تربتها للتعزير، فقد أفتى مالك في من قال: "تربة المدينة رديئة"، بأن يُضرب ثلاثين دِرَّةً، وأمر بحبسه ـ وكان له قَدْرٌ ـ وقال: ما أحْوَجَه إلى ضرب عنقه! تربةٌ دُفِنَ فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيِّبة[2].

الثالثة والسبعون: الوعيد الشديد لمن حلف يميناً فاجرة عند منبرها[3].

الرابعة والسبعون: استحبابُ الدخول لها من طريق والرجوع في أخرى، لما سيأتي في مسجد المعرَّس[4].

الخامسة والسبعون: استحباب الاغتسال لدخولها.

السادسة والسبعون: استحباب الدعاء والطلب من الله الموت[5] بها.

السابعة والسبعون: أنها دار إسلام أبداً، لحديث: «إنَّ الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدي هذا»[6].

---

(١) في الأصول: الزكية، «ومسك ذكي وذاكٍ وذكية: ساطع ريحه»، **تاج العروس** ١٠/١٣٧ [ذكا].

(٢) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٠٩ ـ ١١٠.

(٣) ص: منبره.

(٤) **المغانم المطابة** ٣٨٦: «بالضم ثم بالفتح وتشديد الراء المفتوحة وسين مهملة، اسم لمسجد ذي الحُليفة على ستة أميال من المدينة». وقال: «التعريس: نومة المسافر بعد إدلاجه، كان رسول الله ﷺ يُعرس قربه ثم يرحل بغزاة أو غيرها» وانظر: **كتاب الأماكن للحازمي** ٢/٨٤٩.

(٥) س، ر، ص، م٢: للموت.

(٦) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ١٨٤ عن **صحيح مسلم** ٨/١٣٨ (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ـ باب تحريش الشيطان).

الثامنة والسبعون: أنها آخر قرى الإسلام خراباً، رواه الترمذي وقال: حسن غريب، ورواه ابن حبان بلفظ آخر: «آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة»[1].

التاسعة والسبعون: تخصيص أهلها بأبعد المواقيت وأفضلها، تعظيماً لأجورهم.

الثمانون: ذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة، وهي مسألة عزيزة، وممن نصَّ عليها ابن أبي شيبة[2] في **مُصَنَّفِهِ** فروى عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون «نهم بدأوا بالمدينة قبل مكة، وأنَّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدأون بالمدينة»[3].

وفي **المناسك الكبير**[4] للإمام أحمد، رواية ابنه عنه: «سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة، فذكر بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد، قالوا: إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وأبدأ بمكة، فإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت»[5].

وعن إبراهيم النخعي ومجاهد: «إذا أردت مكة للحج والعمرة فاجعل كلَّ شيء لها تبعاً»[6].

ثم روى أن نفَراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدأون بالمدينة إذا حجوا،

---

(1) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩١ وانظر: المغانم المطابة ص١٥٠ والمعجم المفهرس ٢/ ١٧ عن الترمذي: «آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة. . .».

(2) هو عبد الله بن محمد القاضي أبي شيبة، أبو بكر العبسي المتوفى سنة ٢٣٥هـ، مؤلف كتاب المسند وكتاب المصنف وغيرهما، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢١٥ وسزكين ١/ ١٠٨ ومعجم المؤلفين ٦/ ١٠٧.

(3) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٨٥ وانظر: شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتاج الدين السبكي ٤٣ والمصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٤/ ٢١٨.

(4) ورد ذكره مع المناسك الصغير عند ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد بن حنبل: صفحة ١٩١ (الباب السابع والعشرون : في ذكر مصنفاته) وعند الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٢٨.

(5) نقلاً من إعلام الساجد للزركشي وانظر: شفاء السقام للسبكي ٤٣ والمصنف ٤/ ٢١٨.

(6) نقلاً من المصدر نفسه وانظر أيضاً: شفاء السقام ٤٣.

يقولون: «نبدأ[1] من حيث أحرم رسول الله ﷺ»[2].

قلت: وهذا ألمُرَجِّح[3]، لتفضيل ميقات المدينة[4]، وإتيان المدينة أولاً وُصْلَةٌ إليه، مع ما فيه من البداءة بزيارة النبي ﷺ وإيثارها، ولعله السبب عند مَنْ بدأ بالمدينة ممن تقدم ذكره من التابعين كما قال السبكي[5].

ونقل الزركشي عن العبدي شارح الرسالة من المالكية أنه قال: «المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس»[6]، انتهى.

والخلاف في ما إذا لم تكن المدينة على طريقه، لأنَّ مأخذ مَنْ رَجَّحَ البداءة بمكة المبادرة إلى قضاء الفرض، ولهذا قال الموفق ابن قدامة[7]: قال أحمد: وإذا حجَّ الذي لم يحجَّ قط ـ يعني: من غير طريق الشام ـ لا يأخذ على طريق المدينة، لأني أخاف أن يحدث به[8] حدث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره[9].

قال السبكي: وهو في العمرة متجه، لإمكان فعلها متى وَصَل، وأما الحجُّ فله وقت مخصوص، فإذا كان متسعاً لم يفت بمروره بالمدينة شيء[10].

قلت: ومع ذلك فهو في الفرض، ولهذا قال في الفصول[11]: نقل

---

(١) في إعلام الساجد وشفاء السقام والمصنف: «نهل» بدلاً من: «نبدأ» والظاهر أنه من تصحيفات النساخ.

(٢) نقلاً من المصدر نفسه وانظر أيضاً: شفاء السقام ٤٣ والمصنف ٢١٨/٤.

(٣) ص: أرجح

(٤) "لتفضيل. . . المدينة"، ساقطة من ر.

(٥) شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي ٤٣.

(٦) إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٥ ـ ١٨٦ وشفاء السقام ٦١، ٧١، ١٠٠: "قال العبدي".

(٧) وهو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي المتوفى بدمشق سنة ٦٢٠هـ، مؤلف كتاب المغني على مختصر الخرقي وكتاب الروضة في الأصول وغيرهما، انظر: بروكلمان ٣٩٨/١ وملحقه ٦٨٨/١ ومعجم المؤلفين ٦/ ٣٠ مع مصادر ترجمته.

(٨) ر: بها.

(٩) إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٨٥ وشفاء السقام للسبكي ٥٨.

(١٠) شفاء السقام ٥٨.

(١١) لعله يريد: الفصول لأبي الوفا علي بن عقيل الحنبلي المتوفى سنة ٥١٣ هـ، منه نسختان مخطوطتان=

صالح[1] وأبو طالب[2]: إذا حجَّ للفرض لم يمر بالمدينة، لأنه إن حدث به حدثُ الموت كان في سبيل الحج، وإن كان تطوعاً بدأ بالمدينة، انتهى.

وممن نصَّ على المسألة أيضاً الإمام أبو حنيفة على ما نقله أبو الليث السمرقندي[3]، وقال: «إن الأحسن البداءة بمكة»[4].

الحادية والثمانون: اختصاص أهلها في قيام رمضان بستٍ وثلاثين ركعة على المشهور عند الشافعية.

قال الرافعي والنووي: قال الشافعي: رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة، منها ثلاث للوتر[5]، قال أصحابنا: «وليس لغير أهل المدينة ذلك لشرفهم بمُهَاجَر رسول الله ﷺ وقبره».

ثم قال الرافعي: «وسببُ فِعْلِ أهل المدينة ذلك أن الركعات العشرين خمس ترويحات، وكان أهل مكة يطوفون بين كلَّ ترويحتين أسبوعاً[6]، ويُصَلُّون ركعتي الطواف أفراداً، وكانوا لا يفعلون ذلك بين الفريضة والتراويح ولا بين التراويح والوتر، فأراد أهل المدينة أن يساووهم في الفضيلة، فجعلوا مكان كل أسبوع - أي: مع ركعتيه - ترويحة، فحصل أربعُ ترويحاتٍ هي ستَ عشرةَ ركعة»[7]، انتهى.

= في القاهرة، انظر: بروكلمان ١/٣٩٨ وملحقه ١/٦٨٧، والظاهر أنه ليس للسبكي إذ لم يذكره ولده إنَّ له كتاباً بهذا العنوان ضمن ما ذكر من كتبه في **طبقات الشافعية** ١٠/١٣٩ ـ ٣٣٨.

(١) هو صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، انظر: سزكين ١/٥١٠ و**سير أعلام النبلاء** ١٢/٥٢٩.

(٢) هو أبو طالب محمد بن علي المكي، صاحب **قوت القلوب**، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٦/٥٣٦.

(٣) هو نصربن محمد بن أحمد، ابو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٢٩٣هـ، مؤلف **تنبيه الغافلين** وغيره، انظر: بروكلمان ١/١٩٦ وملحقه ٢/٣٤٧ وسزكين ١/٤٤٥ و **معجم المؤلفين** ١٣، ٩١ مع مصادر ترجمته.

(٤) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ١٨٥ و**شفاء السقام في زيارة خير الأنام** للسبكي ٥٨.

(٥) في **إعلام الساجد بأحكام المساجد** للزركشي ٢٦٠: «قال الماوردي قال الشافعي: أختارُ عشرين ركعة، ورأيتهم بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة: تسع ترويحات، ويوترون بثلاث».

(٦) يعني: يطوفون بالكعبة المشرفة سبعة أشواط.

(٧) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ٢٦٠ ـ ١٦١.

ونقل الروياني[1] في البحر هذا السبب عن الشافعي[2].

وقال القاضي أبو الطيب الطبري[3]: قال الشافعي: «لا يجوز لغير أهل المدينة أن يجاروا[4] أهل مكة ولا ينافسوهم لأنَّ الله فَضَّلهم على سائر البلاد»[5]، انتهى.

وحاصل التوجيه أن الحسد في الخير مطلوب، وهو في الحقيقة غبطة، كما حَسَدَ المهاجرون ـ لما لم يكن لهم ما يتصدقون به ـ الأنصارَ، فقالوا[6]: ذهب أهلُ الدُّثُور بالأجُور[7] فأثبت أهل المدينة هذا العدد بضربٍ من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة، وقد تَشَارَكَ البَلَدانِ في الفضائل حتى اختُلف في تفضيل كلٍّ منهما على الأخرى، وجعل لأهل المدينة ما يحصل به ثواب الاعتمار والحج، وامتازت المدينة بالمهاجر والقبر، فجُعِل لأهلها طريقٌ إلى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع إقامتهم بها، ولعله لو لم يشرع لهم ذلك لحملتهم الرغبة في الخير على[8] الانتقال إلى مكة؛ وسكنى المدينة مطلوب.

وأما غيرهم فليس له شيء من هذا الفضل، فكيف يتأتى له مساواة أهل مكة؟ فلم يشرع لهم ذلك.

هذا وإجماع أهل المدينة حجة عند مالك، والقيام بهذا العدد بالمدينة باقٍ

---

(١) الروياني: هو عبد الواحد بن إسماعيل الطبري الشافعي المقتول بآمل سنة ٥٠٢ هـ، مؤلف كتاب بحر المذاهب في فروع الفقه الشافعي وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩٠ وملحقه ١/ ٦٧٣ وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٠ ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٠٦ مع مصادر ترجمته.

(٢) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٠.

(٣) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر، أبو الطيب الطبري البغدادي المتوفى سنة ٤٥٠هـ، مؤلف كتاب شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٦٨ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ٥/ ٣٧.

(٤) في الأصول: يماروا والتصحيح من إعلام الساجد.

(٥) اختصر السمهودي وتصرَّف في نص إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٦) ر: فقال.

(٧) الدثور جمع دَثْرٍ، وهو المال الكثير، أي: أن الأغنياء ذهبوا بالأجر لاستطاعتهم الصدقة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٠٠.

(٨) خ، م٢: الرغبة إلى الانتقال.

إلى اليوم، إلاَّ أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء، ثم يأتون آخرَ الليل فيقومون بست عشرة[١] ركعة، فوقع لهم خلل في أمر الوتر نَبَّهْنا عليه في كتاب: مصابيح القيام في شهر الصيام وكنتُ قد ذكرت لهم ما يحصل به إزالة ذلك، ففعلوه مدةً، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الأمر كما كان.

الثانية والثمانون: زيادة البركة بها على مكة المشرفة، وقد قدمنا حديثاً يشير إلى أن المدعو به لها من البركة ستة أضعاف ما لمكة من البركة، والمصرح به في الأحاديث: «ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

وفي بعضها: مثل ما جعلت بمكة من البركة ومع البركة بركتين.

الثالثة والثمانون: نُقل عن مالك أنَّ خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قُدِّمَ إجماعُهم، ولهذا روى حديث خيار المجلس[٢] ثم قال: وليس لهذا عندنا حدٌّ معلوم ولا أمرٌ معمولٌ به، لما اختصَّ به أهلُ المدينة من سكناهم مَهْبِط الوحي ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ، فمخالفتهم تقتضي علمهم بما أوجب ترك العمل من ناسخ أو دليل راجح، والمحققون على أن البقاع لا أثرَ لها في ذلك، وقد بلغ ابنَ أبي ذئب[٣] ـ وهو من أقران مالك ـ مخالفته للحديث فاغلظ في ذلك، لأنَّ العصمة إنما تثبت في إجماع جميع الأمة[٤]، ويؤخذ من كلام مالك اختصاصُ ذلك بعمل أهل ذلك العصر من أهل المدينة.

الرابعة والثمانون: حديث النسائي والبزار والحاكم واللفظ له: «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون[٥] عالِماً أعْلَمَ من عالم المدينة»[٦].

---

(١) س، ر، ص، م٢: بستة عشر،

(٢) يشير إلى مخالفة ابن أبي ذئب لمالك في حديث: "البيِّعان بالخيار"، انظر: سير أعلام النبلاء ١٤٢/٧.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب، أبو الحارث القرشي العامري المدني، توفى سنة ١٥٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٤٢ مع مصادر ترجمته.

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٥) س، ر، ص: فلا يجدوا.

(٦) المستدرك ٩١/١، وورد هذا الحديث بطرق مختلفة وألفاظ مغايرة في سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠ للذهبي عن سفيان بن عيينة عن أبي هريرة وعن غيرهما، وأشار محقق الكتاب إلى مسند أحمد =

وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد كان ابنُ عُيَيْنَة[1] يقول: «نرى هذا العالم مالك بن أنس»[2]، انتهى.

قال الزركشي: وفي ما حكاه عن سفيان نظر، لما في صحيح ابن حبان: «أن إسحاق بن موسى قال: بلغني عن ابن جُرَيج أنه كان يقول: نرى أنه مالك بن أنس، فذكرت ذلك لسفيان بن عيينة فقال: إنما العالم من يخشى الله، ولا نعلم أحداً كان أخشى لله من العمري»[3].

قال التُورِبُشتي[4] في شرح المصابيح: يعني: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، كان من عباد الله الصالحين المشائين في بلاده وعباده بالنصيحة[5]؛ بلغنا أنه كان يخرج إلى البادية ليتفقـد أهلها شفقةً عليهم وأداءً لحق النصيحة فيهم.

وقد أخرج الترمذي الحديث وحَسَّنهُ، وتكلم ابن حزم فيه، ثم قال: «ولم يتعين هذا في مالك، لأنه كان في عصره جماعة لا يفضل على واحد منهم وكان بالمدينة مَنْ هو أجلُّ منه كسعيد بن المسيب، فهذا الحديث أولى به»[6].

= والترمذي وابن حبان والحاكم وغيرهم وانظر: مثير العزم الساكن لابن الجوزي ٤٧٩ ومسند الحميدي ٢/ ٤٨٥ مع الاشارة إلى اماكن وروده، ومجمع الزوائد ١/ ١٣٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير.

(١) هو سفيان بن عيينة.

(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٨، وانظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٠ ـ ٥٢، ٣٢٢ ومثير العزم الساكن لابن الجوزي ٤٧٩ وانظر مناقشة ابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام ٨٤٩ ـ ٨٥٣.

(٣) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٩ وانظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٢، والعمري هو عبد الله بن عبد العزيز العُمري الزاهد، السير ٨/ ٣٣١.

(٤) هو فضل الله حسن التوربشتي، مصنِّف شرح مصابيح السنة للبغوي، بروكلمان: ملحق ١/ ٦٢٠ ومنه نسخ مخطوطة في حلب والآصفية ورامبور، وجاء في ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٢٤٩: "وأظن هذا الشيخ مات في حدود الستين والست مئة، وواقعة التتار أوجبت عدم المعرفة بحاله". وفي كشف الظنون: شهاب الدين فضل الله بن حسن التوربشتي الحنفي.

(٥) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٢، ١٠٢: "وكان قوّالاً بالحق أمّاراً بالعرف منعزلاً عن الناس، وكان يحض مالكاً (بن أنس) ـ إذا خلا به ـ على الزهد والانقطاع والعزلة".

(٦) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٩.

وقال ابن عيينة: ولو سئل أي الناس أعلم؟ لقالوا: سفيان، يعني: الثوري[١].

قال ابن حزم: وإن صحَّ هذا الحديث فإنما يكون إذا قرب قيام الساعة وأرِزَ الإيمان إلى المدينة وغلب الدجال على الأرض خلا مكة والمدينة، وأما حتى الآن فلم يأت صفة ذلك الحديث، لأنَّ الفقه انقطع من المدينة جملة واستقرَّ في الآفاق، انتهى، ولا يخلو عن[٢] نزاع![٣].

الخامسة والثمانون: تحريمُ نقلِ أحجار حرمها وترابها، كما سيأتي بيانه.

السادسة والثمانون: لو نذر تطييبَ مسجد المدينة وكذا الأقصى، ففيه تردد لأمام الحرمين، لأنّا إنْ[٤] نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة، أو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا، وكلام الغزالي في آخر باب النذر يقتضي اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه، لا في غيرهما من المساجد، والإمام[٥] طَرَدَهُ في الكل[٦]، وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغي أن لا يتوقف في ما لو نذر تطييبَ القبر الشريف.

السابعة والثمانون: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء بذلك وجهاً واحداً، وفي وجوب الوفاء في[٧] زيارة قبر غيره وجهان، قاله ابن كَجٍّ[٨] وأقرَّه عليه الرافعي والنووي وغيرهما[٩].

الثامنة والثمانون: قيام مسجدها مقام المسجد الأقصى كالمسجد الحرام في

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه.
(٢) ص، خ، ر: من.
(٣) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٩ ـ ٢٤٠ والعبارة: «ولا يخلوعن نزاع» هي عبارة الزركشي.
(٤) خ: إذا.
(٥) هو إمام الحرمين.
(٦) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٧.
(٧) سقطت من ر، س.
(٨) هو أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج الدينوري المقتول بالدينور سنة ٤٠٥هـ، تلميذ أبي الحسين ابن القطان، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٣ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٧٣.
(٩) نقلاً من شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتاج الدين السبكي ٧١ وانظر: إعلام الساجد ٢٧١.

ما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف في الأقصى، فإن الأصحَّ لزومه به، وأجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه فعل ذلك بالأقصى، ويجزيه بالمسجد الحرام[١].

التاسعة والثمانون: الاكتفاء بزيارة قبر رسول الله ﷺ لمن نذر إتيان مسجد المدينة، كما قاله الشيخ أبو علي[٢] تفريعاً على القول بلزوم إتيانه[٣]، كما قاله الشافعي في البويطي[٤] وعلى أنه لا بدَّ من ضمِّ قُربةٍ إلى الإتيان، كما هو الأصح تفريعاً على اللزوم[٥].

وعلله الشيخ أبو علي[٦] بأنَّ زيارته ﷺ من أعظم[٧] القربات، وتوقف في ذلك الإمام[٨] من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه، قال: وقياسه أنه لو تصَدَّق في المسجد أو صام يوماً كفاه[٩]، وفيه نظر.

على أن الصحيح ما نصَّ عليه في المختصر من عدم لزوم الإتيان، وإن كان اللزوم أرجَحَ دليلاً، ورجَّحَ الرافعي تفريعاً على اللزوم ضمَّ صلاةٍ او اعتكافٍ، وكذا إذا نذر إتيان الأقصى، فأن نفس المرور لما لم يكن في نفسه مزية انصرف النذر إلى ما يُقصد فيه من القُرَب، وبهذا يترجَّحُ ما قاله الشيخ أبو علي، لأنَّ إتيان مسجد المدينة بقصد الصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره[١٠].

---

(١) نقلاً من شفاء السقام ٧٠ وانظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) هو أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السِّنجي الشافعي المتوفى بمرو سنة ٤٣٠هـ، انظر: طبقات الشافعية ٤/ ٣٤٤ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ٤/ ١١.

(٣) نقلاً من شفاء السقام للسبكي ٧٤.

(٤) هو يوسف بن يحيى، أبو يعقوب القرشي البويطي المصري المتوفى سجيناً ببغداد سنة ٢٣١ هـ، وهو مؤلف المختصر الكبير والمختصر الصغير، كلاهما في الفقه الشافعي، انظر: سزكين ١/ ٤٩١ ومعجم المؤلفين ١٣/ ٣٤٢ مع مصادر ترجمته.

(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٦) هو أبو علي السنجي كما جاء في شفاء السقام ٧٤ للسبكي.

(٧) في ر، س، م١، ت: أعظم، ومثله في إعلام الساجد؛ وفي م٢، خ: أفضل.

(٨) يريد الإمام مالك، كما جاء في شفاء السقام للسبكي ٧٤.

(٩) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٩.

(١٠) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٩ وقد تصرَّف السمهودي في النص.

التسعون: قال ابن المنذر: إذا نذر أن يمشي إلى مسجد الرسول والمسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعةٌ، ومن نذر أن يمشي إلى بيت المقدس كان بالخيار: إن شاء مشى إليه وإن شاء مشى إلى المسجد الحرام لحديث: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إني نذرت إن فَتَح الله عليك مكة أن أصلي في مسجد بيت المقدس، قال ﷺ: صَلِّ ها هنا، ثلاثاً»[1]، انتهى.

ويعلم مما تقرر في إجزاء مسجد المدينة عن الأقصى في الإتيان والصلاة إجزاؤه هنا كالمسجد الحرام، والذي اقتضاه كلام البغوي[2] تصحيح عدم لزوم المشي في مسجد المدينة والأقصى، وهو الذي رجَّحوه[3].

الحادية والتسعـون: قوله ﷺ في أحاديث تحريمها: «ولا يُحْمَلُ فيها سلاح لقتال»[4].

الثانية والتسعون: قوله فيها أيضاً: ولا تلتقط لقطته إلا لمن أشاد بها.

الثالثة والتسعون: إذا قلنا بضمان صَيْدها وقطع شجرها، فالصحيح أنه يُسْلَبُ الصائد كما يسلب قَتيلُ الكفار، وهذا أبلغ في الزجر من الجزاء.

الرابعة والتسعـون: جواز نقل ترابها للتداوي.

الخامسة والتسعون: ظهور نار الحجاز التي أخبر بها ﷺ مما حولها، لأنها للإنذار، فاختصت ببلد النَّذير، ثم لما بلغت الحرم ـ وكان محرمَه المبعوث بالرحمة ـ خمدت وطفئت، على ما سيأتي.

---

(١) التاريخ الكبير ٣/٢/١٧١ وسنن أبي داود، الأيمان والنذور ٢٨٧٥ ورواه أحمد مرتين، وانظر: الأسماء المبهمة للخطيب البغدادي ١٣٥ شفاء السقام للسبكي ٩٣ وإعلام الساجد للزركشي ٢٦٨، ٢٧٠.

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ، مصابيح السنة وغيرها، انظر: بروكلمان ١/٣٦٣ وملحقه ١/٦٢٠ وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩ ومعجم المؤلفين ٤/٦١ مع مصادر ترجمته.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٧٠.

(٤) صحيح مسلم «باب الترغيب في سكنى المدينة» من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ: «إني حرَّمت المدينة حراماً ما بين مأزميها، إلاَّ يُهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال».

السادسة والتسعون: دعاؤه ﷺ بالبركة في سُوقها.

السابعة والتسعون: ما سيأتي في سوقها من أن الجالب إليه كالمجاهد في سبيل الله.

الثامنة والتسعون: أن المحتكر فيه كالملحد في كتاب الله.

التاسعة والتسعون: ما سيأتي في بئر غرس[1] من أنه ﷺ: «رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على بئر غرس، ورؤيا الأنبياء حق»[2].

المئة: ما سبق في ثمارها من أن العجوة من الجنة[3]، فقد اشتملت المدينة على شيءٍ من أرض الجنة ومياهها وثمارها، والله أعلم.

---

(١) بئر غرس بالمدينة بقباء، معجم البلدان ٤/١٩٣ وأورد ياقوت الحديث فيها، وسيأتي تحديدها في كلام المؤلف على آبار المدينة في آخر الكتاب.

(٢) ص: الأنبياء عليهم السلام حق.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٦٣.

الفصل الثامن
في صحيح الأحاديث الواردة في تحريمها
وهي كثيرة

روينا في الصحيحين منها حديث عبد الله بن زيد المازني: إنَّ إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها، وفي لفظ: ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حَرَّمَ إبراهيم مكة[1] . . . الحديث.

وفي البخاري، حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «حَرَّمَ ما بينَ لاَبَتَي المدينة على لساني»[2].

قال: وأتى النبي ﷺ بني حارثة فقال: «أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم، ثم التفت فقال: بل أنتم فيه»[3]، وسيأتي بيان منازلهم.

وفيه أيضاً عنه: «لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذَعَرتُهَا»[4]، قال رسول الله ﷺ : «ما بين لابتيها حرامٌ»[5]، وهو في مسلم بزيادة، ولفظه: «حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي المدينة» قال أبو هريرة: فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١١٢ "عبد الله بن زيد بن عاصم" وجامع الأصول ٩/ ٣٠٨ عن البخاري ومسلم.

(٢) انظر: جامع الأصول ٧/ ٥٢١ واللابَة: الحَرَّة، وهي الأرض ذات الحجارة السود، وهنا: حَرَّتا المدينة.

(٣) فتح الباري ٤/ ٨١، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة.

(٤) صحيح البخاري (أنقرة) ٣/ ٥٦.

(٥) المصدر نفسه، وفي ت: "ما بين لابتيها حرم".

ذعرتها، وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حِمىً[1].

وفي مسلم أيضاً عن عاصم الأحول: «سألت أنساً: أحرَّم رسول الله ﷺ المدينة» قال: نعم، هي حرامٌ؛ لا يُخْتَلى خَلاها[2] فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[3].

وفيه أيضاً حديث رافع بن خَديج رضي الله عنه: «إنَّ إبراهيم حرَّم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها» يريد المدينة[4].

وفيه أيضاً حديث جابر: «إنَّ إبراهيمَ حَرَّمَ مَكةَ، وإني حرَّمت المدينة ما بين لابتيها؛ لا تُقطع[5] عِضَاهُها ولا يُصَاد صيدها»[6].

وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري: «اللهمَّ إنَّ إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزِمَيْها، أنْ لا يُهْرَاقَ فيها دمٌ، ولا يحمل فيها سلاحٌ لقتالٍ، ولا يُخْبَطَ فيها شجرة إلاَّ لعلف»[7]... الحديث.

وفيه أيضاً من حديث أنس: «اللهمَّ إني أحرِّم ما بين جبليها مثل ما حَرَّم إبراهيم عليه السلام مكة»[8].

قلت: المراد بجبليها: عَيْرٌ وثَوْرٌ[9]، وهما المُعَبَّرُ عنهما في الحديث قبله

---

(١) الحديثان في صحيح مسلم ٤/١١٦ وجامع الأصول ٨/٣١١ ـ ٣١٢ عن البخاري ومسلم والموطأ والترمذي.

(٢) الخلا، مقصورٌ: النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً، واختلاؤه: قَطعه، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧٥.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١١٤ وجامع الأصول ٩/ ٣٠٤ عن البخاري ومسلم.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ١١٢.

(٥) خ: يقطع.

(٦) صحيح مسلم ٤/ ١١٣ وجامع الأصول ٩/ ٣٠٩.

(٧) المصدر نفسه ٤/ ١١٧.

(٨) المصدر نفسه ٤/ ١١٤.

(٩) عير: جبل عظيم أسود مستطيل، مشرف على عقيق المدينة، يشاهد عن يمين القادم إليها من مكة بطريق السيارات. وجاء في النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٢٩ "وفيه أنه حرم المدينة ما بين عير إلى ثور، وهما جبلان: أما عير فجبل معروف بالمدينة، وأما ثور فالمعروف أنه بمكة، وفي رواية قليلة: "ما بين عير وأحد"، "أُحُدٌ بالمدينة"، وانظر : المصدر نفسه ٣/ ٣٢٨ وتعليق الأخ محمود=

بمأزميها على ما صَوَّبَهُ النووي[1].

ونسبة تحريم مكة لإبراهيم عليه السلام دليلٌ لما ذهب إليه جماعة من أنها لم تَزَل حلالاً كغيرها إلى زمن إبراهيم عليه السلام، فحُرِّمَتْ.

والثاني: وصححه النووي، ونقل عن الأكثرين - أنها لم تزل حراماً منذ خلق الله السماوات والأرض، ثم أظهر الله ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام[2].

قال الزركشي: وفيه جمع بين الأحاديث[3].

قلت: الأحكام قديمة، لأنها خطاباته تعالى، والحادث إنما هو تعلقاتها بالمكلفين، فإذا كان ظهور تحريمها على لسان إبراهيم عليه السلام فذلك أول تعلق الحكم التكليفي، فما معنى ما يقوله الثاني من تحريمها يوم خلق الله السماوات والأرض مع انتفاء التعلق التكليفي حينئذ؟ ويجوز أن يكون بمعنى أنَّ الله تعالى أظهر ذلك لملائكته يوم خلق السماوات والأرض، وتأخَّر تعلق التكليف[4] به حتى ظَهَر على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام، وهذا لا يأباه القول الأول، بل يسلمه وهو حسن، وبه يجتمع معنى الأحاديث.

ولا يخفى أنَّ خطاب الله تعالى بتحريم المدينة قديم أيضاً، وتأخره من حيث التكليف إلى أن أظهره النبي ﷺ ليس فيه حطٌّ لرتبتها، بل دليل كمالها حيث ادَّخَر الله ذلك حتى جعله على لسان أشرف المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، مع أنهم ذكروا في معنى تحريم إبراهيم لها احتمالين:

أحدهما: أنه حَرَّمها بأمر الله[5] له.

= الطناحي رحمه الله وإيانا في حاشية ٤/ ٢٣٠، وأعاد ابن الأثير قوله في عير وثور في جامع الأصول ٩/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٥١ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ١٧٠.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٧٠: «وبه تتجمع الأحاديث».

(٤) ص: التكليفي.

(٥) ص، م٢: الله تعالى.

والثاني: أنه دعا لها فحرَّمها الله بدعوته فأضيف التحريم إليه[1] فهو مظهر للتحريم بأمر الله ابتداءً أو لترتبه على دعوته، ويقال مثله في تحريمه ﷺ للمدينة.

وقوله: "ما بين لابَّتيها"، أي: حَرَّتَيْها؛ الشرقية والغربية، والمدينة بينهما ولها أيضاً حَرَّة بالقِبْلة وحَرَّة بالشام، لكنهما يرجعان إلى الشرقية والغربية لاتصالهما بهما، ولهذا جمعها ﷺ كلها في اللابتين، كما نبَّه عليه الطبري.

قال النووي: وهو حَدُّ الحَرَم من جهة المشرق والمغرب، وما بين جبليها: بيان لحَدِّهِ من جهة الجنوب والشمال؛ قال: ومعنى قوله: «ما بين لابتيها»: اللابتان وما بينهما، والمراد تحريم المدينة ولابتيها[2].

قلت: ويؤيده أنَّ اللابتين شرقاً وغرباً في محاذاة أحد الجبلين الآتي بيانهما، وأنَّ منازلَ بني حارثة في محاذاة اللابة الغربية على ما اقتضاه كلام المَطَري في ما قدمناه عنه من الباب الأول في ترجمة أثرب[3].

والذي ترجَّح عندي أنَّ منازلهم باللابة الشرقية مما يلي العُرَيْض[4] وما قارب ذلك، لأنَّ الإسماعيلي[5] روى الحديث المتقدم بلفظ: «ثم جاء بني حارثة وهم في سَنَد الحَرَّة»[6] أي: الجانب المرتفع منها[7].

---

(١) هذا كله قول النووي في المصدر نفسه ٥/ ١٥١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ١٥٢.

(٣) ص: عنه في ترجمة أثرب من الباب الأول.

(٤) العريض: بضم العين مُصَغَّر: وادٍ بالمدينة به أموال لأهلها، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢١٤ وقال ياقوت، نقلاً عن أبي بكر الحازمي الهمذاني :هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي، معجم البلدان ٤/ ١١٤، وقال الحازمي في الأماكن ٦٧٣: "بضم العين وفتح الراء وآخره ضادٌ معجمة، وادٍ بالمدينة" وذكر خبر أبي سفيان وأنه بلغ العريض وأحرق صَوراً من صِيران نَخل العريض، وأنه انطلق هو وأصحابه هاربين إلى مكة.

(٥) لعله أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي الشافعي المتوفى بجرجان سنة ٣٧١هـ، مؤلف الصحيح على شرط البخاري وكتاب المعجم في الأسامي وغيرهما، انظر: بروكلمان: ملحق ٢/ ٢٧٥ وسزكين١/ ٢٠٢ ومعجم المؤلفين١/ ١٣٥ وسير أعلام النبلاء١٦/ ٢٩٢ مع مصادر ترجمته.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٥.

(٧) السند: ما ارتفع من الأرض، وقيل ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٠٨.

وسيأتي في منازلهم ما يبين أنَّ المراد: الحرة الشرقية، وليس الموضع الذي ذكره المَطَرِي في سَنَدٍ واحدةٍ من الحَرَّتين[1]، والله أعلم.

ويؤيد[2] ما قاله النووي أيضاً: أنَّ البيهقي روى في **المعرفة**[3]: حديث الصحيفة[4] عن عليٍّ بلفظ: «إنَّ إبراهيم حَرَّمَ مكةَ، وإني أُحَرِّم المدينة ما بين حَرَّتيها وجِمَامها[5]؛ لا يُخْتَلَى خَلَاها، ولا ينفر صيدها، ولا تُلتقط لقطتها إلاَّ لمن أشاد[6] بها يعني: أنشدَ ولا يقطع شجرها إلاَّ أن يعلف رجل بعيراً ولا يُحمل فيها سلاحٌ لقتال[7]. . . » الحديث.

ورواه أحمد كذلك أيضاً[8]، وهو حديث صحيح.

وجمام المدينة ثلاثة، كما سيأتي، وهي مما يلي حَرَّتَها الغربية من جهة المغرب والحَرَّة بين الجمام والمدينة.

وروى مسلم حديثَ الصحيفة بلفظ: «المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْر إلى ثَوْر» والبخاري بلفظ: «المدينة حرمٌ ما بين عاير إلى كذا»[9]، وأبو داود بلفظ: «المدينة

---

(١) التعريف للمطري ٥٩.

(٢) ص: ويؤيده.

(٣) هو كتاب معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، وهو مؤلف دلائل النبوة والجامع المصنف في شعب الإيمان وغيرهما، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٣ وملحقه ١/ ٦١٨ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٦ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣ مع مصادر ترجمته.

(٤) حديث الصحيفة: رواه البخاري في أكثر من باب ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٠٦ مع حاشية المحقق عبد القادر الأرناؤوط.

(٥) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٣٨: "حرتيها وحماها"، وجمام المدينة: هي ثلاثة أجبل في وادي العقيق على يمين الذاهب من المدينة إلى مكة، ويسار الذاهب في المسيل إلى جهة القبلة والجرف، مشهورة بالجماوات وهي معروفة اليوم وقد وصل إليها البنيان، انظر: المغانم المطابة ٩٠ ـ ٩٢، وجاء في دلائل النبوة للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي: "حرّيتها وحماها" وأبو داود ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧ (٢٠٣٥) وسنن البيهقي ٥/ ٢٠١.

(٦) جامع الأصول ٩/ ٣٠٧ وأصلاح الغلط في غريب الحديث ١٩٦٨، ١٩٧.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٢٨ وسنن أبي داود، المناسك (٢٠٣٥٤) ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٨) مسند أحمد ١/ ١٤٥.

(٩) جامع الأصول ٩/ ٣٠٦، وفيه: "عير إلى كَدَاء"، وفي صحيح البخاري (انقرة) ٣/ ٥٤ "عائر إلى =

حرام ما بين عاير إلى ثور» ثم زاد فيه وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا يلقط لقطتها إلا من أشاد بها ولا يصلح لرجلٍ أنْ يَحملَ فيها السِلاحَ لقتالٍ، ولا أنْ يقطع منها شجرة إلاَّ أن يعلف رجلٌ بعيرَه»[1].

ورواه الطبراني برجال موثقِّين مختصراً، ولفظه عن أبي جُحيفة: «أنه دخل على عليٍّ رضي الله عنه، فدعا بسيفه فأخرج من بطن السيف أدماً عربياً، فقال: ما ترك رسول الله ﷺ شيئاً غير كتاب الله الذي أنزل إلاَّ وقد بلغته غير هذا، فإذا: بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله قال: لكل نبي حَرَم وحرمي المدينةُ»[2].

= كذا" ومثله في إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٢٧.

(١) سنن أبي داود رقم: ٢٠٣٤ و٢٠٣٥ في المناسك، باب تحريم المدينة.

(٢) انظر: صحيح مسلم ٤/١١٥ بمعناه.

الفصل التاسع
في بيان عير وثور

وهما المراد بجبليها كما تقدم.

أما عَيْر - بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف، بلفظ العير، مرادف الحمار، ويقال: عاير - فجبلٌ كبيرٌ مشهور في قبلة المدينة بقرب ذي الحُلَيفة ميقات المدينة.

وأما ثور - بالمثلثة بلفظ الثور فَحْل البقر - فجبل صغير خلف أُحُدٍ - كما سنحققه - فإنه خفي على جماعة من فحول العلماء فاستشكلوا الحديث، وقالوا: ليس بالمدينة ثور(١)، إنما هو بمكة، ولهذا في أكثر روايات البخاري من عاير إلى كذا، وفي بعضها: من عير إلى كذا ولم يبيِّن النهاية، فكأنه يرى أنَّ ذكر ثور وهمٌ فأسقطه(٢)، وترك بعض الرواة موضع ثور بياضاً ليتبين الوهم، وضرب آخرون

---

(١) في حاشية س ورد النص: «جبل ثور هو جبل أحمر السطح خلف جبل أحد يلتصق به حيث البناء المربع بقبته المعروف بقبة هارون حذاء الركن الشرقي الشمالي منحط على ذروته صخرة مسودة منقسمة بقسمين الشرقي اكبرهما وهو وسط الجبيلات الثلاث المتحاذيات غير ان الغربي عن هذه أشد انفصالا عن أحد عن الآخرين بحسب رأي البصر إذا جئت اليهم من شرق أحد وفي ما بينه وقبة وعير عرض [الصمد؟] الممتد بين أحد [. . .]، هكذا أشار إليه وأخبر به [. . .] جماعة من عربان بادية المدينة المنورة وكذلك تلقوه عن أسلافهم بالتواتر خلفا عن سلف وقد خرجنا لتعرفه في اواسط شهر شعبان سنة احدى واربعين ومائة والف مع جماعة من الفضلاء والطلبة والعسكر وتحققناه فكان على الوصف المار ذكره وكتبه افقر الخليقة السيد محمد بن السيد اسعد الحنفي قاضي المدينة غفر لهما».

(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٢٧.

عليه[1].

وقال المازري: نقل بعض أهل العلم أنَّ ذكر ثور هنا وَهمٌ من الراوي، لأنَّ ثوراً بمكة، والصحيح: إلى أُحُد[2].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[3]: عير وثور جبلان بالمدينة، وأهل المدينة لا يعرفون بها جبلاً يقال له ثور، إنما ثور بمكة. قال: فإذاً نرى أنَّ الحديث أصله[4]: ما بين عير إلى أُحد[5].

قلت: وكذا رواه الطبراني برجال ثقات، بلفظ: ما بين عير وأحد حرام حَرَّمه رسول الله ﷺ وهو كذلك في روايةٍ لابن زبالة.

وقال الحازمي[6]: الرواية الصحيحة: ما بين عير إلى أحد، وقيل: إلى ثور، وليس له معنى[7]، وتكلَّف بعضهم فقال: "إلى" بمعنى "مع"، كأنه جعل المدينة مضافة إلى مكة في التحريم[8] لأنَّ ثوراً بها[9].

وقال الموفق بن قدامة[10]: يحتمل أن المراد تحريم قَدْر ما بين ثور وعير

---

(1) انظر كلَّ ذلك في فتح الباري لابن حجر ٤/ ٨٢ وما بعدها.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٥٧.

(3) انظر عنه: بروكلمان ١/ ١٠٦ وملحقه ١/ ١٦٦ وكحالة ٨/ ١٠١ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠.

(4) في معجم ياقوت ٢/ ٨٧ "قال: فيرى أهل الحديث أنه حرم ما بين عير إلى أحد وإنما ثور بمكة"، وفي الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٨ "فترى أن الحديث أصله ما بين عير إلى أحد".

(5) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٢ بالنص، وأورد ياقوت قول القاسم بن سلام في معجم البلدان ٢/ ٨٧ ومنه نقل الفيروزابادي في المغانم المطابة ٨١، وانظر: الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٨ والمناسك للحربي ٨١ وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ١/ ١٨٩ والفائق للزمخشري ٣/ ٤٢.

(6) هو محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمذاني المتوفى ببغداد سنة ٥٨٤هـ، مؤلف كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الأماكن والبلدان وكتاب عجالة المبتدي في الأنساب وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٦ وملحقه ١/ ٦٠٦ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٦٤ مع مصادر ترجمته.

(7) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٧ وفيه: «وقال الحافظ الحازمي في كتابه المؤتلف في أسماء الأماكن»، وانظر: كتاب الأماكن ٢/ ٧٠٣.

(8) أورد ياقوت هذا النص ٢/ ٨٧ ومنه نقله الفيروزابادي في المغانم المطابة ٨١ ـ ٨٢.

(9) كلُّ هذه الأقوال نقلها السمهودي من شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٦ ـ ١٥٧ وهي كلها في معجم البلدان لياقوت ٢/ ٨٧.

(10) فتح الباري ٤/ ٨٢، وهو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي =

اللذين بمكة، أو سمَّى النبي ﷺ الجبلين اللذين بطرفي المدينة: عيراً وثوراً ارتجالاً[(١)]، انتهى؛ وهو يقتضي إنكار وجود عير بالمدينة أيضاً، وقد قال الزركشي: نقَلَ عياض عن بعضهم أنه ليس بالمدينة ولا ما يقرب منها جبلٌ يعرف بأحد هذين الاسمين، أعني: عيراً وثوراً[(٢)].

قال ياقوت في معجمه: وهذا وهم، فإنَّ عيراً جبل مشهور بالمدينة[(٣)].

وقال ابن السيد[(٤)]: عير جبل بقرب المدينة[(٥)].

وعبارة عياض في المشارق: عير وعاير المذكوران في حَرَم المدينة في أكثرالروايات: عير، وفي حديث علي: «عاير، قال الزبير بن بكَّار: هو جبل بالمدينة، وقال عمه مصعب: لا يعرف بالمدينة عير ولا ثور»[(٦)]، انتهى.

وقال في المطالع[(٧)]: أكثر رواة البخاري ذكروا عيراً، وأما ثور فمنهم من كنى عنه بكذا، ومنهم من ترك مكانه بياضاً، والأصل في هذا التوقفِ قولُ مصعب الزبيري: ليس بالمدينة عير ولا ثور، وأثبت غيره عيراً، ووافقه على إنكار

= المتوفى بدمشق سنة ٦٢٠هـ، انظر: بروكلمان ١/٣٩٨ وملحقه ١/٦٨٨ ومعجم المؤلفين ٦/٣٠ مع مصادره.

(١) في الأصول: ارتجالاً، وفي إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٨: «تجوزاً» بدلاً من: «ارتجالاً».

(٢) المصدر نفسه ٢٢٧ وفيه: «ولما ذكر ياقوت قول عياض قال بعضهم...».

(٣) انظر ما قاله ياقوت في معجم البلدان ٢/٨٧ و٤/١٧٢، ولم يرد هذا النص عند ياقوت وإنما هذا قول القاضي عياض كما ورد عند الزركشي في إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٢٧ وهذا دليل على أنَّ السمهودي ينقل بالواسطة وليس مباشرة.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٧، وجاء في فتح الباري ٤/٨٢ "وقال ابن السيد في المثلث: عير اسم جبل بقرب المدينة معروف"، و ابن السيد البطليوسي: هو عبد الله بن محمد بن السيد المتوفى ببلنسية سنة ٥٢١هـ، مؤلف شرح موطأ الأمام مالك والمثلث في اللغة وغيرها، انظر: بروكلمان ١/٤٢٧ وملحقه ١/٧٥٨ ومعجم المؤلفين ٦/١٢١ مع مصادر ترجمته.

(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٢٧ وفيه: «وقال ابن السيد في المثلث: عير اسم جبل بقرب المدينة».

(٦) نقلاً حرفياً من فتح الباري ٤/٨٢.

(٧) لابن قرقول، قيل: انه مستخرج من المشارق، انظر: فهرس مخطوطات خزانة القرويين ٢/٣٧٦، ٣/١٢٩.

ثور[1]، انتهى[2].

قلت: سيأتي في ترجمة عير من فصل البقاع[3] عن مصعب الزبيري ما يقتضي إثباته له، وشهرة عير غير خافية بين العلماء، إنما الغرابة في ثور.

وقال النووي عقب نقل كلام الحازمي المتقدم: ويحتمل أن ثوراً كان اسماً لجبل هناك، إما أحد، وإما غيره، فخفي اسمه[4].

وقال صاحب البيان والانتصار[5]: قد صحَّت الرواية بلفظ ثور، فلا ينبغي الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان، فإن أسماء الأماكن تتغير أو تنسى ولا يعلمها كثير من الناس، قال: وقد سألت بمكة عن وادي مُحَسِّر[6] وغيره من أماكن تتعلق بالنُّسُك، فلم أخبر عنها مع تكرر مجيء الناس إليها فما ظنك بغيرها؟ وأيضاً فقد يكون للشيء اسمان فيعرف بأحدهما دون الآخر[7].

وقال المجد: لا أدري كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات وَهْمٍ في الحديث المتفق على صحته، بمجرد إدعاء أن أهل المدينة لا يعرفون جبلاً يسمى: ثوراً، وذكر احتمال طرق التغيير في الأسماء والنسيان لبعضها، قال: حتى

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٢ وفيه: "وقال صاحب المشارق والمطالع . . ."، وأنظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٧.

(٢) سقطت من ص.

(٣) ص: القاع.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٢ أو من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٧.

(٥) هو أبو سليمان داود الشاذلي، كما في خلاصة الوفا ١٠٩ والظاهر أنه من رجال القرن الثامن للهجرة فقد اقتبس الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ هذا القول في إعلام الساجد ٢٢٨ ونسبه لـ: «بعض المتأخرين».

(٦) ورد له ذكر في مناسك الحربي ٤٣٥، ٥٠٥، ٥٠٦ وهو بين منى ومزدلفة، وذكر الحربي ذرع المسافات بينه وبين غيره من المواضع وحدده تحديداً دقيقاً في صفحة ٥٠٥ ـ ٥٠٦ فقال: "وأول حد منى ناحية مكة جمرة العقبة إذا جئت من مكة فأنت في هبطة حتى ترقى في العقبة إلى منى، ومنى في ارتفاع، ولا تزال في استواء في ارتفاع ذاهباً تريد المزدلفة، فإذا صرت أن تهبط فذاك آخر منى وذلك الهبوط في وادي محسر، فلا تزال في ذلك الوادي حتى تصعد مرتفعاً عن الهبوط، فإذا صعدت فأنت حينئذ في الخروج من الوادي. . ."

(٧) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ونسبه إلى: «وقال بعض المتأخرين».

إني سألت جماعة من فقهاء المدينة وأمرائها وغيرهم من الأشراف عن فَدَك ومكانها، فكلهم أجابوا بعدم معرفة موضع يسمى بذلك في بلادهم، مع أن هذه القرية لم تبرح في أيدي الأشراف والخلفاء يتداولونها إلى أواخر الدولة العباسية، فكيف بجبل صغير لا يتعلق به كبير أمر، مع أنه معروف بين أهل العلم بالمدينة، ونقل بعض الحفاظ وَصْفَه بذلك خلفاً عن سلف[1] انتهى.

قلت: قد حكى البيهقي في **المعرفة**[2] قول أبي عبيد[3]: أهل المدينة لا يعرفون جبلاً يقال له: ثور[4].

ثم قال البيهقي: وبلغني عن أبي عبيد أنه قال في كتاب **الجبال**: بلغني أنَّ بالمدينة جبلاً[5] يقال له: ثور[6]، انتهى.

ونقل المجد في ترجمة "عير"[7] عن نصر[8]، أنه قال: عير جبل يقابل الثنية المعروفة بشعب الخوز، وثور: جبلٌ عند أحد[9]، انتهى.

فدلَّ على أنَّ ما اشتهر في زماننا وقبله من وجود ثور بالمدينة له أصل في الزمن القديم، وإن خفي على بعضهم.

وقد أخبرني بوجوده جماعة كثيرة من الخواص، وأروني إياه خلف أحد.

---

(١) انظر: **المغانم المطابة** ٨٢ ـ ٨٣، وقد تصرف السمهودي في النص وزاد عليه.

(٢) هو كتاب معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، وقد طبع الجزء الأول منه في مصر بتحقيق أحمد صقر سنة ١٩٦٩.

(٣) يريد: القاسم بن سلام صاحب كتاب **الأموال** وغيره، انظر عنه: **سير أعلام النبلاء** ١٠/ ٤٩٠.

(٤) **معرفة السنن والآثار** ٧/ ٤٤٣ **وغريب الحديث** لأبي عبيد القاسم بن سلام ١/ ١٨٩.

(٥) في **معرفة السنن والآثار** ٧/ ٤٤٣: "جبيل" والصواب: "جبيلاً".

(٦) **معرفة السنن والآثار** ٧/ ٤٤٣.

(٧) **المغانم المطابة** ٢٨٨.

(٨) هو نصر بن عبد الرحمن الفزاري الإسكندري المتوفى باصبهان سنة ٥٦٠هـ، مؤلف كتاب **الأمكنة والمياه والجبال الواردة في الأخبار والأشعار**، وصل إلينا إلا انه لم ينشر بعد، وانظر: **معجم المؤلفين** ١٣/ ٨٩ ومجلة **العرب** لحمد الجاسر، السنة الأولى ٣٠٩ ـ ٣١٢.

(٩) انظر: **المغانم المطابة** ٢٨٨، قال حمد الجاسر: "كلام نصر ينطبق على جبل بالأبطح بقرب ثنية الحجون، وهناك العيرة"، حاشية ٣. أقول: والعيرة هنا: هما عير الوارد وعير الصادر كما جاء في المصدر نفسه.

ونقل جماعة[1] عن المحدِّث أبي محمد عفيف الدين عبد السلام بن مزروع البصري[2] ـ نزيل المدينة المشرفة ـ أنه رآه غير مرة، وأنه لما خرج رسولاً من صاحب المدينة إلى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن والأَجْبُلَ، فلما وصلا إلى أحدٍ إذا بقُرْبِهِ جبلٌ صغيرٌ، فسأله: ما اسم هذا الجبل؟ فقال له: يسمى ثوراً[3].

وقد حكى عنه نحو هذا القطب الحلبي[4] في شرح البخاري.

وقال المحب الطبري: أخبرني الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول الله ﷺ عبدُ السلام البصري أنَّ حِذاء أحد عن يساره جانحاً إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور؛ وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال، فكلٌّ[5] أخبر أنَّ ذلك الجبل اسمه ثور.

قال الطبري: فعلمنا بذلك أنَّ ما تضمَّنه الحديث صحيح، وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه[6]، انتهى.

وقد ردَّ الجمال المَطَري في تاريخه على من أنكر وجود ثور، وقال: إنه خلف أحد من شماليه، صغير مدور، يعرفه أهل المدينة خلفٌ عن سلف[7].

وقال الأقشهري: وقد استقصينا من أهل المدينة تحقيق خبر جبل يقال له ثور عندهم، فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد، يعرفه القدماء دون

---

(1) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٢ ـ ٨٣، وفيه: "وقرأت بخط شيخ شيوخنا القطب الحلبي في شرحه، حكى لنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري. . . ".

(2) هو عبد السلام بن محمد بن مزروع الحنبلي، جاور بالمدينة الشريفة خمسين سنة وتوفي بها سنة ٦٩٦هـ، انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٤٣٦ وحسن المحاضرة للسيوطي ٤٨٠ ـ ٤٨١ "المصري".

(3) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(4) هو أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤هـ، وعنوان شرحه: التنبيه للأوهام الواقعة في الصحيح، ومنه نسخة بخطه في القاهرة، انظر: سزكين ١/ ١٢٣ ومعجم المؤلفين ١/ ١٤٢، وقد تصرَّف السمهودي هنا في قول ابن حجر.

(5) ر: وكل.

(6) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٢ بالنص.

(7) التعريف للمطري ٦٥.

المحدثين من أهل المدينة، والذي يعلم حجةٌ على من لا يعلم[1]، انتهى. وقال العلامة أبو العباس ابن تيمية: عير جبلٌ عند الميقات يشبه العير، وهو الحمار، وثور جبل في ناحية أحد، وهو غير جبل ثور الذي بمكة[2].

وروى بعض شُرَّاح المصابيح[3] أن الله تعالى لما كلَّم موسى عليه السلام على الجبل تقَطَّعَ سِتَّ قطع، فصارت ثلاثٌ بمكة: حراء وثَبير وثور، وثلاث بالمدينة: عير وثور ورَضْوَى[4]، وكأنَّ ثوراً سمِّي باسم فَحْل البَقَر لشبهه به، وهو إلى الحمرة أقرب، وقد صحَّ بما قدَّمناه أن أُحُداً من الحرم لأنَّ ثوراً حدَّه من جهة الشام، كما أنَّ عيراً حدَّه من جهة القبلة، ويقدَّمُ ذلك على الرواية التي فيها ذكر أُحد بدل ثور، لما في ذلك من الزيادة عليها، أو أنها من باب ذكر فَرْدٍ مما شمله[5] ذلك العموم بحكم العموم فلا تخصص، مع إفادتها لإدخال[6] ما حاذى أطراف أُحُد شرقاً وغرباً، وما وقع في الشرحين والروضة[7] وغيرهما من التحديد بما بين اللابتين وبما بين عَيْرٍ وأُحُدٍ مبنيٌّ على ما تقدم من أنَّ[8] الرواية الصحيحة "أحد"، لعدم وجود ثور، فقد اتَّضح الحال ولله الحمد.

---

(١) لم أقف على قول الأقشهري هذا في الروضة الفردوسية فلعله في إحدى الحواشي المطموسة أو التي أتى عليها المجلد، وإنَّ الحواشي في مسودته تتعذر قراءتها في النسخة المصورة، أو في كتابه في المناسك.

(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٨.

(٣) هو كتاب مصابيح السنة للبغوي، وعليه شروح للبيضاوي وللتوربشتي وغيرهما، والظاهر ان السمهودي يعني شرح التوربشتي.

(٤) جاء في المناسك للحربي ٤٠٦، حديث مشابه له مع اختلاف في الألفاظ: "وأما التي بالمدينة فأحد وورقان ورضوى" ومثله ورد في تاريخ بغداد ١٠/٤٤١، وفي المغانم المطابة ٤٢٩ عن أبي هريرة مثله إلا أن جبال المدينة جاءت عنده: "أحد وعير وورقان" ومثله في تاريخ المدينة ١/٧٩ والتعريف ٤٥ والروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ٢٢٣أ وميزان الاعتدال ٢/٦٣٣.

(٥) ص: تكملة.

(٦) في ر، س، م١، م٢: لإدخال، وفي خ، ت: لازم.

(٧) يريد: روضة الطالبين وعمدة المفتين ليحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، انظر: طبقات الشافعية ٨/٣٩٨ ومعجم المؤلفين ١٣/٢٠٢ وبروكلمان ١/٣٩٤ وملحقه ١/٦٨٠، وشرحا المصابيح.

(٨) سقطت من ص.

الفصل العاشر

في أحاديث تقتضي زيادة الحرم على ذلك التحرير وأنه مقدّر ببريد

إعلم أنَّ قوله في حديث مسلم: «وجعل اثني عشر[1] ميلاً حول المدينة حِمَىً»[2]، ظاهر في التحريم لذلك القدر، إذ ما حول المدينة إنما هو حرمها، وحمى النبي ﷺ الذي ليس بحرم لم يكن حول المدينة على ما سيأتي بيانه، ولأنَّ التقي السبكي قال: إنَّ في سنن أبي داود تحديد حرم المدينة ببريد من كل ناحية، قال: وإسناده ليس بالقوي.

والذي رأيته في أبي داود عن عدي بن زيد: «حَمَى رسولُ الله ﷺ كلَّ ناحية من المدينة بريداً بريداً، لا يُخْبَطُ شجَرَهُ ولا يُعْضَدُ إلاَّ ما يُساقُ به الجمل»[3].

ورواه البزار بنحوه[4].

ورواه ابن زَبَالة بلفظ: «حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ شجرَ المدينة بريداً في بريد منها، وأذن في المَسَد[5] والمنجدة ومتاع الناضح أن يقطع منه»[6]، والمنجدة: عصا الناضح[7].

---

(١) م٢: اثنا عشر.

(٢) صحيح مسلم: باب الحج ٤٧٢ ومسند أحمد ٢/ ٢٧٩.

(٣) سنن أبي داود، المناسك ١٧٤٠.

(٤) سنن البزار ٢/ ٥٤.

(٥) سيفسره السمهودي في الفصل الآتي.

(٦) المسد: مرود البكرة الذي تدور عليه، تاج العروس ٢/ ٥٠٢، والمنجدة: كمكنسة: عصا خفيفة تساق وتحث بها الدابة على السير واسم عود ينفش به الصوف، تـاج العروس ٢/ ٥١١. وأشار إلى الحديث.

(٧) الناضح: مفرد النواضح وهي الإبل التي يُسْتَقَى عليها، النهاية في غريب الحديث ٥/ ٦٩.

وروى المفضَّل الجَنَدي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في قصة العبد الذي وجده يعضد ـ أو يخبط ـ عضاها بالعقيق: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وجد من يعضد أو يخبط شيئاً من عِضَاه المدينة بريداً في بريد فله سلبه، فلم أكن لأردَّ شيئاً أعطانيه رسول الله ﷺ»[1].

وروى البزار عن جابر قال: «حرَّم رسول الله ﷺ المدينة بريداً من نواحيها»[2].

وفي الأوسط للطبراني ـ وفيه ضعيف ـ عن كعب بن مالك قال: «حرم رسول الله ﷺ الشجر بالمدينة بريداً في بريد، وأرسلني فأعلمت على الحرم: على شرف ذات الجيش[3]، وعلى شريب، وعلى أشراف مخيض»[4].

ورواه ابن النجار بلفظ: حَرَّم رسولُ الله ﷺ المدينة بريداً في بريد، وأرسلني فأعلمت على الحرم: «على شرف ذات الجيش، وعلى مشيرب[5]، وعلى أشراف المجتهر، وعلى تيم»[6].

ورواه ابن زبالة بهذا اللفظ، إلا أنه أسقط "أشراف المجتهر"، وأبدل "تيم" بـ: "تيب"[7]، وزاد: «وعلى الحفياء، وعلى ذي العشيرة»[8].

وروى أيضاً عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ: «حمى الشجر ما بين المدينة

---

(١) الكامل لابن عدي ٤/٥٩ وفضائل المدينة ٢٨ وانظر: جامع الأصول ٩/٣٠٩ ـ ٣١٠ عن مسلم وأبي داود بألفاظ مختلفة.

(٢) سنن البزار ٢/ ٥٤.

(٣) يقول العياشي في المدينة بين الماضي والحاضر ٤٤٨ ـ ٤٤٩: «هي الجبال المعروفة اليوم بالمفرحات».

(٤) التعريف للمطري ٦٦.

(٥) المغانم المطابة ٢٢٧ عن المطري، ٣٨٣.

(٦) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٨ والتعريف للمطري ٦٥ وسوف يحدده السمهودي وينقل الأقوال المختلفة فيه وانظر ما قال الفيروزأبادي فيه في: المغانم المطابة ٧٧، ٤٣٧، وذكر حمد الجاسر أنه قيل له: "أن في شرقي المدينة جبلاً عظيماً يُشاهد من سد العاقول يدعى: تيماً".

(٧) م٢: يتم بشيب.

(٨) التعريف للمطري ٦٥.

إلى وَعيرة[١]، وإلى ثنية المحدث، وإلى أشراف مخيض، وإلى ثنية الحفياء، وإلى مضرب القبة، وإلى ذات الجيش: من الشجر أن يقطع، وأذن لهم في متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة»[٢].

وروى أيضاً عن سلمان بن كعب الديناري، أن النبي ﷺ: «نَزَلَ بمضرب القبة وقال: ما بيني وبين المدينة حمىً لا يُعْضَد، فقالوا: إلاَّ المَسَد، فأذن لهم في المسد»[٣].

وروى أيضاً من طريق مالك بن أنس عن أبي بكر بن حزم، أنَّ رسول الله ﷺ قال في الحمى: «إلى مضرب القبة»[٤].

قال مالك: وذلك نحو من بريد.

وروى أيضاً عن جابر مرفوعاً: «كلُّ دافعة دفعت علينا من هذه الشِّعاب فهي حرام أن تعضد أو تخبط أو تقطع، إلا لعصفورِ قَتَبٍ أو مَسَدِ مَحَالَةٍ أو عصا حديدة»[٥].

وفي **الأوسط** للطبراني بإسناد حَسَنٍ عن الحارث[٦] بن رافع أنه سأل جابر بن عبد الله فقال: «لنا غنم وغلمان، ونحن وهم بثُرَيْر[٧]، فهم يخبطون على غنمهم هذه الثمرة، يعني: الحُبْلَةَ ـ قال خارجة: وهي ثمر السَّمُرِ[٨] ـ قال[٩] جابر: لا

---

(١) اسم جبل شرقي ثور، وهو أكبر من جبل ثور واصغر من جبل أحد، **المغانم المطابة** ٤٣٠.

(٢) اورده الحربي باختلاف يسير في **المناسك** ٤٠٥ ـ ٤٠٦ وانظر: **التعريف** للمطري ٦٦.

(٣) **التعريف** للمطري ٦٦.

(٤) قال المطري في **التعريف** ٦٦: "وليس مضرب القبة اليوم معروفاً ولا يعلم في أية جهة هو من جهات المدينة الشريفة، والذي يظهر أنه ما بين ذات الجيش من غربي المدينة إلى مخيض".

(٥) القتب: رحل البعير، وعصفوره: أحد أعواده، وعصا حديدة: خشبة الفأس مثلاً أو أية آلة أخرى.

(٦) ترجم له ابن حجر في **الإصابة** ١/ ٢٧٨(٣٤٠٣) والذهبي في **تجريد أسماء الصحابة** ١/ ٩٨.

(٧) قال ياقوت: "موضع عند أنصاب الحرم بمكة مما يلي المستوقرة، وقيل صقع من أصقاع الحجاز" ٢/ ٧٨ ونقل ابن الأثير في **النهاية**١/ ٢١١ القسم الأخير من قول ياقوت ولم يزد عليه وذكره الحازمي في **الأماكن** ١/ ١٢٢وقال: «موضع عند أنصاب الحرم بمكة مما يلي المستوقرة؛ وقيل صُقع من أصقاع الحجاز، كان به مال لابن الزبير»، وحدده الأزرقي في كتاب **أخبار مكة**١/ ١٠٥؛ ٢/ ٢٣٤و٣٥١.

(٨) خ: الشجر.

(٩) ص: فقال.

يخبط ولا يعضد حِمى رسول الله ﷺ ولكن هُشُّوا هَشَّاً، ثم قال جابر: إن كان رسول الله ﷺ ليمنع أن يقطع المَسَد، قال خارجة: والمسد: مِرْوَد البكرة».

وروى ابن زبالة عن أبي سعيد الخدري، قال: «بعثتني عمتي إلى رسول الله ﷺ تستأذنه في مسد، فقال رسول الله ﷺ: اقرِ عمَّتك السلام، وقل لها: لو أذنت لكم في مسد طلبتم ميزاباً، ولو أذنت لكم في ميزابٍ طلبتم خشبةً، ثم قال: حِمَايَ من حيث اسْتَاقَتْ[1] بنو فزارة لقاحي»[2].

---

(١) في الأصول: ايتسقت و في التعريف للمطري ٦٦ وتحقيق النصرة ١٩٩ والمغانم المطابة ص١٠٨ "انتسقت" أيضاً فلعها لغة في استاقت.

(٢) التعريف للمطري ٦٦ وسيأتي الحديث في غزوة ذات قرد، وانظر: فتح الباري ٧/ ٤٦٠ وما بعدها.

الفصل الحادي عشر
في بيان ما في هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد ومن ذهب إلى مُقْتَضاها

قوله: «شرف ذات الجيش»، قال: ابن زَبالة: ذات الجيش: نقب ثنية الحفيرة من طريق مكة والمدينة.

وقال المطري: هي وسط البيداء، والبيداء هي التي إذا رَحَل الحُجَّاج من ذي الحُلَيْفَة استقبلوها مُصْعَدين إلى جهة الغرب، وهي على جادَّة الطريق[1].

قلت: ويؤيده قول ياقوت: ذات الجيش موضع بعقيق المدينة[2]، أراد: بقربه، أو ولأنَّ سَيْلَها يدفع فيه، كما سيأتي.

وقد رأيته يطلقُ ذلك على ما يدفع في العقيق وإنْ بَعُدَ عنه.

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي[3] في وصف الطريق بين مكة والمدينة: إنَّ من ذي الحُلَيفة إلى الحفيرة ستة أميال، قال: وهي متعشى، وبها بئر طيبة وحوض، وعمر بن عبد العزيز هو الذي حفر البئر، وبها أبيات ومسجد[4]، انتهى.

---

(١) التعريف للمطري ٦٦.

(٢) في معجم البلدان ٢/ ٢٠٠، "ذات الجيش: جعلها بعضهم من العقيق بالمدينة".

(٣) قال حمد الجاسر في مقدمة كتاب المناسك للحربي ٢٦٧: «لا نعرف عن هذا الأسدي الذي نقل عنه السمهودي (...) سوى ما قال السمهودي نفسه، ولم نعثر له على ترجمة أو على ذكر».

(٤) في المناسك للحربي ٤٤٠: «ومن ذي الحليفة إلى الحفير ستة أميال وفيه متعشى وأبيات وبئر طيبة حفرها عمر بن عبد العزيز، غزيرة الماء، ومسجد».

ومقتضاه أن يكون ثنيّة الحفيرة بعد البيداء[1]، فلعلها ثنية الجبل المسمى اليوم بـ: مفرح، وهناك وادٍ قبل وادي تربان يسمُّونه: سهمان، ينطبق عليه الوصف المذكور، وهو موافق لقول من قال: ذات الجيش وادٍ بين ذي الحليفة وتربان[2]، فأطلق[3] اسمها على الوادي التي هي فيه، ولقول عياض: ذات الجيش على بريد من المدينة، وهو ظاهر رواية الطبراني المتقدمة، لكنه مخالف لما سيأتي في معنى التحديد بالبريد، وهناك حُبِسَ النبي ﷺ في ابتغاء عِقْد عائشة رضي الله عنها، ونزلت آية التيمم، والترديد في حديث عائشة: «حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش[4]، كان سببه قرب الموضعين، وهو ظاهرٌ في المغايرة بينهما»[5].

وقال أبو علي الهَجَري[6]: «ذات الجيش شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة»[7].

قال[8]: وصدر الحفيرة وما قَبَل من الصُّلصُلين يدفع في بئر أبي عاصية، ثم يدفع في ذات الجيش، وما دبر منها يدفع في البطحاء، ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين في وادي العقيق، وذات الجيش تدفع في وادي أبي كبير وهو فوق

---

(١) س: البير، خ: البيرا.

(٢) تربان: «هو واد بين ذات الجيش وملل والسيالة على المحجة نفسها، فيه مياه كثيرة مريّة»، معجم البلدان ٢/ ٢٠ والمغانم المطابة ٧٤ عن أبي زياد الكلابي، وقال: "تربان قرية من ملل على ليلة من المدينة". وفصَّل ياقوت القول في وادي ملل في ٥/ ١٩٤ ـ ١٩٦ وقال حمد الجاسر: «وتربان واد لا يزال معروفاً يمر به طريق المدينة الحديث بعد القرش والقريش، للمتوجه إلى المدينة».

(٣) ر: وأطلق.

(٤) انظر: المغانم المطابة ٦٧ وفتح الباري ١/ ٤٣١ وما بعدها، فقدحدد موضع البيداء من أقوال العلماء.

(٥) فصَّل العياشي القول في تحديد هذه المواضع في المدينة بن الماضي والحاضر ٤٤٧ ـ ٤٥٠.

(٦) هو هارون بن زكريا، أبو علي الهجري، مؤلف كتاب التعليقات والنوادر، انظر مقدمة حمد الجاسر لكتاب أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ٧ ـ ١٥٨.

(٧) ذات الجيش: قال المطري في التعريف ٦٥: "فنقب ثنية الحفيرة من طريق مكة والمدينة"، وفي صفحة ٦٦ قال: "ذات الجيش هي في وسط البيداء، والبيداء هي التي إذا رحل الحجاج بعد الإحرام من ذي الحليفة استقبلوها مصعدين إلى جهة الغرب".

(٨) يريد هنا: الهجري.

مسجدي المحرم[1] والمُعَرَّس، وطرف أعظُم الغربي يدفع في ذات الجيش، وطرفه الشامي يدفع في البطحاء[2].

قلت: وأعظُم، ويقال: عظم ـ كما سيأتي ـ جبلٌ معروفٌ[3] على جادة مكة.

قال المطري: وهو في شامي ذات الجيش[4]، ويشهد له ما سبق عن الهجري.

قوله: "شريب"، الظاهر أنه "مشيرب" تصغير مشرب، كما في الرواية الأخرى، وهو ماءٌ بين جبال في شامي ذات الجيش، بينها وبين خلائق الضبوعة، والضبوعة: منزل عند يَلْيَل[5].

قوله: "أشراف مَخيض": ـ بلفظ المخيض من اللبن ـ هو جبال مخيض من طريق الشام، قاله ابن زبالة.

وقال الهجري: مخيض وادٍ يصب في إضم على طريق الشام من المدينة[6] انتهى.

فكأنه يطلق على الجبال وواديها.

وقال المطري: جبل مخيض هو الذي على يمين القادم من طريق الشام حين يُفضي من الجبال إلى البركة التي هي مَورِدُ الحجاج من الشام، ويسمونها: عيون حمزة[7].

---

(١) ص: مسجد المحرم.
(٢) التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري، ترتيب حمد الجاسر (القسم الثالث) ١٤٦٩ نقلاً من هنا.
(٣) ص: معروف اليوم.
(٤) التعريف للمطري ٦٥، ٦٦.
(٥) انظر: المغانم المطابة ٤٣٩، وقال حمد الجاسر في الحاشية (٤): "يليل: هو وادي بدر، يمر بالصفراء ثم ينحدر إلى بدر ويصب في البحر بقرب الرايس جنوب ينبع".
(٦) ذكره البكري في معجم ما استعجم ٦٩٤ في مسير النبي ﷺ إلى بني لِحيان يطلب بأصحاب الرجيع، فقال: «فسلك على غُراب جبل بناحية المدينة على طريق الشام ثم على مَخيض ثم على البتراء ثم صَفَّق على ذات اليسار فخرج على يين ثم على صُخيرات اليمام...».
(٧) التعريف للمطري ٦٦.

قوله: "أشراف المجتهر": كذا رواه ابن النجار[١]، وتبعه المطري، ولم يبيناه[٢].

قال المجد: هكذا وقع بالجيم والهاء المفتوحة، فإن صحَّ فهو اسم موضع بالمدينة، وإلاَّ فيحتمل أن يكون تصحيف: "المُحَيْصِر": بالحاء والصاد المهملتين؛ تصغير: "المَحْصَر": موضع قريب من المدينة[٣].

قلت: الأقرب أنه تصحيف "المخيض" لمجيئه بدله في بقية الروايات.

قوله: "الحَفْيَاء": قال ابن زبالة: هي بالغابة في شامي المدينة[٤].

وقال الهجري: وراء الغابة بقليل، وسيأتي في ترجمتها أنَّ بينها وبين المدينة نحو ستة أميال[٥].

قوله: "ذي العُشَيْرَة": ـ تصغير عشرة من العدد ـ قال ابن زبالة: شرقي الحفياء.

وقال المطري: نقب في الحفياء[٦].

قوله: "ثَيْب": بفتح المثلثة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم موحدة ـ كذا في النسخة التي[٧] وقفت عليها من ابن زَبَالة ـ وقال: إنه جبل في شرقي المدينة وكذا هو في **العقيق** للزبير بن بكَّار، وكذا رأيته مضبوطاً بالقلم في أصل معتمد من **تهذيب** ابن هشام، فإنه قال في غزوة السويق: فخرج أبو سفيان حتى نزل بِصَدْرِ قَنَاة إلى جبلٍ يقال له: ثَيْبٌ، من المدينة على بريد أو نحوه[٨]، وكذا هو في **العقيق** لأبي علي الهجري، إلاَّ أنه قال عقبه: ثيئب كتيعب، فاقتضى أنَّ الياء الساكنة بعدها

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٣٨.

(٢) التعريف للمطري ٦٥، وقد تصحف فيه إلى: "المشتهر".

(٣) المغانم المطابة ٣٧٠، "فإن صحت الكلمة فهي اسم موضع بالمدينة".

(٤) التعريف للمطري ٦٥، ٦٦.

(٥) في ترجمة الغابة، قال السمهودي: الغابة على نحو بريد، وقيل: ثمانية أميال من المدينة.

(٦) التعريف للمطري ٦٥.

(٧) سقطت من ص.

(٨) السيرة النبوية تح وستنفيلد، جوتنكن ١٨٥٩، ١/٥٤٣.

همزة، ويشهد لذلك ما سيأتي في أسماء البقاع في ترجمة الشظاة من شعر عباس بن مرداس.

وفي كتاب ابن شبّة، في حديث سلمة الآتي أول **الباب السابع**، «فقلت: يا رسول الله، تباعد الصيد، فأنا أصيد بصدور قناة نحو تيب»[1]، كذا رأيته مضبوطاً بالقلم من غير همزة، لكنه بالمثناة من فوق.

ووقع في كتاب ابن النجار[2] وتبعه المطري: "تيم"[3]، بفتح المثناة الفوقية والتحتية وبالميم.

قلت: وفي شرقي المدينة جبل يُعرف اليوم بهذا الاسم.

وقال المجد: إنه تصحيف، والصواب: "يتيب"[4]، بلفظ مضارع "تاب"[5]، إذا رجع، فهو بالتاء المثناة من فوق، ولذا ذكره في مادتها من **القاموس**، وقال في مادتها أيضاً: تيأب كفعلل موضع[6]، ولم يتعرض لذلك في الثاء المثلثة.

قوله: "وَعِيرَة" ـ بفتح أوله ـ من الوُعُورة، وهي خشونة الأرض، جبلٌ شرقي ثور، وهو أكبر من ثور وأصغر من أحد[7].

وقوله: "ثنية المحدث": لم أرَ من تكلَّم عليه من مؤرخي المدينة وغيرهم

---

(١) تاريخ المدينة ١/١٤٧ والمغانم المطابة ٢٦٩ جاء فيهما: "ثيب"، والإختلاف فيه ٧٧.

(٢) الدرة الثمينة ٢/٣٣٨.

(٣) التعريف للمطري ٦٥، ويقول حمد الجاسر: "هذا الاسم وقع في نوادر الهجري "تيب" و "ثيأب". وقيل لحمد الجاسر: إن في شرقي المدينة جبلاً عظيماً يشاهد من سد العاقول يدعى: تيماً"، المغانم المطابة ٧٧.

(٤) ص: تييب.

(٥) س: ناب. ونقل الفيروزابادي في المغانم المطابة ٤٣٧ ما ورد عند ياقوت في معجم البلدان ٥/٤٢٩.

(٦) القاموس المحيط ١/٣٨ وفي صفحة ٤٠، قال: "يتيب كيَعِيب جبلٌ بالمدينة".

(٧) نقل السمهودي هنا قول شيخه الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٤٣٠. وورد اسم وعيرة على أنها موضع في شعر صفية بنت عبد المطلب في رثاء النبي ﷺ في طبقات ابن سعد ٢/٣٢٨ مقرونا بـ: "الميثب".

والعجب من المجد كيف أهمله مع إيراده الحديث في كتابه.

قوله: "مضرب القبة": قال المجد كالمطري: ليس اليوم معروفاً، ولا تُعلم جهته؛ قالا: والذي يظهر أنه ما بين ذات الجيش من غربي المدينة إلى مخيض[1].

قلت: قال أبو علي الهجري: مضرب القبة بين أعظُم وبين الشام نحو ستة أميال، أي: من المدينة، وقد تقدم قول مالك عقب التحديد به، وذلك نحو من بريد، ولعله يريد مجموع الحرم.

قوله[2]: "بثُرير": لم أرَ من تكلم عليه، حتى المجد[3].

قوله: "من حيث استاقت[4] بنو فَزَارة لقاحي": كانت لِقَاحُه ﷺ ترعى بالغابة وما حولها، فأغار عليها عُيَيْنَة بن حِصن الفزاري يوم ذي قَرد، واتفق لسَلَمة بن الأكوَع ما اتفق من استنقاذ اللِّقَاح ووصول الفرسان إليه وهو يقاتلهم ويرميهم بالنبل، وسميت غزوة ذي قَرد[5] بالموضع الذي كان فيه القتال[6].

والتحديد بهذه الأماكن مؤيِّدٌ لكون مجموع الحرم بريداً، ولذلك قال ابن زبالة ـ عقب ما تقدم عنه ـ: «وذلك كلُّه يشبه أن يكون بريداً في بريد»[7]، انتهى.

ويحمل عليه قول أبي هريرة في حديث مسلم: «وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حمى[8] لأنَّ ذلك هو البريد، أي: ستة أميال من جهة قبلتها، وستة أميال

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٨ والتعريف ٦٦.

(٢) سقطت من ص.

(٣) تقدم قول الحازمي والأزرقي وياقوت فيه.

(٤) في الأصول: ايتسقت، وفي التعريف ٦٦: "انتسقت".

(٥) ذو قَرَد: بين المدينة وخيبر، على ليلتين من المدينة، المغانم المطابة ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٦) نقلاً من التعريف للمطري ٦٦، وانظر: صحيح مسلم ٥/ ١٨٩ ـ ١٩٤ وطبقات ابن سعد ٢/ ٨٠ وما بعدها، وسماها: غزوة الغابة وقال: "وهي على بريد من المدينة طريق الشام في شهر ربيع الأول سنة ست من مُهاجَره"، وانظر قول القاضي عياض ومحمد بن موسى الحازمي فيها، في: المغانم المطابة ٦٨، ٣٣٧ وفتح الباري ٧/ ٤٦٠.

(٧) التعريف للمطري ٦٥.

(٨) سبقت الإشارة إليه.

من جهة شاميها، وكذلك في المشرق والمغرب».

ومثله حديث: «حمى كلَّ ناحية من المدينة بريداً»، اي: من القبلة إلى الشمال بريداً، ومن المشرق إلى المغرب بريداً، وقد أخذ بذلك مالك رحمه الله، لكن فرَّقَ بين حرم الشجر وحرم الصيد، وجعل البريد حرم الشجر، وما بين اللابتين حرم الصيد[1].

قال عياض في **الإكمال**[2]: قال ابن حبيب: تحريم ما بين اللابتين مخصوص بالصيد، قال: وأما قطع الشجر فبريد في بريد في دَوْرِ المدينة كلها، بذلك أخبرني مطرف عن مالك، وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن وهب، انتهى.

وحكى الباجي في **المنتقى**[3] مثله عن ابن نافع[4].

ونقل ابن زبالة عن مالك أنه قال: الحرم حَرَمان؛ فحرم الطير والوحش من حرَّة واقم ـ أي: وهي الحرَّة الشرقية ـ إلى حَرَّة العقيق ـ أي: وهي الغربية ـ وحرم الشجر بريداً في بريد.

وقال البرهان ابن فرحون[5]: حرم الصيد ما بين حِرَارِها الأربع، وسماها: أربعاً لوجود الحرتين المذكورتين في الجهات الأربع، لانعطاف بعض الشرقية والغربية من جهتي الشمال والقبلة.

ولم يُعَوِّلْ أصحابنا في تحديد الحرم على البريد مع ما فيه من الزيادة؛ لأنَّ أدلته ليست بالقوية، فعولوا على ما اشتملت عليه الأحاديث الصحيحة من الجبلين واللابتين، على أنَّ إطلاق أحاديث التحريم مقتضٍ لعدم الفرق بين حرم الشجر

---

(١) المنتقى شرح الموطأ ٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) هو كتاب الإكمال في شرح صحيح مسلم، كمَّل فيه كتاب المُعْلَم بفوائد شرح مسلم للمازري.

(٣) كتاب المنتقى لأبي الوليد الباجي، اختصره من كتابه الآخر الاستيفاء، وقد طُبع المنتقى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣١هـ في سبع مجلدات كبيرة.

(٤) المنتقى شرح موطأ مالك للباجي ٧/ ١٩٣.

(٥) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري المدني المالكي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٩٩هـ، مؤلف كتاب الديباج المذَّهب في أعيان المذهب وغيره، انظر: بروكلمان ٢/ ٢٦٣ وملحقه ٢/ ٢٢٦ ومعجم المؤلفين ١/ ٦٨ مع مصادر ترجمته.

وحرم الصيد، سواء كان الحرم بريداً أو دونه، غير أنَّ في أحاديث البريد ما يشعر بأنه للشجر، مع أنَّ ابن زبالة ـ ومحله من الضعف معلوم ـ روى عن ابن بسر المازني[1] «أنه سمع رسول الله ﷺ يُحَرِّمُ ما بين لابتيها ـ يعني: المدينة ـ من الصيد».

وعن أبي هريرة وغيره نحوه.

وفي رواية له: «من الطير أنْ يُصَادَ بها»، وقد يقال: هو من باب إفراد فردٍ مما حرم بالذكر.

فإنْ قيلَ: قوله في حديث مسلم: «حرم ما بين لابَتيها، وجعل اثني عشر ميلاً حولها حِمىً»، دالٌ على الفرق المذكور.

قلنا: ممنوع! لأنَّ غايته أن يُراد بالحمى: الحرم، فكأنه قال: وجعل اثني عشر ميلاً حولها حرماً، إذ ليس فيه أنه جعله حمى الشجر.

تتمة: البريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع وخمس مئة ذراع، بذراع اليد على الأصح، كما صحَّحه ابن عبد البر وغيره، وهو الموافق لاختيار ما ذكروه من المسافات في الحرم المكي وغيره.

وذراع اليد ـ على ما ذكره المحب الطبري[2] والنووي وغيرهما ـ أربعة وعشرون أصبعاً، كلُّ أصبع ست شَعِيرات مضمومة بعضها إلى بعض، وغلَّط النوويُّ القلعيَّ[3] في قوله: «ثلاث شعيرات».

ومقدار الذراع المذكور من ذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر الآن:

---

(١) س، ر، خ، ص: أبي بشير، م١، م٢: ابن بشير، وهو عبد الله بن بسر المازني أبو بسر، توفي بحمص سنة ٨٨هـ، أسد الغابة ٣/ ١٢٥والإصابة ٢/ ٢٧٣والاستيعاب ٣/ ٢٥٨وتجريد أسماء الصحابة ١/ ٣٠٠.

(٢) في شفاء الغرام ١/ ٥٩ "على ما ذكره المحب الطبري في شرحه لـ: التنبيه. . .وأشار إلى ذلك النووي في تحرير التنبيه وغلط. . .الخ"، وهنا يختصر السمهودي كلام الفاسي.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم الأندلسي القَلْعِي توفي بقلعة أيوب من الأندلس سنة ٣٨٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٤مع مصادر ترجمته.

ذراع إلاَّ ثُمن ذراع، كما اعتبرته أنا وغيري، ومشى عليه التقي الفاسي[١] في تاريخ مكة المشرَّفة[٢]، وليكن ذلك على ذكر منك إذا مررت بشيء مما ضبطناه في المسافات في كتابنا هذا.

وقيل: الميل ستة آلاف ذراع، ومشى عليه النووي، وهو بعيد، ولعل قائله هو الذي يجعل الإصبع في الذراع ثلاث شَعِيرات فقط.

وقيل: الميل: ألفا[٣] ذراع، والصواب ما قدمناه[٤]، والله أعلم.

---

(١) هو تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي المالكي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٨٣٢هـ، مؤلف كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ١٧٢ وملحقه ٢/ ٢٢١ ومعجم المؤلفين ٨/ ٣٠٠ مع مصادر ترجمته.

(٢) انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ١٢، ٥٩ وما بعدها.

(٣) ص: ألف

(٤) المصدر نفسه، فقد فصَّل الفاسي القول في هذا الأختلاف واورد الأقوال منسوبة.

الفصل الثاني عشر
في حكمة تخصيص هذا المقدار المعيّن بالتحريم

اعلم أنَّ المفهوم من تحريم ذلك تشريفُ المدينة الشريفة وتعظيمها به لحلول أشرف المخلوقين بها صلوات الله وسلامه عليه، وانتشار أنواره وبركاته بأرضها، وكما أن الله تعالى جعل لبيته حرماً تعظيماً له جعل لحبيبه وأكرم الخلق عليه ما أحاط بمحله حرماً؛ تُلتزم أحكامه وتُنال بركاته ويوجد فيه من الخير والبركة والأنوار المنتشرة والسلامة العاجلة والآجلة ما لا يوجد في غيره.

ولهذا حثَّ النبي ﷺ بني حارثة على الكون به، كما أشار إليه بقوله: «أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم»، ثم التفت فقال: «بل أنتم فيه»، وذلك لخصوصية الكون فيه على الكون خارجه، وتخصيص ذلك المقدار إما أنْ يكون لما شاهده ﷺ فيه من أمر ربَّاني وسرٍّ روحاني بثَّه الله فيه إلى تلك الحدود المتقدمة.

وقد ذكر أهلُ الشهود أنهم يشاهدون الأنوار مُنْبَثَّةً في الحرم واصلة[1] إلى حدوده، ولها منابع تفيض عنها، وذلك في الحرمين جميعاً.

فترتبت الأحكام الظاهرة على تلك الحقائق الباطنة[2]، ولهذا لما بلغت النار الآتي ذِكْرُهَا طرفَ هذا الحرم الشريف طَفِئَتْ كما سيأتي.

---

(١) ص: واهله.

(٢) المغانم المطابة ص١٠٨ وقد تصرف السمهودي بالنص.

وإما أنْ يكون بمقتضى أمرٍ إلهي ووحي ربَّاني لا ندركه نحن؛ إذ العقول البشرية قاصرة عن إدراك معاني الأحكام المتَلَقَّـاة عن النبوة، وإنما يظهر لها لائحة من شوارق مطالعها عند التأييد والتسديد، هدانا الله لإدراكها بمنِّـه وكرمه[1].

وقد قيل في حكمة تحديد الحرم المكي أشياء يمكن مثلها هنا:

فقيل: لما أُهْبِطَ آدم إلى الأرض أرسل الله ملائكة حَفُّوا بمكة من كلِّ جانب ووقفوا في موضع أنصاب الحرم يَحْرُسُونَ آدم عليه السلام، فصار ذلك حرماً.

وقيل: لما وضع الخليل عليه السلام الحَجَرَالأسود في الكعبة حين بناها ـ وهو من أحجار الجنة[2] ـ أضاء الحجر من الجهات الأربع، فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهى النور[3].

وقيل: «إنَّ الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أنْ ينزلَ بياقوتة من الجنة، فنزل بها، فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيثُ بلَغَ نورها صار حَرَماً، وهو من جنس ما قبله، وقيل غير ذلك»[4].

وحينئذ فيحتمل أنْ تكون الملائكة الموكلة بحراسته ﷺ وحراسة بلده الشريف قائمة بتلك الحدود، فانتهى الحرم إليها.

ويحتمل أنَّ ذَرَّته الشريفة التي خُلِقَ منها لما كان مأخذها موضع قبره الشريف، وهو أعظم رياض الجنة.

واشتمل مسجده أيضاً على روضة من رياضها[5]، انبَثَّت الأنوار من ذلك إلى

---

(1) المصدر نفسه ص١٠٩ بتصرف.
(2) الكامل لابن عدي ٢/٢٦٣؛ ٥/٤٢.
(3) المغانم المطابة ص١٠٩.
(4) المصدر نفسه.
(5) ص: من رياض الجنة.

ما لا يُعلم غايته إلاَّ الله، ولكنَّ أبصار الناظرين لها غايات، فقد يكون انتهاؤها إلى تلك الحدود، فانتهى الحرم إليها.

ويحتمل أنه ﷺ يوم قدومه إلى المدينة انتشرت الإضاءة وشوهد وصولها إلى تلك الحدود.

وسيأتي قول أنس بن مالك في وصفِ يومِ قدومه ﷺ: «ما رأيت مثل ذلك اليوم قط، والله لقد أضاء منها كلُّ شيء[1]، يعني: المدينة»، والله أعلم.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٤ وعيون الأثر ٢/ ٤٥١.

الفصل الثالث عشر

في أحكام هذا الحرم الشريف

وفيه مسائل:

الأولى: «اتفق الشافعيُّ ومالكٌ وأحمدُ على تَحْرِيمِ صَيْدِ حَرَمِ المدينة واصْطِيَادِهِ وَقَطْعِ شَجَرِها»[١].

وقال أبو حنيفة: لا يُحَرَّم شَيْءٌ من ذلك[٢]؛ والأحاديثُ الصحيحةُ الصريحة حُجَّةٌ عليه، وقد قدَّمنا جُملةً منها، ولو لم يكن إلاَّ قوله ﷺ: «كما حَرَّمَ إبراهيمُ مكةَ»، لكان كفايةً، فإنه يُتَمَسْكُ به في كلِّ ما لم يقم دليل على افتراق الحرمين فيه.

وروى أبو داود ـ وسكت عليه، قال النووي: وهو صحيح أو حَسَن، أي: كما هو قاعدته في ما يسكت عليه ـ: أنَّ سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه أخذ رجلاً يَصيدُ في حرم المدينة الذي حَرَّم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه فجاء مواليه فكلموه فيه، فقال: «إنَّ رسول الله ﷺ: حَرَّم هذا الحرم، وقال: من أخذ أحداً يصيد فيه فَلْيَسْلُبْه، فلا أردُّ عليكم طعمةً أطعمنيها رسول الله ﷺ ولكن إنْ شئتم دفعت إليكم ثمنه»[٣].

---

(١) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ٢٠٠ وفي الروضة الفردوسية ورقة ٢٢ب: «وكأنَّ الشافعي يذهب في القديم إلا من اصطاد صيداً في المدينة أخذ سلبه، وروى فيه إثراً عن سعد وقال في الجديد بخلافه».

(٢) المستدرك ١، ٤٨٧ وفتح الباري ٤/ ٨٣ ـ ٨٤ وشرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٥٢.

(٣) جامع الأصول ٩/ ٣١٠ ـ ٣١١ عن أبي داود (المناسك ١٧٤١)، ورواه أحمد في المسند ١٤٦٠.

وسيأتي عنه نحوه في قطع الشجر.

وفي الموطأ عن أبي أيوب الأنصاري، أنه وجَدَ غِلماناً قد ألجأُوا ثعلباً إلى زاوية، فطردهم عنه، قال مالك: «لا أعلم، إلاَّ أنه قال: أفي حَرَم رسول الله ﷺ يُصنع هذا»[(١)]

وروى الطبراني برجال الصحيح مثله عن زيد بن ثابت بدلَ أبي أيوب.

وفي الموطأ أيضاً، أنَّ رجلاً قال: دخلَ عليَّ زيدُ بن ثابت وأنا بالأسواف[(٢)]، وقد اصطدت نُهَساً[(٣)] فأخذه من يدي[(٤)] فأرسله[(٥)].

ورواه الطبراني أيضا مع تسمية المبهم، ولفظه: عن شرحبيل بن سعد[(٦)] قال: أخذت نُهَساً ـ يعني طائراً ـ بالأسواف، فأخذه مني زيد بن ثابت فأرسله وقال: أما علمت أن رسول الله ﷺ حَرَّم ما بين لابتيها؟

وفي رواية له: «أتانا زيدُ بن ثابت ونحن في حائط لنا، ومعنا فِخَاخٌ ننصب بها، فصاح وطردنا، وقال: ألم[(٧)] تعلموا أن رسول الله ﷺ حَرَّم صيدَهَا».

ورواه أحمد أيضاً وكذا الشافعي في حرم مكة[(٨)] عن شرحبيل بن سعد ـ وقد وثَّقه ابن حِبَّان[(٩)] وضعَّفه غيره ـ ولفظه: «دخل علينا زيد بن ثابت حائطاً ونحن

---

(١) المصدر نفسه ٩/ ٣١١ عن الموطأ وانظر: الموطأ ٣١٠ والمعجم الكبير ٤/ ١٣٧.

(٢) قال الفيروزأبادي في المعالم المطابة ١٥ : "الأسواف بالفتح: موضع بالمدينة الشريفة. قال في العباب وهو بالسين المهملة"، وانظر: معجم البلدان ١/ ١٩٠ ـ ١٩١، وقال: "هو موضع صدقة زيد بن ثابت الأنصاري وهو من حرم المدينة". وسيذكره السمهودي في آخر الكتاب.

(٣) النُّهَسُ: طائر يُشبه الصُّرَد، يُديم تحريك رأسه وذنبه، يصطاد العصافير ويأوي إلى المقابر، النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٣٦ ـ ١٣٧، قلت: وهو ما يسمى: أبو براقش.

(٤) ص: يد.

(٥) الموطأ ٣١٠ وأورد ياقوت هذا الحديث في: "الأسواف".

(٦) في الأصول: شرحبيل بن سعيد، وانظر ميزان الإعتدال ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ حيث ضعَّفه أكثرهم.

(٧) خ: أما.

(٨) س، ر، خ، ص، م١، م٢: حرملة.

(٩) انظر: ميزان الإعتدال ٢/ ٢٦٧.

غلمان[1] ننصب فِخَاخاً للطير، فطردنا وقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ حرَّم صيدها»[2].

ورواه ابنُ زَبَالة بلفظ: «كنت مع بني زيد بن ثابت بالأسواف، فأخذوا نُهَساً، فاستفتح زيد بن ثابت وهو في أيديهم، فدفعوه في يدي وفرُّوا، فدخل زيد، فأخذه من يدي فأرسله، ثم لطمَ في قَفَايَ[3] وقال: لا أُمَّ لك! ألم تعلم، وذكر الحديث المتقدم»[4].

وروى الطبراني عن حاجب مولى زيد بن ثابت، قال: دخل عليَّ زيد بن ثابت وأنا بالأسواف قد اصطدت[5] نهساً، فأخذ بأُذني من قفاي وقال: تصيدها هنا وقد حَرَّم رسول الله ﷺ ما بين لابتيها[6]؟.

والنُّهَسُ: كصُرَد، طائر يشبهه وليس بالصرد، وقيل: إنه اليمام.

وفي الكبير للطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن عبادة[7] الزُرَقي[8] ـ قال الهيثمي: ولم أجد من ترجمه ـ قال: كنت أصيد العصافير في بئر إهَاب[9] ـ وكانت لهم ـ قال: فرآني عُبَادة بن الصامت وقد أخذ العصفور، فينزعه مني فيرسله[10]، ويقول: «أيْ بُنَيَّ! إن رسول الله ﷺ حرَّم ما بين لابتيها كما حرَّم إبراهيم مكة»[11].

وروى ابن زبالة ومن طريقه البزار عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال:

---

(١) ص: غلمانا.

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٣.

(٣) ص: قفايا

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٤ بألفاظ مغايرة.

(٥) ص: اسطدت.

(٦) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٤.

(٧) خ: عباد.

(٨) الزُرَقي: نسبة إلى بني زُرَيق الأنصار، ابن حجر: تبصير المنتبه ٢/٦٥٨.

(٩) الفيروزأبادي: المغانم المطابة ٢٩ "بئر بالحرَّة"، وفصَّل القول في مالكيها.

(١٠) ص: وهو أي لنبي الله ﷺ.

(١١) انظر: البسوي: كتاب المعرفة والتاريخ، تح أكرم ضياء العمري ١/٣١٧ وذكر الحديث بإسناده؛ والإصابة لابن حجر، القاهرة ١٣٤٨هـ، ٢/٢٦١ ـ ١٦٢؛ والمسند للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ٥/٣١٧ وتهذيب التهذيب ٥/١١٥.

«اصطدت طيراً بالقُنْبُلة[1]، فلقيني أبي عبد الرحمن، فَعَرَكَ أذني ثم أخذه مني فأرسله، وقال: إنَّ رسول الله ﷺ حَرَّم صيدَ ما بين لابتيها»[2].

وفي أبي داود عن مولى لسعد: أنَّ سعداً وجد عبيداً من عبيد المدينة يقطعون شجراً من شجر المدينة، قال: «فأخذ مَتَاعهم، وقال: يعني: لمواليهم: سمعت رسول الله ﷺ: يَنْهَى أَنْ يُقْطَعَ من شجر المدينة شيء وقال: من قطع منه شيئاً فلمن أخذه سَلَبه»[3].

ورواه مسلم عن إسماعيل بن محمد بن عامر بن سعد، ولفظه: أنَّ سعداً ركب إلى قصره بالعقيق، فوجد عبداً يقطع شجراً، أو يخبطه، فسلبه، فلما رجع سعد جاءه أهلُ العبد فكلموه أنَّ يرد على غلامهم، أو عليهم، ما أخذ[4] من غلامهم، فقال: «معاذ الله أن أردَّ شيئاً نفَّلنيه رسول الله ﷺ»[5].

ورواه المفضَّل الجندي عنه، ولفظه[6]: أنَّ سعداً ركب إلى قصرٍ له بالعقيق، فوجد عبداً يقطع شجرةً، فأخذ سلبه، وذكره بنحوه[7].

ورواه أيضاً عن عبد الله بن عمر، ولفظه: أن سعداً وجد إنساناً يَعْضِدُ أو يخبط عِضَاهاً بالعقيق، فأخذ فأسه ونِطْعَه وشيئاً سوى ذلك، فاطلع العبد إلى ساداته فأخبرهم الخبر، فركبوا إلى سعد فقالوا: الغلام غلامنا، فاردد إليه ما أخذتَ منه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ وذكر ما قدَّمناه عنه»[8] في الفصل العاشر.

---

(١) القنبلة: مصيدة للنهس كزفر، وهو أبو براقش، تاج العروس ٨/ ٨٨.
(٢) سنن البزار ٢/ ٥٥.
(٣) المستدرك ١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧ بالفاظ مختلفة عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد.
(٤) ص: أخذه.
(٥) انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ عن مسلم ورواه أبو داود بألفاظ مختلفة في المصدر نفسه.
(٦) ساقطة من ر.
(٧) فضائل المدينة ٤٦.
(٨) المصدر نفسه ٤٨ ـ ٤٩.

وقال في آخره: «فلم أكن لأردَّ شيئاً أعطانيه رسول الله ﷺ»[1].

ورواه ابن زبالة من طرق بنحوه؛ وفي بعضها: أنَّ سعد بن أبي وقَّاص وجد جارية لعاصية السلمية تقطع الحمى، فضربها وسلبها شملةً لها وفأساً كانت معها، فدخلت عاصية السلمية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاسْتَعْدَتْ على سعد، فقال: ارْدُد إليها يا أبا اسحاق شملتها وفأسها، فقال: لا والله لا أرد إليها غنيمة غنمنيها رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «مَنْ وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه»، واتَّخَذَ من فأسها مِسْحَاةً، فما زال يعمل بها حتى لقي الله.

وفي بعضها: أخذ سعد بن أبي وقاص جاريةً لعاصية السلمية تقطع شجراً بالعقيق، فنزع سلبها، وذكر نحوه.

وروى أيضاً عن سعد، قال: «غَنَّمَنَا رسول الله ﷺ مَنْ وجدناه يقطع من شجر حرم المدينة الرطب منه».

وعن زيد بن أسلم، نحوه.

وروى الجَنَدي عن عبد الكريم بن أبي المخارق، قال: أتى عمر بن الخطاب ناحيةً من المدينة فوجد غلاماً لبعضهم في حائط، فقال: هل يأتيك ها هنا أحدٌ يحتطب؟ قال: نعم! فقال له عمر: إنْ رأيت منهم أحداً فخذ فأسَه وحَبْلَه، قال: وثوبه؟ قال: فأبى ـ وفي نسخة: فأفتى[2].

وفي رواية عنه: أنَّ عمر قال لغلام قدامة بن مظعون: إيتِ على هؤلاء الحطَّابين، فمن وجدته احتطب في ما بين لابتي المدينة فلك فأسه وحبله، قال: وثوباه؟ قال عمر: ذلك كثير[3].

وقد اختلف القائلون بالتحريم في حرم المدينة بالنسبة إلى الضمان بالجزاء، فعن أحمد روايتان، وللشافعي أيضاً قولان كالروايتين؛ الجديد منهما: عدمُ الضمان، وهو قول مالك، لأنه ليس بمحل نُسُك، فأشبه مواضع الحمى ووجّ

---

(١) المصدر نفسه ٤٩، وجامع الأصول، المصدر السابق.

(٢) فضائل المدينة ٤٦: قال: فافتى فاطعمه فأكل.

(٣) المصدر نفسه ٤٩ ـ ٥٠.

الطائف، والقديم: الضمان، وهو المختار، كما قاله النووي[1] وغيره لحديث سعد المتقدم.

والجواب عنه مشكل، وعلى هذا فالأصحُ أنه يسلب الصائد وقاطع الشجر والكلأ، كما[2] يسلب القتيل من الكفَّار حتى يؤخذ[3] فرسه وسلاحه.

وقيل: الثياب فقط، ويكون ذلك للسالب على الأصح.

وقيل: لفقراء المدينة كما أن جزاء صيد مكة لفقرائها.

وقيل: يوضع في بيت المال، وسبيله سبيل السهم المُرْصَد للمصالح[4].

قال الشيخ أبو محمد[5]: ويُعْطي المسلوب إزاراً يستر به عورته[6]، فإذا قدر على ما يستر به عورته أخذه منه.

واختار الروياني[7]: أنه يُترك له، وصوَّبه النووي[8].

قال الرافعي: والذي يسبق إلى الفهم من الحديث وكلام الأئمة أنه يسلب إذا اصطاد، ولا يشترط الإتلاف.

ولفظ الغزالي في **الوسيط**[9]: لا يسلب حتى يصطاد أو يرسل الكلب، ويحتمل التأخير إلى الإتلاف، انتهى.

---

(1) شرح صحيح مسلم ٥/١٥٢ ـ ١٥٤ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(2) سقطت من ص.

(3) ص: يأخذ.

(4) كل ما سبق نقله السمهودي من شرح صحيح مسلم ٥/ ١٥٤.

(5) لعله يريد والد إمام الحرمين الجويني، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٤٣٨هـ، مؤلف الفروق والتبصرة و شرح الرسالة وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦١٧ مع مصادر ترجمته.

(6) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٥.

(7) الروياني: هو عبد الواحد بن إسماعيل الطبري الشافعي المقتول بآمل سنة ٥٠٢ هـ، مؤلف كتاب بحر المذاهب في فروع الفقه الشافعي وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩٠ وملحقه ١/ ٦٧٣ وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٠ ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٠٦ مع مصادر ترجمته.

(8) أورد النووي أقوال العلماء في كلٍّ هذا في شرح صحيح مسلم ٥/ ١٥٤.

(9) هو كتاب **الوسيط المحيط بأقطار البسيط**، وهو مختصر كتابه **البسيط في الفروع**، انظر: بروكلمان ١/ ٤٢٤ وملحقه ١/ ٧٥٢.

ولا فرق في هذا بين صيد وصيد، ولا بين شجرة وشجرة، وكأن السلب في معنى العقوبة لمتعاطي ذلك.

قال السراج البلقيني[1]: ولو كان الصائد أو قاطع الشجر في حرم المدينة عبداً هل يسلب ثيابه كما اتفق لسعد بن أبي وقاص؟ قال: والذي يقتضيه النظر أنه لا يسلب العبد، فإنه لا ملك له، وكذلك لو كان على الصائد ثوب مستأْجَر أو مُسْتَعَار فإنه لا يسلب، ولم أرَ من تعرَّض له، انتهى.

قلت: التحقيق التفصيل بين ما إذا أمره السيد أو من في معناه بذلك، وبين ما[2] إذا لم يأمره، ويُحْمَلُ ما اتفق لسعد على الأول؛ ولو كان على الصائد والمحتطب ثياب مغصوبة لم تسلب بلا خلاف، كما نقله في شرح المهذَّب[3] ونقله في المطلب[4] عن البحر[5]، ثم قال: وينبغي أن تكون المستعارة كذلك، ولو لم يشاهده أحد يصطاد فالظاهر أنه يجب عليه حَمْلُ السلب إلى نائب الإمام، ولو تحدَّث بحضرة أحد فسمعه فهل يجوز له أن يسلبه؟ الظاهر عندي لا، انتهى.

ولو أدخل إلى حرم المدينة صيداً لم يلزمه إرساله، وله ذبحه به اتفاقاً، وكذا حرم مكة عندنا.

وقد روي البيهقي: أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقدمون مكة فيرون بها في الأقفاص القَمَارِيَّ واليعاقيب[6]، وهذا محمل حديث: «يا أبا عُمير ما فعلَ

---

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير الكناني الشافعي البلقيني المتوفر بالقاهرة سنة ٨٠٥ هـ، مؤلف معرفة الملمات برد المهمات وهي حواش على المهمات على الروضة وكتاب العرف الشذي على جامع الترمذي وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ٩٣وملحقه ٢/ ١٠١ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٤ مع مصادر ترجمته.

(٢) سقطت من ص.

(٣) هو شرح النووي على كتاب المهذَّب لأبي إسحاق الشيرازي.

(٤) لعله كتاب المطلب في شرح الوسيط لابن الرفعة المتوفى سنة ٧١٠هـ، انظر: طبقات الشافعية ٩/ ٢٦.

(٥) هو كتاب بحر المذاهب في فروع الفقه الشافعي للروياني وقد مرَّ ذكره.

(٦) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤١ والقماري جمع قمري وقمرية وهو نوع من الحمام، واليعاقيب جمع اليعقوب وهو ذكر الحجل والقطا وقيل: ذكر العقاب، تاج العروس ١/ ٣٩٠٠.

النُّغَيْر[1] أو أنه كان قبل تحريم المدينة، لأنه في أول الهجرة، وتحريمُ المدينة كان بعد رجوعه من خَيْبَر، كما أوضح ذلك الحافظ ابن حجر»[2].

وقد تمسك أبو حنيفة بقصة أبي عمير في ما ذهب إليه من عدم تحريم صيد المدينة لذهابه في حرم مكة إلى وجوب الإرسال على من أدخل إليه صيداً من خارجه، قال: فلو حَرَّمَ النبي ﷺ صيد المدينة لما أقرَّ النُّغَيْر في يد أبي عمير؟[3] وجوابه ما تقدَّمَ.

قال البيهقي: والذاهب إلى عدم تحريم الصيد وغيره بالمدينة زعم أنَّ النبي ﷺ إنما أراد بقاء زينة المدينة وبهجتها لتُسْتَوطَنَ[4]، كما منع من هَدْمِ آطام[5] المدينة لذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ عن هدم آطام المدينة[6]، وقال: إنها زينة المدينة»[7]، أي: فالنهي للتنزية.

قال البيهقي: والنهي عندنا على التحريم حتى تقوم دلالة على التنزيه.

قال: واستدلَّ المخالف بحديث سلمة: «أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيَّعتك إذا ذهبت وتلقيتك إذا جئت، فإني أحب العقيق»[8].

قال البيهقي: وهو حديث ضعيف، ومن يَدَّعي العلم بالآثار لا ينبغي له أنْ يعارض الأحاديث الثابتة في حرم المدينة بهذا[9] الحديث الضعيف، وقد يجوز أن يكون الموضع الذي كان سلمة يصيد فيه خارجاً من حرم المدينة، والموضع الذي

---

(١) النغير: صيغة تصغير النُّغَر كصُرَد، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، رواه البخاري ومسلم وأحمد في مواضع، انظر: المعجم المفهرس ٦/ ٤٩٧ ومعرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٩.
(٢) فتح الباري ٤/ ٨٣ وفيه ردٌّ ابن حجر على الطحاوي.
(٣) المصدر نفسه وإعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٣.
(٤) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٠.
(٥) آطام جمع أُطُم: وهو الحصن أو القلعة.
(٦) فتح الباري ٤/ ٨٣ عن ابن عمر وسنن البزار ٢/ ٥٤.
(٧) فتح الباري ٤/ ٨٣.
(٨) معرفة السنن والآثار للبيهقي ٧/ ٤٤٠ وانظر: المغانم المطابة ٢٦٩ وتاريخ المدينة ١/ ١٤٨ وإعلام الساجد ٢٤٤.
(٩) ص: لهذا.

رأى فيه سعد بن أبي وقاص غلاماً يقطع شجراً من حرم المدينة داخله، حتى لا يتنافيان، ولو اختلفا كان الحكم برواية[1] سعد لصحة حديثه وثقة رجاله، دون حديث سلمة[2].

قلت: مع أنَّ الذي في الصحيح من حديث سعد لا تَعَرُّضَ فيه لأنَّ القطع كان بالعقيق، وركوبه إلى قصره بالعقيق لا يقتضي أنَّ القطع كان به، بل أنَّه في موضع من الحرم[3]، على أن ما يلي ذا الحليفة من العقيق ليس من الحرم عندنا لخروجه عما بين اللابتين، والمالكية وإن اعتبروا البريد فحرم الصيد عندهم ما بين اللابتين، كما تقدم، مع امتداد العقيق إلى النقيع[4] فبعضه خارج عن الحرم بكل حال، فصحَّ ما قاله البيهقي.

وقصر سعد مع قصور العقيق في الطرف الداخل منه في الحرم عندنا، لكونها بالحرَّة الغربية؛ هذا، مع احتمال حديث سلمة لكونه كان قبل تحريم المدينة، والله أعلم.

الثانية: استثنى المطري تبعاً لابن النجار جواز أخذ ما تدعو الحاجة إليه للرحل ـ بالحاء المهملة ـ والوسائد، من شجر حرم المدينة، وما تدعو الحاجة إليه من حشيشه للعلف بخلاف مكة، هكذا قالاه[5].

وسبقهما إليه ابن الجوزي ـ من الحنابلة ـ فقال في منسكه[6]: إن المدينة

---

(١) م٢، ص: لرواية.
(٢) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٢.
(٣) م١، ر: بل في موضع من الحرم، ص: بل يقتضي أن القطع في موضع من خارج الحرم؛ س،ت،خ: بل انه في موضع من الحرم.
(٤) النقيع: موضع قرب المدينة كان لرسول الله ﷺ، حماه لخيله، وهو لم يزل معروفاً بهذا الاسم حتى اليوم، انظر: المغانم المطابة ٤١٥ والمناسك للحربي ٤١١ وسيفرد السمهودي له فصلاً خاصاً في كلامه على الأحماء في قسم المواضع والأماكن.
(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٨ والتعريف للمطري ٦٦.
(٦) قال الذهبي: ذكره ابن الدبيثي تلميذه في تصانيفه، فقال: "المناسك، جزء"، انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٥، ولم يذكر تصانيفه في ترجمته في المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي تح مصطفى جواد، بغداد ١٩٦٣، ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨، والظاهر أنه مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.

تفارق مكة في أنه يجوزأن يؤخذ من شجر المدينة ما تدعو الضرورة إليه للرحل وشبهه[1]، انتهى.

ومأخذهم في ذلك ما تقدم في الفصل العاشر في بعض تلك الأحاديث المشتملة على الترخيص في ذلك ونحوه، مع ما رواه ابنُ زَبَالة من حديث: «يا رسول الله، إنَّا أصحاب عملٍ ونَضْحٍ، وإنَّا لا نستطيع أن نتتاب أرضاً، فرخص لهم في القائمتين والوسادة والعارضة والأسنان، فأما غير ذلك فلا يعضد ولا يخبط».

والكلام أولا في توجه الاستدلال بذلك من حيث الإسناد، مع أنا قدمنا في غضون تلك الأحاديث ما يقتضي المنع، سيما حديث الطبراني بإسناد حسن إذ جاء فيه قول جابر: «لا يخبط ولا يعضد حمى رسول الله ﷺ، ولكن هُشُّوا هَشّاً، ثم قال جابر: إنْ كان رسول الله ﷺ ليمنع أن يقطع المسد».

قال خارجة: والمسد "مِرْوَد البَكْرَة".

ومن تأمَّلَ كلام أصحابنا الشافعية لا يفهم منه سوى استواء الحرمين في ذلك لقولهم: إنه يجوز أخذ حشيش حرم مكة لعلف الدواب على الأصح.

وقد قال النووي في الكلام على قوله ﷺ في حديث مسلم المتقدم: «ولا يخبط شجره إلا لعلف»، إنَّ فيه جوازَ أخذ أوراق الشجر للعلف، بخلاف خبط الأغصان وقطعها فإنه حرام[2]، انتهى.

وقد قال هو وغيره في شجر مكة: إنه يجوز أخذ ورقها لكنها لا تُهَشُّ حذراً من أن يُصيب لحاها.

وفي شرح المهذَّب[3]: يجوز أخذ ورقها والأغصان الصغيرة للسواك ونحوه، انتهى؛ فقد استوى الحَرَمان في ذلك.

---

(١) مثير العزم ٤٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥/١٥٨.

(٣) ليحيى بن شرف النووي، قال السبكي: "لم يكمله"، طبقات الشافعية ٨/٣٩٨.

وقد قال الغزالي في **البسيط** و **الوسيط** في حرم مكة: إنه لو قطع منه للحاجة التي يقطع لها الإذخر[1] كتسقيف البيوت ونحوه ففيه الخلاف في قطعه للدواء، أي: والأصح جوازه، وتبعه على ذلك صاحب **الحاوي الصغير**[2]، فجَّوز القطع للحاجة مطلقاً، ولم يخص الدواء[3]، وقلَّ من تعرض للمسألة، ومنه يؤخذ جواز ما استثناه المطري، لكن مع استواء الحرمين في ذلك.

وقال القاضي عياض: قال المهلب: «قَطَعَ النبي ﷺ النخل من المدينة حين بنى مسجده، وذلك يدلُّ على أن النهي لا يتوجه لقطع شجرها للعمارة وجهُهُ الإصلاح، وأن يقطع شجرها ليتَّخَذَ موضعه جناناً وعمارة، وأنَّ توجه النهي إنما هو لقطع الإفساد واستبقاء لبهجة المدينة وخضرتها في عين الوارد إليها»[4]، انتهى.

ونحوه ما روى ابنُ زَبالة: «أن النبي ﷺ قال لبني حارثة في طرفٍ من الحمى: «أعطيكموه على أنه من قطع شجرةً غَرَس مكانها نخلة»، ومحل ابن زبالة من الضعف معروف، والنبي ﷺ إنما قطع النخل ـ وهو شجر يستنبته الآدميون ـ وفيه خلاف، فالذي ذهب إليه المالكية والحنفية جواز قطعه في حرم مكة فضلاً عن المدينة، وهو أحد القولين عندنا، لكن الأصح إلحاقه بالذي ينبت بنفسه[5].

والجواب عنه باحتمال كونه قبل تحريم المدينة، أو أنه قطعه لحاجة العمارة، فإن المتجه جوازه كما تقدم عن الغزالي، ولم يزل أهل المدينة يسقفون بيوتهم بما يقطعون من نخلها.

وقد نقل الواقدي في الحرم المكي عن ابن الزبير الترخيصَ في قطع شجر الحرم المكي للعمارة لكن مع الفداء.

---

(١) الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة تسقَّف بها البيوت فوق الخشب.

(٢) الحاوي الصغير في الفتاوى لنجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩٣ وملحقه ٢/ ٦٧٩ ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٦٧ وطبقات السبكي ٨/ ٢٧٧ مع مصادر ترجمته في كلها.

(٣) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٥٩.

(٤) فتح الباري ٤/ ٨٤.

(٥) انظر ما قال ابن حجر في فتح الباري ٤/ ٨٣ ـ ٨٤.

على أنَّ الماوردي قال في ما يستنبته الآدميون: محل الخلاف في ما أنبت في مَوَات الحرم؛ فإن أنبته في أملاكه لم يحرم بلا خلاف[1]، انتهى.

وأما ما يستنبت من غير الشجر كالحنظة والخَضْرَاوات فيجوز قطعه بلا خلاف، وكذا ما يُتغذّى به مما ينبت بنفسه كالرجلة المسماة: بالبقلة[2] الحمقاء ونحو ذلك، لأنه في معنى الزرع، صرَّح باستثنائه المحب الطبري في شرح التنبيه[3]، وهو ظاهر، لأنه إذا جاز الأخذ لإطعام البهائم فالآدمي[4] أولى[5].

الثالثة: ما ذكروه في الأخذ للدواء ونحوه يتناول تحصيله وادِّخاره لذلك الغرض، وإن لم يكن السبب قائماً، إلاّ أنَّ عبارة **الروضة**: ولو احتيج إلى شيء من نبات الحرم للدواء[6].

وفي **شرح المهذَّب**: أنه يجوز أخذ النبات للعلف، ولو أخذه ليبيعه ممن يعلف به لم يَجُزْ، ومقتضاه أنَّ الدواء كذلك، وظاهر إطلاق الماوردي الجواز مطلقاً، وهو ظاهر استناد بعضهم إلى نقل السنا المكي[7] من غير نكير[8].

الرابعة: تُغَلَّظُ الدِّية في الخطأ على القاتل في حرم المدينة كمكة في وجهٍ الصحيحُ خلافه، ومأخَذُهُ عموم قوله: «كما حَرَّمَ إبراهيم مكة»[9].

وقد اختار السراج البلقيني هذا الوجه، قال: لأنَّ الخلاف في ذلك مبنيٌّ على

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٥٧.
(٢) ص: بالبلغة.
(٣) أورد السبكي في ترجمة محب الدين الطبري هذا القول من شرح التنبيه، أنظر: طبقات الشافعية ٨/ ٢٠.
(٤) س، ر، ص: فللآدمي.
(٥) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٥٩.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) السنا مكي : بالقصر، السنَّى: وهو نبات من الأدوية له حمل إذا يبس وحركته الريح سمعت له زَجَلاً، الواحدة سناة، وهو هنا منسوب إلى مكة المكرمة، انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥ وتاج العروس ١٠/ ١٨٥.
(٨) في إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٦٠ : «بعضهم: يعني: عطاء».
(٩) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٦٧.

الخلاف في ضمان صيدها، والمختار عند النووي ضمان صيدها بسلب الصائد[١].

قلت: وما قاله متَّجِهٌ لعموم قوله: «كما حَرَّمَ إبراهيم مكة»، وإنما اختصَّت مكة بمنع الكافر من دخولها مطلقاً، بخلاف المدينة فيجوز أن يدخلها بإذن الإمام أو نائبه للمصلحة، لأنَّ المشركين أخرجوا منها رسول الله ﷺ فعاقبهم الله بالمنع من دخولها بكلِّ حالٍ تعظيماً لرسوله ﷺ[٢].

واستحسن الروياني في **البحر** التسويةَ بين مكة والمدينة في أنَّ مَنْ مات من الكفَّار بهما يُخرجُ ويُدْفَنُ خارجهما، وعلى القول باختصاصه بمكة مُوجِبُهُ ما قدَّمناه.

الخامسة: سوَّى صاحب **الإنتصار**[٣] من أصحابنا بين حرم مكة والمدينة في أنَّ لقطتهما لا تحلُّ للتملك، بل للحفظ أبداً.

وقال الدارمي: لا تلحق لقطة حرم المدينة بحرم مكة في ذلك[٤].

قلت: والذي يقتضيه الدليل ترجيح الأول، للنص على ذلك في الأحاديث المتقدمة في **الفصل الثامن**، وإن كان الأصحاب خصُّوا مكة بالذكر.

السادسة: مقتضى قوله ﷺ في الأحاديث المتقدمة أيضاً: «ولا يحمل فيها سلاح لقتال، أنْ يأتي فيها ما نقل من الخلاف في حرم مكة من أن المقاتلة الجائزة في غيره تحرم فيه كقتال البغاة به، بل يُضَيِّق عليهم إلى أن يخرجوا أو يفيئوا، كما ذهب إليه جماعة»[٥].

وقال الجمهور: يُقَاتَلون، لأنَّ هذا القتال من حقوق الله، وحفظها في الحرم أولى، والحرم لا يُعيذ عاصياً[٦].

---

(١) المصدر نفسه ٢٤٤.

(٢) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٧٣، ٣١٨.

(٣) تقدم التعريف به وبمؤلفه.

(٤) لم يرد هذا القول صراحة في سنن الدارمي "باب في اللقطة"، وإنما أورد أثرين يدلان على المعنى.

(٥) انظر أقوال العلماء في إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ١٦٠ ـ ١٦١ وما بعدها.

(٦) المصدر نفسه ١٦٢.

وذهب الحسن البصري إلى أنه لا يحلُّ لأحد أن يحمل السلاح بمكة، للنهي عن القتال فيها، فلا يحمل ما هو من أسبابه، ولقوله ﷺ: «لا يحل لأحدٍ أن يحمل السلاح بمكة[1]، رواه مسلم»[2].

السابعة: حكى الماوردي وجهين في جواز الاستنجاء بحجارة الحرم، قال: ظاهر المذهب سقوطُ الفرض بذلك مع تأثيمه[3].

قلت: ينبغي حمله على من نقله من الحرم ليستنجي به في الحل مثلاً، وإلاَّ فهو مشكل، إذ لا خلاف في إباحة البول في الحرم، فالاستنجاء بأحجاره[4] كذلك، وعبارة شرح المهذَّب في النقل عن الماوردي، بعد حكاية الوجهين في سقوط فرض الاستنجاء بالذهب والديباج، وطردهما الماوردي في الاستنجاء بحجارة الحرم، انتهى.

وهي محتملة لما قررناه.

وقد نقل النووي عدمَ جواز الأكل في الأواني المعمولة من تراب الحرم على ما قاله الدميري[5]، ولا شك أنه إنما عنى به المنع منه لمن أخرجها من الحرم، كما لا يخفى[6].

الثامنة: جزم النووي بتحريم نقل تراب الحرم المدني وأحجاره، اكتفاءً بما ذكره من الخلاف في الحرم المكي، وصحح فيه التحريم، والرافعي الكراهة، ونقلها النووي عن كثيرين أو الأكثرين، ونقلها القاضي أبو الطيِّب[7] عن نص

---

(١) المصدر نفسه ١٦٩والجملة: "وذهب الحسن البصري... السلاح بمكة"،وقع فيها سقطٌ واضطراب في س.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١١١ ولفظه: "عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح".

(٣) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٣٥.

(٤) ص: بالحجارة.

(٥) هو بهرام بن عبد الله السلمي الدميري المالكي المتوفى سنة ٨٠٥هـ، مؤلف الشامل في الفقه والمناسك وقد شرحها في ثلاثة أسفار وغيرهما، انظر: بروكلمان: ملحق ٢/ ٩٩ ومعجم المؤلفين ٣/ ٨٠.

(٦) كتاب متن الإيضاح في المناسك للنووي ١٦٣.

(٧) هو أبو الطيِّب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري المتوفى ببغداد سنة ٤٥٠هـ، مؤلف شرح مختصر =

الشافعي في القديم، ونقل التحريم عن نصه في **الجامع الكبير**[1]، وقال في **الأم** في حجارة الحرم وترابه: لا خير في أن يخرج منها شيء إلى الحل، لأنَّ لـه حرمةً بايَنَ بها ما سواها[2] من البلدان، فلا أرى ـ والله أعلم ـ أن جائزاً لأحدٍ أن يُزيله من الموضع الذي بايَنَ به البلدان، إذ يصير كغيره.

وروى الشافعي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما[3] كراهة ذلك.

قال الشافعي: وقال غير واحد من أهل العلم: لا ينبغي أن يُخْرَجَ من الحرم شيء إلى غيره[4].

وحكى الشافعي عن أبي يوسف أنه قال: سألت أبا[5] حنيفة عن ذلك فقال: لا بأس به[6].

قال أبو يوسف: وحدثنا شيخ عن رُزَيْن مولى علي بن عبد الله بن عباس أنَّ علياً كتب إليه أن يبعث إليه بقطعة من المروة[7] فيتخذه مُصَلًّى يسجد عليه[8].

ونقل القاضي أبو الطيِّب عن الشافعي أنه قال: رَخَّصَ بعضُ الناس في ذلك، واحتجَّ بشراء البِرَام[9] من مكة، وهو غلطٌ: فإنَّ البِرَام ليست من حجارة الحرم، بل تُحمل من مسيرة يومين أو ثلاثة من الحرم[10].

وحكى في **شرح المهذَّب** اتفاق الأصحاب على أن الأولى أن لا يحمل تراب

= المزني في فروع الفقه الشافعي وغيره، انظر: معجم المؤلفين ٥/ ٣٧ مع مصادر ترجمته.

(١) الجامع الكبير: لإسماعيل بن يحيى المزني الشافعي المتوفى سنة ٢٦٤هـ، انظر: بروكلمان ١/ ١٨٠ وملحقه ١/ ٣٠٥ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٩٩ مع مصادر ترجمته.

(٢) ص: سواه.

(٣) خ: عنهم.

(٤) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٦.

(٥) ص: أبي.

(٦) نقلاً من معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٧.

(٧) المروة واحدة المرو، وهي الحجارة البيضاء، أو لعله يعني: حجارة من الصفا والمروة.

(٨) نقلاً من معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٧.

(٩) البرام: جمع بُرْمَة، وهي القدر المتخذة من الحجر، النهاية في غريب الحديث ١/ ١٢١.

(١٠) ص: وثلاث من الحرم، نقلاً من معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٧ والخبر بنصه في أعلام الساجد بأحكام المساجد ١٣٨.

الحِلِّ وأحجاره إلى الحرم لئلا يحدث لها حرمة لم تكن؛ قال: ولا يقال: إنه مكروه، مع إطلاقه في الروضة والمناسك كراهته[1]، فكأنه أراد بها معنىً خلاف الأولى.

وقول صاحب البيان[2]: قال الشيخ أبو إسحاق[3]: لا يجوز إدخالُ شيء من تراب الحل وأحجاره إلى الحرم[4]، محمول على نفي الإباحة بمعنى استواء الطرفين، كما وقع مثله في مواضع، وبناء آدم البيتَ من أجبُلٍ ليست من الحرم كلبنان وطور سيناء؛ إما لأنَّ تحريم الحرم إنما تعلق حكمه وظهر على لسان إبراهيم عليه السلام، وإما لأنَّ شَرعَه اقتضى ذلك، مع أنَّ الظاهر استثناء نقل حجارة الحل لمصلحة تقتضيها الحال.

وما نقله أهلُ السِيَر من أنهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبي ﷺ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بجِدَارٍ فضُربَ عليهم، لا مُتَمَسَّكَ فيه، إذ لم يُعرف الفاعل، بل الظاهر أنه ممن لا يُحْتَجُّ بفعله، وأمرُ عائشة بضرب الجدار يقتضي المنع من ذلك، على أنه ليس فيه أنه كان يؤخذ للنقل من الحرم.

وقد نقل ابن[5] المعلى السبتي[6] ـ وكذا خليل[7] والتادلي[8] المالكيون ـ كلامَ النووي في المنع من نقل تراب الحرم وأقرُّوه، فالظاهر أنه جارٍ على قواعدهم، إذ منها سدُّ الذرائع.

---

(١) كتاب متن الإيضاح في المناسك للنووي، بيروت ١٩٨٥، ١٦٣.

(٢) هو كتاب البيان في الفروع ليحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليماني المتوفى سنة ٥٥٨هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩١ وملحقه ١/ ٦٧٥ وطبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٣٣٦ وطبقات الشافية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٣٥ مع مصادر ترجمته فيهما.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزأبادي الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦هـ، معجم المؤلفين ١/ ٦٨.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٣٨.

(٥) ص: أبو.

(٦) هو محمد بن علي بن معلى القيسي السبتي من أهل القرن السابع للهجرة، مؤلف كتاب المناسك، انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٧) هو خليل بن إسحاق بن موسى الجندي المالكي المصري المتوفى سنة ٧٦٧هـ، مؤلف كتاب المختصر في الفقه المالكي، انظر: بروكلمان ٢/ ٨٤ وملحقه ٢/ ٩٦.

(٨) ص: الشاذلي، وهو أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٤١هـ، مؤلف شرح عمدة الأحكام وشرح رسالة ابن أبي زيد، انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ٨١.

وقد قيل في سبب عبادة الأصنام: أن بعضَهم كان يصحب معه الحجر من الحرم ليتبرك به، واستشكله البرهان ابن فَرْحُون بأمورٍ: منها ما تقدمت الإشارة إلى جوابه، ومنها الإجماع على نقل ماء زمزم واستهداء النبي ﷺ له من سُهيل بن عمرو[1] فبعث إليه منه، وجوابه: «إنَّ ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم»[2]، مع أنه يخلف، فأشبه الحشيش الذي يخلف، ولهذا قال الشافعي: فـأما ماء زمزم فلا أكره الخروج بـه، والماء ليس بشيء يزول ولا يعود[3]، انتهى.

مع أن المحذور المتقدم في الأحجار لا يتوقع مثله في الماء، إذ المقصود من نَقْلَه شُرْبُه وهو ظاهر، بخلاف الحجر وشبهه، فإنَّ القصد التبرك به وهو شيء لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولذا أقول: إنَّ من نقل من فخار الحرم كالكراريز[4] لحاجة استعمالها جاز له ويُحْمَل كلام من أطلق المنع على ما يراد للتبرك أو مع عدم الحاجة إليه[5]، وإذا جاز أخذ حشيش الحرم للتداوي فهذا أولى، وإذا كان الاحتياج إلى آنية الذهب والفضة يجوِّز استعمالها فهذا أولى، فإن أُريدَ نقل ذلك لحاجة متوقَعة في المستقبل فينبغي تخريجه على ما تقدم في أخذ نبات الحرم للدواء ونحوه.

وقد قدَّمنا في ما جاء في ترابها استثناء تربة صُعَيْب لما جاء فيها من التداوي، وأنَّ الزركشي استثنى تربة حمزة رضي الله عنه لإطباق الناس على نقلها للتداوي بها من الصُّداع[6].

وحكى البرهان ابن فرحون عن الإمام العالم أبي محمد عبد السلام بن إبراهيم بن وَمْصَال الحاحاني، قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهزميري قال: قال صالح بن عبد الحليم: سمعت أبا محمد عبد السلام بن يزيد

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٠١.

(٢) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٧ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ١٣٧، ٢٠٦.

(٣) معرفة السنن والآثار ٧/ ٤٤٧.

(٤) الكراريز: جمع كراز ـ بزنة رُمَّان ودُخَان: وهو القارورة أو كوز ضيِّق الرأس.

(٥) هذا مخالف لرأي النووي كما جاء في إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٤٥.

(٦) لم أقف على هذا الخبر في إعلام الساجد بأحكام المساجد المطبوع.

الصنهاجي يقول: سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرك، هل يجوز أو يُمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناسُ يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان.

قال ابن فرحون عَقِبَهُ: والناسُ اليومَ يأخذون من تربةٍ قريبةٍ من مشهد سيدنا حمزة، ويعملون منها خرزاً يُشْبِه السبح، واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة.

وقد علمت مما تقدَّم أنَّ نقلَ تربة حمزة رضي الله عنه إنما هو للتداوي، ولهذا لا يأخذونها[1] من نفس القبر، بل من المَسِيل الذي عنده المسجد[2]، وَلَئِنْ صحَّ مشروعية التبرك بتراب قبور الصالحين، فهو أمرٌ خاص بها لا دلالةَ فيه على جواز نقلِ مطلق تراب الحرم، وهو أمرٌ لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله ﷺ، والخيرُ كلُّه في الاتِّباع.

وقد قالت الحنابلة أيضاً: يُكره نقل حَصَى الحرم وترابه إلى غيره، ولا يُدْخَلُ غيره إليه.

ونقلوا عن أحمد أنه قال: الإخراج أشدّ، انتهى.

ويجب على من أخرج شيئاً من تراب الحرم أو حجره أن يرده إليه، ولا ضمان عليه في ترك الرد، قال الكمال الدميري[3]: وإذا نُقِل تراب أحد الحرمين إلى الآخر هل يزول التحريم ـ أي: فينقطع وجوب الرد ـ أو يُفَرَّقُ[4] بين نقله للأشرف وعكسه؟ فيه نظر، والله أعلم.

---

(١) ص: يؤخذونها.

(٢) المسيل الذي كان به مصرع حمزة رضي الله عنه، وهو المسيل الذي من جهة أحد، لا من جهة القبلة.

(٣) هو بهرام بن عبد الله السلمي الدميري المالكي المتوفى سنة ٨٠٥هـ، مؤلف الشامل في الفقه والمناسك وقد شرحها في ثلاثة أسفار وغيرهما، انظر: بروكلمان: ملحق ٢/ ٩٩ ومعجم المؤلفين ٣/ ٨٠.

(٤) ص: ويفرق.

الفصل الرابع عشر
في ذكر بدء شأنها وما يَؤول إليه أمرُها

روى ابن لَهيعة بسنده إلى عائشة مرفوعاً: إنَّ مكة بلدٌ عَظَّمَه الله، وعَظَّمَ حرمته؛ خلق مكة وحفَّها بالملائكة قبل أن يَخلقَ شيئاً من الأرض كلها بألف عام، ووصلها بالمدينة، ووصل[١] المدينة[٢] ببيت المقدس، ثم خلق[٣] الأرض كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً.

قال العلامة المقدسي[٤] في كتابه مثير الغرام[٥]: هذا حديث واهٍ جداً، بل منكر[٦].

وعن سليمان التيمي عن أبي عمرو الشيباني قال: قال علي رضي الله عنه: كانت الأرض ماءً، فبعث الله ريحاً فمسحت[٧] الماء مسحاً فظهرت على الأرض زبدة، فقسمها أربع[٨] قطعٍ؛ خلق من قطعة مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت

---

(١) ووصلها.

(٢) سقطت من ص.

(٣) ص: ثم قال كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً.

(٤) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي الشافعي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٦٥هـ، انظر: بروكلمان ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ وملحقه ٢/ ١٦٢ ومعجم المؤلفين ٢/ ٦٢ مع مصادر ترجمته.

(٥) هو كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، منه نسخ عديدة عند بروكلمان ومنها نسخة في لايدن برقم: Or. 931 مؤرخة في سنة ٨٧٥هـ، وقد نُشرت أقسام منه.

(٦) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، مخطوطة لايدن، ورقة ٢٢أ: "لا بل منكر تفرد به علي بن داود القنطري وهو صدوق في نفسه عن كاتب الليث وليس بمعتمد".

(٧) فمسجد الارض.

(٨) ص: أربعة، وسقطت: «قطع» منها.

المقدس، والرابعة الكوفة؛ وهو أثرُ وَاهٍ، وأبو عمرو لم يُدركْ عليّاً.

وروينا في الكبير للطبراني: أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ اطلع إلى أهل المدينة وهي بطحاء قبل أن تعمر، ليس فيها مَدَرٌ ولا بشرٌ، فقال: يا أهل يثرب، إني مشترط عليكم ثلاثاً وسائق إليكم من كلِّ الثمرات؛ لا تَعْصِي ولا تَعْلي[1]، ولا تَكبَّرِي، فإن فعلت شيئاً[2] من ذلك تركتك كالجزور لا يُمْنَعُ مَنْ أَكَلَهُ»[3].

وأخرج النسائي من رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس في حديث الإسراء، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل» الحديثَ، وفيه: «فركبت ومعي جبريل، فسرت فقال: انزل فَصَلِّ، ففعلت فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المُهَاجَرُ» يعني: بفتح الجيم[4].

ووقع في حديث شداد بن أوس عند البزار والطبراني أنه: «أول ما أُسْرِيَ به ﷺ مَرَّ بأرض ذات نخلٍ، فقال له جبريل: انزل فَصلِّ، فنزل فصلى، فقال: صليت بيثرب»[5] الحديث.

وروى رزين عن أنس يَرفعه: «لما تجلَّى الله لجبل طور سيناء تَشَظَّى ستة أشظاظٍ، وفي رواية غير رزين: شظايا، فنزلت بمكة ثلاثة: حِراء وثبير وثور، وفي المدينة: أُحد وعَيْر وورقان[6].

وفي رواية: "ورضوى" بدل: "عير"، ولا يشكل ذلك بكون رضوى بينبع

---

(١) م٢: تغلى.

(٢) ص: شيء.

(٣) مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٩ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه سعيد بن سنان الشامي، وهو ضعيف.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٩٩عن النسائي، وانظر: المعجم المفهرس ٣/ ٣٥٧، النسائي: صلاة ١.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٩٩ عن البزار والطبراني.

(٦) تاريخ المدينة ١/ ٧٩ عن أنس والدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٤٦ عن أنس والمغانم المطابة ١٢ عن أنس أيضاً وتحقيق النصرة للمراغي ١٣٢، ووَرقان: جبل أسود عظيم كأعظم ما يكون من الجبال، ينقاد من سَيالة إلى المتعشى بين العَرج والرويثة، ويقال للمتعشَّى: «الجيّ» أسماء جبال تهامة لعرام ٤٣١ وأعاد الحازمي قول عرام في الأماكن ٢/ ٩١٣. وقال حمد الجاسر: «وورقان لا يزال معروفاً وهم يُسكِّنون الراء».

لأن ينبع من توابع المدينة ومضافاتها، كما سيأتي.

ورواه بعض شراح **المصابيح**[(١)] بلفظ: "عير وثور ورضوى"، ومنه يؤخذ حكمة أخرى في تحديد الحرم بعير وثور، وسيأتي بيان أول من سكنها بعد الطوفان في أخبار سكانها.

وروينا في **الأم** للشافعي حديث: «أسكنت أقل الأرض مطراً، وهي بين عيني السماء عين الشام وعين اليمن»[(٢)].

ورواه ابن زبالة بزيادة: «فاتخذوا الغنم على خمس ليالٍ من المدينة».

وروى أيضاً حديث: «يا معشر المهاجرين إنكم بأقلّ الأرض مطراً، فأقلوا من الماشية، وعليكم بالزرع وأكثروا فيه من الجماجم»[(٣)].

وروى الشافعي أيضاً حديث: «توشك المدينة أنْ تُمطرَ مطراً لا يَكُنُّ أهلَها البيوت، ولا يَكُنُّهم إلا مَظَالُّ الشعَر»[(٤)].

وروى أيضا حديثَ: «توشك المدينة أنْ يُصِيبَها مَطَرٌ أربعينَ ليلة لا يَكُنُّ أهلَهَا بيتٌ من مَدَر»[(٥)].

وروى ابن زبالة حديث: «كيف بك يا عائشةُ إذا رجع الناسُ بالمدينة وكانت كالرمانة المحشوّة؟ قالت: فمن أين يأكلون يا نبي الله؟ قال: يطعمهم الله من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جنات عدن».

وأورد المرجاني[(٦)] في كتابه **أخبار المدينة** عن جابر مرفوعاً: «ليَعُودَنَّ هذا

---

(١) سبق له أن ذكر هذا.

(٢) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ٢٤١.

(٣) جمع جمجمة وهي الخشبة التي تكون في رأسها سكة الحرث، **النهاية في غريب الحديث** ٢٩٩/١.

(٤) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ٢٤١ والكِنُّ: ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن، وقد كَنَنْتُه أكُنُّه كَنّاً، **النهاية في غريب الحديث** ٢٠٦/٤.

(٥) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ٢٤١.

(٦) هوعبد الله بن عبد الملك بن عبد الله الشيخ ابي محمدا لقرشي البرمكي المرجاني مؤلف **بهجة الأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار** اقتبس منه الفاسي في شفاء الغرام ٥٣/١، ٢٨٤ ومنه نسخة في Calc. Medr. برقم: ٣٣٠ جاء هذا في بروكلمان ملحق ٩٢٧/٢، بعنوان: **بهجة** =

الأمر إلى المدينة كما بدأ منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها» الحديثَ.

وروى أحمد برجال ثقات: «يوشك أن يرجع الناسُ إلى المدينة حتى تصير مَسَالِحُهم بسَلاَحِ[١]، ومسالحهم: جمع مَسْلَح، وهم القوم الذين يحفظون الثغور، وسَلاَح ـ كقطام ـ: موضع بقرب خيبر»[٢].

وفي مسلم حديث: «تبلغ المساكن إهاب أو يهاب»[٣] بكسر المثناة التحتية.

وروى أحمد، في حديث طويل أنه ﷺ: «خرج حتى أتى بئر الإهاب، قال: يوشك البنيان أنْ يأتي هذا المكان»[٤].

وبئر إهاب: سيأتي أنها بالحرَّة الغربية.

وروى أبو يعلى عن زيد بن وهب، قال: حدثني أبو ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا بلغ البناء ـ أي: بالمدينة ـ سَلْعَاً فارتحل إلى الشام[٥]، فلما بلغ البناء سَلْعَاً قدمتُ الشام»[٦].

وروى ابن زبالة حديث: «ليوُشِكَنَّ الدين أن ينزوي إلى هذين المسجدين ويوشكن أن يتشاحُّوا على موضع الوتد بالجماء كشحِّ أحدِكم أن يُنقص من داره

= النفوس والاسرار في تاريخ دار هجرة المختار، ويعمل د/ محمد عبد الوهاب فضل بجامعة ام القرى بمكة المكرمة على تحقيقه.

(١) المعجم المفهرس ٢/ ٥٠٠ عن مسند أحمد، وسلاح: موضع قريب من خيبر، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٨٨ وعند ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٢٣٣: «موضع أسفل من خيبر» وذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري الذي بعثه النبي ﷺ إلى يُمن وجُبار للإيقاع بجمع من غطفان لقيهم بسلاح.

(٢) سلاح: قال الفيروزأبادي: بزنة قَطام موضع أسفل خيبر، المغانم المطابة ١٨٢.

(٣) إهاب: "ككتاب، موضع قرب المدينة، ذكره في صحيح مسلم، قال: بينها كذا وكذا ـ يعني المدينة ـ، كذا جاءت الرواية فيه عن مسلم، على الشك، أو يهاب بكسر الياء عند الشيوخ كافة، وبعض الرواة قال: نهاب بالنون، ولا يعرف هذا الحرف في غير هذا الحديث"، المغانم المطابة ٢١ وسيأتي في آخر الكتاب.

(٤) جامع الأصول ٩/ ٣٣١ عن مسلم؛ وانظر: صحيح مسلم ٨/ ١٨٠ وفتح الباري ٤/ ٩٣.

(٥) في حديث أبي ذر مع عثمان رضي الله عنه، قال أبو ذر: "أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها (المدينة) إذا بلغ البناء سلعاً"، كتاب الردة والفتوح لسيف بن عمر التميمي ١٠٤.

(٦) فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام ٣١٨ عن زيد بن وهب.

إلى جانب المسجد، وليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقا»[١]، قالوا: يا رسول الله، فمن أين يأكلون؟ قال: «من ها هنا وها هنا»، يشير إلى السماء والأرض.

ويهيق[٢] ـ أوله آخر الحروف[٣] ـ: موضع بقرب المدينة، على ما سيأتي عن المجد[٤]، آخر الباب السابع.

وذكر ابن زبالة الشجرة التي يُضاف إليها مسجد ذي الحليفة، ثم روى عن أبي هريرة[٥]: لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة.

وروى أيضاً عنه قال: «أرَيْتُكَ[٦] شَرَفَ السيالة وشرف الروحاء، فإنه منازل أهل الأردن إذا حِيزَ الناس إلى المدينة».

وفي الكبير للطبراني حديث: «سيبلغ البناء سلعاً، ثم يأتي على المدينة زمان يَمُرُّ السَّفْرُ[٧] على بعض أقطارها فيقول: قد كانت هذه مدةً عامرةً من طول الزمان وعفو الأثر».

وروى النسائي عن أبي هريرة حديث: «آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة»[٨].

ورواه الترمذي بنحوه، وقال: حسنٌ غريبٌ[٩].

---

(١) يهيق: قال الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٤٤١ : "موضع بقرب المدينة، ولم أر من تعرض لذكره ممن صنَّف في أسماء الأماكن"، وذكر قسماً من الحديث ثم قال: "وذُكر الحديث بطوله في باب الفضائل"، وهو في ص ١٤٩ من المخطوطة: «في ذكر الفضائل المأثورة، ما جاء في ذكر فضائل المدينة الشريفة».

(٢) في الأصول: "ويهيقا".

(٣) يريد آخر حروف الهجاء، وهو الياء.

(٤) هو الفيروزأبادي الشيرازي.

(٥) ص: رضي الله عنه.

(٦) س: أرأيتك.

(٧) السفر: الجماعة المسافرون من الناس، ومثله ركْبٌ.

(٨) انظر: جامع الأصول ٩/ ٣٣١ عن الترمذي واخرجه البزار في مسنده، انظر: إعلام الساجد ٢٣١.

(٩) قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جنادة عن هشام".

ورواه ابن حِبَّان بلفظ: "آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة"[1].

وروى أبو داود عن معاذ مرفوعاً: "عُمْرَانُ بيتِ المقدس خرابُ يثرب، وخرابُ يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال"[2].

وروى أبو داود أيضاً عنه مرفوعاً: الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر[3].

وفي ابن شَبَّة عن أبي هريرة: "ليخرجَنَّ أهلُ المدينة من المدينة خير ما كانت، نصفاً زَهْواً[4] ونصفاً رطباً، قيل: من يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: أمراء السوء"[5].

وفيه أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه، وأنَّ عبد الله بن عمر كان يَرُدُّ عليه، فقال له أبو هريرة: لِمَ تردُّ عليَّ؟ فوالله لقد كنتُ أنا وأنتَ في بيتٍ حين قال النبي ﷺ: «يخرج منها أهلها خير ما كانت»، فقال ابن عمر: أجَلْ! قد كنتُ أنا وأنت في بيتٍ، ولكن لم يقله، إنما قال: «أعمر ما كانت» ولو قال: «خير ما كانت، لكان ذلك وهو حيٌّ وأصحابه، فقال أبو هريرة: صدقت والذي نفسي بيده»[6].

وفيه عنه أيضاً: «ليجيئَنَّ الثعلبُ حتى يَقيلَ في ظلِ المنبر، ثم يروح لا يُنَهْنِهُهُ أحدٌ»[7].

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩١.

(٢) المعجم المفهرس ٢/ ١٧، ورد في سنن أبي داود ومسند أحمد، وانظر: المعجم الكبير ٢٠/ ١٠٨ والتاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١/ ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه ٦/ ١٠٧ عن أبي داود والترمذي وابن ماجه وأحمد، وفي أبي داود: «الملحمة العظمى».

(٤) يقال: "زها النخل يزهو إذا ظهرت ثمرته"، النهاية ٢/ ٣٢٣، والزهو من التمر: إذا لم يَصِرْ رطباً بعد.

(٥) فتح الباري ٤/ ٩١، وبالنص والحرف في تاريخ المدينة ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ وليس كما قال محقق الكتاب: "ليدعن أهل المدينة. . .، وروي بمعناه في وفاء الوفا" فإن تلك رواية أخرى.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩١ والحديث بلفظه في تاريخ المدينة ١/ ٢٧٧.

(٧) تاريخ المدينة ١/ ٢٧٨.

وفي رواية عنه: «لا تقوم الساعة حتى يَجِيءَ الثعلب فَيَرْبِضُ على منبر رسول الله ﷺ لا ينهنهه أحد»[1].

وفيه أيضاً عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتاباً لكعب[2]: ليَغْشِيَنَّ أهلَ المدينة أمرٌ يُفزعهم حتى يتركوها وهي مُذَلَّلة، وحتى تبول السنانير على قطايف الخزِّ ما يروعها[3] شيء، وحتى تخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء[4].

وفي **الصحيحين** حديث: «لتتركون المدينة، ولفظ مسلم: لتترُكُنَّ المدينة على خير ما كانت مُذَلَّلة[5] ثمارها لا يغشاها إلا العوافي»، يريد: عوافي الطير والسباع، «وآخر من يُحْشَرُ منها راعيان من مُزينة يُريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها[6] وحوشاً»، ولفظ مسلم: «حتى إذا بلغا ثَنِيَّة الوداع خَرَّا على وجوههما»[7].

وهو في **الموطأ** بلفظ: "لتتركنَّ المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذِّي[8] على بعض سواري المسجد[9].

ورواه ابن شبَّة ولفظه: فيغذِّي على سواري المسجد أو المنبر[10].

ويغذي: ـ بالغين والذال المعجمتين ـ أي: يبول عليها دفعةً دفعةً، يقال: غذَّت المرأة ولدها ـ بالتشديد ـ إذا أبالته، وبالتخفيف إذا أطعمته.

---

(١) المصدر نفسه ١/٢٧٩.
(٢) يريد كعب الأحبار.
(٣) س: "يروعها كل شيء".
(٤) تاريخ المدينة ١/٢٨٢.
(٥) مذللة: بلدة مذللة، أي: متمكن منها غير محمية لخلوها من الساكنين، وقيل: أراد مذللة قطوفها، يعني: دانية ممكَّناً منها، على أحسن أحوالها، جامع الأصول ٩/٣٣٢ ـ ٣٣٣.
(٦) س: فيجدا فيها، وفي الحاشية: نسخة فيجدانها، وفي البخاري: "فيجدانها مُلِئت وحوشاً".
(٧) أورد ابن الأثير كلَّ هذه الأحاديث في جامع الأصول ٩/٣٣١ ـ ٣٣٢ عن البخاري ومسلم والموطأ.
(٨) غذَّي: الكلب ببوله تغذيةً، إذا رماه متقطعاً، جامع الأصول ٩/٣٣٣.
(٩) جامع الأصول ٩/٣٣٢ عن الموطأ.
(١٠) تاريخ المدينة ١/٢٧٦ وفيه: "فيغدي" بالدال، وأشار المحقق إلى وفاء الوفا ولم يتنبه إلى قول السمهودي: "بالغين والذال المعجمتين، أي: يبول دفعةً دفعةً"، ثم شرح معنى اللفظة فلم يحسن فقال: "أي يبول عليها دفعة واحدة"، وهل يفعل الكلب هذا؟.

وفي ابن زبالة ـ وتبعه ابن النجَّار ـ حديث: «لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدي هذا الكلاب والذئاب والضباع، فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه فما يقدر عليه»[١].

وفي ابن شَبَّة بسند صحيح، حديث: «أما والله لتدعنها مذللة أربعين عاماً للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع»[٢].

ورواه ابن زبالة بنحوه.

وروى أحمد برجال الصحيح أنَّ النبي ﷺ صعد أُحُداً، فأقبل على المدينة وقال: «ويل أمها قرية، يَدَعُها أهلُها كأينع ما تكون[٣]. . .» الحديث[٤].

وفي رواية له: «ويل أمك قرية، يَدَعكِ أهلُكِ وأنت خير ما تكونين»[٥].

وروى أيضاً، بإسناد حَسَن، حديث: «ليسيرنَّ راكبٌ في جنب وادي المدينة»[٦] فليَقُولنَّ: لقد كان في هذه مرةً حاضرةٌ من المؤمنين[٧].

وروى أيضاً برجالٍ ثقات، حديث: «المدينة يتركها أهلها وهي مُرْطِبة، قالوا: فمن يأكلها؟ قال: السباع والعائف»[٨].

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٥٨.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩٠ وانظر: تاريخ المدينة ١/ ٢٨١.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٧٤ وتكملة الحديث: "قلت يا رسول الله من يأكل ثمرها؟ قال: عافية الطير والسباع" وفتح الباري ٤/ ٩٠.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩٠ ومسند أحمد ٤/ ٤٥٦، ٥/ ٤٤

(٥) تاريخ المدينة ١/ ٢٧٥ وفي ١/ ٢٧٤ : "ويل أُمها قرية يدعها أهلها كأينع ما تكون".

(٦) س، ر: واد المدينة.

(٧) مسند أحمد ٣/ ٤٣٤ وتاريخ المدينة ١/ ٢٨٣ وفيهما: "من المؤمنين كثير".

(٨) مسند أحمد ٣/ ٤٢١ وورد حديث شبيه به في تاريخ المدينة ١/ ٢٨٢.

الفصل الخامس عشر

في ما ذكر من وقوع ما أخبر به ﷺ

من خروج أهلها وتركها

وذكر كائنة الحرّة المقتضية لذلك

قد اختلف الناسُ؛ متى يكون هذا الترك؟ فقال القاضي عياض: إنَّ هذا جَرَى في العصر الأول، وإنه من المعجزات، فقد تُركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة إلى الشام والعراق[1]، وذلك أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا: أما الدين فلكثرة العلماء بها، وأما الدنيا فلعمارتها واتِّساعِ حال أهلها.

قال: وذكر الأخباريون في بعض الفتن التي جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رحَلَ عنها أكثرُ الناسِ، وبقيت ثمارها للعوافي، وخَلَتْ مدةً، ثم تراجع الناس إليها[2].

وحكى البدر ابن فرحون[3] في شرح الموطأ ـ ومن خطه نقلت ـ عن القاضي أيضاً، أنه قال: وقد حكى قومٌ كثيرون أنهم رأوا ما أنذر به النبي ﷺ من تغذية[4] الكلاب على سَوَاري مسجدها، انتهى.

---

(١) في فتح الباري ٤/ ٩٠: "قال القرطبي تبعاً لعياض".

(٢) نقل السمهودي قول القاضي عياض من شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٧٣.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المدني المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٦٩هـ، مؤلف الدر المخلص من التقصي والمخلص وكشف المغطا في شرح مختصر الموطا وهو شرح الكتاب الأول وغيرهما، انظر: بروكلمان: ملحق ٢/ ٢٢١ ومعجم المؤلفين ٦/ ١٣٧ مع مصادر ترجمته ودرّة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي، تح محمد الأحمدي أبو النور، ٣/ ٤٩.

(٤) س: تغذيت.

وقال النووي: الظاهر المختار أن الترك للمدينة يكون آخر الزمان عند قيام الساعة[١]، ويوضحه قصة الراعيين من مُزَينة، فإنهما يَخِرَّان على وجوههما حين تُدركهما الساعة، ولفظ مسلم واضح في ذلك، فإنه قال: «ثم يحشر راعيان»، ويؤكده كونُها آخرَ قرى الإسلام خراباً[٢].

قلت: ويؤيده رواية ابن شبّة المتقدمة: لتَدَعُنَّها مذلَّلة أربعين عاماً للعوافي[٣]، وهذا لم يقع اتفاقاً[٤].

وروى ابن شبّة عن أبي هريرة، قال: "آخر من يُحشر رجلان؛ رجلٌ من جُهينة وآخر من مُزينة" فيقولان: أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يَرَيان إلاَّ الثعلب، فينزل إليهما مَلَكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يُلحِقاهما[٥] بالناس[٦].

وروى أيضاً عن حذيفة بن أسيد قال: «آخر الناس مَحشَراً رجلان من مُزينة يفقدان الناس، فيقول أحدهما لصاحبه: قد فَقَدْنا الناسَ منذ حين، انطلق بنا إلى شخصٍ من بني فلان، فينطلقان فلا يجدان بها[٧] أحداً، ثم يقول: انطلق بنا إلى المدينة، فينطلقان فلا يجدان بها أحداً، ثم يقول: انطلق بنا إلى منازل قريش ببقيع الغَرْقَد، فينطلقان فلا يريان إلاَّ السباع والثعالب، فيوجهان نحو البيت الحرام»[٨].

قلت: وكأنهما إذا توجها نحو البيت الحرام ينزل إليهما المَلَكان قبل ذهابهما، فلا يخالف ما تقدم، على أنه ورد ما يقتضي أنَّ الترك للمدينة يكون متعدداً، فلعل ما ذكره القاضي هو المرة الأولى، وبقي الترك الذي يكون آخر الزمان، لأنَّ ابن شَبَّة روى حديث: «ليَخْرُجنَّ أهلُ المدينة من المدينة، ثم ليعودُنَّ

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩٠.
(٢) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٩٠.
(٣) تاريخ المدينة ١/ ٢٨١.
(٤) في فتح الباري ٤/ ٩٠: "قلت: وهذا لم يقع قطعاً".
(٥) خ: يلحقانهما.
(٦) تاريخ المدينة ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
(٧) س: بهما.
(٨) تاريخ المدينة ١/ ٢٨٢.

إليها، ثم ليخرجنَّ منها ثم لا يعودون إليها، ولَيَدَعُنَّها وهي خير ما تكون مونعة»[1].

وروى أيضاً عن عمر مرفوعاً: «يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلىء وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً»[2].

فالظاهر أنَّ ما ذكره القاضي هو التَرْكُ الأول، وسببه في ما يظهر كائنة الحَرَّة؛ وقد تقدم من حديث أبي هريرة أنه قيل له: «مَنْ يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: أمراء السوء».

وروى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: «يُهلك أمتي هذا الحَيُّ من قريش، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أنَّ الناس اعتزلوهم»[3].

وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاَّ حَدَّثَ به، حَفِظَه مَنْ حَفِظه ونَسِيَه من نسيه»[4]، الحديث.

وفي رواية عنه: «أخبرني رسولُ الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة[5]، فما من شيء إلا قد سألته، إلاَّ أني لم أسأله ما يُخْرِجُ أهلَ المدينة من المدينة»[6].

وروى الترمذي حديثَ: «إذا مشت أمتي المُطَيْطَاء[7]، وخدمتهم بنات فارس والروم، رَدَّ الله بأسَهم بينهم وسلَّطَ شِرارَهم على خيارهم»[8].

وروى ابن شَبَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: والذي نفسي بيده

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٨١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٨٣.
(٣) صحيح مسلم ٨/ ١٨٦ وفتح الباري ٦/ ٦١٢.
(٤) المصدر نفسه ٨/ ١٧٢.
(٥) ر: إلى أن تقوم القيامة، ت: . . . وسلم وسلمها هو كائن إلى قيام القيامة.
(٦) صحيح مسلم ٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣ وتاريخ المدينة ١/ ٢٨١.
(٧) المطيطاء: هو مشي التبختر والخيلاء والمرح ومد اليدين، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٤٠.
(٨) سنن الترمذي ٢/ ٢٥٦: "إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك؛ أبناء فارس والروم، سُلِّط شِرارُها على خيارها" والكامل لابن عدي ٦/ ٣٣٥ والجامع الكبير ٤/ ١١٠ (بشار) "بالمطيطاء" مع تخريجه.

ليكونَنَّ[1] بالمدينة مَلْحَمةٌ يقال لها: الحالقة، لا أقول: حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين، فاخرُجُوا من المدينة ولو على قدر بريد[2].

وروى ابن أبي شيبة عنه أنه قال: اللَّهمَّ لا تدركني سنة ستين، ولا إمْرَةُ الصبيان[3]، يشير إلى أنَّ أول الأغيلمة كان في سنة ستين، وهو كذلك، كما قاله الحافظ ابنُ حجر[4]، فإنَّ يزيد بن معاوية اسْتُخْلِفَ فيها، فأشار إلى دولة يزيد، وفيها كانت وقعة الحَرَّة، وتسمى: حَرَّة واقم، وحرة زهرة[5].

وروى الواقدي في كتاب الحَرَّة عن أيوب بن بشير المعاوي[6] أنَّ النبي ﷺ: «خرجَ في سَفَرٍ من أسفاره، فلما مرَّ بحَرَّةِ زهرة وقف واسترجع فَساءَ[7] ذلك من معه، فظنُّوا أنَّ ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما الذي رأيت؟ فقال النبي ﷺ: أما إنَّ ذلك ليس من سفركم هذا، قالوا: فما هو يا رسول الله؟ قال: يُقْتَلُ في هذه الحَرَّة خيار أمتي بعد أصحابي»[8].

وروى أيضاً عن سفيان بن أبي أحمد قال: كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على بني عبد الأشهل أشار بيده فقال: «يقتل بهذه الحَرَّة خيار أمتي».

وروى أيضاً عن كعب قال: نجد في التوراة أنَّ في حرَّةٍ شرقيّ المدينة مقتلة

---

(١) ر: لتكونتن.

(٢) تاريخ المدينة ١/ ٢٨٠.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٦١١، ٦١٣، ٦٧٤، ٧٠١: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمرة الصبيان» ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٦٦ والبداية والنهاية ٦/ ٢٢٩ وفتح الباري ١٣/ ١٠ وكشف الأستار ٤/ ١٢٦ ومجمع الزوائد ٧/ ٢٢٠ وقال: رواه أحمد والبزار.

(٤) فتح الباري ١٣/ ١٠.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) المعاوي الأوسي المتوفى سنة ١١٩هـ، قال الذهبي: "لا جرح فيه"، ميزان الاعتدال ١/ ٢٨٥.

(٧) في الأصول: فسيء بذلك من معه، والخبر في: كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٧٣ عن يعقوب بن سفيان، (صاحب كتاب المعرفة والتاريخ)، والبداية والنهاية ٦/ ٢٣٣.

(٨) انظر: كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٧ فقد أورد الحديث بنصِّه وبإسناده عن غير الواقدي.

تضيء وجوهُهم يوم القيامة صنعا[1].

وروى أيضاً أنه ذكر عند ابن عباس قتلى الحرة، فقال ابن عباس: يرحمهم الله، قال رسول الله ﷺ: «يقتل بحرة زهرة خيار أمتي».

وروى البيهقي في الدلائل خبر أيوب بن بشير المتقدم، ثم قال: هذا مرسل[2].

وقد روى عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾[3]، قال: لأعْطَوهَا، يعني: إدخال بني حارثة أهلَ الشام على أهلِ المدينة[4].

ورواه بالسند إلى ابن عباس، وقال: إنه مؤكِّد لمرسل ابن بشير[5].

وسيأتي في حرة واقم ما رواه ابن زبالة من أن السماء مطرت على عهد عمر رضي الله عنه، فخرج مع أصحابه حتى أتوا حَرَّة واقم وشِرَاجُهَا[6] تطرد، فقال كعب: أما والله يا أمير المؤمنين لتسيلنَّ هذه الشِّراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء، فدنا منه ابن الزبير فقال: يا أبا إسحاق! ومتى ذلك؟ فقال: إياك أن تكون على رجلك أو يدك[7].

وروى ابن زبالة عن كعب أيضاً: إنا نجد في كتاب الله: حَرَّة شرقيّ المدينة يُقْتَلُ فيها مقتلة تضيء وجوههم يوم القيامة كما يضيء القمر ليلة البدر[8].

قلت: وسياق كلام القرطبي يقتضي أنها هي السبب في خروج أهل المدينة

---

(١) كذا في الأصول، ولعل الكلمة مقحمة أو مصحفة، أو لعلها: صنعاء.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٧٣ والبداية والنهاية ٦/ ٢٣٣ والمعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٧.

(٣) سورة الأحزاب ١٤.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٧٣ ـ ٤٧٤ والمعرفة والتاريخ ٣/٣٢٧ وفتح الباري ١٣/ ٧١ والبداية والنهاية ٦/ ٢٣٣.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٧٣.

(٦) الشِّراج جمع شرجة وهي مسيل الماء من الحرة إلى السهل، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٥٦.

(٧) المغانم المطابة ١١٢، وتحقيق النصرة للمراغي ١٥١ والتعريف للمطري ٧٥ ـ ٧٦.

(٨) تحقيق النصرة للمراغي ١٥١ والعريف للمطري ٧٦.

المذكور في كلام عياض، فإنه ذكر نحو كلام عياض، وقال: فلما انتهى حالها ـ يعني: المدينة ـ كمالاً وحسناً تناقص أمرها إلى أن أقفرت جهاتها، وتوالت الفتن فيها، فخاف أهلها فارتحلوا عنها، ووجَّه يزيدُ بن معاوية مسلمَ بنَ عقبة المرِّي في جيش عظيم من أهل الشام فنزل بالمدينة، فقاتل أهلها، فهزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً، واستباح المدينة ثلاثة أيام فسمِّيت وقعة الحرة لذلك، ويقال لها: حرة زهرة، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوي، فَقُتِلَ بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وهم ألف وسبع مئة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، وقتل بها من حَمَلة القرآن سبع مئة رجل، ومن قريش سبعة وتسعون؛ قتلوا ظلماً في الحرب صبراً.

قال: وقال الإمام الحافظ ابن حزم[(١)] في المرتبة الرابعة[(٢)]: وجالت الخيلُ في مسجد رسول الله ﷺ وبالت وراثت بين القبر والمنبر ـ أدام الله تشريفهما ـ وأكرهوا الناس أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق، وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن والسنّة، فأمر بقتله، فضربت عنقه صبراً[(٣)].

وذكر الأخباريون أنها خَلَتْ من أهلها، وبقيت ثمارها للعوافي كما قال ﷺ، وفي حال خلائها غذَّت الكلاب على سواري المسجد، انتهى كلام القرطبي[(٤)].

وروى الطبراني، في خبر طويل، عن عروة بن الزبير قال: لما مات معاوية رضي الله عنه تثاقل[(٥)] عبدُ الله بن الزبير عن طاعة ابنه يزيد[(٦)]، واظهر شَتْمَه، فبلغ

---

(١) انظر ترجمته الموسعة في سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤ مع مصادر ترجمته.

(٢) هو المرتبة الرابعة في نسب رسول الله ومغازيه لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٤٥٦هـ، منه نسخة مخطوطة في برلين برقم: ٩٥١٠ ومؤرخة في سنة ٧٠٠هـ، لم يذكرها بروكلمان ولا الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩٣ ضمن ما ذكرا من مصنفاته.

(٣) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٧٢ ـ ١٧٣ عن كتاب المرتبة الرابعة لابن حزم.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١٧٢ ـ ١٧٣ باختصار، ولم أجد هذا النص في مخطوطة المرتبة الرابعة لابن حزم، نسخة برلين، والظاهر أن هذه نسخة مختصرة.

(٥) ص: تشاغل.

(٦) العبارة: "عن طاعة ابنه يزيد" سقطن من خ.

ذلك يزيد، فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً، وإلاَّ أرسل إليه فقيل لابن الزبير: ألا نصنع لك أغلالاً من فضة تلبس عليها الثوب وتبر قسمَه، فالصلح أجمل بك؟ قال: فلا أبرَّ الله قسمَه، ثم قال:

ولا أَلِينُ لِغَيرِ الحَقِّ أَسأَلُهُ   حتى يَلِينَ لِضِرسِ الماضِغِ الحَجَرُ

ثم دعا إلى نفسه، فوجَّه إليه يزيدُ بنُ معاوية مسلمَ بنَ عقبة المري في جيش أهل الشام، وأمرهم بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك سار[1] إلى مكة، قال[2]: «فدخل مسلم بن عقبة المدينة، وهَرَبَ منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله ﷺ وعاث فيها وأسرف في القتل، ثم خرج منها، فلما كان في بعض الطريق مات، واستخلف حصين بن نمير الكندي، ثم ذكر حصاره ابن الزبير ورمْيَهُ بالمَنْجَنِيق، واحتراقَ الكعبة، قال: وبلغ حصين بن نمير موت يزيد بن معاوية فهرب»[3].

قلت: وسبب أمر يزيد بقتال أهل المدينة، ما ذكره الإمام ابن الجوزي قال: لما دخلت سنة اثنتين وستين ولَّى يزيدُ عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان المدينة، فبعث إلى يزيد وَفْدَاً من المدينة، فلما رجع الوفد أظهروا شَتْمَ يزيد وقالوا: قَدِمْنَا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويلعب بالكلاب، وإنَّا نشهدكم أنا قد خلعناه، قال المنذر: أما والله لقد أجازني بمئة ألف درهم، ولا يمنعني ما صنع أن أصدقكم عنه، والله إنه ليشرب[4] الخمر، وإنه ليسكر حتى يدعَ الصلاة[5]، ثم بايعوا لعبد الله بن حَنْظَلة الغسيل وأخرجوا عثمان بن محمد عاملَ

---

(١) ص: صار.

(٢) سقطت من ص.

(٣) هذا الخبر في القسم الضائع من المعجم الكبير وقد نقله عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٥٢ - ٢٥٥ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، ضعَّفَه أبو زرعة وغيره.

(٤) ص: يشرب.

(٥) كتاب الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد لابن الجوزي، ورقة ٢٠ب، وتوجد منه نسخة في برلين وأخرى في لايدن بعنوان: رسالة في جواز اللعن على يزيد ، مؤرخة في سنة ٩٩٥هـ، برقم: Or. 959 وهي في الرد على عفيف الدين عبد المغيث البغدادي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ، وانظر: مجمع الألقاب لابن الفوطي، تح مصطفى جواد، ترجمة رقم: ٧١٨.

يزيد[1]، وكان ابنُ حنظلة يقول: يا قوم! ما خرجنا على يزيد حتى خِفْنا أنْ نُرْمَى بالحجارة من السماء، والله لو لم يكن معي أحدٌ من الناس لأبْلَيْتُ الله فيه بلاءً حَسَناً[2].

وكانت قِصَّة الحَرَّة سنة ثلاث وستين، وفي هذه السنة أخرج أهلُ المدينةِ عاملَ يزيد المتقدم ذكره[3].

قلت: وفي كتاب الحَرَّة للواقدي ما ملخصه: أنَّ أولَ ما هاج أمر الحرة أنَّ ابن مينا[4] كان عاملاً على صَوَافي[5] المدينة ـ وبها يومئذ صواف كثيرة ـ حتى كان معاوية يجد بالمدينة وأعراضها مئة ألف وسقٍ وخمسين ألف وسقٍ، ويحصد مئة ألف وسق حنطة، واستعمل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وأنَّ ابن مينا أقبل بسَرحٍ[6] له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية، فلم يزل يسوقه ولا يصدُّه عنه أحدٌ حتى انتهى إلى بَلحَارث بن الخزرج، فنقب النقيب[7] فيهم، فقالوا: ليس ذلك لك، هذا حدثٌ وضرر علينا، فأعلم الأمير عثمان بن محمد بذلك، فأرسل إلى ثلاثة من بلحارث، فأجابوه إلى أنْ يمرَّ به، فأعلمَ ابن مينا فغدا بأصحابه فذَبُّوهم[8]، فرجع إلى الامير فقال: اجمع لهم من قدرت، وبعث معه بعض جنده، وقال: مرَّ به ولو على بطونهم، فغدا ابن مينا مُتَطاولاً عليهم وغدا من يَذُبُّهُم[9] من الأنصار ورفدتهم قريش فذَبُّوهم حتى تفاقم الأمر، فرجع ولم يعمل شيئاً.

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ٦/ ٧.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٩ وانظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٦٦ ـ ٦٨.

(٣) انظر: كتاب العفو والاعتذار للرقام البصري ١/ ١٣٨ ـ ١٤٣.

(٤) ذكر ابن سعد في طبقاته ٥/ ٣١١ ثلاثة من بني مينا، فلعله الحكم بن مينا.

(٥) الصوافي: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، أو الضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤٠.

(٦) السرح: اسم جمع وليس بتكسير سارح، والسرح والسارح والسارحة سواءٌ: الماشية، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٥٨.

(٧) نقب: فتش وبحث، والنقيب هنا الأمين أو الكفيل، تاج العروس ١/ ٤٩٢.

(٨) ذبَّه: طرده ومنعه.

(٩) س: مزيد لهم، خ: من ندبهم.

وكتب عثمان بن محمد إلى يزيد يخبره بذلك، ويحرِّضه على أهل المدينة جميعاً، فاستشاط غضباً وقال: والله لأبعثنَّ إليهم الجيوش ولأوطئنها الخيل، انتهى.

وقال ابن الجوزي: قال أبو الحسن المدائني[1] ـ وكان من الثقات ـ: أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد، فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي، ونزعها عن رأسه، وإني لأقول هذا وقد وَصَلني وأحْسَنَ جائزتي، ولكن عدو الله سكيِّر، وقال آخر: قد خلعته كما خلعت نعلي، حتى كثُرَت العمائم والنِّعَال[2].

ثم ولَّوا على قريش عبدَ الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة، ثم حاصر القومُ من كان بالمدينة من بني أمية في دار مروان، فكتب مروان ومن معه إلى يزيد: إنا قد حُصِرنَا ومُنِعنا العَذْبَ، فيا غَوثَاه! فوصل الكتاب إليه، فبعث إلى مسلم بن عُقبة ـ وهو شيخ كبير ـ فجاء حتى دخل عليه، وقال له: اخرُجْ وسِرْ بالناس، فخرج مناديه، فنادى: أن تسيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كَمَلاً[3] ومعونة مئة دينار توضع في يد الرجل من ساعته، فانتدب لذلك اثنا[4] عشر ألف رجل[5].

وكتب يزيد إلى ابن مرجانة[6]: أنْ اغزُ ابن الزبير! فقال: لا والله[7] لا أجمعها للفاسق أبداً: قَتْلُ ابنِ رسول الله[8] ﷺ وإغزاءُ البيت[9]!

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى ببغداد سنة ٢٢٥ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠ مع مصادر ترجمته وسزكين ١/ ٣١٤ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢١١ وبروكلمان ١/ ١٤٠ وملحقه ١/ ٢١٤.

(٢) نقلاً من المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٢ او من الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٥٩ب.

(٣) ص: كمالا.

(٤) س: اثني.

(٥) نقلاً عن المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٢ أو من الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٥٩ب.

(٦) ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه.

(٧) ص: فقالا والله.

(٨) يعني: الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(٩) نقلاً من المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٣ أو من الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٥٩ب.

وقال يزيد لمسلم: إنْ حَدَثَ بك حادثٌ فاستخلف حُصَين بن نمير السكوني، وقال له: ادعُ القومَ ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلاَّ فقاتلهم، فإذا ظَهَرتَ عليهم فأبِحْها ثلاثاً فما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عنهم، وانظر عليَّ بن الحسين فاسْتَوصِ به فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، فلما بلغ اهلَ المدينة إقبالُ الجيش وثبوا على من كان محصوراً من بني أمية، وقالوا: لا نكفُّ عنكم حتى نضربَ أعناقكم أو تُعطونا عهد الله وميثاقه إلاَّ تبغونا غائلة ولا تدلُّوا لنا على عَوْرةٍ ولا تظاهروا علينا عدواً، فأعطَوهُم العهدَ على ذلك، فأخرجوهم من المدينة، فخرجوا حتى لَقُوا مسلم بن عقبة[١]، وأرسل إليه مروان ابنَه عبدَ الملك فأشار عليه أن يأتيهم من ناحية الحرة، وأن ينتظرهم ثلاثاً ففعل[٢].

فلما مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة، ما تصنعون؟ قالوا: نحارب! قال: لا تفعلوا وادخلوا في الطاعة، قالوا: لا نفعل، وكانوا قد اتخذوا خندقاً، فنزل منهم جماعة، وحمل ابن الغسيل على الخيل حتى كشفها، وقاتلوا قتالاً شديداً.

وجعل مسلم يحَرِّضُ أصحابه، وكان به مرض، فنصب له سرير بين الصفين وقال: قاتلوا عن أميركم، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال، ووقعوا على النساء، وقاتل عبد الله بن مطيع حتى قُتل هو وبَنُونَ له سبعة، وبعث برأسه إلى يزيد، فأفزع ما جرى من بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ[٣].

ونقل الواقدي[٤]: أنَّ القوم لما قربوا تشاور أهلُ المدينة في الخندق؛ خندق رسول الله ﷺ وشَكُّوا[٥] المدينة بالبنيان من كلِّ ناحية، وعملوا في الخندق خمسة

---

(١) في المنتظم والروضة الفردوسية: زيادة «بوادي القُرى».

(٢) انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري، نشرة دي خويه ـ لايدن ١/ ٣١٠ وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٥.

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٤ ـ ١٥ وقد أسقط السمهودي بعض ألفاظ الخبر.

(٤) الظاهر أنَّ السمهودي ينقل هنا من كتاب الحرة المفقود للواقدي.

(٥) قال الأقشهري في الروضة الفردوسية ورقة ١٥٨أ في وقعة الخندق: «وكان سائر المدينة مسلكاً بالبنيان» والشكُّ والشِّكة بالكسر: السلاح، وهنا: سدُّوا منافذها وطرقها، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٩٥.

عشر يوماً، وكان لقريش ما بين راتج[1] إلى مسجد الأحزاب وللأنصار[2] ما بين مسجد الأحزاب إلى بني سَلِمة، وللموالي ما بين راتج إلى بني عبد الأشهل، فلما وصل القوم عسكروا بالجُرْف[3]، وبعثوا رجالاً من رجالهم، فأحدقوا بالمدينة من كلِّ ناحية، فما يجدون مَدْخَلاً؛ والناس متلبسوا[4] السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة، وجلس مسلم بناحية واقم، فرأى أمراً هائلاً، فاستعان بمروان وكان وَعَده بوجهٍ في ذلك لما لقيه بوادي القرى، فخرج مروان حتى جاء بني حارثة، فكلَّم رجلاً منهم ورَغَّبَهُ في الصنيعة[5]، وقال: تفتح لنا طريقاً فأكتب بذلك إلى يزيد فَيَصِلِ أرحامكم، ففتح لهم طريقاً من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بني حارثة إلى بني عبد الأشهل.

وجاء الخبرُ عبدَ الله بن حنظلة ـ وكان بناحية الصورين[6] في أصحابه ـ وأقبل عبد الله بن مطيع[7] ـ وكان من ناحية ذباب ـ وأقبل ابن هرمز[8] في الموالي يطوف بهم على الخنادق، وأقبل ابن أبي ربيعة ـ وكان من ناحية بُطحان ـ فاجتمعوا جميعاً من حيث يدخل أهل الشام.

قال محمود بن لبيد[9]: قد حضرتُ يومئذ، فإنما أُتِينَا من قومنا بني حارثة، وكان مروان حين أُخْرِجَ عُمِلَ به عمل قبيح، فكلَّم رجلاً فأدخله ومعه فارس ثم جعلت الخيل تتحدر على أثره، وقد وقفنا ببني عبد الأشهل فقاتلنا ما وجدنا حتى

---

(١) راتج: اسم أُطم من آطام المدينة، وقال المطري: جبل صغير غربي وادي بطحان، المغانم المطابة ١٤٩.

(٢) ص: والأنثصار.

(٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام، المغانم المطابة ٨٨.

(٤) خ: تلبسوا.

(٥) الصنيعة: الإحسان

(٦) الصوران: تثنية الصور، موضع بالنقيع وسوف يحدده السمهودي في ما بعد، وانظر: المغانم المطابة ٢٢٤.

(٧) ترجم له ابن سعد في طبقاته ٥/ ١٤٤.

(٨) هو يزيد بن هرمز قتل يوم الحرة، انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ٩٨ وتهذيب الكمال ٧٥٠ وتذهيب التهذيب ٤/ ١٨٢ وميزان الإعتدال ٤/ ٤٤٠ وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٩.

(٩) ترجم له ابن سعد في طبقاته ٥/ ٢٨٤ والفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ ١/ ٣٥٦ وقال: «وهو ثقة».

عايَنَّا الموت وكَثُرَنا[1] القوم وتفرَّق الناس فَقُتِلُوا[2] في كلِّ وجه.

وروى الواقدي أيضاً: «أن قصر بني حارثة كان أماناً لمن أراد أهلُ الشام أنْ يُؤَمِّنُوهُ، وكانت بنو حارثة آمنين، وأولُ دارِ انتُهِبَتْ ـ والحرب بعد لم تنقطع ـ دار بني عبد الأشهل»، انتهى.

وأخرج ابن أبي خيثمة بسند صحيح إلى جُوَيرية[3] بن أسماء: سمعت أشياخَ أهل المدينة يتحدثون أنَّ معاوية رضي الله عنه لما احتضر دعا يزيد فقال له: «إنَّ لك من أهلِ المدينة يوماً، فإن فعلوا فَارْمِهِمْ بمُسلم بن عقبة فإني عرفت نصيحته[4]، فلما ولي يزيد وَفَد عليه عبدُ الله بن حَنْظَلة وجماعة، فأكرمهم وأجازهم، ورجع[5] فحَرَّضَ الناسَ على يزيد وعابه ودعاهم إلى خلع يزيد، فأجابوه، فبلغ يزيد فجهَّزَ إليهم مسلم بن عقبة فاستقبلهم أهلُ المدينة بجموع كثيرة، فهابهم أهلُ الشام وكَرِهُوا قتالهم، فلما نشب القتال سمعوا في جوف المدينة التكبير، وذلك أن بني حارثة أدخَلُوا قوماً من الشاميين من جانب المدينة، فترك أهلُ المدينة القتالَ، ودخلوا المدينة خوفاً على أهليهم، فكانت الهزيمة، وقُتِل من قُتِل، وبايع مسلم الناس على أنهم خَوَلٌ[6] ليزيد، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء»[7]، انتهى.

وأخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند صحيح عن ابن عباس قال: «جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾[8]، يعني: إدخال بني حارثة أهلَ الشام على أهلِ المدينة»[9] في وقعة الحَرَّة.

---

(1) ص: وكثرة.

(2) ص: فقوتلوا.

(3) ص: جويرة.

(4) رواه الطبري عن أحمد بن زهير بن أبي خيثمة في تاريخه ١/ ٤٢٢ والظاهر أن السمهودي نقله منه.

(5) س: فرجع.

(6) الخول: واحدها خائل وهم العبيد والإماء، وقيل: انه مأخوذ من التخويل وهو التمليك.

(7) تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/ ٣٢٣.

(8) سورة الأحزاب ١٤.

(9) بالنص في كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٧، وانظر: البداية والنهاية ٦/ ٢٣٣.

قال يعقوب: "وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين"[1]، انتهى.

قالوا: وكلَّمت امرأةٌ مسلمَ بن عقبة في ولدها، وقالت: أنا مولاتك وابني في الأسر، فقال: عجلوه لها، فضربت عنقه، وقال: أعطوها رأسَه، أما تَرْضَينَ أن لا تُقتلي حتى تكلمي في ابنك؟[2].

قلت: وسموه مُسْرِفاً لإسرافه في القتل[3].

ونقل الواقدي في كتاب الحَرَّة أنَّ يزيد دخل على مُسرف، وكان قد جعله في عِلِّيَّةٍ لِمَرَضِهِ، فقال له: لولا مرضُك لكنت أنت صاحب هذا الأمر لما أعرف من[4] نصيحتك، قال مسرف: أَنشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين أن تولِّي أمرهم غيري، فإني والله صاحبهم، رأيت في النوم شجرةَ غرقدٍ تصيح بأغصانها: يا ثارات عثمان! فأقبلتُ أشتدُّ وجعلتْ الشجرةُ تقول: على يَدَي مسلم بن عقبة، حتى جئتُها فأخذتُها، فعبَّرت ذلك أني أكون القائم بأمر عثمان، فَهُمْ قَتَلَتُهُ، قال يزيد: فَسِرْ إليهم على بركة الله، فأنت صاحبهم وانظر إذا قدمتَ المدينة، فمن عاقَكَ عن دخولها أو نَصَبَ لك حَرباً فالسيفَ السيفَ، لا تُبْقِ فيهم، وأَنهِبْهَا ثلاثاً، وأجهز على جريحهم واقتل مدبرهم، وإياك أن تُبْقي عليهم، وإن لم يعرضوا لك فامض إلى ابن الزبير.

وروى ابن الجوزي، من طريق المدائني، عن جويرية: أنَّ مسلماً نظر إلى قتلى الحَرَّة فقال: لَئِنْ دخلت النار بعد هاؤلاء إني لَشَقيٌّ، وأسر أسرى فحبسهم ثلاثة أيام لم يطعموا، وجاءوا بسعيد بن المسيب، فقالوا: بايع، فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر، فأمر بضرب عنقه، فشهد رجلٌ أنه مجنون، فَخُلِّيَ عنه[5].

---

(١) كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٥، ٣٢٦، "وكانت الحرة سنة ثلاث وستين وقتل يومئذ من حملة القرآن سبع مئة نفس". وانظر: الإصابة ٣/ ٤٥٢.

(٢) المنتظم ٦/ ١٤ ـ ١٥ وكتاب الرد على المتعصب العنيد، ورقة ٢٠أ ـ ب.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤٧٥ «لإسرافه في القتل والظلم».

(٤) سقطت من ص.

(٥) كتاب الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد، ورقة ٢٠ب. أو لعل السمهودي نقل هذا الخبر وغيره من المنتظم ٦/ ١٥ ـ ١٦وفيه: بياض لم يستطع المحققان إكماله، وفيه أيضاً: «بعد ها=

وعن المدائني أيضاً، عن شيخ من أهل المدينة، قال: سألت الزهري: كم كانت القتلى يوم الحرة؟ قال: سبع مئة من وجوه الناس: من قريش والأنصار والمهاجرين؛ ومن وجوه الموالي ومن لا يُعرفُ من عبدٍ وحرٍّ وامرأةٍ عشرة آلاف[١].

وكانت الوقعة لثلاثٍ بقينَ من ذي الحجَّة سنةَ ثلاثٍ وستين[٢].

وفي كتاب الحَرَّة للواقدي، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، قال: سألت الزهري: كم قُتِل من الناس يومئذٍ؟ قال: أما من وجوه الناس فأكثر من سبع مئة من قريش والأنصار ووجوه الموالي، ثم عدَّدَ عليَّ من قُتل حتى ما كنت أرى أنه بقي أحدٌ إلا قتل يومئذ، ثم قال الزهري: ولقد قتل ممن[٣] لا يُعرف من الموالي والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، ودخلوها لثلاثٍ بقينَ من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

قلت: وقال القرطبي: لليلتين بقيتا من ذي الحجة.

ونقل[٤] الأقشهري عن أبي معشر والواقدي: أنها يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي الحجة[٥].

قلت: ولم أره في كتاب الواقدي[٦]، ولعله سبق قلم، والله أعلم.

= ولا إني لشقي»، وفيه أيضاً: «عن حويرثة وابن جعدية»، وكلاهما خطأ. والحق ان محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا لم يحققا كتاب المنتظم بل شوهاه فأدخلا فيه ما ليس منه.

(١) نقلاً من كتاب الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد لابن الجوزي، ورقة ٢٠أ، وجاء فيه: «وذكر المدائني في كتاب الحَرَّة»، وانظر: المنتظم ٦/١٦.

(٢) كتاب الرد على المتعصب العنيد، ورقة ٢٢أ: «يوم الأربعاء» ومثل ذلك في المنتظم ٦/١٧ عن أبي معشر والواقدي. وقد ظهر لي أنَّ السمهودي لم ينقل كلَّ هذه الأخبار مباشرة من كتب ابن الجوزي لاختلاف الالفاظ بينهما وأنما نقل هذه الأخبار من كتاب الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٥٩أ ـ ١٦٠ب لتشابه السقط في كليهما، ومما يؤيد هذا انَّ السمهودي قرأ هذه النسخة وعليها خطه.

(٣) م٢: مما.

(٤) ص: وقال.

(٥) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٦١أ: «قال أبو معشر والواقدي كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي الحجة من سنة ثلاث وستين».

(٦) نقلاً من المنتظم ٦/١٧ وليس من طبقات ابن سعد، وفي طبقات ابن سعد ٤/٢٨٣ روايةً عن =

وذكر المجد: أنهم سَبَوا الذرية، واستباحوا الفروج، وأنه كان يقال لأولئك الأولاد من النساء اللاتي حملن: أولاد الحَرَّة[1].

قال: ثم أُحْضِرَ الأعيان لمبايعة يزيد، فلم يرضَ إلاَّ أن يبايعوه على أنهم عبيدُ يزيد، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه، وجاءوا بعلي بن عبد الله بن عباس[2]، فقال الحصين بن نمير: يا معشر اليمن! عليكم ابنَ أختكم، فقام معه أربعة آلاف رجل، فقال لهم مسلم: أخلعتم أيديكم[3] من الطاعة؟ فقالوا: أما فيه فنعم، فبايعه على أنه ابنُ عم يزيد[4]، انتهى.

وعن المدائني أيضا: عن محمد بن عمر، قال: قال ذَكْوَان مولى مروان: شرب مسلم بن عقبة دواءً بعد ما انتهَبَ[5] المدينة، ودعا بالغداء، فقال له الطبيب: لا تَعْجَلْ فإني أخاف عليك إنْ أكلت قبل أن تُكمل الدواء، قال: ويحك! إنما كنت أُحِبُّ البقاء حتى أشفي نفسي من قَتَلَة عثمان، فقد أدركت ما أردت، فليس شيء أحبَّ إليَّ من الموت على طهارتي، فإني لا أشكُّ أنَّ الله قد طَهَّرني من ذنوبي بقتل[6] هؤلاء الأرجاس[7].

قلت: هذا من عظيم[8] حُمْقِه، قاتله الله وأشقاه! فإنَّ هذا مما يزيد في عظيم جُرمِه.

وممن قُتل صبراً يومئذٍ من الصحابة عبدُ الله بن حنظلة الغسيل ـ قال ابن

= الواقدي: «وكانت الحرة في ذي الحجة سنة ست وستين» والظاهر أن: «ست» هنا تصحيف: «ثلاث».

(١) المغانم المطابة ١١٣.

(٢) ترجم له ابن سعد في الطبقات ٥/ ٣١٢ ـ ٣١٤.

(٣) س: ابدانكم.

(٤) المغانم المطابة ١١٣.

(٥) خ، ص: «بعد ما نهب»، وفي المنتظم والروضة الفردوسية: «انهب».

(٦) كذا في الأصول، وفي المنتظم والروضة الفردوسية: «بقتلي».

(٧) المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٦ والروضة الفردوسية ورقة ١٦٠ب.

(٨) خ: عظم.

حزم: قُتل مع ثمانية من بنيه[1] ـ وعبد الله بن زيد[2] حاكي وضوء النبي ﷺ[3]، ومعقل بن سنان الأشجعي[4]، وكان شهد فتح مكة، وكان معه رايةُ قومه يومئذ، وفيه يقول الشاعر:

ألا تلكُم الأنصارُ تَبكي سَرَاتَها وأشْجَعُ تبكي مَعْقِلَ بنَ سِنَانِ[5]

ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري[6]، وقد ذكر ابن جرير الطبري الإمام: أنَّ عبد الله بن الغسيل كان يقول:

بُعْدَاً لِمَنْ رَامَ الفَسَادَ وطَغَى وجَانَبَ القصْدَ وأسبابَ الهُدى

لا يُبْعِدِ الرحمن إلاَّ مَنْ عَصَى[7]

ثم تقدم فقاتل حتى قُتِل، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري[8]، وأبوه كان خطيبَ رسول الله ﷺ حين وردَ وَفْدُ تميم، وجعل مسلم بن عقبة يطوف على القتلى ومعه مروان بن الحكم، حتى مَرَّ على عبد الله بن الغسيل وهو مادٌّ[9] إصبعَهُ السبَّابة فقال مروان: أما والله لئن نَصَبْتَهَا ميتاً لطالما نصبتَها حيّاً.

وَرُوِيَ عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال مروان لعبد الله بن حنظلة الغسيل، وقد رآه مشيراً بإصبعه وقد يبست، لئن أشَرْتَ بها ميتاً لطالما دَعَوتَ

(١) جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ٣٣٣.

(٢) ترجم له ابن سعد في الطبقات ترجمة قصيرة ٥/٢٦٥، وفي جوامع السيرة لابن حزم، تح إحسان عباس وناصر الدين الأسد ٨١، "وهو الذي أُريَ النداء."، أي: الأذان. وانظر: ناسخ الحديث ومنسوخه لعمر بن أحمد بن شاهين، تح سمير الزهيري ١٦٥.

(٣) تحقيق النصرة ١٥١.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٥) المصدر نفسه ٤/ ٢٨٣.

(٦) ترجم له ابن سعد في الطبقات ٥/ ٦٩ ـ ٧١.

(٧) تاريخ الرسل والملوك، نشر دي خويه، ١/ ٤١٧ وفيه: "وجانب الحق وآيات الهدى" وفي نسخة منه: وجانب العدل وأعلام الهدى.

(٨) ترجم له ابن سعد في الطبقات ٥/ ٨١ ـ ٨٢.

(٩) ص: مادا.

وتَضَرَّعْتَ بها إلى الله تعالى، فقال رجل من أهل الشام: إن كان هؤلاء كما تقول، فما دعوتَنا إلاَّ لقتل أهل الجنة! فقال مروان: خَالَفوا ونَكَثوا[١].

وفي **الذيل** على ابن النجار للغرَّافي[٢]: ذكر محمد بن سعد في **الطبقات**: أنَّ مروان بن الحكم كان يُحرِّضُ مسلم بن عقبة على أهل المدينة، وجاء معه مَعيناً له حتى ظفَرَ بهم، وانتهبَ المدينة، فلما قَدِمَ مروان على يزيد شكر له ذلك وأدناه[٣].

وروى ابن الجوزي بسنده إلى سعيد بن المسيب، قال: ما أصلي لله تعالى صلاةً إلاَّ دعوت على بني مروان[٤].

وبسنده أيضاً إليه، قال: لقد رأيتني[٥] ليالي الحَرَّة ما في المسجد أحَدٌ من خَلْقِ الله غيري، وإنَّ أهلَ الشام لَيَدْخُلون زُمَراً يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون؛ ولا يأتي وقتُ صلاةٍ إلا سمعتُ أذاناً من القبر، ثم أُقيمت الصلاة فتقدمت فصليت، وما في المسجد أحدٌ غيري[٦].

وبسنده أيضاً إلى المدائني، عن أبي قرة، قال: قال هشام بن حسَّان: وَلَدَتْ بعد الحَرَّة ألفُ امرأةٍ من غير زوج[٧].

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٧١.

(٢) خ: "وفي الدلائل عن ابن النجار للقرافي"، والغرافي: منسوب إلى "الغرَّاف" وهو بلد ونهر لم يزالا مشهورين في العراق، وقد ذكر السخاوي أن أبا العباس الغرافي ذيَّل في كرَّاسة على كتاب الدرة الثمينة لابن النجار ولم يزد، علم التاريخ عند المسلمين، لفرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي، ٦٤٢، فلعله أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن أحمد الحسيني الغرافي، والد علي بن أحمد المتوفى سنة ٧٠٤هـ والذي ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/ ١٧ وابن العماد في الشذرات ٦/ ١٠ والسيوطي في حسن المحاضرة ١/ ٣٨٧ وابن القاضي في درة الحجال ٣/ ٢١٥ و٢١٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩ وكتاب الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد، ورقة ٢٠أ.

(٤) كتاب الرد على المتعصب العنيد، ورقة ٢٧ب.

(٥) س: راتني.

(٦) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٠ب عن ابن الجوزي والمغانم المطابة ص٣٦ وتحقيق النصرة للمراغي ١١٨ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى للسمهودي ١١٩ عن السبكي ومثير الغرام لابن الجوزي ٤٩٠.

(٧) كتاب الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد ورقة ٢١أ.

وعن المدائني أيضاً عن أبي عبد الرحمن القرشي عن خالد الكندي عن عمته أم الهيثم ابنة[1] يزيد، قالت: رأيت امرأةً من قريش تطوف، فعَرَض لها أسودُ فعانقته وقبَّلَتْهُ، فقلت: يا أمة الله! أتفعلين هذا بهذا الأسود؟ فقالت: هو ابني، وقع عليَّ أبوه يوم الحَرَّة[2].

ونقل الغرَّافي في ذيله عن شيخه أبي المظفَّر السمعاني[3] أنه روى بسنده إلى أبي غزية[4] الأنصاري، قال: كان قوم من أهل المدينة يجتمعون في مجلس لهم بالليل يسهرون فيه، فلما قُتِلَ الناس قُتِلوا ونجا منهم رجلٌ فجاء إلى مجلسه فلم يُحِسَّ[5] منهم أحداً، ثم جاء الليلة الثانية فكذلك، ثم جاء الثالثة فكذلك، فتمثَّل بهذا البيت:

ألا ذَهَبَ الكُمَاةُ وخَلَّفُونِي ... كفى حَزَناً بذكري للكماةِ

قال: فنودي من جانب المجلس:

فَدَع عنك الكُماةَ فقد تَوَلَّتْ ... وَنَفْسَكَ فَابْكِهَا قَبْلَ المَمَاتِ

فَكُلُّ جماعةٍ لا بدَّ يوماً ... يُفَرِّقُ بينَهَا شعبُ الشَّتاتِ

وروى الطبراني عن أبي هارون العبدي، قال: «رأيت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه مُمَعَّطَ اللحية[6]، فقلت: تعبثُ بلحيتك؟ قال: لا! هذا ما لقيت من ظَلَمَة أهل الشام، دخلوا زمن الحرة، فأخذوا ما كان في البيت من متاع أو خُرْثيّ[7]، ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا في البيت شيئاً فأسفوا أن يخرجوا

---

(١) ر: ابنت.

(٢) نقلاً من الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد ورقة ٢٠ب ـ ٢١أ أو من المنتظم ٦/ ١٥.

(٣) هو ابو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني المروزي المتوفى سنة ٦١٧هـ. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠٨: "سمع منه ابن النجار وأحمد بن عبد المحسن الغرَّافي" فتعين أنَّ مؤلف ذيل الدرة الثمينة هو والد علي بن احمد الغرَّافي، وعن السمعاني انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠٧ مع مصادر ترجمته و معجم المؤلفين ٥/ ٢٠٦.

(٤) الإصابة ٤/ ١٥٢.

(٥) أحسَّ الشيء وجد حسَّه، وأحسَّ: ظن ووجد، واللفظة هنا بمعنى: فلم يجد منهم أحداً

(٦) رجل أمعط اللحية: ساقط شعر لحيته، ورجل أمعط: لا شعرَ في جسده.

(٧) الخرثي من المتاع: أثاث البيت أو أردأ المتاع والغنائم أو سقطه، تاج العروس ١/ ٦١٩.

بغير شيء، فقالوا: أضْجِعُوا الشيخ، فجعل كلٌّ يأخذ من لحيتي خصلة»[1].

وروى أيضاً عن محمد بن سعيد خبراً قال فيه: «فلما جاء يزيدَ خلافُ ابنِ الزبير ودعاؤه إلى نفسه، دعا مسلم بن عقبة المُرِّيّ ـ وقد أصابه الفالج ـ وقال: إنَّ أمير المؤمنين ـ يعني أباه ـ عهد إليَّ في مرضه إن رَابَني من أهل الحجاز رَيْبٌ أنْ أوَجِّهَك إليهم، وقد رابني، فقال: إني كما ظنَّ أميرُ المؤمنين ـ اعْقِدْ لي وعَبِّ الجيوش».

قال: فورد المدينة فأباحها ثلاثاً، ثم دعا إلى بيعة يزيد على أنهم أعْبُدٌ له قِنٌّ[2] في طاعة الله ومعصيته[3]، فأجابوه إلى ذلك إلاَّ رجلاً واحداً من قريش أمه أم ولد، فقال له: بايع ليزيد على أنك عبدٌ في طاعة الله ومعصيته، قال: لا بل في طاعة الله، فأبى أن يقبل ذلك منه، فقتله، فأقسمت أمه قسماً لئن أمكنها الله من مسلم حيّاً أو ميتاً أن تُحرقه بالنار، فلما خرج مسلم بن عقبة من المدينة اشتدَّت علَّتهُ فمات، فخرجت أم القرشي بأعْبُدٍ لها إلى قبر مسلم فأمرت به أن يُنْبَشَ من عند رأسه، فلما وصلوا إليه إذا بثعبانٌ قد التوى على عنقه قابضاً بأرنبَةِ أنفه يَمُصُّهَا.

قال: فَكَاعَ[4] القوم عنه، وقالوا: يا مولاتنا انصرفي فقد كفاك الله شَرَّهُ، وأخبروها، فقالت: لا، أُوفِي[5] الله بما وعدته؛ ثم قالت: انبشوا من عند الرجلين، فنبشوا، فإذا بالثعبان لأوِ ذَنَبَه برجليه.

قال: فتَنَحَّتْ فصلَّتْ ركعتين، ثم قالت: «اللهمَّ إنك تعلم إنما غضبت على مسلم بن عقبة اليوم لك فَخَلِّ بيني وبينه، ثم تناولت عوداً فمضت إلى ذنب الثعبان فانْسَلَّ من مؤخَرِ رأسهِ فخرج من القبر، ثم أمَرَتْ بهِ فأُخْرِجَ من القبر ثم أُحْرِقَ

---

(١) المعجم الكبير ٦/٤١، رقم: ٥٤٣٢.
(٢) سقطت من خ، والقن: بكسر القاف، يقال: عبدٌ قِنٌّ وعبيد قِنٌّ وعَبَدان قِنٌّ وقد يجمع على أقنان وأقِنَّة، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/١١٦.
(٣) نقلاً من فتح الباري ١٣/٧١.
(٤) كاع: نكص وتأخَّر.
(٥) ص: لأوفي.

بالنار»[1].

قلت: وفي كتاب الحَرَّة للواقدي: أنَّ الثَّبَتَ[2] بالبلد عندنا أنَّ مُسْرِفاً لما دُفن بثنية المشلَّل[3] وكانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة تسير وراء العسكر بيومين أو ثلاثة، حتى جاءها الخبر بذلك، فانتهت إليه، فنبشته ثم صلبته على المشلل[4].

قال الضحاك[5]: فحدثني من رآه مصلوباً يُرمى كما يُرمى قبر أبي رِغال[6].

وحدثني[7] عبدُ الرحمن بن أبي الزناد[8] عن عبد الرحمن بن الحارث قال: والله ما خَلَصَتْ إليه، وقد نبشت عنه ولكنها لما انتهت إلى لَحْدِهِ وجدت أَسْوَدَ من الأساود مُنْطَوياً على رقبته فاتحاً فاه، فانصرفت عنه.

وقال ابن الجوزي: لما دخلت سنة أربع وستين، وقد فرغ مسلم من قتال أهلِ المدينة ـ سار متوجهاً إلى مكة، واستخلف على المدينة روح بن زنباع وسار إلى ابن الزبير، فمات في الطريق[9].

---

(١) هذا من القسم الضائع من المعجم الكبير وقد نقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ وعزاه للطبراني.

(٢) الثبت: بالتحريك، الحجة والبيِّنة، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٠٦.

(٣) جبل يهيط منه إلى قديد، وقد ورد ذكره في شعر ابن هرمة: كما في المغانم المطابة ٣٣٥، ٣٥٧، ٤٠٥.

"عفا أَمَجٌ من أهـــله فالمشللُ ... إلى البحر لم يأهل له بعد منزلُ"

(٤) نسب قريش لمصعب الزبيري ٢٢٢.

(٥) رواية عن الواقدي، والضحاك: لعله الضحاك بن عثمان شيخ الواقدي، أنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥٤ وميزان الإعتدال ٢/ ٣٢٤.

(٦) ورد في حاشية خ، الورقة ٣٢أ بخط عبد الله الشهابي الحسني السمهودي: "قوله المشلل: بضم أوله وفتح الشين والتشديد، موضع بقديد من ناحية البحر وهو الجبل الذي يهبط إليها، وقديد موضع معروف بين مكة والمدينة، مقدمة ابن حجر على البخاري".

(٧) لم يزل السمهودي ينقل من كتاب الواقدي.

(٨) المتوفى سنة ١٧٤هـ، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٠ وأورد أقوال علماء الحديث فيه.

(٩) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٦١أ نقلاً من المنتظم لابن الجوزي.

قلت: وذلك مِصْدَاق ما جاء في مَنْ يقصد أهلَ المدينة بِسُوءٍ، فأهلكه الله سريعاً.

قال القرطبي: أهلكه الله مُنْصَرَفَه عن المدينة ـ ابتلاه الله بالماء الأصفر في بطنه، فمات بقديد؛ بعد الوقعة بثلاثِ ليالٍ.

وقال الطبري: مات بهَرْشَى[1] بعد الوقعة بثلاث، وكان لحماقته الموفرة يقول عند موته: «اللهمَّ إني لم أعمل عملاً قطُّ بعد شهادة أن لا إله إلاَّ الله أحبَّ إليَّ من قتال أهل المدينة، ولئن دخلتُ النار بعدها إني لشقيٌّ»[2].

ثم دعا حصين بن نمير السكوني وقال له: أميرالمؤمنين وَلاَّكَ بعدي، فأسْرِع السيرَ ولا تؤخِّر ابنَ الزبير، وأمره أنْ يَنْصِبَ المجانيق على مكة، وقال: إنْ تَعَوَّذُوا بالبيت فارْمِهِ، وحاصر مكة أربعة وستين يوماً جرى فيها قتال شديد، وقُذِفَت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأول، وأخذ رجلٌ قبَساً في رأس رمح فطارت به الريح فاحترق البيت، فجاءهم نعي يزيد بن معاوية إهْلاَلَ ربيع الآخر، وكان بين الحَرَّة وبين موته ثلاثة أشهر[3].

وقال القرطبي: دون ثلاثة أشهر، لأنه توفي بالذبحة وذات الجنب في نصف

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٤٢٤، هذه إحدى روايات الطبري عن هشام بن محمد الكلبي، وفي رواية أبي مخنف أنه مات ودفن بقفا المشلل، وهرشى أو هرشا: عقبة صعبة المنحدر سهلة المصعد على ثمانية أميال من الأبواء، انظر: كتاب المناسك للحربي ٤٥٦، فقد حدد الموضع. وقال حمد الجاسر: "وهرشا كراع مستطيل ممتد من حرة بني سليم، لا يزال معروفاً، وفي طرف هذا الكراع ثنيتان؛ سُهِّلَتْ الغربية منهما لمرور السيارات حينما كان الطريق يسلك هذه الجهات. أما الآن فطريق السيارات يسير من رابغ في الخبت ويدع هرشا وما حولها من الأماكن يمينه بعيداً وتبعد ثنية هرشا عن رابغ بـ ٣٥ كيلاً". انظر: المغانم المطابة ٧٦ ـ ٧٧، ٤٣٣ ـ ٤٣٥ ومجلة العرب ١٠٠٩ وانظر أيضا: أسماء جبال تهامة لعرام ٤٤١.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥، "وكان لحماقته...عند موته"، لم ترد عند الطبري وكذلك: "ولئن دخلت النار... الخ"، ولكنها وردت بالنص في كتاب الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم (لعن) يزيد لابن الجوزي، ورقة ٢٢أ مخطوطة لايدن برقم: Or. 909، وفي الطبري زيادة: «قتال أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة»، وبالنص في الروضة الفردوسية ورقة ١٦٠ب نقلاً من المنتظم لابن الجوزي (٦/ ١٥).

(٣) كتاب الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي، ورقة ٢٢أ والروضة الفردوسية ورقة ١٦١أ.

ربيع الأول، فلقد ذاب ذَوْبَ الرصاص.

واجترأ أهلُ المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشام، فَذَلّوا، حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلاَّ أُخِذَ بلجام دابته فَنُكِّس عنها، فقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام[1].

وكانت وقعة الحرة وقتل الحسين ورمي الكعبة بالمنجنيق من أشنَع شيء جرى في أيام يزيد.

وقال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد، أحد العشرة[2] رضي الله عنهم:

فـإنْ تَقْتُلُـونَـا يـومَ حَـرَّةِ وَاقِـمٍ فَنَحْنُ على الإسْلام أولُ مَنْ قَتَلْ

ونحـن قَتَلْنَـاكُـمْ ببـدرٍ أذِلّـةً وأُبْنَا بأسْلابٍ لنا منكمُ نَفَلْ[3]

فإنْ يَنْجُ منهَا عائِذُ البيتِ سالماً فكلُّ الذي قد نابَنا منكمُ جَلَلْ[4]

يعني بعائذ البيت: عبد الله بن الزبير[5].

وهذه الكائنة غير الإغزاء المذكور في حديث البيداء[6]، ولهذا روى ابنُ شَبَّة عن أبي المُهزِّم[7] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: يجيء جيش من قِبَل الشام حتى يدخل المدينة، فيقتلون المقاتلة، وتُبْقَرُ بطونُ النساء ويقولون للحبلى في البطن: اقتلوا صُبابة الشرِّ، فإذا عَلَوا البيداء من ذي الحُلَيفة خُسِفَ بهم فلا يُدْرِكُ

---

(١) الروضة الفردوسية ورقة ١٦١أ.

(٢) في موضع آخر كما سيأتي، ورد: "عبد الرحمن بن سعيد الذي أبوه أحد العشرة" وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وانظر: جامع الأصول ٥٥٨/٨ ـ ٥٦١، وفي تحقيق النصرة للمراغي ١٥١ مثل نصِّنا هنا.

(٣) نسب ابن حجر البيتين الأولين عن الصاغاني لمحمد بن أسلم بن بجرة الأنصاري في الإصابة ٤٧٢/٣.

(٤) التعريف ٧٦ ونسبها المجد في المغانم المطابة ١١٣ لمحمد بن بحرة (وجزة) الساعدي.

(٥) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٥١.

(٦) انظر تحديد العياشي للبيداء في المدينة بين الماضي والحاضر ٤٥١ وما بعدها.

(٧) أبو المهزم: هو يزيد بن سفيان صاحب أبي هريرة، ضعفه علماء الحديث، ميزان الإعتدال ٤٢٦/٤.

أسفَلَهُم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم[1].

قال أبو المُهَزِّم: فلما جاء حُبيشُ بن دُلْجَة[2]، قلنا: هم، فلم يكونوا هم[3].

قلت: وقد جاء في بعض الأخبار بيان أنَّ[4] ذلك الجيش جيش السفياني، يبعثه لقتال المهدي.

وقال يحيى بن سعيد: لم تُتْرَك الصلاة في هذا المسجد منذ كان رسول الله ﷺ إلاّ ثلاثة أيام؛ يوم قُتِلَ عثمان ويوم الحرة، قال مالك: ونسيت الثالث[5].

وفي **العُتْبيّة**[6] عن مالك: أنه بلغه ذلك عن سعيد بن المسيب بمعناه، قال ابن رشد[7]: واليوم الثالث الذي ذكر مالك أنه نسيه، قال محمد بن عبد الحكم: هو يوم خرج به أبو حَمْزة الخارجي[8]، وكان خروجه ـ في ما ذكروا ـ في دولة

---

(١) **كشف الأستار** ٤/ ١١٥ **ومجمع الزوائد** ٧/٣١٦.

(٢) في الأصول: جيش بن ذبحة، وهو حُبيش بن دُلجة القيني، أرسله مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ لقتال عبد الله بن الزبير فبدأ بالمدينة إلا أن عياش بن سهل بن سعد الأنصاري على رأس جيش ابن الزبير قتله قبل أن يدخل المدينة، **تاريخ الطبري** ١/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩، طبعة دي خويه.

(٣) في الأصول: ذبحة، وهو في **تاريخ المدينة** ١/ ٢٧٩، ٣٠٩ (ذبحة) فنقل السمهودي الاسم مصحفاً من هذه النسخة الفريدة، وسيأتي أن السمهودي ظنه جيش مسلم بن عقبة فقال: "يعني جيش مسرف".

(٤) خ: أن بيان.

(٥) **فتح الباري** ٧/ ٣٢٥ : "وذكر ابن التين أن مالكاً روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري. . . ".

(٦) هو كتاب **المستخرجة العتبية** لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي العتبي القرطبي المالكي المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٢/ ٣٣٥ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ١/ ١٧٧ وملحقه ١/ ٣٠٠ **ومعجم المؤلفين** ٨/ ٢٧٦ مع مصادر ترجمته أيضاً، ومن العتبية نسخة مخطوطة بباريس.

(٧) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، مؤلف **شرح العتبية** وهو بعنوان: **البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل** ومنه نسخ في باليرمو بصقلية وجامع القرويين بفاس، ونشره محمد حجي وسعيد أعراب بعنوان: **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، انظر: بروكلمان ١/ ٣٨٤ وملحقه ١/ ٦٦٢ **ومعجم المؤلفين** ٨/ ٢٢٨ مع مصادر ترجمته.

(٨) انظر: **تاريخ الرسل والملوك** للطبري ٣/ ٢٠٠٦ وما بعدها بروايات متعددة.

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية[1].

قال خليفة بن خيَّاط[2]: سار أبو حمزة في أول سنة ثلاثين ومئة يُريد المدينة، واستخلف على مكة إبراهيم بن الصباح الحميري، وجعل على مقدمته بلج بن عقبة السعدي[3]، وخرج أهل المدينة والتقوا بقُدَيد يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين ومئة، وبلج في ثلاثين ألف فارس، فقال لهم: خَلُّوا طريقنا فنأتي هؤلاء الذين بَغَوا علينا وجاروا في الحكم[4]، فإنا لا نريد قتالكم، فأبوا فقاتلوهم، فانهزم أهلُ المدينة، وجاءهم أبو حمزة، فقال له علي بن الحُصَين: اتَّبع هؤلاء القوم[5] وأثخِنْ[6] على جريحهم، فإنَّ لكلِ زمانٍ حُكْمَاً، والإثخان في مثل هؤلاء أمْثَلُ، قال: ما أرى ذلك[7]، ومضى أبو حمزة إلى المدينة فدخلها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر[8]، ففي يوم دخوله إياها ـ والله أعلم ـ خُلِّيَ مسجد النبي ﷺ من أن يجمع فيه، وأصيب من قريش يومئذ ثلاث مئة رجل، ومن آل الزبير اثنا[9] عشر رجلاً، فما سمع الناس بواكِيَ أوجعَ للقلوب من بواكي قُدَيد؛ ما بقي بالمدينة أهل بيت إلاَّ فيهم بكاء، وقالت نائحة تبكيهم:

ما للزمان وما لِيَه ... أفنى قُدَيدُ رِجَالِيَهْ

فلأبكيَنَّ سَرِيرَةً ... ولأبكينَّ عَلاَنِيَهْ[10]

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٢٥.

(٢) انظر عنه: سزكين ١/ ١١٠ ومعجم المؤلفين ٤/ ١٠٨ وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٢ مع مصادر ترجمته.

(٣) في الطبري: بلج بن عيينة بن الهيضم الأسدي من أهل البصرة، وفي نسخة منه: فلج بن عقبة.

(٤) في تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤١٤: "ولا تجعلوا حدنا بكم فإنا لا نريد. . . ".

(٥) س: فقال له كيف علي بن الحصين اتبع.

(٦) في تاريخ خليفة: "وأجهز".

(٧) في تاريخ خليفة زيادة: "وما أرى، أخالف سيرى من مضى قبلي".

(٨) إلى هنا ينتهي الاقتباس من تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤١٣ ـ ٤١٣.

(٩) س، ص: اثني.

(١٠) عند الطبري: ما لقديد وما ليه، وذكر بيتاً ثالثاً، ٣/ ٢٠١٢ ومعجم ما استعجم ٨٣٠ والمناسك ٤٥٩.

قلت: وذكر الذهبي عن خليفة بن خياط في خبر أبي حمزة هذا ما ملخصه: أنَّ عبد الله بن يحيى الأعور الكندي المسمى: طالب الحق ـ بعد أنْ ملك حضرموت وصنعاء ـ بعث إلى مكة أبا حمزة الخارجي الأباضي المذكور، فخاف عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ـ وكان والياً على مكة والمدينة وخذلَهُ أهلُ مكة ـ ففارقها في النفر الأول وقصد المدينة، فغلب أبو حمزة على مكة، ثم سار منها بعد أن استخلف عليها، فَلَقيَ بقُدَيد الجيشَ الذي أرسله عبدُ الواحد بن سليمان لقتاله، فظفر أبو حمزة وسار إلى المدينة فدخلها، وقَتَـلَ فيها جماعةً منهم أربعون رجلاً من بني عبد العُزَّى[1].

وجَهَّزَ إليه مروان عسكراً، فلقيَ بوادي القرى بَلْجاً، وهو على مقدمة أبي حمزة، فاقتتلوا فَقُتِلَ بلج وعامةُ أصحابه، ثم أدركوا أبا حمزة بمكة، فقتلوه في خلقٍ من أصحابه، ثم ساروا لطالب الحق فقتلوه[2]، انتهى ملخصاً.

قلت: ويحتمل أنَّ ما نقل عن الأخباريين في الخروج من المدينة إنما كان في هذه الكائنة أو قبل ذلك في كائنة بُسْر بن أرطأة[3]، فإنَّ القرطبي قال: وذكر أبو عمرو الشيباني قال: لما وجَّه معاوية رضي الله عنه بسر بن أرطأة لقتل شيعة علي رضي الله عنه، سار إلى أنْ أتى المدينة، فَقَتَلَ ابني عبيد الله بن العباس رضي الله عنهما[4]، وفَرَّ أهلُ المدينة حتى دخلوا الحَرَّة حَرَّة بني سُلَيم، ولكنه بعيد، والأقرب ما قدَّمناه، والله أعلم.

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير "حوادث سنة ١٣٠" ٤/٣٠٧، ٣١٤ ـ ٣١٥ ط.

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط ٤/٤١١ ـ ٤١٧.

(٣) أنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/١٥٨ (بهامش الإصابة لابن حجر).

(٤) ذكر البسوي وابن عساكر قصة لبسر شبيهة بهذه وقعت أيام الحرة، كتاب المعرفة والتاريخ ٣/٣٢٧ ـ ٣٢٨ وتاريخ دمشق ١٠/١٣ ـ ١٤.

الفصل السادس عشر

في ظهور نار الحجاز التي أنذر بها النبي ﷺ

فظهرت بأرض المدينة وأطفأها الله تعالى

عند وصولها

إلى حَرَمِه كما سنوَضّحه

روينا في مسند أحمد، برجالٍ ثقاتٍ عن أبي ذر، قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ فرأينا[١] ذا الحُليفة، فَتَعَجَّلَ رجالٌ إلى المدينة، وبات رسول الله ﷺ وبتنا معه، فلما أصبح سأل عنهم، فقيل: تَعجَّلوا إلى المدينة، فقال: تَعجَّلوا إلى المدينة والنساء، أما إنهم سَيَدَعُونَها أحسَنَ ما كانت»[٢].

ثم قال: «ليت شعري متى تخرجُ نارٌ بأرض اليمن من جبل الورَّاق تُضِيءُ منها أعناقُ الإبل ببُصْرَى بَروكاً[٣] كضوء النهار»[٤].

ورواه ابن شَبَّة من غير ذكر: "بأرض اليمن"، ولفظه: «ليتركنها أحسن ما

---

(١) في مسند أحمد ٥/ ١٨٩: "فنزلنا ذا الحليفة".

(٢) انظر: المعجم المفهرس ٤/ ١٤٢ عن مسند أحمد.

(٣) بروكاً: أي: ثابت ومستقر، وهنا بمعنى: تضيء أعناق الإبل وهي باركة، وفي المستدرك: «سروجاً».

(٤) مسند أحمد ٥/ ١٨٩ وانظر: المعجم المفهرس ٣/ ٥٢٣ عن البخاري ومسلم، وفي تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ٢٨٠ عن أبي ذر، وورد فيه "مدركاً" مصحفاً بدلاً من "بروكاً"، ولم يُحسن المحقق قراءة الكلمة فأسقطها. وانظر: فتح الباري ١٣/ ٧٨ «باب خروج النار» والمستدرك للحاكم ٤/ ٤٤٢ والمصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٦٢٣، ٦٢٤ والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ٤٣.

كانت، ليت شعري متى تخرج نار من جبل الوراق تضيء لها أعناق الإبل ببصرى بروكاً كضوء النهار»[١].

وأخرج الطبراني، في آخر حديثٍ لحذيفة بن أسيد: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى تخرجَ نارٌ من رومان أو ركوبة[٢] تضيء منها أعناق الإبل ببصرى»[٣].

قلت: وركوبة ـ كما سيأتي ـ ثَنِيَّةٌ قريبةٌ من ورقان، ولعله المراد بجبل الوراق.

قال الحافظ ابن حجر: ورومان لم يذكره البكري[٤]، ولعل المراد: رومة؛ البئر المعروفة بالمدينة[٥].

ثم نقل عن البكري: أنَّ ركوبة بين المدينة والشام[٦]، وسيأتي ردُّه.

وهذه النار مذكورة في الصحيحين، في حديث: «لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز»[٧].

ولفظ البخاري: «تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»[٨].

---

(١) تاريخ المدينة ١/ ٢٨٠، ولم يحسن المحقق قراءة "بروكاً" فاسقطها من النص، والحديث في مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيتمي، ٤٦٦ : "ليت شعري متى تخرج نار من اليمن من جبل الوراق تضيء لها أعناق الإبل وهي تبرك ببصرى كضوء النهار؟".

(٢) بفتح أوله، وبعد الواو باءٌ مفتوحة، ذكرها عرام بن الأصبغ السلمي ٤٣٢، وفي المغانم المطابة ١٥٩ : "هي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج، صعبة شاقة، يضرب بصعوبتها المثل، سلكها النبي ﷺ عند مهاجره إلى المدينة، قرب جبل ورقان وقدس الأبيض"، وقال حمد الجاسر ١٦٠ : «لا تزال ركوبة معروفة».

(٣) نقلاً من فتح الباري ٢٣/ ٨٠.

(٤) ذكره ياقوت ٣/ ٩٧ وقال: "رومان فُعلان من الرَّوم وهو الطلب: موضع في بلاد العرب" ولم يزد.

(٥) نقلاً من فتح الباري ١٣/ ٨٠.

(٦) فتح الباري ١٣/ ٨٠ وفي معجم ما استعجم للبكري ٤٠٩ : "بفتح أوله... وهي ثنيّة معروفة صعبة المركب وبها يُضرب المثل: كَرٌّ في ركوبة أعسر...وهي التي سلكها رسول الله ﷺ في غزوة تبوك".

(٧) المعجم المفهرس ٣/ ٥٢٣، البخاري: «كتاب الفتن» ومسلم: «كتاب الفتن» ومسند أحمد.

(٨) فتح الباري ١٣/٧٨.

وروى الطبراني، بسند فيه ضعيف[1]، عن عاصم بن عدي الأنصاري، قال: «سألنا رسول الله ﷺ حِدْثَانَ ما قَدِمَ، فقال: أين حُبْسُ سَيل؟[2] قلنا: لا ندري، فَمَرَّ بي رجلٌ من بني سُليم، فقلت: من أين جئت؟ فقال: من حُبْسِ سَيل، فدعوت بنعلي، فانحدرت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، سألتنا عن حبس سيل، فقلنا: لا علمَ لنا به، وإنه مَرَّ بي هذا الرجل فسألته فزعم أنَّ به[3] أهله، فسأله رسول الله ﷺ[4]، فقال: أين أهلك؟ فقال: بحبس سيل، فقال: أخرج أهلكَ منها، فإنه يُوشِكُ أن تخرج منها نارٌ تُضيءُ أعناق الإبل ببصرى»[5].

وحديث: «يوشك نار تخرج من حبس سيل، تسير سيرَ بطيئة الإبل[6]، تسير النهار وتقيم الليل»[7]، الحديث أخرجه أحمد[8] وأبو يعلى[9]، من رواية رافع بن بشر السلمي عن أبيه[10].

---

(١) قال الذهبي في تلخيص المستدرك ٤/٤٤٣ في هذا الحديث: «منكر»، وذكر اسم الضعيف: «إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وإسماعيل بن أبي اويس متكلم فيه»، وقال الدارقطني في إبراهيم بن إسماعيل: «متروك» في: كتاب الضعفاء والمتروكين ٤٩.

(٢) س، ر، ص: حبس وسيل، وحُبس سَيل: قال نصر: إحدى حَرتي بني سليم، المغانم المطابة ١٠٢، وقال حمد الجاسر: "حبس وهو الجبل الذي خرجت منه النار (البركان) فكان من أثر ذلك السد المعروف الآن: سد العاقول"، المناسك للحربي، حاشية صفحة ٤٠٨ وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٣٠.

(٣) خ، م٢: "فزعم أنه من أهله"، م١، س، ر: "فزعم أنَّ به أهله".

(٤) العبارة: "فقلت: يا رسول الله سألتنا. . . فسأله رسول الله ﷺ" سقطت من ت.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٣٠ ففيه تحديد الموضع مع ايراد الحديث.

(٦) في مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ٤٦٧: "تسير مسير مطية الإبل تسير بالنهار وتكمن بالليل"، من حديث رافع، والظاهر أن: «مطية» تصحيف «بطيئة»، وانظر: معرفة الصحابة ٣/٩١/١١١.

(٧) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ٤٦٧.

(٨) مسند أحمد ٣/ ٥٧٤ عن "رافع بن بِشر أو بِسر"، وفي الإصابة ١/١٥٦ ذكر الاختلاف في رسمه.

(٩) مسند أبي يعلى ٢/ ٢٣٤ (٩٣٤) واشار المحقق إلى وروده في مجمع الزوائد.

(١٠) المستدرك للحاكم ٤/٤٤٢ ـ ٤٤٣ من حديث رافع بن بشر السلمي عن أبيه والإصابة ١/١٥٦.

وقال الحافظ الهيثمي[1]: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال **الصحيح**، غير رافع، وهو ثقة[2]، انتهى.

وفي **مسند الفردوس**[3] عن عمر حديث: «لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ من أودية الحجاز بالنار تضيء له[4] أعناق الإبل ببصرى»[5].

وأخرجه ابن عدي[6] **في كامله** من طريق عمر بن سعيد التنوخي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رفعه[7]؛ وعمر ابن سعيد ذكرهُ ابن حبّان في **الثقات** وليَّنه ابن عدي والدارقطني[8].

وقد ظهرت هذه النار بالمدينة الشريفة كما سنبينه، ولا إشكالَ في كون المدينة حجازية[9]، وأما كونها يمانية فقد نصَّ عليه الشافعي[10].

---

(1) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي المتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٧ هـ، مؤلف **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان وزوائد المعجمين الأوسط والأصغر** للطبراني، انظر: بروكلمان ٢/ ٧٦ وملحقه ٢/ ٨٢ و**معجم المؤلفين** ٧/ ٤٥ مع مصادر ترجمته ومقدمة **تاريخ الثقات** للعجلي، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤.

(2) **مجمع الزوائد** للهيثمي ٨/ ١٢.

(3) هو لشيرويه بن شهردار، أبي شجاع الديلمي الهمذاني المتوفى سنة ٥٠٩ هـ، مؤلف **مسند الفردوس** الذي نقحه ورتَّبه ابنه شهردار المتوفى سنة ٥٥٨هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٩/ ٢٩٤؛ ٢٠/ ٣٧٥ وانظر الحديث في **فردوس الأخبار** للديلمي، تح فوّاز الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي ٥/ ٢٢٧.

(4) لم ترد في **فردوس الأخبار** ٥/ ٢٢٧.

(5) **فردوس الأخبار** ٥/ ٢٢٧، ورواه البخاري في الفتن "باب خروج النار"، ومسلم في **الفتن** "باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز" وأحمد في **مسنده** ٥/ ١٤٤ والحاكم في **المستدرك** ٤/ ٤٤٣.

(6) هو عبد الله بن عَدي بن عبد الله الجرجاني المتوفى بجرجان سنة ٣٦٥هـ، مؤلف **الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين** ويسمى أيضا: **الكامل في الجرح والتعديل وعلل الأحاديث**، انظر: بروكلمان: ١/ ١٦٧ وملحقه ١/ ٢٨٠ و**معجم المؤلفين** ٦/ ٨٢ مع مصادر ترجمته.

(7) **الكامل** لابن عدي ٥/ ٦٣ و**كتاب الكنى** للبخاري ١٠: "عن رجل من أصحاب النبي ﷺ".

(8) كل هذا في **ميزان الإعتدال** ٣/ ٢٠٠ بما فيه الحديث.

(9) **المشارق** ٢/ ١١٧: "وحكى ابن شيبة أن المدينة حجازية".

(10) نقلاً من **إعلام الساجد بأحكام المساجد** للزركشي ٢٣٧.

قال البيهقي في المعرفة(١): قال الشافعي: ومكة والمدينة يمانيتان(٢).

قلت: وقد ذكر الشافعي في الأم حديث: «أتاكم أهلُ اليمن هم ألْيَنُ قلوباً»(٣)، الحديث.

ثم روى: أنَّ النبي ﷺ وقف على ثنية تَبُوك فقال: «ما ها هنا شام، وأشار بيده إلى جهة الشام، وما ها هنا يَمَنٌ، وأشار بيده إلى جهة المدينة»، هكذا نقلته من الأم بهذا اللفظ، وهو في مسند الشافعي(٤) بلفظ: ما ها هنا شام، وأشار بيده إلى الشام، ومن ها هنا يمن، وأشار بيده إلى جهة المدينة(٥).

قال ابن الأثير في شرحه(٦): الغرض منه بيانُ حَدِّ الشام واليمن، وقد جعل المدينة من اليمن(٧)، انتهى.

والعجب أن النووي قال في فتاويه: مدينة الرسول ﷺ ليست يمانية ولا شامية، بل هي حجازية، قال: «وهذا لا خلافَ فيه بين العلماء، وكأنه لم يقف على هذا»(٨).

وأما حبس سيل: فقد قيل: إنَّ حبس سيل، بالضم ثم السكون، بين حَرَّة بني سليم والسوارقية، وقد كان إقبال هذه النار من المشرق في جهة طريق السوارقية(٩)، كما سيأتي.

---

(١) هو كتاب معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين البيهقي المتوفى بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦٣ وملحقه ١/ ٦١٨ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٦ مع مصادر ترجمته.

(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٧.

(٣) في الفائق في غريب الحديث للزمخشري، ١/ ٨٢: "أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ قلوباً وألينُ أفئدةً وأبخع طاعةً"، وحلية الأولياء ٧/ ٣٦٣.

(٤) ص: الشافعية.

(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٧.

(٦) ابن الأثير: هو مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أخو صاحب التاريخ، توفي بالموصل سنة ٦٠٦هـ، مؤلف النهاية في غريب الحديث والأثر وجامع الأصول وشرح مسند الشافعي وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٨ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ١/ ٣٥٧ وملحقه ١/ ٦٠٧ ومعجم المؤلفين ٨/ ١٧٤ مع مصادر ترجمته أيضاً.

(٧) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ٢٣٧.

(٨) نقلاً من المصدر نفسه، وجاء في المشارق ٢/ ١١٧: "والمدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي".

(٩) المغانم المطابة ١٠١ ـ ١٠٢.

وقال نصر[1]: حبس سيل ـ بالفتح ـ إحدى حرتي بني سُلَيْم[2].

قلت: وأهل المدينة اليوم يسمون السد ـ الآتي وصفه ـ في ما أحدثته هذه النار بـ: الحبس.

وفي كلام ياقوت ما يقتضي أنه كان يُسَمَّى بالسَّد قبلَ هذه النار، فإنه لم يُذْكِرها، ومع ذلك قال: إنَّ أعلى وادي قناة عند السد، يسمى بـ: الشظَاة[3]، انتهى.

وظهور النار المذكورة بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهاراً بلغ حدَّ التواتر عند أهل الأخبار، وكان ظهورها لإنذار العباد بما حدثَ بعدها، فلهذا ظهرت على قرب مرحلةٍ من بلد النذير صلوات الله وسلامه عليه، وتقدمها زلازل مهولة ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[5].

ولما ظهرت النار العظيمة الآتي وصفها، وأشفق منها أهل المدينة غاية الإشفاق، والتجأوا إلى نبيهم المبعوث بالرحمة، صُرِفَتْ عنهم ذاتَ الشمال وزاحت عنهم الأوجال، وظهرت بركة تربته ﷺ في أمته؛ ولعل الحكمة في تخصيصها بهذا المحل ـ مع ما قدمناه من كونه حضرة النذير ـ الرَّحمةُ لهذه الأمة،

---

(١) س: مصير، ر: نصير، ونصر: هو نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندري (من أهل القرن السادس) صاحب كتاب الأمكنة والمياه والجبال الواردة في الأخبار والأشعار، وصل إلينا كتابه في نسخة فريدة محفوظة في المتحف البريطاني، ولم يُنشر بعد، وانظر عنه: معجم المؤلفين ١٣/ ٨٩ مع مصادر ترجمته.

(٢) انظر: الأماكن للحازمي، تح حمد الجاسر، ١/ ٣٠٣ (حاشية ٢) حيث نقل الشيخ حمد الجاسر فيها قول نصر من مخطوطة كتابه المحفوظة في المتحف البريطاني، ورقة ٥٥ وهو: "وحَبْس سَيْل: إحدى حرتي سُلَيْم، وهما حرتان بينهما فضاء، كلتاهما أقل من ميلين، وقيل: هو بين حرة بني سليم وبين السوارقية، فيه حديث عبد الله بن حُبْشيٍّ: تخرج نار من حبس سيل". وحدد الشيخ حمد الجاسر بعد ذلك موقع حبس سيل اعتماداً على الهجري وعرَّام وغيرهما فإجاد.

(٣) معجم البلدان ٢/ ٢١٣ نقل قول أبي الفتح نصر الإسكندري فحسب ولم يرد باقي القول عنده.

(٤) سورة الإسراء ٥٩.

(٥) سورة الزمر ١٦.

فإنها لو ظهرت بغيره، وسلطان القهر والعظمة التي هي من آثاره قائمٌ، لربما استولَتْ على ذلك القطر ولم تجد صارفاً، فيعظم ضررها على الأمة، فظهرت بهذا المحل الشريف لحكمة الإنذار، فإذا تَمَّتْ قابلتها الرحمة فجعلتها برداً وسلاماً، إلى غير ذلك من الأسرار.

وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مُسْتَهلّ جُمَادى الآخرة؛ أو آخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وست مئة، لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك، واشتدت في يوم الثلاثاء على ما حكاه القطب القسطلاني[١] وظهرت ظهوراً عظيماً، اشترك[٢] في إدراكه العامُّ والخاصُّ، ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه، في الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها، وانزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت تزلزل بقية الليل، واستمرت إلى يوم الجمعة ولها دويٌّ أعظمُ من الرعد، فَتَمُوج الأرض وتتحرك الجدارت[٣]، حتى وقع في يوم واحد دون ليلتهِ ثماني[٤] عشرة حركة، على ما حكاه القسطلاني[٥].

وقال القرطبي: قد خرجت نار الحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العَـتَمة، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وست مئة، واستمرت إلى ضُحى النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت بقريظة، بطرف الحَرَّة ترى في صفة البلد العظيم، عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومَآذن[٦]، وتُرى رجال يقودونها، لا تَمُرُّ على جبلٍ إلاَّ دكَّته وأذابته، ويخرج من

---

(١) هو قطب الدين محمد بن أحمد بن علي القيسي التوزري الأصل، المصري المولد، المكي المعروف بابن القسطلاني المتوفى بمكة المكرمة سنة ٦٨٦هـ، مؤلف كتاب عروة التوثيق في النار والحريق وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ٤٥١ وملحقه ١/ ٨٠٩ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٩٩ وطبقات الشافعية ٨/ ٤٣ مع مصادر ترجمته.

(٢) ص: استدرك.

(٣) ص: الجدارات، م٢: الجدرات.

(٤) ص: ثمانية.

(٥) الخلاصة ٨١: "على ما حكاه القسطلاني في كتاب أفرده لهذه النار، وكانت في زمنه وهو بمكة".

(٦) س، ر، ت، خ، م٢: ومواذن؛ ص: وموازن، والتصحيح من خلاصة الوفا ٨١.

مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق، له دويٌّ كدويِّ الرعد، يأخذ الصخور بين يديه، وينتهي إلى محطِّ الركبِ العراقي، واجتمع من ذلك رَدْمٌ صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينةَ نسيمٌ باردٌ، وشوهد لهذه النار غَلَيان كغليان البحر.

وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام، وسمعت أنها رُؤيت من مكة ومن جبال بُصْرَى[1]، انتهى.

وقال النووي: تواتر العلمُ بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام[2].

ونقل أبو شامة[3] عن مشاهدة كتاب الشريف سنان[4] قاضي المدينة الشريفة وغيره أنَّ في ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وباتت في تلك الليلة تزلزل، ثم استمرت تزلزل كلَّ يوم وليلة مقدار عشر[5] مرات.

وفي كتاب بعضهم أربع[6] عشرة مرة.

قال: والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أنْ سمعنا[7]

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١٣/ ٧٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٢٥٦: "الشام وسائر البلدان"، الخلاصة ٨٠: "قلت: وكانت في زمنه". وانظر: فتح الباري ١٣/ ٧٩: "قال القرطبي في التذكرة" ومن فتح الباري نقل السمهودي كل أخبار النار.

(٣) أورد جملة من نصوص الكتب التي وصلت إلى دمشق، وهو أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥هـ، مؤلف كتاب الروضتين في أخبار الدولتين و ذيل الروضتين المنشور بعنوان: تراجم رجال القرنين السادس والسابع بتح عزة العطار واعادت دار الجيل ببيروت نشره سنة ١٩٧٤، انظر: بروكلمان ١/ ٣١٧ وملحقه ١/ ٥٥٠ ومعجم المؤلفين ٥/ ١٢٥ مع مصادر ترجمته، وتجد نصوص هذه الكتب في ذيل الروضتين ١٩٠ ـ ١٩٣ ونقل السمهودي كلَّ ذلك من فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٧٩ وذيل الروضتين.

(٤) هو شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن تميلة الحسيني.

(٥) ص: عشرة.

(٦) ص: أربعة.

(٧) عند أبي شامة: أن أوجسنا.

منه صوتاً للحديد الذي فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف[1].

زاد القاشاني[2]: ثم في اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، إلى أنْ اضطربت منائر[3] المسجد، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم[4].

قال القطب[5]: فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها في الجو دُخانٌ متراكم غشى الأُفُقَ سوادُه، فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطَعَ شُعاعُ النار، وظهرت[6] مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق، والحكمة في ظهورها يوم الجمعة غير خافية، ففي الحديث: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النَفْخَةُ وفيه الصَعْقَةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ». . . الحديث[7].

وفي الحديث أيضاً: «خير يومٍ طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم[8]، وفيه أُهبِطَ، وفيه تِيبَ[9] عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابَّة إلاَّ وهي مُصِيخَةٌ حين تصبح حتى تَطْلع الشمس شفقاً من الساعة، إلاَّ الجن والإنس، وفيه ساعةٌ لا يُصَادِفُها عَبدٌ مُسلِمٌ وهوَ يُصَلِّي يَسألُ اللّهَ شيئاً إلاَّ أعطاه

---

(١) ذيل الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) ١٩١.

(٢) نقل السمهودي هذ الكلام مختصراً من ذيل الروضتين ١٩٢ حيث ورد: "ومن كتاب آخر من بعض بني القاشاني بالمدينة يقول فيه" دون ذكر اسم الكاتب.

(٣) س: منام الحرم، ت، خ، م٢: منام المسجد، ر: منار المسجد، والخلاصة ٨١ وذيل الروضتين ١٩٢: منار.

(٤) ذيل الروضتين ١٩٢.

(٥) يريد: قطب الدين القسطلاني.

(٦) ص: فظهرت.

(٧) تحقيق النصرة للمراغي ١١٦ وأخرج مسلم حديثاً شبيهاً بهذا في صحيحه ٣/٦ (فضل يوم الجمعة)، وانظر: المعجم المفهرس٢/٧٢ عن الدارمي والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبي داود والموطأ ومسند أحمد والمعجم الكبير للطبراني ٥/٣٣.

(٨) فتح الباري ٢/٣٥٦.

(٩) س، ر، خ، ت، ص، م١: يتيب.

إياه»، رواه أبو داود[1].

وهو اليوم الذي ادَّخَرَه الله لهذه الأمة، وأكمل فيه دينهم، فأراد الله أنْ يُخَوِّفَ عباده فيه بذلك ليردَّهُم إليه، فتلك النار نعمة في صورة نقمة، ولهذا وَجِلَتْ منها القلوب وأشفقت، وأيقن الناس أنَّ العذاب قد أحاط بهم.

قال القاضي سنان: وطلعت إلى الأمير ـ وكان عز الدين منيف بن شيحة[2] ـ وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارْجِع إلى الله، فأَعْتَقَ كلَّ مماليكه، وردَّ على الناس مظالمهم[3].

زاد القاشاني: وأبطل[4] المكس.

ثم هبط الأمير للنبي ﷺ وباتَ في المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت، ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار، ولم يبق أحد في النخل إلاَّ جاء إلى الحرم الشريف وبات الناس يتضرعون ويبكون، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤوسَهم مُقِرِّين بذنوبِهم مبتهلين مستجيرين بنبيهم ﷺ[5].

وقال القطب: ولما عاين[6] أميرُ المدينة[7] ذلك أقلع عن المخالفة واعتبر، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر، وأظهر التوبة والإنابة، وأعتق جميع مماليكه، وشرع في ردِّ المظالم، وعزم أهلُ المدينة على الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار، وفَزِعُوا إلى التضرُّع والاستغفار، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشريف سنان وأعيان البلد، والتجأوا إلى الحجرة الشريفة، وباتوا

---

(١) أبو داود: صلاة ٢٠١؛ النسائي: جمعة ٤٥؛ الموطأ: جمعة ١٦.

(٢) ما بين الشارطتين لم يرد عند أبي شامة وهو توضيح من السمهودي. ومنيف هو ابن شيحة بن هاشم الحسيني أخو جَمَّاز بن شيحة أمير مكة المكرمة الذي تولى إمرة المدينة بعد وفاة منيف سنة ٦٥٧هـ، انظر: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام لابن فهد، تح محمد فهيم شلتوت ٢/٤٩.

(٣) ذيل الروضتين ١٩٢.

(٤) في ذيل الروضتين: فطرح المكس.

(٥) اختصر السمهودي ما ورد في ذيل الروضتين ١٩٢.

(٦) ص: عاينا.

(٧) م٢: أمير المؤمنين.

بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال، فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذاتَ الشمال، ونجوا من الأوجال، فسارت تلك النار من مَخْرَجِها وسالت ببحر عظيم من النار، وأخذت في وادي أُحْيلِيَين وأهلُ المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ومالت من مخرجها إلى جهة الشمال، واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون.

وذكر القطب القسطلاني في كتابٍ أفرده[1] لهذه النار، وهو ممن أدركها لكنه كان بمكة فلم يشاهدها: إنَّ ابتداءها[2] يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة، وأنها دامت إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب، ثم خمدت، فجملة ما أقامت اثنين وخمسين يوماً[3]، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطفئةً أياماً، ثم ظهرت، قال: وهي كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى؛ فهي لا يُؤمَن عَوْدُهَا وإنْ طَفِيءَ[4] وقودها، انتهى.

فكأنَّ ما ذكره المؤرخون من المدة باعتبار انقطاعها بالكلية، وطالت مدتها ليشتهر أمرها فينزجر بها عامة الخلق ويشهدوا من عظمها عنوان النار التي أنذرهم بها حبيب الحق ﷺ.

وذكر القسطلاني عن من يثق به: أنَّ أمير المدينة أرسل عدةً من الفرسان إلى هذه النار للاتيان بخبرها، فلم تجسر الخيل على القرب منها، فَتَرَجَّلَ أصحابُها وقربوا منها، فذكروا أنها ترمي بِشَرَرٍ كالقَصْر، ولم يظفَروا بجلِّية أمرها، فجَرَّدَ عزمَه للاحاطَةِ بخبرها، فذكر أنه وصَلَ منها إلى قدر غَلْوَتين بالحجر ولم يستطع أن يجاوز[5] موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهب، فعاين ناراً[6] كالجبال الراسيات، والتلال المجتمعة

---

(١) هو كتاب عروة التوثيق في النار والحريق الذي لم يصل إلينا بعد.

(٢) س، ر: ابتداوها.

(٣) في الأصول: اثنان وخمسون.

(٤) طَفِئَتْ النار بالكسر طُفُوءاً وانطَفَأت بمعنى.

(٥) خ: يتجاوز.

(٦) م٢: نار.

السائرات، تقذف بزَبَد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج، وعَقَدَ لهيبُها في الأفق قَتَاماً حتى ظنَّ الظان أنَّ الشمس والقمر كسفاً إذ سُلِبا بهجة الإشراق في الآفاق، ولولا كفاية الله كَفَّتْها لأكلتْ ما تُقْدِم عليه من الحيوان والنبات والحجر، انتهى.

وذكر الجمال المطري ما يخالف بعض هذا، فإنه قال: أخبرني علم الدين سنجر العِزِّيُّ ـ من عتقاء الأمير عزالدين منيف بن شيحة صاحب المدينة ـ قال: «أرسلني مولاي الأمير عز الدين بعد ظهور النار بأيام، ومعي شخص من العرب، وقال لنا ـ ونحن فارسان ـ: اقربا من هذه النار وانظرا هل يقدر أحدٌ على القرب منها» فإن الناس يهابونها لعظمها[١]، فخرجت أنا وصاحبي إلى أنْ قربنا منها، فلم نجد لها حَرّاً، فنزلت عن فرسي، وسرت إلى أن وصلت إليها، وهي تأكل الصخر والحجر، فأخذت سهماً من كنانتي ومددت به يدي إلى أن وصَلَ النصل إليها فلم أجد لذلك ألماً ولا حراً، فغَرِقَ[٢] النصل ولم يحترق العود، فأَدَرْتُ السهمَ وأدخلت فيها الريش فاحترق الريش[٣] ولم تؤثر في العود[٤].

وذكر المطري قبل ذلك: أنها كانت تأكل كلَّ ما مَرَّت عليه من جبلٍ وحجرٍ، ولا تأكل الشجر[٥]؛ قال: وظهر لي في معنى ذلك أنه لتحريم النبي ﷺ شَجَرَ المدينة، فَمُنِعَت من أكلِ شجرها لوجوب طاعته ﷺ على كل مخلوق[٦].

قلت: وذكر القسطلاني: أنَّ هذه النار لم تزل مارَّةً على سيلها حتى اتَّصلت بالحَرَّة ووادي الشَّظَاة، وهي تسحق ما والاها، وتُذيبُ ما لاقاها من الشجر الأخضر والحَصى من قوة اللَّظَى، وأنَّ طَرفَها الشرقي أخذ بين الجبال فحالت دونه

---

(١) م٢: لعظمتها.

(٢) س، ر، ت، خ، م١، ص: فعرق، وفي حاشية س: لعله احترق، وفي التعريف للمطري ٦١ وتحقيق النصرة ١٩٠ "فحرق" وهو تصحيف، وفي الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٤٧: "فعرق النصل".

(٣) «فاحترق الريش» سقطت من الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٤٧.

(٤) التعريف للمطري ٦١.

(٥) المصدر نفسه ٦٠.

(٦) المصدر نفسه ٦١.

ثم وقفت، وأنَّ طَرفَها الشامي ـ وهو الذي يلي الحرم ـ اتَّصَلَ بجبل يقال له: وعيرة، على قرب من شرقي جبل أحد، ومَضَتْ في الشَّظَاةِ الذي في طرفه وادي حمزة رضي الله عنه، ثم استمرت[1] حتى استقرَّتْ تُجَاه[2] حرم النبي ﷺ فَطَفِئَتْ[3].

قال: وأخبرني شخص أعتمدُ عليه أنه عاينَ حجراً ضخْمَاً من حجارة الحَرَّة، كان بعضه خارجاً عن حدِّ الحَرَم، فعلقت بما خرج منه، فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت، انتهى.

وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطري، لأنَّ المطري لم يُدرك هذه النار وإنْ أدْرَكَ من أدرَكَها، بخلاف القطب فإنه أدركها واعتنى بجمع أخبارها، وأفردها بالتصنيف، ولم يقف عليه المطري، وهذا أبلغ في الأعجاز حيث لم تدخل هذه النار حرمه الشريف، إذ هي للانذار والتخويف، وهو نبي الرحمة ﷺ.

وقد نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضي سنان الحسيني[4]: أنَّ سَيْلَ النار انحدر مع وادي الشَّظَّاة حتى حاذى جبل أحد، وكادت النار تقارب حَرَّة العُرَيْض، وخاف الناس منها خوفاً عظيماً، ثم سكنَ قِتيَرُهَا الذي يلي المدينة، وطفئت مما يلي العريض بقدرة الله تعالى، فرجعت تسير في الشرق[5].

وهو مؤيد لما ذكره القطب، ومشاهدة آثارها اليوم تقضي بذلك.

قال المطري: وأخبرني بعض من أدركها من النساء أنهن كنَّ يغزلن على ضوئها بالليل، على أسطحة البيوت بالمدينة الشريفة[6].

---

(١) م٢: استمر.

(٢) تجاه: يجوز فيه ضم التاء وفتحها.

(٣) طفئت النار بالكسر طُفوءاً وانطفأت بمعنى وأطفأها غيرها.

(٤) هو شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني، كما ورد في تحقيق النصرة للمراغي ١٩١.

(٥) اختصر السمهودي وصف القاضي سنان الوارد في: ذيل الروضتين ١٩١.

(٦) التعريف للمطري ٦١.

وقال القسطلاني: إنَّ ضوءها استوى على ما بَطَن من القيعان وظهر من التلاع، حتى كأنَّ الحرم النبوي عليه الشمس مشرقة، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة، ودام على ذلك لهبها حتى تأثرت[1] له النيران، وصار نور الشمس على الأرض تعتريه صُـفْرَةٌ، ولونها من تصاعد الالتهاب يعتريه حمرة، والقمر كأنه قد كسف[2] من اضمحلال نوره.

قال: وأخبرني جمع ممن توجه للزيارة على طريق المشيان[3] أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجدِّ، وآخرون: أنهم شاهدوها من جبال ساية[4].

قلت: نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة: أنَّ هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعاً، ورآها أهل ينبع[5].

قال أبو شامة: وأخبرني بعضُ مَنْ أَثِقُ به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب[6].

وقال المجد: والشمس والقمر في المدة التي ظهرت بها ما يطلعان إلاَّ كاسفين[7].

---

(١) ص: تأثر.
(٢) ص: كسفا.
(٣) وورد "طريق الماشي" في معجم شيوخ عمربن فهد الهاشمي المكي، ٣٨٣، وورد «طريق المشيان» في نصيحة المشاور لابن فرحون ورقة ٣٨ب ـ ٣٩أ حيث سار فيه ابن فرحون في طريقه للحج.
(٤) يريد: جبل شمنصير وما حوله من الجبال وهو لم يزل معروفاً، وهو من نواحي مكة المكرمة بعد عسفان وساية: واد عظيم فيه قرى وعيون، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم اليوم، انظر: المغانم المطابة ٢٠٨/١٩ وقال حمد الجاسر في الأماكن للحازمي ٥١١/١ حاشية ٢: «ساية واد من أشهر الأودية التي تخترق تهامة، لا يزال معروفا، ينحدر من الحرة نحو الغرب، ويسمى كل ثني من ثناياه باسم خاص منها الخُوار وخُليص، وكان يعرف قديماً باسم: أمَج، وفيه قرى قاعدتها الكامل سكانها من بني سُليم».
(٥) ذيل الروضتين ١٩١.
(٦) المصدر نفسه ١٩٠.
(٧) م١: ما يطلعان إلا بها كاسفين، وفي المغانم المطابة ص١٨٧: «التي ظهرت فيها هذه النار ما يطلعان إلا كاسفين» وفي نصيحة المشاور وتسلية المجاور لابن فرحون ورقة ١١٠أ: «والشمس والقمر من يوم طلعت ما يطلعان إلا كاسفين».

قال أبو شامة: وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان، وكنا حَيَارى من سبب ذلك، إلى أنْ بلغنا الخبرُ عن هذه النار[1].

وكلٌّ من ذكر هذه النار يقول في آخر كلامه: وعجائب هذه النار وعظمتها يَكِلُّ عن وصفها البنان والأقلام، وتجل عن أنْ يحيط بشرحها البيان والكلام، فظهر بظهورها معجزة للنبي ﷺ لوقوع ما أخبر به وهي هذه النار، إذ لم تظهر من زمنه ﷺ قبلها ولا بعدها نار مثلها.

وقال القسطلاني: إنْ جاء من أخبر برؤيتها ببُصرى فلا كلام، وإلاَّ فيحتمل أنْ يكون ذكر ذلك في الحديث على وجه المبالغة في ظهورها، وأنها بحيث تُرَى، وقد جاء من أخبر أنه أبصرها بتَيماء، وبصرى منها مثل ما هي من المدينة في البعد.

قلت: قد تقدم عن القرطبي أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى.

وصَرَّح الشيخ عماد الدين ابن كثير[2] بما يقتضي أنه أضاءت من هذه النار أعناق الإبل ببصرى، فقال: أخبرني قاضي القضاة صدرالدين الحنفي قال: أخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرِّس مدرسة بصرى أنه أخبره غيرُ واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار ممن كان بحاضرة بلد[3] بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار[4]، فقد تحقق بذلك أنها الموعودُ بها، والحكمة في إنارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصول الإنذار، ليتمَّ

---

(١) ذيل الروضتين ١٩٢.

(٢) البداية والنهاية ١٣/١٩١ وقد نقل ابن كثير أخبار النار من ذيل الروضتين و تاريخ ابن الساعي، وجاء في البداية والنهاية ١٣/١٩١: "وقد أخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم التميمي الحنفي الحاكم بدمشق (...) فقال: سمعت رجلاً من الأعراب يخبر والدي ببصرى في تلك الأيام أنهم رأوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز (...) وكان والده مدرساً للحنفية ببصرى وكذلك جده وهو قد درَّس بها أيضاً..."

(٣) ر، س، ص، م٢: ممن يحاضره ببلد.

(٤) بعد هذا هو قول السمهودي.

به الانزِجَار، كما اتفق لأهلِ المدينة، وفي هذا المعنى يقول قائلهم[1]:

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحَاً عن جرائِمِنا	لقـد أحـاطَـتْ بنـا يـا ربِّ بـأسَـاءُ
نشكـو إليـك خُطُـوبَـاً لا نُطِيقُ لهـا	حَمْـلاً ونحـن بهـا حَقّـاً أحِقَّـاءُ
زلازلاً تخشَـعُ الصُمُّ الصِّلابُ لَهَا[2]	وكيف تَقْوى على الزلزال شَمَّـاءُ[3]
أقامَ سَبْعَاً يُرُجُّ الأرضَ فانصـدعـت	عن منظَـرٍ منه عينُ الشَّمْسِ عَشْوَاءُ
بَحْرٌ من النـارِ تجري فوقَـهُ سُفُنٌ	من الهِضَاب لها في الأرضِ إرساءُ
تـرمي لهـا شَـرَراً كـالقَصْـرِ طـائشـةً	كـأنهـا دِيمـةٌ تنصَـبُّ هَطـلاءُ
تنشَقُّ منها بيوتُ الصخرإنْ زَفَرت	رُعْبَاً وترعد مثلَ الشَّعْفِ أضْـواءُ[4]
منها تَكَاثَفَ في الجوِّ الدخان إلى	أن عادَتِ الشَّمسُ منه وهي دَهْمَاءُ
قـد أثَّـرتْ سفعـةَ فـي البـدر لَفْحَتُهَـا	فَلَيْلَـةُ التَّـمَّ بعـد النـور عميـاءُ[5]
تَحَـدَّت النيِّـراتِ السبـعَ ألسنهـا	بمـا تلاقي بهـا تحت الثرى المـاءُ
وقـد أحـاطَ لَظَاهَـا بـالبـروج إلـى	أنْ صارَ يَلْفَحُهَـا بالأرضِ أهـواءُ[6]
فباسمكَ الأعظم المكنونِ إنْ عَظُمَتْ	منّـا الذُنـوبُ وسـاءَ القلبَ أسـواءُ
فاسْمَحْ وهَبْ وتَفَضَّلْ بالرضى كرماً	وارحَـمْ فكـلٌّ لفَـرْطِ الجَهْـلِ خَطَّـاءُ
فقـومُ يونسَ لَمَّـا آمنوا كُشِف التعـ(م)	ذيـبُ عنهـم وعَـمَّ القـومَ نعمـاءُ

(١) اقتبسها السمهودي هنا وفي الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٤٥ ـ ١٤٦، وابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ١٩١ من ذيل الروضتين ١٩٣.

(٢) ص: زلازلٌ.

(٣) س: صماء؛ ص: سماء.

(٤) س، ر، م١، م٢، خ، ص والمغانم (المخطوطة) والبداية والنهاية: السعف، ذيل الروضتين: السيف، الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٤٥: الشعف، وشعفة كل شيء أعلاه وجمعها شعافٌ، والشعفة رأس الأنسان وقمة الجبل وهو يريد هنا: أن هذه الأضواء فمع رعد الانفجارات تظهر كأنها مثل رؤوس الجبال، انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٨١.

(٥) ذيل الروضتين والبداية والنهاية والوفا بما يجب لحضرة المصطفى: ليلاء.

(٦) ذيل الروضتين ١٩٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩١: «إن كاد يلحقها». وفيهما زيادة بيت بعد هذا هو:
فيا لها آية من معجزات رسول الله   يعقلهـا القـوم الألبَّـاءُ.

ونحـنُ أمَّـةُ هـذا المصطفـى ولنـا ... منـه إلـى عَفْـوِكَ المـرجـوّ دعَّـاءُ

هذا الرسولُ الـذي لولاه ما سُلِكَتْ ... مَحَجَّـةٌ فـي سبيـلِ اللـهِ بيضـاءُ

فارحَمْ وَصَلِّ على المختارِ ما خطبتْ ... علـى عُلـى منبـرِ الأوراق وَرقَـاءُ[1]

قال المؤرخون: وكان ظهور[2] هذه النار من صدر وادٍ يقال له: وادي الأحيليين.

وقال البدر ابن فرحون: إنها سالت في وادي أحيليين، وموضعها شرقي المدينة على طريق السوارقية، مسيرة من الصبح إلى الظهر[3].

قال القطب القسطلاني: ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة في موضع يقال له: قاع الهيلاء على قرب من مساكن قريظة شرقي قباء، فهي بين قريظة وموضع يقال له: أحيليين، فثارت من هذا القاع، ثم امتدت فيه آخذة في الشرق إلى قريب من أحيليين، ثم عرجت واستقبلت الشام سائلة إلى أن وصلت إلى موضع يقال له: قُرين الأرنب بقرب أُحدٍ، فوقفت وانطفأت[4] وانصرفت، انتهى.

قال المؤرخون: واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال وتسيل سيلاً[5] ذَريعاً في وادٍ يكون طوله أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف، وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنُك[6]، فإذا خمد اسودَّ بعد أنْ كان أحمر، ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة

---

(١) أورد السمهودي في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٤٥ ـ ١٤٦ أحد عشر بيتاً منها فقط.

(٢) م٢: وكاظهور.

(٣) كتاب نصيحة المشاور وتسلية المجاور، مخطوطة دار الكتب المصرية (خصوصي ٦ ش تاريخ، عمومية ٤٣٠٤٩) ورقة ١٠٩ب وفيه: «ثم سالت سيلاً ناراً في وادي أُحيليين وموضعها شرقي المدينة بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية مسيرة من الصبح إلى الظهر وتزايد ذلك السيل من النار...».

(٤) في الأصول: وانطفت.

(٥) خ، م٢: وتسير سيراً.

(٦) الآنك: هو الرصاص.

المُذابة في آخر الوادي عند منتهى الحَرَّة حتى قطعت في وسط وادي الشَّظَاة إلى جهة جبل وَعِيرة، فسدَّت الوادي المذكور بسدٍّ عظيم من الحجر المسبوك بالنار؛ ولا كَسَدِّ ذي القرنين، يعجز عن وصفه الواصف، ولا مَسْلَكَ لأنسانٍ فيه ولا دابَّة[١].

قلت: وهذا من فوائد إرسال هذه النار، فإنَّ تلك الجهة كثيراً ما يطرق منها المفسدون لكثرة الأعراب بها، فصار السلوك إلى المدينة متعسراً عليهم جداً.

قال القسطلاني: أخبرني جمعٌ ممن أركُنُ إلى قولهم: أنَّ النار تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية.

قال المؤرخون: وانقطع وادي الشَّظَاة بسبب ذلك، وصار السيل إذا سالَ ينحبس خلف السَدِّ المذكور، حتى يصير بحراً مَدَّ البصر عرضاً وطولاً[٢]، فانخرق من تحته في سنة تسعين وست مئة[٣] لتكاثر الماء من خلفه، فجرى في الوادي المذكور سنتين كاملتين.

أما السنة الأولى: فكان ملأ ما بين جانبي الوادي[٤].

واما الثانية فدون ذلك.

ثم انخرق مرة أخرى في العشر الأُوَل بعد السبع مئة، فجرى سنةً كاملة أو أزيد.

ثم انخرق في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة، وكان ذلك بعد تواتر أمطار عظيمة في الحجاز، فكثر الماء وعلا من جانبي السدِّ ومن دونه مما يلي جبل وَعِيرة وتلك النواحي، فجاء سيلٌ طامٍ لا يوصف، ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة.

---

(١) اختصر السمهودي ما جاء في الكتب التي ذكرها أبو شامة في ذيل الروضتين ١٩١ وغيرها وزاد عليها.

(٢) يعرف الآن بـ: سد العاقول، وما وراءه من مياه يسمى: غدير العاقول.

(٣) س: به لتكاثر.

(٤) سقطت من ص.

وكان أهل المدينة يقفون خارج باب البقيع على التَلِّ الذي هناك فيشاهدونه ويسمعون خَريراً تَوْجَلُ القلوب دونه[1]، فسبحان القادر على ما يشاء.

ومن العجائب أنَّ في السنة التي ظهرت فيه هذه النار احترق المسجد الشريف النبوي بعد انطفائها ـ كما سيأتي ـ وزادت دجلة زيادة عظيمة، فغرق أكثر بغداد وتهدَّمَتْ دارُ الوزير، وكان ذلك إنذاراً لهم، وليتهم اتَّعَظوا!

ثُمَّ في أوَّلِ السنة التي تَلَي هذه السنة[2] وقعت الطامَّةُ الكُبرى، وهي أخذُ التتار لبغداد، وَقُتِلَ الخليفة المستعصم وبعده المسلمون، وبُذِلَ السيف ببغداد نيِّفاً وثلاثين يوماً، وأُخْرِجَتْ الكتب فأُلقِيتْ تحت أرجل الدواب، وشوهد بالمدرسة المستنصرية معالف الدواب مبنيَّة بالكتب موضع الَّلبِن[3]، وَخَلَتْ بغدادُ من أهلها، واستولى عليها الحريق، على ما ذكره سعيد الدِّهْلي[4]، واحترقت دار الخلافة، وعَمَّ الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وتُرَبَ الرصافة؛ مدفن ولاة الخلافة، وشوهد على بعض حيطانها مكتوب:

إنْ تُـرِدْ عِبْرَةَ فهـذي بنـو العبـاس دارت عليهِـمُ الـدائـراتُ
اسْتُبِيحَ الحريمُ إذ قُتِلَ الأحياءُ منهم وأُحْرِقَ الأمواتُ[5]

ثُمَّ كَثُرَ الموتُ والفَناء ببغداد، وطُويَ بساطُ الخلافة منها من ذلك الزمان، فللَّه[6] الخلق والأمر[7].

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ص ١٨٨.

(٢) «التي تلي هذه السنة» سقطت من ص.

(٣) الَّلبِن: هو الآجُرُّ أو الطابوق (باللهجة العراقية) والطوب (باللهجة المصرية) الذي لم يُطبخ بالفُرن بعد.

(٤) هو أبو الخير سعيد بن عبد الله الدهلي (بالدال المهملة المكسورة) البغدادي المتوفى سنة ٧٤٩هـ، مؤلف تفتت الأكباد في واقعة بغداد وغيره، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٢/ ١٣٤ والوافي بالوفيات للصفدي ١٣/ ٧٧ وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٩ وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ٢/ ٥٨٣ والمعجم المختص للذهبي ١٠٤ مع مصادر ترجمته.

(٥) س: أو قتل ألحياء.

(٦) ر: ولله.

(٧) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٥٤ ـ ١٥٦ ففيه تفصيل عن ما جرى ببغداد نقلاً من تاريخ الدهلي.

وقد نَظَمَ بعضهم خروج هذه النار وغرق بغداد، وأصلحه أبو شامة منبِّهاً على أنَّ الأمرين في سَنَةٍ بقوله:

سبحان من أصبحت مشيئته جاريةً في الورى بمقدارِ
في سنةٍ أُغرقَ العِرَاق وقد أُحرِقَ أَرضُ الحجاز بالنار[1]

قال المجد[2]: ومما يناسب هذه النار ويُضاهيها، ما حكاه ابن جبير: أنه رأى في بحر رومية جزيرتين يخرج منهما النار دائماً، قال: وأبصرنا الدخان صاعداً منهما، وتظهر نار حمراء ذات ألسُنٍ تصعد في الجو، قال: وأعلمنا أنَّ خروجها من جبلين يصعد منهما نَفَسٌ ناريٌّ شديدٌ ربما قُذِفَ فيها الحجر فَتُلْقي به مسوَّداً إلى الهواء بقوة ذلك النفس وتمنعه من الانتهاء إلى القعر[3].

قال: وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة المعروف بـ: جبل النار، فشأنه أيضاً عجيب، وذلك أنَّ ناراً تخرج منه في بعض السنين كالسيل العَرِم فلا تمرُّ بشيْ إلاَّ أحرقته، حتى تنتهي إلى البحر فتركب ثَبَجه[4]، طائرة على صفحته حتى تغوص فيه[5].

قلت: وأقرب من ذلك في مناسبة هذه النار، ما ذكره ابن شَبَّة في أخبار المدينة ـ عند ذكر خالد بن سنان العبسي الذي قال النبي ﷺ لما جاءته ابنته: «هذه ابنة نبيٍّ ضيَّعَهُ قَومُهُ»[6].

فروى ابن شَبَّة في خبره من طرق ما ملخصه: أنه كان بأرض الحجاز نارٌ يقال لها: نار الحدثان ـ حَرَّة بأرض بني عبس ـ تَغْشَى الإبل بضوئها من مسيرة ثماني ليالٍ، وربما خرج منها العنق فذهب في الأرض فلا يُبْقِي شيئاً إلاَّ أَكَلَهُ، ثم

(١) ذيل الروضتين ١٩٣ ـ ١٩٤ والمغانم المطابة ص ١٨٧.
(٢) المغانم المطابة ص ١٨٩ وقد ترك السمهودي بعض الكلمات من النص.
(٣) رحلة ابن جبير ٣٠١.
(٤) ثبج البحر: عرضه أو ظهره، والثبج من الإنسان ما بين الكاهل إلى الظهر، وهنا يريد: أمواجه.
(٥) رحلة ابن جبير ٣٠١، والنص في المغانم المطابة أكمل وأوضح.
(٦) تاريخ المدينة ٢/ ٤٢١.

يرجع حتى يعود إلى مكانه، وإنَّ الله تعالى أرسل إليها خالد بن سنان، فقال لقومه: يا قوم! إنَّ الله أمرني أنْ أُطْفِيءَ هذه النار التي قد أضرَّت بكم[١]، فَلْيَقُم معي من كلِّ بطنٍ رجلٌ، فخرج بهم حتى انتهى إلى النار فخطَّ عليهم خطاً ثم قال: إياكم أنْ يخرج أحدٌ منكم من هذا الخط فيحترق، ولا يُنوهنَّ باسمي فأهلك، وجعل يضرب النار ويقول: بَدًّا، بَدًّا[٢] كلُّ هدى لله مودًّى، حتى عادت من حيث جاءت، وخرج يتبعها حتى ألجأها في بئر في وسط الحَرَّة منها تخرج النار، فانحدر فيها خالد[٣] وفي يده دِرَّة فإذا هو بكلاب تحتها فَرَضَّهُنَّ بالحجارة، وضرب النار حتى أطفأها الله على يده؛ ومعهم ابن عمٍّ له، فجعل يقول: هلك خالد! فخرج وعليه بردان ينطِفَانِ[٤] من العَرَق وهو يقول: كَذَبَ ابنُ راعية المِعْزَى، لأخْرُجَنَّ منها وثيابي تَنْدَى، فسُمِّيَ بنو ذلك الرجل: «بني راعية المعزى» إلى اليوم[٥].

وفي رواية: أنَّ قومه سالت عليهم نار من حَرَّة النار[٦] في ناحية خيبر، والناسُ في وسطها، وهي تأتي من ناحيتين جميعاً، فخافها الناس خوفاً شديداً.

وفي رواية: وهي تخرج من شق جبل من حَرَّة يقال لها: حَرَّة أشجع[٧]، فقال لهم خالد بن سنان: ابعثوا معي إنساناً حتى أطفئها من أصلها، فخرج معه راعي غنم، وهو[٨] ابن راعية، حتى جاء غاراً تخرج منه النار[٩].

وفي رواية: أنها كانت تخرج من بئر، ثم قال خالد للراعي: أمسك ثوبي ثم دخل في الغار.

---

(١) في الأصول: بهم، والتصحيح من تاريخ المدينة ٢/ ٤٣١.

(٢) بمعنى: تبددي وتفرقي، النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٥ وذكر الحديث النبوى الشريف في خالد بن سنان: "نبي ضيعه قومه"، وقسماً من حديث خالد بن سنان.

(٣) تاريخ المدينة ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٣٢.

(٤) في تاريخ المدينة ٢/ ٤٣٢: "ينطفان ماءً من العرق"

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٢.

(٦) فصَّل السمهودي القول فيها في: "حَرَّة النار"، كما سيأتي.

(٧) ذكرها السمهودي في حرة النار أيضاً، كما سيأتي..

(٨) س، ر: هو.

(٩) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩.

وفي رواية: أنه انطلق في ناس من قومه حتى أتوها، وقال لهم: إنْ أبطأتُ عنكم فلا تَدْعُوني باسمي، فَخَرَجت كأنها خيلٌ شُقْرٌ يتبعُ بعضُها بعضاً، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بِعَصَاه ويقول: هديا هديا[1]، كلُّ نهب مودى، زعم ابن راعية المِعْزَى أني لا أخرج منها وثيابي تَـنْدى، حتى دخل معها الشعب، فأبطأ عليهم، فقال بعضهم: لو كان حيّاً لخرج إليكم، فقالوا: إنه قد نهانا أنْ ندعوه باسمه، قال: ادعوه باسمه، فوالله لو كان حيّاً لخرج إليكم بعد، فَدَعْوه باسمه، فخرج وهو آخذ برأسه، فقال: ألم أنْهَكُم[2] أنْ تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتموني، احملوني وادفنوني، فإذا مَرَّتْ بكم حُمُرٌ معها حمار أبتر؛ وفي رواية: فإذا دفنتموني وأتى عليَّ ثلاثة أيام فأتوا قبري، فإذا عرضت لكم عانة[3] من حُمُر وحشٍ وبين يديها عَيْرٌ[4] فانبشوني فإني أقوم فأخبركم ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأتوا القبر بعد ثلاثة أيام[5] وَسَنَحَتْ لهم الحُمُر، فأرادوا نبشه، فمنعهم قوم من أهل بيته، وقالوا: لا نَدَعُكم تَنبِشُون صاحبنا فَنُعَيَّر بذلك[6].

وفي رواية: فيكون سُبَّةً علينا، فتركوه.

وفي رواية لابن زبالة عن[7] القعقاع بن خليد[8] العبسي عن أبيه عن جَدِّه، قال: بعث الله خالد بن سنان نبياً إلى بني عبس، فَدَعاهم فكَذَّبُوه، فقال قيس بن زهير: إنْ دعوت فَأَسِلْ علينا هذه الحرة ناراً اتَّبَعْنَاكَ! فإنَّكَ إنما تُخَوِّفُنا بالنـار، وإنْ لم تُسِلْ ناراً كذَّبناك، قال: فذلك بيني وبينكم؟ قالوا: نعم! قال: فتوضأ ثم قال: اللهمَّ إنَّ قومي كَذَّبوني ولم يؤمنوا برسالتي إلاَّ أنْ تُسيلَ عليهم هذه الحَرَّةُ ناراً،

---

(١) هكذا ورد في كل النسخ.
(٢) ص: أنهاكم.
(٣) العانة: القطيع من حمر الوحش.
(٤) هو الذكر من حمر الوحش.
(٥) ر، م٢، م١، ت: ثلاثة، خ، ص وتاريخ المدينة ٢/٤٢٥: ثلاث.
(٦) المعجم الكبير للطبراني ١١/٢٩٨ والمستدرك للحاكم ٢/٥٩٩.
(٧) م١، م٢، ر، س، ت، خ: وفي رواية لابن القعقاع.
(٨) م٢: خيل.

فأَسِلْها[1] عليهم ناراً، قال: فطلع مثلُ رأس الحريش[2] ثم عظُمَتْ حتى عرضت أكثر من ميل، فسالت عليهم، فقالوا: يا خالد! ارْدُدْهَا فإنا مؤمنون بك، فتناول عَصاً ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها، فضربها بالعصا، فلم يزل يضربها حتى رجعت، قال: فرأيتنا نعشي[3] الإبل على ضوء نارها ضِلَعا[4] الرَبَذَة، وبين ذلك ثلاث ليالٍ.

وروى[5] ابن شَبَّة أخباراً أخرى مع قومه[6].

وروى البيهقي في دلائل النبوة في باب: «ما جاء في الكرامة التي ظهرت على تميم الداري شرفاً للمصطفى ﷺ وتنويهاً باسم من آمن به» عن معاوية بن حرمل، وذكر خبراً في قدومه المدينة، وقول عمر له: اذهب إلى خير المؤمنين فَأنزِلْ عليه، ثم قال: فبينا نحن ذات يوم إذ خرجت نارٌ بالحَرَّة، فجاء عمر رضي الله عنه إلى تميم الداري رضي الله عنه، فقال: قُمْ إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين ومن أنا «وما أنا» قال: فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما فانطلقا إلى النار فجعل تميم يَحُوشُها بيده حتى دخلت الشعب، ودخل تميم خلفها، قال: فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يَرَ[7]، قالها ثلاثاً[8]، والله أعلم.

---

(١) ص: فاسيلها.

(٢) الحريش: كأمير، دويبة بأرجل كثيرة، تسمى: دخال الأذن، وتُعرف بأم أربعة وأربعين، انظر: تاج العروس ٤/ ٢٩٥.

(٣) نعشي الإبل: نرعاها ليلاً.

(٤) الضِّلع: الإعوجاج والميل، والضلع: الجبيل الصغير المنفرد، تاج العروس ٥/ ٤٣٣.

(٥) ر: وروى له.

(٦) هذه الاخبار كلها وردت في تاريخ المدينة ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٣٣ وانظر: فتح الباري ١٣/ ٧٩ قال: في قصة خالد بن سنان: «ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الجماجم وأوردها الحاكم في المستدرك»، وله أخبار في مروج الذهب للمسعودي والإصابة لابن حجر والكامل لابن الأثير وغيرها.

(٧) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ٣١٣.

(٨) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٨٠ وانظر: البداية والنهاية ٦/ ١٥٣.

الباب الثالث
في أخبار سكانها في سالف الزمان
ومَقْدَمه ﷺ
إليها وما كان من أمره بها في سني[1] الهجرة
وفيه اثنا[2] عشر فصلاً

الفصل الأول

في سكانها بعد الطوفان، وما ذُكِرَ في سبب نزول اليهود بها وبيان منازلهم

أسند الكلبي عن ابن عباس: أن مخرج الناس من السفينة نزلوا طرف بابل، وكانوا ثمانين نفساً، فسمي الموضع: سوق الثمانين[3].

قال: وطولُ بابل مسيرة عشرة أيام واثني عشر فرسخاً[4]، فمكثوا بها حتى كثروا، وصار ملكهم نمرود بن كنعان بن حام، فلما كفروا بُلبِلُوا فتفرقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً، فَفَهَّمَ الله العربية منهم عمليق وطَسم ابني لوذ بن سام، وعادا وعبيل ابني عوص بن أرم بن سام، وثمود وجديس ابني جانق بن أرم بن

---

(١) في الأصول: سنين.
(٢) في الأصول: اثنى.
(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٨٤ هذا الخبر دون نسبته لابن الكلبي.
(٤) المعارف ٦٣١ ومعجم البلدان ١/ ٣١٠ عن ابن الكلبي.

سام، وقنطور بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام[١]، فنزلت عبيل بيثرب، ويثرب اسم ابن عبيل، ثم أخرجوا منها فنزلوا الجُحْفَةَ، فجاءهم سيل أجحفهم فيه، فسُمِّيت: جُحْفة[٢]، فرثاهم رجلٌ منهم فقال:

عينيَّ جودا على عبيل وهل يرْ.... جعُ مَنْ فَاتَ بَيْضَهَا بالسِجَامِ[٣]؟

عَمَروا يثرباً وليس بها شُفْـ..... رٌ ولا صارخٌ ولا ذو سنامِ[٤]

غرسوا لِينَهَا بمجرى معينٍ ثم حَفُّوا النخيل بالآجامِ

وقال أبو القاسم الزجَّاجي[٥]: أول من سَكَنَ المدينة عند التفرق يثرب بن قاينة[٦] بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح[٧] عليه السلام، وبه سميت يثرب، وروى عن ابن عباس ما يَدُلُّ له.

وقال ياقوت: كان أول من زرع بالمدينة، واتَّخَذَ بها النخل، وعَمَر بها الدور والآطام، واتَّخَذَ بها الضياع، العماليق: وهم[٨] بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكانت العماليق ممن انبسط في البلاد، فأخذوا ما بين البحرين وعُمَان والحجاز كله إلى الشام ومصر، وجبابرة الشام وفراعنة مصر منهم، وكان منهم بالبحرين وعمان أمة يسمون: جاسم، وكان ساكنو المدينة منهم بنو هَفّ وبنو

---

(١) في كتاب التيجان ٣٧، ١٠٧ تغاير في الأسماء مثل: عمليق و لولاذ وفي أول من تكلم بالعربية، وعنده: "عابر بن هود النبي وأبو فالغ فهود أبو بني قحطان وأخوه فالغ أبو بني عدنان" و"أفصح يعرب بالعربية".

(٢) الروض الأنف ٤/ ٢٩١.

(٣) ت: عين جودي، خ: مضها، وسقط: «على عبيل» من ص.

(٤) هذا البيت فقط في تحقيق النصرة ٢٣، ويقال: ليس بالبيت شفر، أي: لا أحد، والشفر: بالضم، وقد يُفتح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٨٤.

(٥) هو عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ أو ٣٣٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٥ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ٥/ ١٢٤.

(٦) س، ر: قاينة، خ، ص: قانية، ت: فانية وياقوت: قانية. وقاينة Qain: له ذكر في التوراة Gen ٤: ١ ـ ٢٤.

(٧) نقلاً من المغانم المطابة ص ٩٧ وفي الروض الأنف ٤/ ٢٩١ اختلاف في الأسماء وفي ترتيبها: «يثرب بن قاين بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن أرم».

(٨) ص: وهو.

مطرويل[1]، وكان مَلِكُهم بالحجاز الأرقم بن أبي الأرقم[2].

وأسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم: «أنَّ ضَبُعاً رؤيت وأولادَها رابضةً في حِجَاجِ[3] عَيْنِ رجلٍ من العماليق»[4].

والحجاج: بكسر أوله وفتحه: العَظْمُ الذي ينبتُ عليه الحاجِبُ.

قال زيد بن أسلم: وكان تمضي أربع مئة سنة وما يُسْمَعُ بجنازة[5].

وأسند رزين عن أبي المنذر الشرقي[6]، قال: سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل، قال: وسمعت أيضاً بعض ذلك من رجلٍ من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله[7] بن عمار بن ياسر، قال: فجمعت حديثهما لكثرة اتِّفاقِهِ وقِلَّةِ اختلافه، قالا: بلغنا أنه لما حجَّ موسى صلوات الله عليه حجَّ معه أُناسٌ من بني إسرائيل، فلما كان في انصرافهم أتوا على المدينة، فرأوا موضعَها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين، فاشتورَتْ طائفة منهم على أنْ يتخلفوا به، فنزلوا في موضع سوق بني قَيْنُقَاع، ثم تألف[8] إليهم أُناس من العرب فرجعوا على دينهم، فكانوا أولَ من سكنَ موضع المدينة.

---

(1) كذا وردت في الأصول نقلاً من ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٨٤ وسوف تأتي بلفظ: "بنو مطر".

(2) معجم البلدان ٥/ ٨٤، وقد اختصر السمهودي هذا النص، وانظر: المسالك والممالك للبكري ١/ ٨٦ والأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٢/ ١٠٧ وعنده: "بنو هف وبنو الأزرق وبنو مطروق"، والظاهر أنَّ: "مطروق" تصحيف "مطرويل" وفي المغانم المطابة ص٦٦: «بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق» وفي ص٨٦: «بنو هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل».

(3) الحِجاج: بكسر الحاء وفتحه، العظم المستدير حول العين، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤١.

(4) الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٢٤.

(5) المصدر نفسه والمغانم المطابة ص٦٦.

(6) المعروف أن أبا المنذر هو لقب هشام بن محمد بن السائب الكلبي، والشرقي: هو الشرقي بن القطامي واسمه أبو المثنى الوليد بن الحصين الكلبي وكان أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين، وألَّف في أخبار العشاق (الفهرست ١٠٢، ٣٦٥)، فلعل الجملة كانت: "عن أبي المنذر عن الشرقي".

(7) كذا في الأصول، وذكر الذهبي مثل هذا الإسناد إلا أنه ورد عنده: "أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر"، سير أعلام النبلاء ١/ ٤١١، ٤٧٦ ؛ ٢/ ١٩ ؛ ٣/ ١٩٩ وكذلك في ميزان الإعتدال ٤/ ٥٤٩ وكتاب المعرفة والتاريخ للبسوي / ٣٧١، ٣/ ٢٨٣.

(8) ص: تألفت إليهم، م٢: تألف عليهم.

وذكر بعض أهل التواريخ: أنَّ قوماً من العمالقة سكنوه قبلهم.

قلت: وهو الأرجح.

وأسند ابن زبالة ـ مُصَدِّراً به كتابه في بدء من سكنها ـ عن مشيخةٍ من أهل المدينة، قالوا: كان ساكن المدينة في سالف الزمان صعل وفالج، فغزاهم داود النبي عليه الصلاة والسلام، وأخذ منهم مئة ألف عذراء[1].

قالوا: وسلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا، فقبورهم هذه التي في السهل والجبل[2]، وهي التي بناحية الجرف، وبقيت امرأة منهم تعرف بـ: زهرة، وكانت تسكن بها، فاكترت من رجل وأرادت الخروج إلى بعض تلك البلاد، فلما دنت لتركب غشيها الدود، فقيل لها: إنا لنرى دوداً يغشاك فقالت: بهذا هلك قومي، ثم قالت: رُبَّ جسدٍ مصونٍ ومالٍ مدفون، بين زهرة ورانون، قالوا: وقتلها الدود[3].

قلت: وداود كان بعد موسى عليهما السلام بمُدَّةٍ، وكان يدعو إلى شريعته.

وقد عبَّر ابن النجار عمَّا سبق بقوله: قال أهل السير: أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قومٌ يقال لهم: صعل وفالج، وذكر قصة داود ملخصة[4].

ثم قال[5]: قالوا: وكان قومٌ من الأمم يقال لهم: بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق[6] في ما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين[7] إلى طرف أحد فتلك آثارهم هناك[8].

---

(١) المغانم المطابة ص٦٦.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ والمغانم المطابة ٦٦.

(٣) المغانم المطابة ص٦٦، فلعلها تريد ما يسمى: وادي رانوناء، مثال: عاشوراء، انظر: المغانم المطابة ١٥٠، وسيحدد السمهودي حدوده في كلامه على المواضع والأماكن في آخر الكتاب.

(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٥) سيأتي في «غراب» أن هذا من قول ابن زبالة.

(٦) تاريخ الطبري ١/ ٢١٣.

(٧) أي: أصحاب القَصَّة، أي: الجص، وهم الذين يصنعونها بإحراق صخرها، وسوف تأتي في ما بعد.

(٨) نقلاً حرفياً من المغانم المطابة ٦٦ وليس من الدرة الثمينة.

وروى ابن زبالة، عند ذكر جمَّاء أم خالد بوادي العقيق، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: «وُجِدَ قبرٌ في الجماء عليه حجر مكتوب فيه فهبط بالحجر فقرأه رجل من أهل اليمن[1]، فإذا فيه: أنا عبد الله رسول رسول الله ﷺ سليمان بن داود إلى أهل يثرب، وأنا يومئذ على الشمال»[2].

وروى أيضاً عن عمرو[3] بن سليم الزُّرَقي، قال: رقينا الجماء[4] فوجدنا قبراً أرميا[5] على رأسها عنده حجران مكتوبان لا تُقرأ كتابتهما، فحملناهما، فَثَقُلَ علينا أحدهما فرميناه في الجماء، وأخذت الآخر، فكان عندي، فعرضته على أهل التوراة من يهود فلم يعرفوه، ثم عرضته على أهل الإنجيل من النصارى فلم يعرفوه، فأقام عندي حتى دخل المدينة رجلان من أهل ماه[6]، فسألتهما: هل كان لكم كتاب؟ قالا: نعم! فأخرجت إليهما الحجر فقرآه، فإذا فيه: أنا عبد الله الأسود

---

(١) لعله كان مكتوباً بخط المسند الذي كتب به الثموديون والديدانيون ولذلك استطاع اليمني قراءته.

(٢) التعريف للمطري ٦٢ ـ ٦٣ عن الدرة الثمينة لابن النجار ٢/٣٣٩، وانظر: المغانم المطابة ٩٠ ـ ٩١.

(٣) في الأصول: عمر، وهو عمرو بن سُليم الزُّرَقي، من ثقات التابعين ومشاهيرهم، انظر: ميزان الإعتدال للذهبي ٣/ ٢٦٣ وتجريد أسماء الصحابة للذهبي أيضاً ١/ ٤٠٩.

(٤) ص: الجمى.

(٥) أرمياً: يعني قبراً عليه حجارة شبيهاً بقبور عاد في الخراب والإندراس أو أنه من حجارة أو حصى منصوبة كالعلم، فإنَّ العرب في جاهليتهم كانوا يطرحون على ما لا يستطيعون استصحابه حجارة تسمى: آراماً، تاج العروس: "أرم". وقد ورد في شعر ابن ميادة "أرم لعاد"، ولعل الراوي أراد "أرَمِيّاً" نسبة إلى الأرميين او الآراميين، فإذا كان الأمر كذلك فإن كتابة الحجر كانت بالخط الآرامي وهي اللغة التي كان يتكلم بها السيد المسيح ومنها جاء الخط الآرامي ومنه تطور الخط النبطي وبالتالي الخط العربي، انظر مقالتي: تاريخ الخط العربي وأرقامه، مجلة عالم الكتب، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، مج ١٦، عدد ٦، ٥٢٣ ـ ٥٣٧؛ وذكر الفيروزأبادي هذا الخبر في المغانم المطابة ٩٠والمراغي في تحقيق النصرة ١٨٢.

(٦) ماه: كذا في الأصول، فأية ماه هذه؟ فقد ذكر ياقوت أكثر من "ماه"، وذكر السمهودي نفسه: "قصر ابن ماه" بالحرة في كلامه على آبار المدينة ـ بئر الهجيم ـ نقلاً عن المطري في آخر كتابه. والظاهر انَّ اللفظة مصحفة من: "تيماء"، وإنَّ النقش كان آرامياً، فلعل الرجلين كانا من بقايا الأنباط الذين كانوا يقرأون الخط الآرامي الذي تطور منه الخط النبطي ومنه العربي. ويؤيده قولهما: "نحن كنا أهل هذه القرية في أس الدهر".

رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل قرى عربية(١).

وقالا: نحن كنَّا أهل هذه القرية في أسِّ(٢) الدهر؛ وسيأتي بقية ما جاء في ذلك في رابع فصول الباب السابع.

وأسند ابن زبالة أيضاً عن عروة بن الزبير، قال: كانت العماليق قد انتشروا في البلاد، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كلَّه وعَتَوا عُتُوّاً كبيراً، فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون، وطيءَ الشام وأهلك من بها، يعني: من الكنعانيين، وقيل: بعث إليهم بعثاً، فأهلك من كان بها منهم، ثم بعث بعثاً آخر إلى الحجاز للعماليق، وأَمَرَهُم أن لا يسْتَبْقُوا منهم أحداً بَلَغَ الحُلُمَ، فقدموا عليهم ، فأظهرهم الله فقتلوهم، حتى انتهوا إلى ملكهم الأرقم بن أبي الأرقم فقتلوه وأصابوا ابناً له ـ وكان شاباً من أحسن الناس ـ فضَنُّوا به عن القتل، وقالوا: نستحييه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه، فأقبلوا وهو معهم، فقَبَض الله موسى قبل قدوم الجيش، فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم، فأخبروهم بالفتح، وقالوا: لم نستبقِ منهم إلاَّ هذا الفتى، فإنا لم نرَ شاباً أحسنَ منه، فتركناه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه، فقالت لهم بنو إسرائيل: إنَّ هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم، لا والله! لا تدخلون علينا بلادنا أبداً! فقال الجيش: ما بلد إذ منعتم بلادكم بخيرٍ من البلد الذي خرجتم منه، وكان الحجاز إذ ذاك أشْجَرَ بلاد الله وأظهَرَه ماءً، قال: وكان

---

(١) في الأصول: عرينة، وسيذكر السمهودي في ما بعد في كلامه على جماء أم خالد عن الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه أن الحجر مكتوب فيه: أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية. وقد جمع البكري في المسالك والممالك ٤١٧ ـ ٤١٨ بين الخبرين وذكر: اسود بن سوادة... إلى أهل هذه القرية؛ وفي المغانم المطابة ٩٠: "إلى أهل قرى عربية" وأعاد ضبط اللفظة في "عُرينة" على انها "عربية" ٢٦١، وقال حمد الجاسر: الصواب: قرى عربية وأشار إلى مقالة شيخنا محمود محمد شاكر في مجلة العرب لحمد الجاسر. وفي معجم ما استعجم للبكري تح وستنفيلد ١١، ٦٥٧ ٦٥٨ "قرى عربية: كل قرية في أرض العرب نحو خيبروفدك.." وانظر: كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ١٦. وأورد ابن شَبَّة خبراً آخر في تاريخ المدينة ١٤٩/١ وفي التاريخ الكبير ٢/ ١/ ٢٦٠: «لا يسكن قرى عربية دينان».

(٢) أي: في سالف الزمن وقديمه.

هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق[١].

وفي **الروض الأنف**[٢] عن أبي الفرج الأصفهاني: أنَّ السبب في كون اليهود بالمدينة ـ وهي وسط أرض العرب ـ أنَّ بني إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى، فوجَّه إليهم جيشاً، وذكر نحو ما تقدَّم، ثم قال: وأصحُّ من هذا ما ذكره الطبري: أنَّ نزول بني إسرائيل بالحجاز كان حين وطيءَ بُخْتَنَصَّر بلادهم بالشام وخرب بيت المقدس[٣]، انتهى.

وحكى ابن النجار عن بعض العلماء: أنَّ سببه أنَّ علماءهم كانوا يجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة، وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حَرَّتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة، فلما رأوا تَيماء وفيها النخل نزلها طائفة منهم، وظن طائفة أنها خيبر فنزلوها، ومضى أشرافهم وأكثرهم، فلما رأوا يثرب سبخة وحرَّة وفيها النخل، قالوا: هذه البلدة التي تكون[٤] مُهَاجَرَ النبي العربي عليه الصلاة والسلام، فنزل النضير ببُطْحَان[٥]، ثم حكى ما سيأتي من نزول قريظة والنضير[٦] بمذينب ومَهْزُور[٧].

---

(١) الخبر بطوله في معجم البلدان ٥/ ٨٤ مع زيادات فيه وهوفي الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٤ وفي المسالك والممالك للبكري ١/ ٤١٣، وفي الأغاني ٢٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨ والمغانم المطابة ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) الروض الأنف في شرح حديث السيرة النبوية لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المالقي الضرير المتوفى بمراكش سنة ٥٨١هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٤١٣ وملحقه ١/ ٧٣٣ ومعجم المؤلفين ٥/ ١٤٧.

(٣) الروض الأنف ٤/ ٢٩٠ وتاريخ الطبري، نشر دي خويه ١/ ٦٤٧ والأغاني ٢٢/ ١٠٨.

(٤) خ، م٢: التي يكون فيها مهاجر؛ ت، م١،س،ر: هذه البلد التي تكون مهاجر، ص: هذه البلد التي يكون.

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٤، وبطحان: وادٍ من أشهر أودية المدينة، وسيأتي تحديده في كلام المؤلف على الأماكن والمواضع في آخر الكتاب.

(٦) م١، ت: بطحان؛ وسقطت العبارة: "بطحان... والنضير"، من: ر، س.

(٧) الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٤ والمغانم المطابة ٦٧ ـ ٦٨، ووادي مهزور: مصدره من حرة واقم، ويعرف الآن باسم الغاوي وهو يتشعب في الحرة إلى شُعَب تتصل إلى صفصف شمال المدشونية (الماجشونية) فيجتمع بمذينب ثم يصبان في بطحان ثم في زغابة، أما وادي مذينب: فمصدره =

وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود: أنَّ سبب نزولهم الحجاز أن ملك الروم حين ظهر على بني إسرائيل وملك الشام، خطب إلى بني هارون ـ وفي دينهم أن لا يزوجوا النصارى ـ فخافوه[1] وأنعموا له؛ وسألوه أن يشرِّفهم بإتيانه إليهم، فأتاهم ففتكوا به وبمن معه، ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فاقاموا بها[2].

وزعم بنو قريظة أن الروم لما غَلَبوا على الشام خرج قريظة والنَّضير وهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بني إسرائيل، فوجَّه ملك الروم في طلبهم، فأعجزوا رسله، وانتهى الرسل إلى ثمدٍ[3] بين الحجاز والشام فماتوا عنده عَطَشاً، فسمي الموضع: ثَمَد الروم[4]، وهو معروف[5] بذلك[6]، والله أعلم أي ذلك كان.

وروى بعض أهل السير عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بلغني أنَّ بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بُخْتَنَصَّر عليهم وفرقتهم وذلَّتهم تفرقوا، وكانوا يجدون محمداً ﷺ مَنْعُوتاً في كتابهم وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية؛ في قريةٍ ذاتِ نخلٍ، ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يعبرون كلَّ قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتَها نعتَ يثرب، فينزل بها طائفة منهم، ويرجون[7] أن يلقوا محمداً فَيَتَّبِعُونَه، حتى نزل من بني هارون ممن حمل

= حلاءا صعب وهما جبلان كبيران بحذاء جبل الأغوات على نحو ٧ أميال من المدينة، شرقي حصن كعب بن الأشرف ويسير حتى يختلط ببطحان، وعلى هذا الوادي كانت منازل بني النضير، انظر: **المغانم المطابة** ١٨٨، ٣٩٨، ٤٥٤ ـ ٤٥٥ و**معجم ما استعجم** للبكري ٥١٨، ٥٦٢، تح وستنفيلد.

(١) س: فخافوا.

(٢) **معجم البلدان** ٥/ ٨٤ و**المغانم المطابة** ص٦٧.

(٣) الشمد: الماء القليل من المطر الذي لا مادة له تثريه.

(٤) ذكر ياقوت ملخص القصة فيه وقال: موضع بين الشام والمدينة، **معجم البلدان** ٢/ ٨٤.

(٥) ص: المعروف.

(٦) **الأغاني** ٢٢/ ١٠٨ و**المغانم المطابة** ص٨٦ ـ ٨٧.

(٧) س، ر، ص: ويرجوا.

التوراة بيثرب منهم طائفة، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد ﷺ: أنه جاءٍ، ويَحُثُّونَ أبناءهم على اتّباعه إذا جاء، فأدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه: أي: حَسَداً للأنصار حيث سبقوهم إليه[1].

وقال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه من عَوْدِ الجيش من بني إسرائيل إلى الحجاز وسكناهم المدينة: فركحوا[2] منها حيث شاءوا ـ أي: تَفَسَّحوا وتبوؤا ـ فكان جميعهم بزهرة، وكانت لهم الأموال بالسافلة، وزهرة: ثبرة[3] ـ أي: أرض سهلة بين الحَرَّة والسافلة مما يلي القُفُّ[4] ـ ونزل جمهورهم بمكان يقال له: يثرب بمجتمع السيول مما يلي زغابة[5].

قالوا: وكانت يثرب سقيفة طويلة فيها بغايا يضرب إليهنَّ من البلدان، وكانوا يروِّحون في قرية بيثرب ثمانين جملاً جَوْنَاً[6] سوى سائر الألوان[7].

ثم أَسْنَدَ[8] عن محمد بن كعب القرظي، أنه قال: وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هدل وعمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن[9] السبط[10] بن اليسع ابن سعد بن

---

(١) انظر حديث ابن سيرين في غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي ٢/ ٤٤٢.

(٢) التركح: التوسع، وتركّح في الدار، إذا توسع فيها، وتركّح بالمكان: تلَبَّثَ، **تاج العروس**: "ركح".

(٣) الثبرة: هي الأرض السهلة، وقيل: أرض ذات حجارة بيض، **تاج العروس** ٣/ ٧٢ «ثبر».

(٤) بالضم وتشديد القاف، علم لوادٍ من أودية المدينة **المغانم المطابة** ٣٤٩ وسيأتي تحديده عند السمهودي.

(٥) **المغانم المطابة** ص٦٦ ـ ٦٧، وزغابة: مثل سحابة، موضع قريب من المدينة، وقد حدده السمهودي في ما سيأتي بـ: "مجتمع السيول، آخر العقيق غربي قبر حمزة رضي الله عنه وهي أعلى من إضم"، واقتبس البكري في **المسالك والممالك** ١/ ٤١٤ أجزاء من هذا النص، وصحّف الناشران "زهرة" فصارت: "زمهرة"، وهذا الكتاب مليْ بمثل هذه التصحيفات.

(٦) الجون: هو الأسود اللون.

(٧) بالنص في **المغانم المطابة** ٦٧.

(٨) أي: ابن زبالة، والنص في **المسالك والممالك** للبكري ١/ ٤١٤ دون نسبته لابن زبالة.

(٩) في **السيرة النبوية** لابن هشام ١/ ١٣ "الصريح بن التَّوأمان بن السبط"، وانظر: **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب** للحازمي، تح عبد الله كنون، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥، ١٠٣.

(١٠) ص: السليط.

لاوي بن خير[1] بن النحام بن عازر[2] بن عيزر بن هارون بن عمران عليه السلام[3]، والنضيرُ بن النحام بن الخزرج بن الصريح بعد هؤلاء، فتتبعوا آثارهم، فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما: مذينب ومهزور[4]، فنزلت بنو النضير على مذينب واتخذوا عليه الأموال، فكانوا أول من احتفر بها، أي: بالعالية، الآبار وغرس الأموال[5].

قال: ونزل عليهم بعض قبائل العرب فكانوا معهم واتخذوا الأموال وابتنوا الآطام والمنازل[6].

واسند هو وابن شَبَّة أيضاً عن جابر مرفوعاً: أقبل موسى وهارون حاجَّين فمَرَّا بالمدينة، فخافا من يهود، فخرجا مستخفيين، فنزلا أُحُداً، فغشي هارونَ الموتُ، فقام موسى فحفر له ولحد، ثم قال: يا أخي إنك تموت، فقام هارون فدخل في لحده فقُبض فحثا عليه موسى التراب[7].

قلت: وإسناد ابن شَبَّة لا بأس به، غير أنَّ فيه رجلاً لم يُسَمَّ، وسمَّاه ابن زبالة[8]، وذلك المسمى لا بأس به أيضاً، لكن ابن زبالة لا يُعْتَمَدُ عليه في ذلك،

---

(١) خ، ص: جبر.

(٢) في المصدر نفسه: «بن خير بن النجّام بن تنحوم بن عازر بن عزرا بن هارون»

(٣) في الدرة الثمينة ٣٢٥ اختلاف في الأسماء وزيادات لم تخل من تصحيف وتحريف

(٤) مذينب: واد بالمدينة لا يسيل إلا بماء المطر خاصة وهو شعبة من بطحان، المغانم المطابة ٢٨٦، ٣٧٣، نقلاً من معجم البلدان ٥/ ٩١ وابن زبالة، وقد حدده السمهودي في ما سيأتي من الوفا، ومهزور: وادي قريظة، وذكر ياقوت حدوده ونزول اليهود فيه وسيوله في معجمه ٥/ ٢٣٤، ويُعرف اليوم بـ: الغاوي.

(٥) بالنص في المغانم المطابة ص٦٧ ـ ٦٨، وانظر: الأغاني ٢٢/ ١ ـ ٨ ـ ١٠٩ حيث ورد خبر شبيه بهذا.

(٦) المغانم المطابة ص٦٨.

(٧) تاريخ المدينة ١/ ٨٥ وتحقيق النصرة ١٣٢، والمغانم المطابة ١١ والمخطوطة ص٦٨ عن الزبير بن بكّار، وقال الشيخ حمد الجاسر: وهو بعيد حسّاً ومعنى، وليس ثم ما يصلح للحفر وإخراج التراب.

(٨) في المغانم المطابة ٦٨: «قال الزبير حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن طلحة بن خراش عن عبد الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله يرفعه».

وهو دالٌّ على أن اليهود نزلوا المدينة في زمن موسى عليه السلام، وطالت مدَّتُهم بها في حياته، حتى وقع منهم ما يقتضي خوفه منهم عند مروره، وهو إنما يتأتى على ما قدمناه من أنه لما حجَّ ومعه ناس من بني إسرائيل، فرأوا موضع المدينة صفة بلد خاتم النبيين، فاسْتَوَرَتْ طائفةٌ منهم على أنْ يتَخَلَّفوا به، ويكون ما اتفق لموسى وهارون عليهما السلام في حجة أخرى بعد ذلك.

وسيأتي في مسجد عِرْقِ الظبية بالروحاء حديث: «ولقد مَرَّ به موسى بن عمران حاجاً ومعتمراً في سبعين ألفاً من بني إسرائيل»[١].

ومن الغريب ما نَقَلَ الحافظ ابن حجر عن كتاب **الأنواء**[٢] لعبد الملك بن يوسف[٣]، قال: إنَّ قريظة كانوا يزعمون أنهم من ذريّة شعيب نبي الله عليه السلام، وإنَّ ذلك محتمل، فإنَّ شعيباً كان من بني جذام القبيلة المشهورة[٤]. قال الحافظ ابن حجر: وهو بعيد جداً[٥].

ونقل ابنُ زبالة ما حاصله: أنَّ ممن كان من العرب مع يهود قبل الأنصار، بنو أنيف ـ حيٌّ من بَليّ ـ ويقال: إنهم بقية من العماليق، وبنو مُرَيد[٦] ـ حي من بلي[٧] ـ وبنو معاوية بن الحارث بن بُهثة[٨] بن سليم[٩]، وبنو الجذماء ـ حي من اليمن ـ وكانت الآطامُ عِزَّ أهلِ المدينة ومَنَعَتَهُم التي كانوا يتحصنون فيها من

---

(١) تاريخ المدينة المنورة ١/ ٨٠.

(٢) م١، م٢، س: الأنوار.

(٣) لعله عبد الملك بن محمد بن يوسف، أبو منصور المتوفى ببغداد سنة ٤٦٠هـ، ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٤ ترجمة قصيرة بيد أنه لم يذكر له كتاباً.

(٤) انظر: فتح الباري ٧/ ٤٠٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المغانم المطابة ص٦٨، وفي مختصر جمهرة النسب: «وبنو مزيد بطن من بني بلي، حلفاء في أمية بن زيد»، وانظر: نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٣٤.

(٧) العبارة: "بنو مرثد حي من بلي" سقطت من ر

(٨) ر: بهثمة.

(٩) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٦١.

عدوهم[1].

وروى حديث النهي عن هَدْمِ آطام المدينة[2]، قال: «وكان لبني أنيف بقباء: الأجشّ، عند البئر التي يقال لها لاوة، وأُطُمَانِ في ما بين المال الذي يقال له: الماية[3] والمال الذي يقال له القائم، وآطام عند بئر عِذق وغيرها»[4]، قال شاعرهم فيها:

ولو نطقت يوماً قباء لَخَبَّرتْ ... بأنّا نَزلنا قَبْلَ عادٍ وتُبَّع

وآطامُنَا عادِيَّةٌ مُشْمَخِرَّةٌ ... تلوحُ فَتُنْكي من نعادي وتَمْنَع[5]

وكان ممن بقي من اليهود ـ حين نزلت عليهم الأوس والخزرج ـ جماعات منها: بنو القُصيص وبنو ناغصة[6]، كانوا مع بني أُنيف بقباء، وكان بقباء رجلٌ من اليهود ـ يقال: إنه من بني النَّضير ـ كان له أطمٌ يقال له: عاصم[7]، كان في دار توبة[8] بن حسين[9] بن السائب بن أبي لُبَابَة، وفيه البئر الذي يقال لها: قباء[10].

وقيل: إنَّ بني ناغصة حي من اليمن كانت منازلهم في شِعْب بني حَرَام حتى

---

(١) المغانم المطابة ٦٨، وبالنص في الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٢٥ دون عزوٍ، وهو في فتح الباري ٧/ ٤٦ وقال: «وسند الزبير بن بكار في ذلك ضعيف جداً من جهة شيخه محمد بن الحسن بن زبالة».

(٢) المغانم المطابة ص٦٨.

(٣) قال الفيروزأبادي: "مال كان بالمدينة لبعض بني أنيف"، المغانم المطابة ٣٦٦ وقد سرد السمهودي في ما سيأتي بعض آطامهم نقلاً من المغانم المطابة ص٦٨ ـ ٦٩ عن الزبير بن بكّار.

(٤) ر: وعندها، والخبر في المغانم المطابة ص٦٨ ـ ٦٩ وقد اختصر السمهودي الخبر.

(٥) المغانم المطابة ص ٦٩ والمسالك والممالك للبكري ١/ ٤١٤، وقد حصل في البيتين تصحيفات غريبة.

(٦) س، خ، ت: ناعصة، وفي المغانم المطابة: باعصة، باعضة وفي الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٦: فاعصة.

(٧) عاصم: كصاحب، أُطم بالمدينة ابتناه بنو عبد الأشهل، وكان على الفقارة في أدنى بيوت بني النجّار، ويقال: كان لحيٍّ من اليهود، وكانوا في بني عبد الأشهل، ويقال: بل كان لرهط حذيفة بن اليمان حليف بني عبد الأشهل، المغانم المطابة ٢٤٢.

(٨) خ: تويمة، م٢: بوبة.

(٩) في المغانم: الحسين.

(١٠) اختصر السمهودي ما جاء في المغانم المطابة ٣٣١ حيث سمّى اليهودي: المعترض بن الأشوس.

نقلهم عمر بن الخطاب إلى مسجد الفتح.

ومنها بنو قُرَيظة في دارهم المعروفة بهم اليوم، وكان لهم بها آطامٌ: من ذلك: أطمُ الزبير بن باطا القُرظي، كان موضعه في موضع مسجد بني قريظة، وأُطم كعب بن أسد، يقال له: بلحان، بالمال الذي يقال له: الشجرة[1]، وله يقول الشاعر:

مَــنْ سَــرَّهُ رطــبٌ ومــاءٌ بــاردٌ   فَلْيَأْتِ أهلَ المجدِ من بلحانِ[2]

وكان مع قريظة في دارهم إخوتهم بنوهدل وبنوعمرو المتقدم ذكرهم، وإنما سمِّي: هدلاً بهدل كان في شفته، ومن ولده ثعلبة وأسد ابنا سَعية، واسد بن عبيد ورفاعة بن سموأل وسُخيت ومنبه ابنا هدل[3].

ومنها بنو النَّضير في النواعم، ومنهم كعب بن الأشرف، وكان لهم عامة أطم في المال الذي يقال له: فاضجة[4]، وأُطُمٌ في زقاق الحارث دبر قصر ابن هشام دون بني أميَّة بن زيد، كان لعمر بن جحاش، وأطم البويلة، وغير ذلك، هذا ما ذكره ابن زبالة[5].

ونقل ابنُ عساكر عن الواقدي، أنه قال: كانت منازل بني النَّضير بناحية الغَرَس[6].

---

(١) ص: الشجر، وانظر: **المغانم المطابة** ص ٦٩ فقد اختصر السمهودي النص.

(٢) **المغانم المطابة** ص٦٩ **والمسالك والممالك** ١/ ٤١٤.

(٣) **المغانم المطابة** ص٦٩.

(٤) فاضجة: بكسر الضاد المعجمة وفتح الجيم، أطم من آطام بني النضير بالمدينة، قاله ياقوت ٤/ ٢٣١. وقال الفيروزأبادي: والصواب فاضجة اسم مال بالمدينة، كان فيه أُطم لبني النضير عامة، وهو اليوم خراب وفي مكانه حديقة ذات نخل تعرف بالفاضجة، وهي بالجفاف وراء العوالي. وقال حمد الجاسر: والمسافة بين فاضجة أو فاضحة وبين ضرية تسعة أميال، **المغانم المطابة** ٣١٠.

(٥) **المغانم المطابة** ص٧٩ ـ ٧٠ وقد اختصر السمهودي النص.

(٦) الغرس: بفتحتين، هكذا يُنطق الآن، وهو أعظم الأودية التي تنحدر من خيبر، ويجتمع فيه عدد من الأودية منها: وادي الدوم ووادي القُصيبة ووادي البحرة وغيرها من أودية المنطقة. وانظر ما قاله حمد الجاسر في تحديده لـ: "العوارض" في المغانم المطابة ٤٢٢/ حاشية ٢.

قلت: والظاهر أنهم كانوا بالنواعم[1]، وتمتد منازلهم وأموالهم إلى ناحية الغرس وإلى ناحية الصافية وما معها من صدقات النبي ﷺ وبعض منازلهم كانت بجفاف، لأن فاضجة به.

ورأيتُ بالحَرَّة في شرقي[2] النواعم آثار حصون وقرية بقرب مذينب يظهر أنها من جملة منازلهم، وأنَّ ما في قبلة ذلك في شرقي العهن[3] من منازل بني أميَّة بن زيد، كما سيأتي.

ومنها بنو مُزَيد[4] في بني خطمة وناعمة[5] إبراهيم بن هشام[6]، وكان لهم أُطُم يعرف بهم فيه بئر[7].

ومنها بنو معاوية في بني أميَّة بن زيد[8].

ومنها بنو ماسكة بقرب صدقة مروان بن الحكم مما يلي صدقة النبي ﷺ وكان لهم الأُطُمَانِ اللذان في القف في القرية[9].

ومنها بنو محمم[10] في المكان الذي يقال له: بنو محمم، وكان لهم المال الذي يقال له: خُنافة[11]، معروف اليوم ، وكان رجلٌ منهم قَطَع يدَ رجلٍ في

---

(١) النواعم: قال الفيروزأبادي في **المغانم المطابة** ٤١٨: موضع قرب العوالي، وكانت منزل بني النضير، وكان لهم أطم يقال له: منور وهو الأطم الذي في دار ابن طهمان وغير ذلك من الآطام التي ذكرناها في فصل تاريخ المدينة المقدسة، وهو في ص٦٩ من المخطوطة.

(٢) ر: شرق.

(٣) في عوالي المدينة المنورة.

(٤) قال الكلبي: "بنو مزيد بطن من بني بلي حلفاء في أمية بن زيد" **مختصر الجمهرة** (مخطوطة راغب باشا، رقم: ٩٩٩، ص ١٩١) نقلاً من نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي، تح محمد فردوس العظم، ٢/ ٣٤.

(٥) س، ر، ص: وناعمت.

(٦) هوعامل هشام بن عبد الملك على المدينة.

(٧) **المغانم المطابة** ص٧٠ اختصر السمهودي النص.

(٨) **المغانم المطابة** ص٧٠.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) خ: بنو حمم.

(١١) قال العياشي في **المدينة بين الماضي والحاضر** ١١٧: «وفي جهة البقيع والدوَّار، في تلك الجهة =

الجاهلية فقال المقطوع: أعْطِني خُنافة عَقْلاً بيدي، فأبى[1]، وحفر الذي قطعه كُوَّةً في[2] خنافة، ثم أخرج يده منها من وراء الحائط وقال: اقطع، فقطع يده، فقال حين قطع يده:

الآن قـد طـابـت ذرى خنـافـه طابت فلا جوعٌ ولا مخافه[3]

ومنها بنو زَعُورا عند مشربة أُمِّ إبراهيم بن النبي ﷺ ولهم الأُطُم الذي عندها، وكان الأطم الذي في مال جحاف لبعض من كان هناك من اليهود[4].

ومنها بنو زيد اللات، قال ابن زبالة: وهم رهط عبد الله بن سلام[5]، كانوا قريباً من بني غصينة[6].

ومنها بنو قَيْنُقَاع عند منتهى جسر بطحان[7]، مما يلي العالية، وكان هناك سوقٌ من أسواق المدينة، وكان لهم الأُطُمَان اللذان عند منقطع الجسر، على يمينك وأنت ذاهب من المدينة إلى العالية إذا سلكت الجسر[8]، وغير ذلك.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر: أنَّ بني قينقاع هم رهط عبد الله بن سلام[9]، خلاف ما تقدم عن ابن زبالة.

قال الحافظ ابن حجر: وهم من ذريّة يوسف الصدِّيق عليه السلام.

= خنافة وتعرف اليوم بخنائة بالمثلثة بدل الفاء، وهي اليوم بئر معطلة وعندها الزبيريات».

(١) س: فابا.

(٢) في المسالك والممالك للبكري ١/ ٤١٥ "كوة في جدار من جدر خنافة".

(٣) المصدر نفسه: * الآن قد طابت لنا خنافة طابت فلا جوع ولا مخافة *

(٤) المغانم المطابة ص٧٠: «من اليهود» زيادة من السمهودي.

(٥) المغانم المطابة ص٧٠ والدرة الثمينة ٢/ ٣٢٦.

(٦) بالنص في المغانم المطابة ص٧٠، وفي السيرة النبوية ١/ ٣١١ تح وستنفيلد، عُصَيْنة وهو تصحيف، وبنو غصينة هم بنو عمارة بن مالك بن عامر بن أُنيف من بَلي وغصينة ـ تصغير غصن وتأنيثه ـ أم لهم ينسبون إليها، وهم حلفاء لبني عمرو بن بن عوف من الأوس.

(٧) حدد السمهودي موضعه في آخر الكتاب.

(٨) المغانم المطابة ص٧٠ وقد اسقط السمهودي أجزاء من النص.

(٩) فتح الباري ٧/ ٣٢٩.

ومنها بنو حُجر عند المشربة التي عند الجسر، ولهم أُطُمٌ يعرف بهم[١].

ومنها بنو ثعلبة وأهل زهرة بزهرة، وهم رهط الفِطْيَون[٢]، وهو ملكهم الذي كان يفتضُّ نساءَ أهل المدينة قبل أنْ يَدْخُلْنَ على أزواجهنَّ[٣]، وكان لهم الأُطُمَان اللذان على طريق العريض حين يهبط من الحَرَّة، وكانت بزهرة جُماع من اليهود، وكانت من أعظم قرى المدينة، وقد بادوا[٤].

ومنها ناس كانوا بالجَوَّانيَّة ـ بفتح الجيم وتشديد الواو والياء المثناة من تحت ـ: موضع بقرب أحد في شمالي المدينة، كما سيأتي، ولهم أُطُمَانِ صارا لبني حارثة بن الحارث، وهما صِرار[٥] والرَّيَّان[٦]، ولذلك يقول نُهيك بن يساف:

لعلَّ صِراراً أنْ تعيش بثاره وتَسمعَ بالرَّيان تُبنى مشاربه[٧]

وكانت بنو الجذماء المتقدم ذكرهم ـ وهم حي من اليمن ـ ما بين مقبرة بني عبد الأشهل وبين قصر ابن عراك، ثم انتقلوا إلى راتج[٨].

ومنها بنو عكوة في يماني بني حارثة[٩].

---

(١) المغانم المطابة ص٧٠.

(٢) الفطيون: "هو مزيد بن زيد بن الحارث بت الفطيون الذي قتله مالك بن العجلان"، نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي ٢/ ٧، ١١٤.

(٣) انظر: معجم البلدان ٥/ ٨٥ والمغانم المطابة ١٠٧.

(٤) المغانم المطابة ١٧٣ والمخطوطة ص٧٠، كلاهما عن الزبير بن بكّار.

(٥) المغانم المطابة ١٦٦.

(٦) قال السمهودي في "مواضع المدينة": الريان أطم لبني حارثة وأطم لبني زريق وسوف يأتي تحديده.

(٧) ر: وسمع، انظر: المغانم المطابة ١٦٦ والمخطوطة ص ٧١ مثل روايتنا هنا، أما في المغانم ٢١٧ فالبيت:

"لعل صراراً أن تجيش بناره ونسمع بالريان تبنى مشاربه"

(٨) المغانم المطابة ص٧١، وعن راتج، قال الفيروزابادي في المغانم المطابة ١٤٩: اسم أُطُم من آطام المدينة وتسمى الناحية به. ونقل عن ابن حبيب قوله: الشرعبي وراتج ومزاحم آطام بالمدينة، وهي لبني زعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو".

(٩) سقطت الجملة بكاملها من س واضيفت في الحاشية بخط حديث مغاير. وفي المغانم المطابة ٧١: «وبنو عكوة وهم رهط بني عكم في منازل بني حارثة، وكان لهم الأُطُم الذي هناك يقال له أُطُم بني عكم».

ومنها بنو مرانة(1) في شامي بني حارثة، ولهم الأطُم الذي يقال له: الشبعان في ثَمْغ(2) صَدَقَةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه(3).

ومنها ناس براتج، وهو أطُم سميت به الناحية، وهو الذي يقول فيه قيس بن الخَطِيم:

ألاَ إنَّ بين الشَّرْعَبِيِّ وراتجٍ ضِرَاباً كَتَخْذِيم السيال المُعَضَّدِ(4)

ومنها ناس بالشوط والعنابس(5) والوالج وزبالة إلى عين فاطمة، حيث كان يطبخ الآجُرُّ لمسجد الرسول ﷺ وكان لأهل الشوط الأطُم الذي يقال له: الشرعبي، وهو الأطُم الذي دون ذباب، وقد صار لبني جُشَم بن الحارث بن الخزرج، أي: الأصغر، يعني: إخوة بني عبد الأشهل(6).

وكان لأهل الوالج أطُم بطرفه مما يلي قَنَاة، وكان لبعض من هناك من اليهود الأطُمَان اللذان يقال لهما: الشيخان بمَفْضَاهُمَا المسجد الذي صلى فيه رسول الله(7) ﷺ حين سار إلى أحد(8).

وكان لأهل زبالة الأطُمَان عند كومة أبي الحمراء(9) الرابض والذي

---

(1) س، ر: بنو مرانة أو مرابة؛ ت: امراته، ص: بنو مرابة، خ: مزاتة؛ الدرة الثمينة: بنو مرانة.

(2) ثمغ: بالفتح والعين ثم السكون والغين معجمة: موضع بخيبر، وكان مالاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان نخلاً فتصدق به، المغانم المطابة ٨٠، وقد رجح السمهودي هنا وفي ما سيأتي أن هذا الموضع في شامي المدينة، وقال: لعل ما في رواية الدارقطني، من كونه بخيبر، من تصرف بعض الرواة أو أن كلاً من صدقتيه يسمى ثمغاً.

(3) المغانم المطابة ص٧١ وقد اختصر السمهودي هذا النص.

(4) المغانم المطابة ص٧٢ والمغانم المطابة ١٤٩، ٢٠٢، وديوان قيس بن الخطيم ٧٠.

(5) س،خ، ت: العنابق؛ ر،م٢: العنابص؛ م١: العنايق وفي مخطوطة المغانم المطابة ص٧١: "العنابق، العبايق"، وقد أوردها السمهودي في قسم المواضع والأماكن بلفظ: "العنابس".

(6) المغانم المطابة ص٧١ وقد اختصر السمهودي النص وزاد عليه.

(7) ص: صلى فيه النبي ﷺ.

(8) المصدر نفسه، وقد اختصر السمهودي النص هنا أيضاً وزاد عليه.

(9) قال العياشي في المدينة بين الماضي والحاضر ١٢٢: «أما كومة أبي الحمراء الرابض فهي معروفة اليوم بالزبارة الحمراء عند مزرعتي الخجا وعلي حمد الله وما حولهما، وهي في طريق الناس =

دونهما[1].

ومنها أهل يثرب، وكانوا جُماعاً من اليهود بها، وقد بادوا فلم يبق منهم أحدٌ[2].

قلت: ونَقَلَ رزين عن الشرقي[3]: أنَّ يهود كانوا نيّفاً وعشرين قبيلة.

وقال ابن النجار: إنَّ آطامهم كانت تسعة وخمسين أُطُماً، وللعرب النازلين عليهم قبل الأنصار ثلاثة عشر أُطُماً[4].

وقد ذكر ابن زبالة أسماء كثير منها حذفناه لعدم معرفته في زماننا.

فهذا عِلمُ من سكن المدينة بعد الطوفان إلى قدوم الأوس والخزرج.

= الهابطين إلى العيون عن طريق خيف الأغوات موجودة العين».

(١) المغانم المطابة ص٧١ بالنص.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يعني: رزين العبدري عن أبي المنذر الشرقي، وقد سبق ذكرهما.

(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٢٥.

الفصل الثاني

في سبب سُكْنى الأنصار بها

نقل ابن زبالة وغيره أنَّ اليهود لم تزل هي الغالبة بالمدينة، الظاهرة عليها، حتى كان من أمر سَيْل العَرِم ما كان وما قصَّ الله من قصَّتِهِ في كتابه[1]، يعني: قصة أهل مأرِب، ومأرب: مهموز، أرض سبأ المعنيّة بقوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾[2]، عن ابن عباس: أنها كانت أخْصَبَ البلاد وأطْيَبَها، تخرج المرأة وعلى رأسها المِكْتَل فتعمل بيديها، أي: بمغزلها، وتسير بين ذلك الشجر، فيمتلىء مما يتساقط فيه من الثمر[3]، فطَغَوا.

وقيل: بعث الله إليهم ثلاثة عشر[4] نبياً يدعونهم إلى الله، ويذَكِّرونهم نعمته[5] عليهم، فكذَّبوهم، وقالوا: ما نعرف لله نعمةً.

قال المسعودي: وكان طول بلدهم أكثر من شهرين للراكب المُجِدِّ، وكذلك عَرضُها، وكان أهلها في غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة، وكانوا، كما قصَّ الله من خبرهم بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: قرى الشام ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾[6] يعني: متواصلة، يرى بعضها من بعض لتواصلها ولتقاربها[7]

---

(١) المغانم المطابة ص٧٢: «القرآن».

(٢) سورة سبأ ١٥.

(٣) خ، م٢: الثمار، ر، س، م١، ت: الثمر، وانظر: كتاب التيجان ٢٧٥.

(٤) ص: ثلاث عشر.

(٥) ص: نعمة الله عليهم.

(٦) سورة سبأ ١٨.

(٧) "لتواصلها و" سقطت من: ر، م١، م٢.

فكانوا آمنين في بلادهم، تخرج المرأة لا تتزود شيئاً، تَبيتُ في قرية وتَقِيلُ في أخرى حتى تأتي الشام، فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[1] لأنهم بَطِروا النعمة ومَلُّوها، وقالوا: لو كان جَنَى جَنَّاتِنا أبعدَ لكان أجدَرَ أن نشتهيه، وتَمَنَّوا أنْ يَجْعَلَ الله بينهم وبين الشام مفاوزَ ليركبوا الرواحلَ فيها ويتزودوا الأزواد، فعَجَّل الله لهم الإجابة كما قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[2].

وعن الضحاك: أنهم كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فَسَلَّطَ الله عليهم سيلَ العَرِم[3].

قيل: العرم: المطر الشديد، وقيل: جُرَذٌ أعمى، فنَقَبَ عليهم السدَّ، وكان فرسخاً في فرسخ[4]، بناه لقمان الأكبر العادي، وكان بناه للدهر على زعمه، وكان يجتمع إليه مياه اليمن ثم تتفرق في مجاري على قدر حاجة جنانهم.

وقيل: بناه سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان، وساق إليه سبعين وادياً ومات قبل أن يُكمله فأكمله بعده ملوك حمير، وكان أولاد حِمْيَر بن سَبَأ وأولاد كَهلان بن سَبَأ سادةَ اليمن في ذلك الزمان، وكان كبيرهم وسيدهم جدَّ الأنصار عَمْرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد[5].

ويقال: الأسد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ ذكر نسبه كذلك ابنُ هشام[6] وابن حزم[7] وابن

---

(١) سورة سبأ ١٩.

(٢) سورة سبأ ١٩.

(٣) ت، م١: «فسلط عليهم سيل العرم المطر الشديد وقيل جرذ أعمى»؛ س، ر: «فسلط عليهم سيل العرم قيل العرم المطر الشديد».

(٤) الفرسخ: خمسة أكيال ونصف على وجه التقريب، "وقد نصَّ المتقدمون على أن الفرسخ ثلاثة أميال، والميل يتراوح ما بين ألفين وثلاث مئة متر وألفين ومئة متر، فيكون الفرسخ على هذا الحساب يزيد قليلاً على ستة أكيال". (شكري الجم للشيخ حمد الجاسر على هذه الملاحظة التي ناولنيها كتابةً).

(٥) كتاب التيجان ٢٧٣.

(٦) السيرة النبوية، تح وستنفيلد ١/٦.

(٧) جمهرة أنساب العرب ٣٣١.

الكلبي[1] في ما نقله عنه ابن عبد البَرّ.

ونقل غيره عنه: أنه جعل ثعلبة بين حارثة وبين امرىء القيس[2].

وكانت الأنصار تقول: سُمِّيَ عمرو: مزيقياء لأنه كان يلبس في كلِّ يوم حُلَّتين ثم يمزقهما لئلا يلبسهما أَحَدٌ بعده، وقيل لأبيه: ماء السماء، لجوده وقيامه عند الجَدْبِ مقامَ الغيث[3].

وكان لعمرو مزيقياء أَخٌ كاهن[4] لم يُعْقِبْ يسمى: عمران، وكانت زوجة عمرو مزيقياء يقال لها: طريفة، من حمير، وكانت كاهنة، فولدت له ثلاثة عشر رجلاً: ولدت ثعلبة، وهو الذي أخرج جُرْهُم من مكة؛ هو واخوته ومن انخزع[5] معه من الأزد، على ما نقله رزين.

ونقل: أن والد ثعلبة ـ وهو عمرو بن عامر ـ توفي قبل غلبة ثعلبة لجرهم، وثعلبة أبو الأوس والخزرج.

وولدت له أيضاً حارثة والد خُزاعة، على ما سيأتي، وقيل غير ذلك.

وولدت له أيضاً جَفْنَة والد غَسَّان؛ سُمُّوا باسم ماء نزلوا عليه يقال له غَسَّان، والأشهر أنهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث[6].

وولدت له أيضاً وَداعَة[7]، وأبا حارثة، والحارث، وعوفاً، وكعباً[8]، ومالكاً وعمران؛ هؤلاء أعقبوا كلهم، والثلاثة الباقون لم يعقبوا[9].

---

(١) جمهرة النسب، تح محمود فردوس العظم ٢/ ٣٦٣.
(٢) قال ابن الكلبي "وكان أبي يؤخر ثعلبة، يقول: عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس"، انظر: المصدر نفسه ٣٦٤ وجمهرة أنساب العرب ٣٣١.
(٣) المصدر نفسه ٣٦٣ ـ ٣٦٤ وكتاب التيجان ٢٧٣.
(٤) س، ر: أخاً كاهناً.
(٥) انخزع: تَخَلَّفَ، يقال خزع فلان عن أصحابه إذا تخلَّف، تاج العروس "خزع" في نسب خزاعة عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي.
(٦) انظر: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب للحازمي ٩٨.
(٧) في جمهرة النسب ٢/ ٣٦٤: "وادعة".
(٨) في جمهرة النسب ٢/ ٣٦٤: زيادة "وذهلاً وهو وائل".
(٩) فصَّل هشام بن الكلبي كلَّ هذه الأنساب في جمهرة النسب ومنه نقل مؤرخو النسب والمعاجم.

وقال ابن حزم: إنَّ غسَّان هم بنو الحارث، وجفنة ومالك وكعب بني عمرو مزيقياء، شربوا كلهم من ماء غسان، بخلاف بقية ولد عمرو مزيقياء فلم يشربوا من ذلك الماء، فليسوا غسان[1]، وكان لعمرو بن عامر بمأرب من القصور والأموال ما لم يكن لأحد.

ونقل رزين: أنه كان أول شيء وقع بمأرب من أمر سيل العرم، أن عمران بن عامر رأى في كهانته أنَّ قومه سيُمَزَّقُونَ ويُباعَدُ بين أسفارهم، وأنَّ بلادَهُم ستُخَرَّب، فذكر ذلك لأخيه عمرو بن عامر؛ فكان بين التصديق والتكذيب، فبينا طريفة امرأته ذاتَ يومٍ نائمةٌ إذ رأت في ما يرى النائم أن سحابةً غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت، فَذُعِرَتِ ذُعْراً شديداً، فسَكَّنوها، فقالت: يا عمرو بن عامر! الذي رأيت في الغيم أَذهَبَ عني النوم؛ رأيتُ غَيماً أرعدَ وأبرقَ طويلاً ثم أصعق فما وقع على شيء إلاَّ احترق، فما بعده إلاَّ الغرق، فلما رأوا ما بها خفَّضوها[2] حتى سكنت.

ثم إنَّ عمرو بن عامر دخل حديقةً ومعه جاريتان له، فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه، فلما خرجت من بيتها عارضَها ثلاث مناجذ[3] ـ وهي دواب تُشبه اليرابيع ـ منتصبات على أرجلهنَّ واضعات أيديهنَّ على أعينهنَّ، فلما رأتهنَّ طريفة وضعت يدها على عينيها وقعدت على الأرض، فلما ذهبت المناجذ خرجت مسرعةً، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثَبَتْ من الماء سُلَحْفَاةٌ فوقعت في الطريق على ظهرها، وجعلت تروم الانقلاب وتستعين بيدها فلا تستطيع، فتحذف التراب على نفسها، وتقذف بالبول من تحتها، فلما رأت طريفة

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٣١ وفي جمهرة النسب لابن الكلبي ٢/ ٣٦٤ : بعد أن ذكر من يُدعى غَسَّان، قال: "منهم ثلاثة لم يشربوا من الماء فليس يُدعون غسان، وهم عمران ووائل وأبو حارثة، وسائرهم غسَّانيون".

(٢) خفَّضوها: سكَّنوا ذعرها وهوَّنوا الأمر عليها.

(٣) س: ثلاثة أيام مناجذ، ر، خ، ت: ثلاثة مناجذ. والمناجذ: جمع جلذ، الفار العُمي، تاج العروس "جلوذ" و"النواجذ"، ٢/ ٥٥٦، ٥٨١.

ذلك جلست على الأرض حتى عادت السلحفاة إلى الماء، ثم مضت[1] طريفة حتى دخلت الحديقة التي فيها عمرو ابن عامر حين انتصف النهار في ساعةٍ شديدٍ حَرُّها، وإذا الشجر من غير ريح يَتَكَفَّأ، فَمَرَّتْ حتى دخلت على عمرو، فلما رآها قال: هلمي يا طريفة![2] فقالت: والنور والظلماء[3]، والأرض والسماء، إنَّ الماءَ لغائر، وإنَّ الشجر لهالك، فقال عمرو: ومن أخبرك بذلك؟ قالت: أخبرتني المناجذ، بسنين شدائد، يقطع فيها الولد الوالد، وسُلَحْفَاةٌ تحذف بالتراب حذفاً وتقذف بالبول قذفاً، ورأيت الشجر من غير ريح ولا مطر يتكَفَّأ[4]، قال: وما ترين ذلك؟[5] قالت: داهية وكِيمَة[6] وأمور جسيمة، قال: أما إن كان ذلك فلك الويل! قالت: أجل! وما لعمرو فيها من نيل، مما يجيء به السيل، فألقى بنفسه على الفراش وقال: ما هذا الذي تقولين إلا أمرٌ جليل، وخلف قليل، وأخذ القليل خيرٌ من تركه، قال عمرو: وما علامة ما تذكرين؟ قالت: إذا رأيت جُرَذاً يكثر في السدِّ الحَفْر، ويقلب منه بيديه الصخر، فاعلم أنْ قد وقع الأمر.

فانطلق عمرو إلى السد ينظره فإذا جُرَذ يقلب بيديه ورجليه الصخرة ما يقلبها[7] خمسون[8] رجلاً من السدِّ، فرجع إلى طريفة فأخبرها.

ثم رأى عمرو رؤيا أنه لا بدَّ من سيل العرم، وقيل له: إنَّ آية ذلك أنْ ترى الحَصى قد ظَهَر في شِرْبِ النخل، فذهب فرأى ذلك، فعرف أنَّ ذلك واقع وأنَّ بلادهم ستخرب، فكتَم ذلك وأخفاه، وأجمع على أن يبيع كلَّ شيء له بأرض سَبَأ ويخرج منها هو وولده، فخشيَ أن يستنكر الناسُ ذلك فاحتال في الأمر، فأمرَ بإبلٍ

---

(١) ص: انصرفت.

(٢) ر: هلمي بالحديقة فقالت.

(٣) ص: والظلمات.

(٤) ص: تتكفأ.

(٥) سقطت من ص.

(٦) الوكيمة: الشديدة الحزن، يقال: وكمه الأمر كوعده: حزنه، تاج العروس "وكم".

(٧) ص: يقلها.

(٨) في رواية أخرى في المغانم المطابة ص٨٧: «فيقلع الحجر الذي لا يستقله مئة رجل».

فَنُحِرت وبغنمٍ فذُبِحتْ وصنع طعاماً واسعاً، وبعث إلى أهل مأرب بأجمعهم، وكان فيمن دعا يتيمٌ[1] كان ربَّاه وأنكحه، وقال له في ما بينَه وبينه: إذا أنا جلستُ أُطْعِمُ الناسَ فاجلس بجنبي ثم نازعني الحديث واردُدْ عليَّ مثل ما أقول لك، وافعل بي مثل ما أفعل بك، فكلمه عمرو في شيء فردَّ عليه فضرب عمرو وجهه وشتَّمه، ففعل اليتيم به مثله، فصاح عمرو: واذُلَّاه! اليوم ذهب فخر عمرو ومجده، فحلف ليقتلنَّه، فلم يزالوا به حتى تركه، وقال: والله لا أُقيمُ ببلدٍ[2] يُصْنعَ بي هذا فيه أبداً، ولأبيعَنَّ أموالي كلَّها وأرحلُ عنكم، فاغتنم الناسُ غضبه واشتروا منه أمواله، فباع جميع عَقَارِه، وتبعه ناس من الأزد فباعوا أموالهم، ولما كَثُرَ البيع استنكر الناسُ ذلك، فأمسكوا، فلما اجتمع عند عمرو بن عامر أثمانُ أمواله أخبر الناس بأمر سيل العرم، فخرج من مأرب ناس كثير، وأقام بها من قُضي عليه بالهلاك[3].

هذا ما نقله رزين في تاريخه[4] وقد اقتفيت أثره في ذلك في كتابي[5].

وذكر ابن هشام في سيرته نحوه، وقال: إنَّ الأَسْد ـ يعني: الأزد ـ قالوا: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم وخرجوا معه[6].

وقيل: كانت طريفة زوجة ثعلبة، وإنه صاحب القصة والمحتال في بيع ماله.

وقال ياقوت: إنَّ عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم، وصارت الرئاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن، وكان عاقراً لا يُولَدُ له، وإنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة، وإنها أقبلت عليه يوماً وقالت: والظلمة والضياء والأرض والسماء، ليقبل إليكم الماء كالبحر إذا طما، فيدع أرضكم خلا يسفي عليها الصبا،

---

(١) س، ر: يتيماً.
(٢) ص: ببلدة.
(٣) ورد الخبر بطوله في كتاب التيجان ٢٧٤وما بعدها بتفصيلات وأشعار واسجاع.
(٤) ساقطة من ر.
(٥) ذكر ياقوت قصة شبيهة جداً بهذه مع إختلاف في الأسماء في: معجم البلدان ٥/ ٣٤ ـ ٣٨ وذكرها ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٨ ـ ٩ باختصار.
(٦) السيرة النبوية، تح وستنفيلد ١/ ٨.

وذكر القصة، وأنه إحتال لبيع أمواله بأن قال لحارثة أحدِ أولاد أخيه عمرو بن عامر: إذا اجتمع الناس إليَّ فإني سآمُرك بأمرٍ فأظهرِ فيه العصيانَ، فإذا ضربت رأسك بالعصا فقم إليَّ والطُمْنِي، فقال: وكيف يلطم الرجلُ عمَّه؟ فقال: افعل يا بني فإنَّ في ذلك صلاحك وصلاح قومك[1]، وذكر القصة.

قال: فجاء بعد رحيلهم بمديدة السيل، وقد خرب الجرذ السدَّ فلم يجد مانعاً فغَرَّقَ البلاد حتى لم يبق من جميع الأرضين والكروم إلاَّ ما كان في رؤوس الجبال والأمكنة البعيدة مثل ذمار[2] وحضرموت وعدن، وذهبت الضياع والحدائق والجنان، وجاء السيل بالرمل وطَمَّهَا، فهي على ذلك إلى اليوم، وباعد الله بين أسفارهم كما سألوا[3].

ونقل رزين: أنَّ عمرو بن عامر الكاهن قال لهم عند خروجهم: سأصِفُ لكم البلاد، فقال: مَنْ كان منكم ذا همٍّ بعيدٍ، وجملٍ شديدٍ ومرادٍ حديدٍ[4] فليلحق بقصر عُمَان المَشِيد؛ فسكنها أزد عمان.

قال: ومن كان منكم ذا همٍّ غيرِ بعيدٍ، وجملٍ غيرِ شديدٍ، ومرادٍ غيرِ حديدٍ، فليلحق بالشعب من كَرُود ـ وهي من أرض هَمْدَان ـ فكان الذين سكنوه وَدَاعة[5] بن عمرو بن عامر، فانتسبوا في هَمْدان.

قال: ومن كان منكم ذا هَمٍّ مدنٍ وجملٍ مَعْنٍ[6]، فليلحق بالثني من شن[7] ـ وهو بالسراة ـ فسكنه أزد شنوءة.

---

(١) وهي في كتاب التيجان ٢٧٩ وفيه: أن عمرو ابن عامر هو الذي احتال وان ثعلبة هو الذي لطمه، وانظر: المغانم المطابة ص٨٧ ـ ٨٨.

(٢) ر: ذيار، س: ديار.

(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٤ ـ ٣٨ والمغانم المطابة ٨٧ ـ ٨٨.

(٤) ص: جديد، وفي أخبار مكة ١/ ٩٤: «ومزاد جديد».

(٥) في حاشية ش كتب عثمان بن عبد العزيز بن منصور: «ذكر وداعة وهم الوداعيين من الدواسر والثني هو الوادي لانه مفيض تثليث [. . .] الرمل فيشرق بجعل الرمل مساره».

(٦) ص: معي، ومعن الفرس كمنع يمعَنُ معناً: تباعد عادياً، تاج العروس: [معن].

(٧) قال الهمداني في صفة جزيرة العرب ٢٦٥: «شَنٌّ وبارق بالسراة».

قال: ومن كان منكم ذا جَلَدٍ وبصرٍ، وله صبرٌ على أَزَمَات الدهر، فليلحق ببطن مر، فسكنته خزاعة.

قال: ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل، المُطْعِمَات في المَحْل، فليلحق بالحرة ذات النخل، فكان الذين سكنوها الأوس والخزرج[1].

قال: ومن كان يريد الخمر والخمير، والديباج والحرير، والأمر والتأمير فليلحق ببُصرَى وسَدير[2] ـ وهما من أرض الشام ـ فكان الذين سكنوه آل جَفْنَة بن غَسَّان.

قال: ومن كان يريد الثياب الرقاق والخُيول العِتَاق، والكنوز من الأرزاق فليلحق بالعراق؛ فكان الذين لحقوا بالعراق جَذِيمة الأبرش ومن كان بالحيرة من غَسَّان.

قلت: وقيل: إنَّ الذي سجَعَ لهم بذلك طريفة الكاهنة، وإنها قالت: ومن كان منكم يريد الراسخات في الوَحْل، المُطْعِمَات في المَحْلِ، فليلحق بيثرب ذاتِ النخل[3].

وروى ابن زبالة سَجْعَ عمرو بن عامر في المدينة، بلفظ: من كان يريد الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل، المدركات بالدَّحْل[4]، فليلحق بيثرب ذات النخل[5]؛ فلما سمعوا ذلك القولَ خرج عمرو بن عامر بجميع ولده ومن معه من الأزد يريد أرضاً يقيمون بها، ففارقهم وَدَاعَة بن عامر فسكن هَمْدَان،

---

(١) أخبار مكة، تح رشدي الصالح ملحس ١/ ٩٤.

(٢) في معجم ما استعجم ٣/ ١٠١٠: «وغوير» وقال: رواه الخطابي بعين مهملة.

(٣) الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٢٦ وبالفاظ مختلفة في الأغاني ٢٢/ ١١٠ وكتاب التيجان ٢٨٨.

(٤) ت: بالدخل، ر: بالدحل، ص: بالذحل، ومعجم البلدان ٥/ ٨٥ بالدَّخل، والدحل: هُوة تكون في الأرض وفي أسافل الأودية، يكون في رأسها ضيق ثم يتسع أسفلها، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٠٥.

(٥) نسب ياقوت هذا القول لعمرو بن عوف، معجم البلدان ٥/ ٨٥، وورد الخبر في المغانم المطابة ص٧٢.

ثم سار عمرو حتى كان بين السراة[1] ومكة أقام هناك ناس من الأزد، وأقام معهم عمران بن عمرو بن عامر، ثم سار عمرو في باقي ولده وفي ناس من بني مازن من الأزد حتى نزلوا ماءً يقال له: غَسَّان وغلب عليهم اسمه حتى قال شاعرهم:

إمَّا سَألتِ فإنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ الأزدُ نسبتُنا والماءُ غَسَّانُ[2]

قال أبو المنذر الشرقي: ومن ماء غَسَّان انْخَزَعَ لُحَيٌّ ـ واسمه ربيعة بن حارثة بن عمرو بن حارثة ـ فأتى مكة فتزوج بنت عامر الجرهمي، ملك جُرهُم، فولدت له عمرو بن لحي الذي غَيَّر دين إبراهيم[3]، فسمي ولده خُزاعة لأنَّ أباهم انخَزَعَ[4] من غَسَّان.

وقال غيره ما يخالف ذلك، فروى الأزرقي[5]: أنَّ عمرو بن عامر سار هو وقومه لا يَطَأوْنَ بلداً إلاَّ غَلَبُوا عليه[6]، فلما انتهوا إلى مكة ـ وأهلُها جُرهُم قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل وغيرهم ـ أرسل إليهم ثعلبةُ بن عمرو بن عامر يقول: يا قوم إنا خرجنا من بلادنا، فلم ننزل بلداً إلاَّ فَسحَ أهلُه لنا فنقيم معهم حتى نُرسلَ رُوَّادَنا فيرتادون لنا بلداً يحملنا فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم بقدر[7] ما نستريح ونرسل روادنا إلى الشام والمشرق، فحيث ما قيل لنا أنه أمثل لحقنا به، فَأَبَتْ جرهم ذلك فأرسل إليهم ثعلبة: إنه لا بدَّ لي من المقام، فإنْ

---

(١) ص: الشراة.

(٢) البيت لحسَّان بن ثابت، وهذا البيت في أبيات له، انظر: السيرة النبوية، تح وستنفيلد ٦/١ وجمهرة النسب لابن الكلبي ٢٦٣/٢ وكتاب التيجان ٢٨١ ورواه في الأغاني ١٤/ ١٢٠ لسعد بن الحصين.

(٣) السيرة النبوية ١/ ٥٠ ـ ٥٢ ونسب معد واليمن الكبير ١١٦/٢ وجمهرة أنساب العرب ٢٣٤.

(٤) ص: تخزَّع.

(٥) هو محمد بن عبد الله الأزرقي المكي المتوفى سنة ما بين سنة ٢٢٣ ـ ٢٥٠هـ، مؤلف كتاب أخبار مكة المطبوع بتصحيح رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة ١٣٥٢ ـ ١٣٥٧هـ، بجزءين، انظر: بروكلمان ١٣٧/١ وملحقه ٢٠٩/١ ومعجم المؤلفين ١٩٨/١٠ مع مصادر ترجمته.

(٦) ص: عليها.

(٧) ص: قدر.

تركتموني نزلت وحمدتكم وواسيتكم في الماء والمَرْعَى[١]، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلاَّ فَضلاً ولا تشربوا إلاَّ رَنَقاً[٢] - يعني: الكدر - فإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إنْ ظهرت عليكم سَبَيْتُ النساء وقَتَلتُ الرجال، ولم أترك أحداً منكم ينزل الحرم أبداً، فأبت جرهم، فاقتتلوا ثلاثة أيام، ثم انهزمت جرهم، فلم ينفلت منهم إلا الشريد، واقام ثعلبة بمكة وما حولها بعساكره حولاً، فأصابتهم الحمَّى، وكانوا ببلدٍ لا يدرون فيه ما الحمَّى، فَدَعوا طريفة الكاهنة فَشَكوا إليها الذي أصابهم، فقالت: قد أصابني الذي تشكون[٣].

ثم ذكر الأزرقي سَجْعَها في أمر الدلالة على البلاد في هذا المحل، فهو غير سجع عمران بن عامر عند تفرقهم من سبأ[٤].

ثم ذكر لحوق كلِّ فرقة منهم ببلدها على النحو الذي قدَّمنا، وأن الأوس والخزرج ابني[٥] حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر - وهم الأنصار - نزلوا بالمدينة[٦].

ثم قال: وانخزعت خزاعة بمكة، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر وهو لُحَيٌّ، فَوَلِيَ أمرَ مكةَ[٧].

فهذا يقتضي أنهم إنما افترقوا من مكة، ولا شكَّ أنْ منها افترق الذين وصلوا إليها.

وقال ياقوت: إنهم لما ساروا من اليمن، عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق[٨] بن

---

(١) ر: والمراعي.
(٢) ص: ربقا.
(٣) أخبار مكة ١/ ٩٣ - ٩٤.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٩٤.
(٥) س،ر: ابنين.
(٦) أخبار مكة ١/ ٩٥
(٧) المصدر نفسه.
(٨) ص: الغطريف

ثعلبة البهلول بن مازن الزاد[1] بن الغوث[2] نحو الحجاز فأقام ما بين الثعلبية إلى ذي قار، وباسمه[3] سمِّيت الثعلبية، فنزلها بأهله وولده ومن تبعه، فأقام هناك يتبع مواقع القَطْر، فلما كَثُرَ ولده وقَوِيَ ركنه سار بهم نحو المدينة وبها يهود فاستوطنوها، فأقاموا بها بين قريظة والنضير وخيبر وتيماء ووادي القرى[4] ونزل أكثرهم بالمدينة[5].

---

(١) ر: بن مازن الراد، وفي جمهرة النسب لهشام ابن الكلبي، وعجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر الحازمي ٢٠: «مازن الزاد بن الأزد بن الغوث». وفي جمهرة النسب لابن الكلبي ٢/٣٦٣: «فولد الأزد مازناً وكان يُدعى الزاد».

(٢) في هذا النسب اختلاف عند الحازمي، انظر: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي ٢٠، ٤٠، ٥٤.

(٣) م٢: ذي قار فباسمه، ص: ذي قارف باسمه.

(٤) وادي القرى: هو واد كثير القرى بين المدينة والشام وهو العلا الحالية والحجر وما بقربهما.

(٥) معجم البلدان ٥/٣٦.

الفصل الثالث

في نسبهم

قد قدَّمنا انتسابهم إلى عمرو مُزَيقِيَاء، وانتساب عمرو إلى قحطان، وقال رزين، نقلاً عن الشرقي: أصل الأنصار؛ الأوس والخزرج وهما من ولد ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، وكأنه سقط من النسخة بعد الغوث: "بن نَبْت"، فإنه بين مالك والغوث، كما قدَّمنا.

وجماع قبائل اليمن تنتهي إلى قحطان، وقحطان أُخْتُلِفَ في نَسَبِهِ، فالأكثرون قالوا: إنه عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[١].

وقيل: هو من ولد هود[٢].

وقيل: هو هود نفسه.

وقيل: ابن أخيه.

ويقال: قحطان أول من تكلَّم بالعربية[٣]، وهو والد العرب المتعربة، وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة[٤].

---

(١) انظر: كتاب عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ٤٩.

(٢) في كتاب التيجان لابن هشام ٣٢٨: "يعرب بن قحطان بن هود النبي".

(٣) كتاب التيجان لابن هشام ٣٣٧.

(٤) فصَّل البكري القول في أنساب العرب في معجمه ١/١٧ ـ ٩٠.

وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطَسم وجَديس وعمليق وغيرهم[١].

وقيل: إن قحطان أول من قيل له: أبَيتَ اللَّعْن[٢]، وعِمْ صَبَاحاً.

وذهب الزبير بن بكّار إلى أنَّ قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام[٣]، وأنه قحطان بن الهَمَيْسَع بن تيم بن نَبْت بن إسماعيل عليه السلام؛ ويدل له تبويب البخاري: «باب نسبة اليمن إلى إسماعيل»[٤]، وأورد فيه الحديث المتضمن لمخاطبة النبي ﷺ بني أسْلَم بأنهم من بني إسماعيل.

وأسلم[٥] هو ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس، صاحب النسب المتقدم، فدَلَّ على أن اليمن بني قحطان من بني إسماعيل، وهو ظاهر قول أبي هريرة في الصحيحين في قصة هاجر «فتلك أُمُّكم يا بني ماء السماء»[٦] يخاطب الأنصار، لأنَّ جدَّهم عامراً والد عمرو كان يُلَقَّب بذلك، كما تقدم.

أو أراد أبو هريرة[٧] العرب كلَّهم، لكثرة ملازمتهم الفَلَوَات التي بها مواقع القَطْر، وهذا مُتَمَسَّكُ مَنْ ذهب إلى أنَّ جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام[٨].

قال ابن حِبَّان في صحيحه: كلُّ من كان من ولد إسماعيل يقال له: ماء السماء، لأنَّ إسماعيل ولد هاجر، وقد رُبِّيَ بماء زمزم، وهي من ماء السماء.

---

(١) في كتاب التيجان ٣٢٨ قول عبيد بن شرية: "فكنا نحن جرهم أهل البلد الحرام فنشأ إسماعيل فينا وتكلم بكلام العربية وتزوج منا، فجميع ولد إسماعيل من بنت مضاض الجرهمي وأبوه وإسماعيل منا وانتم يا قريش منا، والعرب بعضها من بعض".

(٢) في كتاب التيجان لابن هشام ٣٣٧: "يعرب وهو أول من تكلم بالعربية وأول من حيي بها".

(٣) السيرة النبوية ١/ ٤ ـ ٥.

(٤) فتح الباري ٦/ ٥٣٧.

(٥) عجالة المبتدي ١٥ وفتح الباري ٧/ ٥٣٩.

(٦) فتح الباري ٦/ ٣٨٨؛ ٩/ ١٢٦.

(٧) ص: رضي الله عنه.

(٨) السيرة النبوية ١/ ٥.

ورجَّح عياض: أنَّ مراد أبي هريرة: الأنصار خاصة، ونسبتهم إلى جدهم المعروف بماء السماء[1]، انتهى.

ودلالته على أنَّ قبائل اليمن كلها من ولد إسماعيل ظاهرة.

قال الحافظ ابن حجر: وهو الذي ترجَّح في نقدي[2].

وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبي حدرد: أنَّ النبي ﷺ: مَرَّ بناس من أسْلَم وخزاعة وهم يتناضلون[3]، فقال: «ارمُوا بني إسماعيل[4]؛ وأسلم وخزاعة قد تقدم نسبهما في قبائل اليمن التي جماع نسبتها قحطان»[5]. ومما يؤيد ذلك قولُ المنذر بن عمرو؛ جَدِّ حَسَّان بن ثابت الأنصاري:

ورِثْنا من البَهْلُول عمرو بن عامرٍ وحارثةَ الغطريف مَجْداً مُؤَثَّلا

مآثِرَ من آل ابن نَبْتِ بنِ مالك وَنَبْتِ بنِ إسماعيلَ ما إنْ تَحَوَّلا[6]

وأوَّلَ ذلك كلَّه المخالفون بتأويلات بعيدة، بل الذي أميلُ إليه أنَّ العرب كلَّهم من ولد إسماعيل[7] صلوات الله وسلامه عليه، وإن لم يتمَّ ذلك، فالعرب الذين لهم الشرف بالتقديم في الكفاءة وغيرها شرعاً هم بنو إسماعيل.

ويدلُّ له قولُ بعض أصحابنا في الإمامة: إذا لم يوجد قُرشي مستجمعٌ للشروط نُصِبَ كِنَانيٌّ، فأنْ لم يكن فرجلٌ من ولد إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه، فإنْ تَعَذَّر انتقلنا إلى العجم، ولم يقولوا: انتقلنا إلى بقية العرب، لكن في التتمة للمتولي[8]: فإن لم يوجَد رجلٌ من ولد إسماعيل عليه السلام يُولَّى

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨: "أن الاعتماد على ما قاله ابن إسحاق أولى".

(٢) في الأصول: نقدي، وفي فتح الباري ٦/ ٥٣٨: «نظري».

(٣) وفي الحديث: "ينتضلون"، فتح الباري ٦/ ٩١، ٤١٣، ٦/ ٥٣٧ وفي حديث آخر: "يتناضلون".

(٤) فتح الباري ٦/ ٩١، ٤١٣، ٥٣٧ والاستيعاب (حاشية الإصابة) ٣/ ٢٦٤ والطبقات للعصفري ٦٦ وأورد ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٢١٤ حديثين بهذا المعنى والمعجم الكبير للطبراني ٧/ ٣٢، ١٢/ ١٥٦ والتاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٢/ ٣١٠.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٥٣٩.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٥٣٩، وانظر: كتاب التيجان ٢٧٣.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٥: "ويقال إسماعيل أبو العرب كلها".

(٨) هو عبد الرحمن بن مأمون الشافعي المعروف بالمتولي مدرِّس النظامية ببغداد المتوفى ببغداد سنة =

جُرْهُميّ، وجرهم أصل العرب، فإن لم[1] يوجد فرجلٌ من ولد إسحاق عليه السلام، انتهى.

وهو مخالف لقول البغوي في التهذيب[2]: فإنْ لم يوجد من ولد إسماعيل فمن العجم؛ وأيضاً فالمتولي جعل جُرهُماً[3] متأخرين عن ولد إسماعيل، وجعل لهم فضلاً في الجملة على العجم، كما قدَّم بعض العجم على بعض، وإسماعيل أبو العرب الذين شرف نسبهم بمشاركة نسب أشرف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، وهو الأُسُّ في ذلك، وعربي اللسان لا عبرة به.

على أنَّ في مستدرك الحاكم من حديث ابن عبَّاس: «أول من نطق بالعربية إسماعيل»[4]، لكن في **الصحيح**: إنَّ إسماعيل تعلم العربية من جرهم الذين نزلوا مع أمه[5].

قال ابن إسحاق: وكان جرهم وأخوه قطورا ابنا قحطان أولَ من تكلم بالعربية عند تبلبل الألْسُن[6].

قلت: وهو جارٍ على رأي من يقول: إنَّ العرب كلها ليست من ولد إسماعيل[7].

= ٤٧٨هـ، مؤلف كتاب **تتمة الإبانة** لشيخه أبي القاسم الفوراني المروزي المتوفى سنة ٤٦١هـ، ومنها نسخ في برلين والمتحف البريطاني (بروكلمان: ملحق: ١/ ٦٦٩)، أنظر: **سير أعلام النبلاء** ١٨، ٥٨٥ مع مصادر ترجمته، وعن الفوراني، انظر: المصدر نفسه ١٨/ ٣٦٤ مع مصادر ترجمته.

(١) سقطت من ص.

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي المتوفى بمرو الروذ سنة ٥١٦ هـ، مؤلف **شرح السنّة** و**معالم التنزيل في التفسير** و**التهذيب في فروع الفقه الشافعي** وغيرها، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٩/ ٤٣٩ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ١/ ٣٦٣ وملحقه ١/ ٥٢٠ و**معجم المؤلفين** ٤/ ٦١ مع مصادر ترجمته.

(٣) س، ر، ص، م٢: جرهم.

(٤) **المستدرك** ٢/ ٥٥٣ وقال الذهبي في عبد العزيز بن عمران ـ راويه ـ: «واهٍ»، **تلخيص المستدرك** ٢/ ٥٥٣.

(٥) **فتح الباري** ٦/ ٣٩٧.

(٦) نقلاً من **فتح الباري** ٦/ ٤٠٣.

(٧) هذا قول ابن حجر في **فتح الباري** ٦/ ٤٠٣: "وهذا لا يوافق من قال إن العرب كلها من ولد إسماعيل".

وروى الزبير بن بكّار في النسب[١] من حديث عليٍّ بإسناد حسن، قال: أول من فَتَقَ الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل؛ فبهذا القَيْد يجمع بين الخبر المتقدم وبين ما في **الصحيح**، فيكون أوليته في ذلك بحسَب الزيادة في البيان، لا الأوليّة المطلقة، فيكون بعدَ تَعَلُّمِ أصلِ العربية من جُرهُم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة[٢].

فعلى تقدير تسليم إنَّ العرب كلهم ليسوا من ولد إسماعيل فالمستحق للشرف إنما هو عربية إسماعيل، فيمتاز بنوه بما تقدَّم.

وقال ابن دريد في **الوشاح**[٣]: أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان، ثم إسماعيل[٤].

ونقل ابن هشام عن الشرقي: أنَّ عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم[٥].

وكلُّه جارٍ على خلاف ما قدَّمنا من أنَّ العرب كلها من ولد إسماعيل[٦] والله أعلم.

وأمُّ الأنصار في قول الكلبي: قَيْلَة بنت عمرو بن جَفْنَة[٧].

وقال ابن حزم: هي بنت الأرقم بن عمرو بن جَفْنَة بن عمرو مُزَيْقياء[٨].

---

(١) الزبير بن بكار القرشي الأسدي الزبيري المتوفى بمكة المكرمة سنة ٢٥٦هـ، مؤلف كتاب **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، نشر الجزء الأول منه شيخنا العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى سنة ١٣٨١هـ بمطبعة المدني بالقاهرة.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٤٠٣.

(٣) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري المتوفى ببغداد سنة ٣٢١هـ، مؤلف **الجمهرة في اللغة** والمقصورة والوشاح بيد انه لم يصل إلينا بعد، انظر: بروكلمان: ١/ ١١١ و ملحقه ١/ ١٧٢ ومعجم المؤلفين ٩/ ١٨٩ مع مصادر ترجمته وسزكين ٩/ ٨٥ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٦.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٤٠٣.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٤٠٣، وفيه: "عن الشرقي بن قطامي"، وهو في كتاب التيجان ٣٢٨.

(٦) هذا معنى قول ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٤٠٣.

(٧) جمهرة النسب ٢/ ٣٧٠.

(٨) جمهرة أنساب العرب ٣٣٢.

ويقال: بنت كاهل بن عذرة من قُضَاعة، وقضاعة من حمير عند الأكثر، واشتهرت الأنصار ببني قيلة، ولهم يقول القائل:

بَهَالِيل من أولادِ قَيْلَةَ لم يَجِدْ   عليهم خليطٌ من مُخَالَطةٍ عَتْبَا
مَطَاعِيمُ في المقرى مطاعين في الوغى   يرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا[1]

وذكر رزين عن الشرقي، في عقب ما قدَّمناه عنه، من أنَّ الأنصار أصلهم الأوس والخزرج، وهما من ولد ثعلبة بن عمرو، فقال: فَوُلِدَ لثعلبة ابن عمرو بن حارثة الأوس والخزرج، وأمهما قَيْلَة، فولد الأوس مالكاً، ومن مالك قبائل الأوس كلها، فولد لمالك عمرو وعوف ومرة، ويقال لهم: أوس الله، وهم الجَعَادِرة[2]، سموا بذلك لقصر فيهم.

قلت: وسيأتي ما يُخالف هذا مع بيان قبائل الأوس المنتشرة من هؤلاء.

وروى الخرائطي[3]: أنه لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو الوفاةُ، اجتمع عليه قومه، فقالوا: قد حضر من أمر الله ما ترى، وقد كنَّا نأمرك في شبابك أن تتزوج فتأبى، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك، فقال: لن يهلك هالكٌ ترك مثلَ مالك؛ إنَّ الذي يُخرج النار من الزندة[4] قادر أنْ يجعل لمالك نسلاً ورجالاً بُسْلاً، وكلٌّ إلى موتٍ؛ ثم أقبل على مالك فقال: أي بُنَيَّ! المنيَّة ولا الدنيَّة، وذكر حِكَماً سَجَعَ بها، قال: ثم أنشأ يقول:

شَهِدْتُ السَبَايَا يومَ آلِ مُحَرِّقٍ   وأدركَ عُمْرِي صَيْحَةَ اللهِ في الحِجْرِ
فلم أرَ ذا مُلكٍ من الناسِ واحِداً   ولا سوقَةً إلاَّ إلى الموتِ والقَبْرِ

---

(١) النحب: النذر الذي يجب الوفاء به، والبيتان للنعمان بن بشير، السيرة النبوية ١/ ١٤٠.

(٢) فصَّل الكلبي القول في هذا النسب، وقال: "والجعادر سود قصار" ٢/ ٣٧٠.

(٣) هو أبو بكر، محمد بن جعفر الخرائطي السامريُّ المتوفى بيافا أو بعسقلان سنة ٣٢٧هـ، مؤلف مكارم الأخلاق واعتلال القلوب وغيرهما، انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٧ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ١/ ١٥٤ وملحقه ١/ ٢٥٠ و معجم المؤلفين ٩/ ١٥٤ مع مصادر ترجمته.

(٤) في الأصول: الرنية، الزنية، الرينة، الرينة، والظاهر انها مصحفة من الزندة كما جاءت في الخلاصة ١٦٤، والزند: العود الذي يقدح به النار، وهو الأعلى والسفلى زندة، تاج العروس ٢/ ٣٦٤ «زند».

فعَلَّ الذي أردى ثموداً[1] وجُرهُماً ... سَيُعْقِبُ ليْ نَسْلاً على آخرِ الدهرِ
تقـرَّبُهُـم مـن آلِ عمـرو بـن عـامـرٍ ... عيونٌ لدى الدَّاعي إلى طَـلَبِ الوترِ
فـإنْ تكُـنْ الأيـامُ أبْلَيـنَ جِـدَّتِـي ... وشَيَّبْنَ رأسي والمَشيب مَعَ العُمْرِ
فـإنَّ لَنَـا رَبَّـاً عَـلا[2] فـوقَ عَـرشِـهِ ... عليمـاً بمـا نـأتـي منَ الخَيْـرِ والشَّـرِّ
ألـمْ يَـأتِ قـومـي أنَّ للـه دَعْـوةً ... يَفُـوزُ بهـا أهْـلُ السعـادةِ والبِـرِّ
إذا بُعِـثَ المبعُـوثُ مـن آلِ غـالِـبِ ... بمَكَّـةَ فـي مـا بيـن زَمْـزَم والحِجْـرِ
هنـالـك فـابْغُـوا نَصْـرَهُ ببـلادِكُـمْ ... بني عامرٍ! إنَّ السعـادةَ في النَصْرِ

ثم قضى من ساعته.

وقال ابن حزم: إنَّ بني عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس كانوا كلَّهم بعُمان؛ لم يكن منهم بالمدينة أحدٌ، فليسوا من الأنصار[3].

قال الشرقي: وولد الخزرج بن حارثة أخو الأوس أيضاً خمس بنين، وتفرقوا بطوناً كثيرة.

قلت: وهم عمرو، وعوف، وجُشَم، وكعب، والحارث، وسيأتي بيان ما انتشر من قبائلهم.

وقال ابن حزم: إنَّ عقب السائب بن قطن بن عوف بن الخزرج لم يكن منهم أحدٌ بالمدينة، كانوا بعمان، فليسوا من الأنصار[4].

وذكر نحو ذلك في بعض بني الحارث بن الخزرج الأكبر[5]، كما سيأتي.

وذكر أيضاً أنَّ بعض بني جَفْنَة بن عمرو مزيقياء كانوا بالمدينة في عداد الأنصار[6]، والله أعلم.

---

(١) س، ر: ثمود.
(٢) ر: على.
(٣) جمهرة أنساب العرب ٣٤٣.
(٤) جمهرة أنساب العرب ٣٥٣.
(٥) المصدر نفسه ٣٦٣.
(٦) المصدر نفسه ٣٧٢.

الفصل الرابع

في تَمَكُّنهم بالمدينة، وظهورهم على يهود وما اتَّفق لهم مع تُبَّع

قال الشرقي: لما قدمت الأوس والخزرج المدينة، تفرقوا في عاليتها وسافلتها، ومنهم من نزل مع قوم من بني إسرائيل في قراهم، ومنهم من نزل وحْدَه لا مع بني إسرائيل ولا مع العرب الذين كانوا قد تألفوا إلى بني إسرائيل، وكانت الثروة في بني إسرائيل؛ كانوا نيِّفاً على عشرين قبيلة، ولهم قُرَىً أعَدُّوا بها الآطام، فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحواليهم.

وقال ابن زبالة عن مشيخةٍ من أهلِ المدينة، قالوا: أقامت الأوس والخزرج بالمدينة، ووجدوا الأموال والآطام والنخيل في أيدي اليهود، ووجدوا العدد والقوة معهم، فمكث الأوس والخزرج ما شاء الله، ثم إنهم سألوهم أنْ يَعْقِدُوا بينهم جِواراً وحِلْفَاً يأمَنُ به بعضُهم من بعض، ويمتنعون به ممن سِواهُم، فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً، وأمِرَتِ[1] الأوسُ والخزرج وصار لهم مال وعدد، فلما رأت قريظة والنَّضيرُ حالَهم خافوهم أنْ يَغْلِبوهم على دورهم وأموالهم، فتَنَمَّروا لهم حتى قطعوا الحِلفَ الذي كان بينهم، وكانت قريظة والنضير أعدَّ[2] وأكثر، وكان يقال لهما: الكاهنان، وبنو الصَّريح، وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم مُثْنِيـاً عليهم:

---

(١) أمِرَ وآمِرَ، بالمدّ: أي كثُرَ وأمِرَ هو: كثُر وبابه طَرِبَ، وأمَره: أي كَثَّره وبابه نصر.
(٢) أعدَّ: أكثر عدداً وعُدَّة.

كُنَّــا إذا رامَنَــا قــومٌ[1] بمظلمــةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ شدَّتْ لنا الكاهنان الخيل واعتَزَمُوا

نَسُـوا الـرهـونَ وآسَـونَـا بـأنفسهـم ‏ ‏ ‏ ‏ بنو الصَّريحِ فقـد عَفُّوا وقد كَرُمُوا[2]

فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم خائفين أنْ تُجْلِيهم يهودُ، حتى نَجَم منهم مالك بن العجلان؛ أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج وسَوَّده الحَيَّان: الأوس والخزرج، وكان الفِطْيَونُ ـ أي: بالفاء المكسورة، وقال ياقوت: الفيطون[3] ـ مَلِكَ اليهود بزهرة، وكانت لا تُهدى عروسٌ بيثرب من الحيين: الأوس والخزرج، حتى تدخل عليه فيكون هو الذي يفتضُّها قبل زوجها، فتزوجت أختُ مالك بن العجلان رجلاً من قومها، فبينا مالك في نادي قومه إذ خرجت أخته فُضُلاً[4]، فنظر إليها أهل المجلس، فشَقَّ ذلك على مالك، ودخل فعنَّفها وأنَّبها، فقالت: ما يُصْنَع بي غداً أعظم من ذلك؛ أُهْدَى إلى غير زوجي؛ فلمَّا أمسى مالك اشْتَمَلَ على السيف ودَخَلَ على الفِطْيَون متنكراً مع النساء، فلما خَفَّ مَنْ عنده عدا عليه فقتله وانصرف إلى دار قومه، ثم بعثَ هو وجماعة من قومه إلى من وقَعَ بالشام من قومهم يخبرونهم بحالهم ويَشْكُون إليهم غَلَبَة اليهود، وكان رسولهم الرَّمَق بن زيد ابن امرىء[5] القيس؛ أحد بني سالم بن عوف بن الخزرج، وكان قبيحاً دميماً شاعراً بليغاً، فمضى حتى قدم على أبي جُبَيلة أحد بني جُشَم بن الخزرج الذين ساروا من يثرب إلى الشام[6].

وقال بعضهم: كان أبو جُبَيْلَة من ولد جَفْنَة بن عمرو بن عامر قد أصاب مُلْكاً بالشام وشَرَفاً.

---

(1) ر: قوماً.

(2) وردت الأبيات بألفاظ مغايرة في الديوان ١٤٣ ـ ١٤٤، وانظر تعليق ناصر الدين الأسد على هذه الأبيات، والخبر بنصه في المغانم المطابة ص٧٢ وانظر: المسالك والممالك للبكري ١/ ٤١٥ ـ ٤١٦.

(3) معجم البلدان ٥/ ٨٥ وفي جمهرة النسب لابن الكلبي ٢/ ٣٦٩ "الفطيون".

(4) فضلاً: أي متبذِّلة أو كانت في ثوب واحد، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦، وفي ياقوت: "خرجت على مجلس قومها كاشفة عن ساقيها".

(5) س، ر: امر. وعن الرمق، انظر: الأغاني، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٢/ ١١٠ مع قصة أبي جبيلة مع مالك بن العجلان، وكتاب الاشتقاق لابن دريد ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(6) بالنص في المغانم المطابة ص٧٢ ـ ٧٣، وانظر: المسالك والممالك ١/ ٤١٦.

قلت: قد تَقدَّم أنَّ أبناء جفنة من غَسَّان، وكانوا بالشام ملوكاً[1].

ولما ذكر ابن حزم بني[2] جشم بن الخزرج، قال[3]: فَوَلَدُ جُشَم غضْب[4]، فولدُ غضب مالك، فولد مالك عبد حارثة، فولد عبد حارثة حبيب، فولد حبيب عبد الله، فولد عبد الله أبا جُبيلة الملك الغساني الذي جَلَبه مالك بن العَجْلان لقتل اليهود[5]، انتهى.

وفيه نظر! إذ ليس من بطون الخزرج غسَّاني، كما يؤخذ مما قدَّمنا عن ابن حزم أيضاً، والمشهور ما قَدَّمناه.

قالوا: فشكا إليه حالَهم وغَلَبة اليهود عليهم، وما يتخوفون منهم، وأنهم يخشون أنْ يُخرجُوهُم، وأنشده من شعره، فتعجَّب من شعره وبلاغته وقبحه ودمامته، وقال: عَسَلٌ طيِّبٌ في وعاءٍ خبيثٍ، فقال الرمق: أيها الملك! إنما يُحتَاجُ من الرجل إلى أصْغَرَيهِ: لسانِهِ وقَلْبِهِ، فقال: صدقت! وأقبلَ أبو جُبَيلة في جمع كثير لنُصرة الأوس والخزرج[6]؛ كذا قاله ابن زبالة.

وقد نقل رزين عن الشرقي ما يقتضي أن مالك بن العجلان هو الذي توجَّهَ بنفسه، وأنَّ ما ذُكِرَ من سيرة الفطيون في افتضاض الأبكار إنما كانت في غير الأوس والخزرج، وأنه أراد أنْ يسيرَ فيهم بذلك، فقتله مالك بن العجلان، فإنه قال: إنَّ الفطيون كان قـد شَرَطَ أنْ لا تدخل امرأةٌ على زوجها حتى تدخل عليه، فلما سكن الأوس والخزرج المدينةَ أرادَ أنْ يَسيرَ فيهم بتلك السيرة، فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من بني سليم، فأرسل الفِطْيَوْن رسولا في ذلك، وكان مالك أخوها غائباً، فخرجت تطلبه، فمرَّت بقوم أخوها فيهم، فنادته، فقال

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٧٢.

(٢) ر: بن.

(٣) المصدر نفسه ٣٣٦.

(٤) قال ابن الكلبي في جمهرة النسب ٢/ ١٠٠ "وفي الأنصار غَضْبُ بنُ جُشَم بن الخزرج".

(٥) جمهرة أنساب العرب ٣٥٦ وقد اسقط السمهردي أجزاء من نص ابن حزم.

(٦) بالنص في المغانم المطابة ص٧٣ وانظر: المسالك والممالك للبكري ١/ ٤١٦.

أخوها: لقد جئت بسُبَّة يا هنتاه! تناديني ولا تستحي؟[1] فقالت: الذي يُراد بي أكبر، فأخبرته فقال لها: أكْفِيكِ ذلك، فقالت: وكيف؟ فقال: أتَزَيَّاْ بزيِّ النساء وأدخل معك عليه بالسيف فأقتله، ففعل، ثم خرج حتى قدم الشام فنزل على أبي جُبيلة ـ وكان نزلها حين نزلوا هم المدينة ـ فجيَّش جيشاً عظيماً، وأقبل كأنه يُريدُ اليمن، واختفى معهم مالك بن العجلان، فجاء فنزل بذي حُرض[2] وأرسل إلى أهل المدينة من الأوس والخزرج فأتَوا إليه فوصَلَهم وأعطاهُم، ثم أرسل إلى بني إسرائيل ـ يعني اليهود ـ وقال: من أراد الحباء من الملك فليخرج إليه، وإنما فعلَ ذلك خِيفَةَ أنْ يتحصَّنوا في الحصون فلا يقدر عليهم، فخرج إليه أشرافُ بني إسرائيل كلهم، فأمر لهم بطَعَام حتى اجتمعوا، فقتلهم من عند آخرهم، فلما فعل ذلك صار الأوس والخزرج أعزَّ أهل المدينة، ففي ذلك يقول البَلَوي يمدح مالكاً في ما فعل:

فليشهدَنَّ بما أقولُ عصابَةٌ ... بَلَويَّةٌ وعِصَابَةٌ من سالمِ
هَلْ كانَ للفِطْيَوْنِ عُقْرُ نِسَائِكُمْ ... حُكْمُ النصيبِ وليسَ حُكم الحاكمِ
حتى حَبَاهُ مالكٌ عن عِرْسِه ... حَمْرَاءَ تَضْحَكُ عن نَجيعٍ قاتمِ[3]

ثم ذكر أبياتاً نسبها إلى أبي يزيد[4] بن سالم، أحدِ بني سالم بن عوف بن الخزرج، مدحَ بها أبا جُبيلة ونسبها ابنُ زبالة للرمق[5]، فإنه قال: إنَّ الأوس والخزرج قالوا لأبي جُبَيلة لمَّا قَدِمَ لنَصْرِهم: إنْ عَلِمَ القوم ما تريد تَحَصَّنوا في آطامهم فلم تقدر عليهم، ولكن ادْعُهم للقائك وتلَطَّفْهُم حتى يأمنوك ويطمئنوا[6]

---

(١) كذا في الأصول، ومثله في **الخلاصة** ١٦٦.
(٢) ذو حرض: وادٍ عند النقرة بينه وبين معدن النقرة خمسة أميال، **المغانم المطابة** ١٠٨ وقال السمهودي، في ما يأتي: حرض واد من وادي القناة، من المدينة على ميلين.
(٣) س، ر، ص: قايم.
(٤) ص: زيد.
(٥) ذكرها البكري في **المسالك والممالك** ٤١٦/١ وهذا يؤكد أن البكري ينقل من ابن زبالة مباشرة.
(٦) ص: ويطمئنون.

فتستمكن[١] منهم، فصنع لهم طعاماً وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم فلم يبق من وجوههم أحدٌ إلاَّ أتاه، وجعلَ الرجل منهم يأتي بحامَّته[٢] وحشمه رجاءَ أنْ يحبوهم؛ وكان قد بنى لهم حيزاً وجعل فيه قوماً فأمرهم أنْ يقتلوا من دخل عليهم منهم، ففعلوا، حتى أتوا[٣] على وجوههم ورؤسائهم فعزَّت الأوس والخزرج بالمدينة[٤]، واتخذوا الديار والأموال والآطام، فقال الرمق يُثني على أبي جُبَيلة[٥]:

لم تقضِ دينك من الحسان وقد غنيت وقد غنينا[٦]

ورواية رزين[٧]:

قَضَّيْتَ هَمَّكَ في الحسان فقد غنيت وقد غنينا

الـراشقـات المـرشقـات الجـازيـات بمـا جـزينـا

أمثـال غـزلان الصـرائـم يـأتـزرنَ ويـرتَـدينـا

الرَّيْـطَ والدِّيبَاجَ والحَليَ المُفَصَّـل والبُرينا[٨]

وأبـو جُبيلـة خيرُ مـن يمشـي وأوفـاهـم يمينـا[٩]

وأبَـرَّهُـم بـرَّاً وأعلمهـم بَهْـدي الصـالحينـا[١٠]

---

(١) ر: فتمسكن.

(٢) حامة الرجل: خاصته من أهله وولده.

(٣) س، ر: أتى.

(٤) **المسالك والممالك** للبكري ١/٤١٧.

(٥) **المغانم المطابة** ٧٣.

(٦) هذه رواية **الأغاني** ٢٢/١١٢ وفي ياقوت ٥/٨٥ و**المغانم المطابة** ص٧٤: «لم تقض دينك مل حسان» وهي أصوب، وبها يستقيم الوزن.

(٧) «ورواية رزين»: سقطت من م٢.

(٨) البرين: جمع بُرة ـ بضم الباء وفتح الراء ـ الحلقة من سوار أو خلخال أو قرط. وفي **الأغاني**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٧٨، ٢٢/١١٠: "الربط والديباج والزرد المضاعف والبرينا".

(٩) في الأصول: وأوفاه، والتصويب من **الأغاني**.

(١٠) في **الأغاني**: وأبره براً واعلمه بعلم الصالحينا، وفي نسخ منه: بفعل، وفي **المغانم**: وأبره براً واشبهه بفعل.

القائد الخيل الصوانع[1] بالكُماة المُعْلَمِينَا[2]

أبقتْ لنا الأيام والحَربُ المُلِمَّةُ تَعْتَرِينَا[3]

كَبشاً له دَرءٌ يَفِلُّ مُتُونها الذَكَرَ السمينا[4]

وَمَعاقلاً شُمّاً وأسيافاً يَقُمنَ ويَنْحَنِينَا

ومحلةَ زوراءَ تَجْحف بالرجال الظالمينا[5]

وفي بعض الروايات: أنَّ مالكَ بنَ العَجلان لما قتل الفِطْيَونَ، قصد اليمن إلى تُبَّع الأصغر، فشكا إليه ما كان الفطيون يسير فيهم، فعاهد أن لا يقرب امرأة ولا يَمَسَّ طيباً ولا يشرب خمراً حتى يسير إلى المدينة ويُذِلَّ من بها من اليهود، ففعل ذلك.

وذكر ابن قتيبة في **معارفه** تَبَّعَ بن حسَّان، قال: وهو تبع الأصغر آخر التبابعة، وذكر أنه صار إلى الشام وملوكها غسان فاطاعته، قال: وصار إلى ابن أخيه الحارث، وهو بالمُشَقَّر[6] من ناحية هَجَر، فأتاه قومٌ كانوا وقعوا إلى يثرب ممن خرج مع[7] عمرو مزيقياء وحالفوا اليهود بيثرب ـ أي: وهم الأنصار ـ فَشَكوا اليهود، وذكروا سوء مجاورتهم ونَقْضَهم الشرط الذي شرطوه عند نزولهم، ومَتُّوا إليه بالرحم، فأحفظه ذلك، فصار إلى يثرب ونزل في سَفْحِ أُحُد، وبعث إلى اليهود، فقتل منهم ثلاث مئة وخمسين رجلاً صَبْرَاً، وأراد خَرابَها، فقام إليه رجلٌ

---

(١) س: الصوامع، ر: الصوابع، م١: الصوايغ، ولعلها: السوابغ أو السوابح أو السوابق.

(٢) لم يرد هذا البيت عند ياقوت ولا عند أبي الفرج الأصفهاني في **الأغاني** ٢٢/ ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) في **الأغاني**: المهمة.

(٤) في م١: "كبشاً له ذرء، وعند ياقوت: درّ؛ وفي **الأغاني**: كبشاً له ذكراً يُفل حسامه الذكر السمينا.

(٥) **الأغاني** ٢٢/ ١١١ ـ ١١٢ وفيه: "ترجف بالرجال المصلتينا"، وورد البيت الخامس فقط عند ابن الكلبي في نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٩١، وهذه الأبيات وما بعدها وشعر مالك بن العجلان وسارة القرظية رواها ياقوت بالفاظ مختلفة في **معجم البلدان** ٥/ ٨٥ ـ ٨٦.

(٦) ر، س، ص: بالمستقر، وهو تصحيف المشقر: حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصناً لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر، **معجم البلدان** ٥/ ١٣٤.

(٧) سقطت من ر.

من اليهود ـ قد أتت عليه مئتان وخمسون سنة[١] ـ فقال: أيها الملك، مثلك لا يقتل على الغضب، وأمرك أعظم من أن يطير بك نزقٌ أو يسرع بك لجاجٌ، وإنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية، قال: ولِمَ؟ قال: لأنها مُهَاجَر نبي من ولد إسماعيل يخرج من عند هذه البَنِيَّةِ ـ يعني: البيتَ الحرام ـ فَكَفَّ تبع[٢] ومضى ومعه هذا اليهودي ورجل آخر من اليهود عالم: وهما الحبران، فأتى مكة، وكسا[٣] البيت ثم رجع إلى اليمن ومعه الحَبران وقد دانَ بدينهما وآمن بموسى[٤] ﷺ، انتهى.

فلعل مالك بن العَجلان كان قد توجه إلى جهة ملك غَسَّان وبها تبَّع المذكور فوقع من كلٍّ منهما نصرةٌ، فأضافه قومٌ إلى تبَّع، وقومٌ إلى أبي جُبَيلة الغساني.

قالوا: ولعنت اليهودُ مالكَ بن العَجْلان في كنائسهم وبيوت عباداتهم، فبلغه ذلك، فقال:

تَحــابــي اليهــودُ بتَلْعَــانِهــا   تَحَـابِـي الحَميرِ بـأبـوالِهـا[٥]
ومــاذا علــيَّ بــأنْ يلعنــوا   وتـأتـي المنـايـا بـإذلالهـا[٦]

وقالت سارة القرظيـة ترثي من قُتلَ من قومها:

بــأهلـي رِمَّــةٌ لـم تُغْـنِ شيئـا   بــذي حُـرُض تَعفِّيهـا الـريـاحُ

---

(١) كذا في الاصول، ومثله في **الخلاصة** ١٦٧، **والروض الأنف** ١/ ١٦٢ نقلاً من ابن قتيبة، وفي **كتاب التيجان** ٤٦٤: "مئتان وستون" وهذا من مبالغات القُصَّاص التي نجد منها الكثير في **كتاب التيجان**.

(٢) ورد خبر شبيه به في **كتاب التيجان** ٤٦٣ ـ ٣٦٤.

(٣) س، ر: وكسي.

(٤) **المعارف** ٦٣٤ ـ ٦٣٥ وانظر: **كتاب التيجان** ٤٩٣ وأورد الفاسي خبر تبع عن الفاكهي والأزرقي وابن قتيبة وابن إسحاق في **شفاء الغرام** ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨ مع قصة الهذليين، وانظر: **الروض الأنف** ١٦٢/٦ وما بعدها، وذكر ابن ظهيرة في **الجامع اللطيف** ٣٤ ـ ٣٦ قصة تبع نقلاً من **كتاب الإعلام** للقرطبي.

(٥) التلعان: هو اللعن.

(٦) في الأصول: تحامي... تحامي، وفي الحديث: «إنَّ حابياً خيرٌ من زاهق»، وقال ابن الأثير في **النهاية في غريب الحديث** ١/ ٣٣٦: «الحَابي من السهام: هو الذي يقع دون الهدف ثم يزحف إليه على الأرض»، وانظر: **الأغاني** ٢٢/ ١١٤ ـ ١١٥ **والمغانم المطابة** ص٩١ وفيه: "تحايا اليهود... تحايا الحمير".

كهـولٌ مِـنْ قُـرَيظَـةَ أتْلَفَتْهُـم ... سيـوفُ الخَـزْرَجيِّـةِ والـرِمَـاحُ

ولـو أذنـوا بـأمـرهـمُ لَحَـالـتْ ... هُنَالِكَ دُونَهـم حَـربٌ رَدَاحُ[1]

قال أهل السير: ثم انصرف أبو جُبَيلة راجعاً إلى الشام وقد ذَلَّلَ الحجاز والمدينة ومَهَّدهَا للأوس والخزرج.

ونقل المجد عن ياقوت: أنَّ تُبَّعاً كان بالمدينة، فإنه قال: وعكس ياقوت قصة افتضاض الأبكار، فجعل أنها كانت باليمامة، وأنَّ أهل المدينة مع تُبَّع هم الذين أزالوا هذه الفضيحة من اليمامة، ثم أورد كلامَ ياقوت، وليس مضمونه ما ذكره، بل مضمونه: إنَّ مَنْ كان يُفْعَلُ فيهم هذه الفضيحة باليمامة احتالوا في دفعها وقتلوا من كان يفعل بهم ذلك وغلبوا عليهم، فهرب منهم شخص ولحق بتبع فَنَصره تبع مع أهل المدينة[2].

وهو خبر ممتع، فلنورده تَبَعَاً للمجد[3].

قال ياقوت[4]: إنَّ طَسْماً وجَدِيسَاً من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام أقاموا باليمامة وكثروا بها، حتى مَلَّكوا عليهم عمليق الطَّسمي ـ وكان جباراً غشوماً ـ وكان قد قضى بقضاء جائر بين امرأةٍ وزوجها من جديس، فأنشدت المرأة أبياتاً بلغته، فأمرَ إن لا تُزَوَّجَ بكر من جديس حتى تدخل عليه فيكون هو الذي يفترعها، ولقوا منه ذلاً، حتى زوجت منهم أخت الأسود بن غفار[5] سيد جديس، وكان جَلْداً، فلما كانت ليلة الإهداء خرجت والقِيَانُ حولها لتُحْمَلَ إلى عمليق وهُنَّ يضربنَ بمعازفهنَّ، ويَقُلْنَ:

ابْدَيْ بعمليق وقُومي فاركَبي ... وبَـادِري الصبـحَ بـأمـرٍ معجبِ

---

(١) الأغاني ٢٢/ ١١٢ والمغانم المطابة ص٩١، وحرب رداح: الثقيلة المظلمة، النهاية ٢/ ٢١٣.

(٢) انظر ما أورده ابن قتيبة في المعارف ٦٣٢ ـ ٦٣٣ من قصة طسم وجديس.

(٣) المغانم المطابة ص٩١ وما بعدها.

(٤) معجم البلدان ٥/ ٤٤٢ ـ ٤٧٧ وقد اختصر المسمهودي ما جاء في المغانم المطابة ٩١ ـ ٩٦، ووردت في تاج العروس ٤/ ٦١.

(٥) س: عفار.

فسوف تَلْقَيْنَ الذي لم تطلبي   وما لِبِكْرٍ دونه من مهربِ

ثم أُدخِلَتْ على عمليق فافترعها، وقيل: كانتْ أيدَة، فامتنعت عليه، فخاف العار فَوَجَأها[1] بحديدة في قُبُلِها فأدماها، فخرجت وقد تقاصرت إليها نفسها فشقَّتْ ثوبها من خلفها ودماؤها تسيل، فمرَّتْ بأخيها في جمع من قومه وهي تبكي وتقول:

لا أحدٌ أذَلَّ من جديسِ   أهكذا يُفْعَلُ بالعروس

في أبيات.

فأغضبَ ذلك أخاها، وَوَقَفَها على نادي قومه وهي تقول:

أَيَجْمُلُ أنْ يؤتى إلى فَتَياتكم   وأنتم رجالٌ فيكم عدد الرملِ

أيجملُ تمشي في الدماء فتاتكم   صبيحةَ زُفَّتْ في العشاء إلى بعلِ

فإن أنتمُ لم تَغْضَبوا بعد هذه   فكونوا نساءً لا تغبُّ من الكُحلِ

فدونكُمُ ثوبَ العروس فإنما   خُلِقْتُمْ لأثوابِ العَرُوس وللغسلِ

فلو أننا كنَّا رجالاً وكنتمُ   نساءً لكنَّا لا نَقِرُّ على الذلِّ

فَمُوتوا كِراماً أو أميتوا عدوكم   وكونوا كنار شُبَّ بالحطب الجزل

وإلاَّ فَخَلّوا بَطْنَها وتَحَمَّلوا   إلى بلدٍ قَفْرٍ وهزلٍ من الهزل

فللموت خيرٌ من مقام على أذى   وللفقر خير من مقام على ثكلِ

فدبّوا إليه بالصَّوارمِ والقَنا   وكلِّ حسام مُحْدث العهد بالصقلِ

ولا تجزعوا للحرب قومي فإنما   يقومُ رجال للرجال على رجلِ

فيهلك فينا كلُّ وغلٍ مواكلٍ   ويسلم فينا ذو الجلادة والفضلِ

فامتلأت جديس غيظاً، ونكسوا رؤوسهم حياءً، وتشاوروا في الأمر، فقال الأسود: أطيعوني فإنه عِزُّ الدهر، وقد رأيتُ أنْ أصنَعَ للملك طعاماً ثم أدعُوَه وقومَه، فإذا جاؤنا قتلت الملك، وقام كلٌّ منكم إلى رئيس منهم فقتله فلا يبقى

---

(١) وجأ: وخز وضرب ورضّ.

للباقين قوة، فَنَهَتْهُم أختُ الأسود عن الغدر، وقالت: ناجزوهم، فلعل الله أن ينصرَكم عليهم لظلمهم، فَعَصَوها فقالت:

لا تَغْـدُرُنَّ فـإنَّ الغَـدْرَ مَنْقَصـةٌ — وكلُّ عيبٍ يُرى عَيْباً وإنْ صَغُرا

إني أخافُ عليكم مثلَ تلك غداً — وفـي الأمور تدابيرٌ لمن نظرا

حُشُّوا سعيراً لهم فيها مناجزة[1] — فكلكم باسلٌ أرجو له الظفرا[2]

فأجابها أخوها:

شتَّـانَ بـاغٍ علينـا غيـرَ مُتَّئـدٍ — يغشى الظلامةَ لا يُبقِي ولنْ يَـذِرا

إنّـا لَعَمـركِ لا نُبْـدي مُنَـاجَـزَةً[3] — نخافُ منها صُرُوف الدهر من ظفرا

إني زعيمٌ بطَسْمٍ حين تحضرنا — عند الطعام بضرب يهتك الفِقَرا[4]

وصنع الأسود الطعام، ودفن كلٌّ منهم سيفه تحته في الرمل مُجَرَّداً، فلما جلس الملك وقومه للأكل، وثَبَتْ عليهم جديس حتى أبادوهم، ثم قتلوا باقيهم فهرب رجلٌ من طَسْم حتى لَحِقَ بتُبَّع تبان أسعد بن كليكرب، وقيل: بحَسَّان بن تُبَّع الحميري ـ وكان بالمدينة ـ فاستغاثه، وذكر أبياتاً فيها غدرُ جديس بهم، فوعده بنصره، ثم رأى منه تباطؤاً[5]، فقال:

إني طَلَبْتُ لأَوْتَاري ومَظْلَمَتي — يآلَ حَسَّـان آلَ العِـزِّ والكَرَمِ

المنعمين إذا ما نعمـةٌ ذُكِرَتْ — والواصلين بلا قُرْبَى ولا رَحِمِ

في أبيات أخرى[6]، فسار تُبَّع من المدينة في جيوشه، حتى كان عند جبل على ليلة من اليمامة، قال له الطسمي: توقَّفْ أيها الملك، فإنَّ لي[7] أختاً

---

(١) ص: مناهذة.

(٢) س: حبشوا صعيرا، ص: جيشوا، «يقال: جششتُ النار أحُشُّها إذا ألهبتها وأضرمتها» **النهاية في غريب الحديث** ١/ ٣٨٩، وفي **المغانم المطابة** ص٩٣: «حشوا سعيرا لهم فيها مناهزة».

(٣) في **المغانم المطابة** ص٩٣: «مناهزة» وفي ص: «مناهدة».

(٤) في المصدر نفسه: «القصرا».

(٥) س، ر، ص: تباطيا.

(٦) ذكرها ياقوت في **معجم البلدان** والفيروزابادي في **المغانم المطابة** ص٩٤ كاملةً.

(٧) سقطت من م٢.

متزوجة[1] في جديس يقال لها: يمامة، أبصر خلق الله على بعدٍ، وإني أخاف أنْ ترانا فَتُنْذرهم بنا، فأقام تبع، وأمر رجلاً فصعد الجبل ليرى ما هناك، فدخلت في رِجْلِهِ شوكة بالجبل، فأكبَّ يستخرجها، فأبصرته اليمامة وكانت زرقاء العين، فقالت لهم: إني أرى على الجبل الفلاني رجلاً، وما أظنه إلاَّ عيناً، فقالوا: ما يصنع؟ فقالت: إما يَخْصِفُ نعلاً أو يَنهَشُ كَتِفاً[2]، فكذَّبوها.

ثم قال الطسمي لتبع: إنَّ بصرها بالليل أنفذ، فَمُر أصحابك ليقطعوا من الشجر أغصانا ليستتروا بها فيشبِّهوا[3] عليها الأمر، ففعلوا، حتى إذا دَنَوْا من اليمامة ليلاً، فنظرت اليمامة فقالت: يا آل جديس! سارت إليكم الشجرأو جاءتكم أوائل خيل حِمْـيَر، فكذبوها، فَصَبَّحتهم حمير، فهرب الأسود في نفر من قومه لجبلي طيَّءٍ وفتح أهلُ المدينة حصونَ اليمامة، وامتنع عليهم حصن زرقاء اليمامة، فصابره تبع حتى افتتحه، وقَبَض عليها، وسألها: كيف أبصرتِهم؟ فأخبرته بخبر الذي صعد الجبل، فسأله تبع، فقال: صعدت فانقطع شِرَاكُ نَعلي وأصابتني شوكةٌ، فعالجت إصلاحها وإصلاح قِبَالي[4] بفمي، فقال لها: أنَّى لك هذا؟ قالت: كنت آخذ حَجَراً أسود فأدقّهُ وأكتحل به فكان يُقوّي بصري، فيقال: إنها أول من اكتحل بالإثمد، فأمر تبع بقَلْعِ عينيها ليرى ما فيهما، فوجد عروقها كلها محشوَّةً بالإثمد، وخربت اليمامة يومئذٍ، لأنَّ تُبَّعاً قتل أهلها، ولم يخلف بها أحداً، ورجع إلى المدينة[5].

هذا ما ذكره المجد عن ياقوت باختصار، وليس فيه عكس القضية، فيجوز أنْ يقع بكلٍّ من اليمامة والمدينة مثل هذا، والظاهر أنَّ قصة اليمامة كانت بعد قصة المدينة.

---

(١) ص: تزوجت.

(٢) في تاريخ الطبري ١/ ٧٧٢: "معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها".

(٣) شبَّه عليه الأمر: ألبسه عليه ولم يتثبت منه.

(٤) القِبال: زمام النعل، وهو الذي يكون بين الإصبعين، **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ٨.

(٥) **المغانم المطابة** ص ٩١ ـ ٩٦، وورد خبر طسم وجديس وما به من أشعار بالفاظ مختلفة في كتاب التيجان ٣٠٨ ـ ٣٠٩؛ ٤٩٥ ـ ٥٠٠ مع تكملة الخبر من كتاب الكامل لابن الأثير، وأوردها الطبري في تاريخه ١/ ٧٧١ ـ ٧٧٣ باختصار.

ونقلَ رزين عن الشرقي: أنَّ أبا جُبَيلة لما فرغ من نُصرةِ أهل المدينة رجع إلى الشام، فأقبل تُبَّع الأخير ـ وهو كرب بن حَسَّان بن أسعد الحميري[1]، والتبابعة كلهم من حمير ـ يريد المشرق، كما كانت التبابعة تفعل، فَمَرَّ بالمدينة، فخلَّفَ فيها ابناً له ومضى حتى قدم الشام، ثم سار حتى قدم العراق، فلما كان بالعراق قُتِلَ ابنُـهُ بالمدينة غِيلةً[2]، فأقبل راجعاً يريد تخريب المدينة، فنزل بسفح أُحُدٍ فاحتفر بئراً ثم أرسل إلى أشراف المدينة فلما جاءهم الرسول قال بعضهم: إنما أراد أن يُمَلِّكَنا على قومنا، وقال أحيحة: والله ما دعاكم لخيرٍ ـ وكان لأحيحة رَئِيٌّ من الجن ـ فخرجوا وخرج أحيحة معه بقَيْنَـةٍ وخمرٍ وخباء، فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر، ثم دخل على تُبَّع أولَ الناس، فتحدَّثَ معه، ففطن بالشر، ثم قال: إنَّ أصحابي يَصِلُونَك إلى الظهر، فاستأذن في الخروج إلى الخيمة، فأذن له فشرب وجعلت القينة تُغَنِّيه بأبيات صَنَعَها لها تقول:

لتَبْكِـي قَيْنَـةٌ ومِـزْهِـرُهَـا   وتَبكـي قَهْـوَةٌ وشـارِبُهَـا

وتَبْكـي عُصْبَـةٌ إذا اجتمعـتْ   لا يَعْلَـمُ النـاسُ مـا عـواقِبُهـا

وهو يُقلُّ من الشراب، وجاء أصحابه قريباً من الليل، فأمر لهم تُبَّعٌ بضيافة، فلما كان في جوف الليل أرسل إليهم ليقتلهم، ففطن أحيحة، فقال للقينة: أنا سائر إلى أهلي، فإذا طلبني الملك فقولي: هو نائم، فإذا[3] ألحُّوا فقولي[4]: يقول لك: أما أحيحة فقد ذهب فاغْدِرْ بقينته أو دَعْ، وأنطلق فتحصن في حصنه، فحاصروه ثلاثاً؛ يقاتلهم بالنهار، وإذا كان بالليل يرمي إليهم بتمر ويقول: هذا ضيافتكم، فأخبروا تبعاً، أنه في حصن حصين، فأمرهم أنْ يُحرقوا نخلَه، واشتعلت الحربُ بين تُبَّع وأهل المدينة من اليهود والأوس والخزرج، وتحصَّنوا

---

(١) في السيرة النبوية ١/١٢وكتاب التيجان ٣٠٥: "تبان أسعد أبو كرب الذي قدم المدينة وساق الحبرين".

(٢) غيلة: غدراً، وأورد ابن هشام هذا الخبر بالفاظ مغايرة في السيرة ١/١٢وكتاب التيجان ٤٦١وما بعدها.

(٣) خ: فإن.

(٤) العبارة: "هو نائم... فقولي" سقطت من ت.

في الآطام، فخرج رجلٌ من أصحاب تُبّع حتى جاء بني عَدِيّ بن النجار، فدخل لهم حديقةً، فرقى على عذق منها فأخذ يَجدّهُ[1]، فنزل إليه صاحب العذق فقتله وجَرَّه إلى بئر وألقاه فيها، وهو يقول:

جَـدَدَتَ جنـا نخلتـي ظـالمـاً[2] وكـان الجـداد لمـن قـد أبَـرْ[3]

فزاد ذلك تُبَّعاً حَنَقـاً، وجَرَّدَ إلى بني النجار خيلاً، فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم يومئذ عمرو بن طلحة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار، ورمى عسكر تبع حصون الأنصار بالنبل، فلقد جاء الإسلامُ والنبلُ فيها، وجُدِعَ[4] في القتال فرسُ تُبّع فحَلَف: لا يبرح حتى يُخَرِّبها ـ بزعمه ـ فسمع بذلك أحبارٌ من يهود فنزلوا إليه وقالوا: أيها الملك إنَّ هذه البلدة محفوظة، فإنَّا نجدُ اسمها في الكتاب طيبة، وإنها مُهَاجَر نبي من بني إسماعيل من الحرم، وهي تكون قراره فلن تُسلَّط عليها، فأعجب تبع بقولهم، فصرف تبع نيَّتـه عنها[5]، وأمر أهلَ المدينة فتبايعوا مع العسكر[6]، وكان تبع قـد استوبأ[7] بئره التي حَفَر، فمَرِضَ، فجاءته امرأة من بني زريق ـ اسمها: فكهة[8] ـ براوية[9] من بئر رُومةَ فأعجبه فاستلذه[10]، فلما كان

---

(١) جدَّ الشيء: قطعه وبابه ردَّ.

(٢) في الأصول ورد صدر البيت: "جاءنا يجد نخيلنا"، والتصويب من المغانم المطابة ص٧٤ ونسبه لمالك بن العجلان في قصة مغايرة ذكرها ابن قتيبة وأنكر السهيلي وقوعها لمالك بن العجلان مع تبع «لبعد عهد تبع من مدة مالك بن العجلان»، الروض الأنف ١/ ١٦١.

(٣) أبَرَ النخل يأبره: لقحه، وأبرت النخلة وأبَّرتها، النهاية في غريب الحديث ١/ ١٣، ومنه قول الشاعر:

"أن يأبروا نخلاً لغيرهُمُ والشيء تحقره وقد ينمي".

(٤) س، ر، خ، ت: جزع؛ م١، م٢، ص: جذع. وجُدع انف الفرس: إذا قُطع، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤٦.

(٥) وردت هذه الأخبار في السيرة النبوية باختصار ابن هشام ١/ ١٢ ـ ١٤ وفي كتاب التيجان ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٦) تحقيق النصرة للمراغي ١٨٤.

(٧) س، ر: استرباء. واستوبأ بئره: وجد ماءها آجناً غير مريء أو وبيئاً.

(٨) في الدرة الثمينة ٢/ ٣٤٤ "فكيهة".

(٩) الراوية: البعير أو البغل أو الحمار الذي يُستقى عليه أو هي الزق والعامة تسمي المزادة راوية.

(١٠) ورد الخبر عند ابن النجار (الدرة الثمينة ٢/ ٣٤٤) باختلاف يسير.

رحيله قال لها: يا فكهة! ما نترك في موضعنا من شيء إذا رحلنا فهو لك، فأخذت ذلك، فاستغنت[1] منه، وخرج[2] تبع يريد اليمن ومعه من الأحبار الذين نَهَوه عن خراب المدينة رجلان أو ثلاثة، فقال لهم: تسيرون معي أياماً آنَسُ بحديثِكم فكانوا يحدِّثونه عن الكتاب وعن قصة النبي ﷺ فلم يتركهم حتى وصلوا معه إلى اليمن، فهم كانوا أول يهودي دخل اليمن، واتفق في مسيره قصة إكسائه الكعبة[3].

وقد قدمنا في بعض الروايات أنَّ مالك بن العجلان لما قتل ملكَ اليهود قصد اليمن إلى تبع الأصغر، وإنه الذي نصرهم على يهود، ولعل هذا مراد ياقوت لقوله: "إنَّ يهود كانوا أهل المدينة حتى أتاهم تُبَّع فأنزل معهم بني عمرو بن عوف"[4]، لكن نقل المجد وغيره عن المبتدأ لابن إسحاق أنه قال في بيت أبي أيوب الذي نزله النبي ﷺ مَقْدَمَه المدينة: إن تُبَّعاً الأول بناه لما مرَّ بالمدينة[5].

قال في المبتدأ: واسمه تِبَان أسعد بن كُليكَرِب[6]، وكان معه أربع مئة عالم، فتعاقدوا على أن لا يخرجوا منها، فسألهم تبع عن سِرِّ ذلك، فقالوا: إنا نجد في كتبنا أنَّ نبياً اسمه محمد هذه دار مُهَاجره، فنحن نقيم لعلَّ أن نلقاه فأراد تبع الإقامة معهم، ثم بَنَى لكلِّ واحدٍ من أولئك داراً واشترى له جاريةً وزوجها منه وأعطاه مالاً جزيلاً، وكتب كتاباً فيه إسلامه، ومنه:

شهدتُ على أحمد أنه رسولٌ من الله باري النَّسَمْ

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٦٢.

(٢) خ: ورجع.

(٣) انظر ما أورده ابن إسحاق عن تبع في السيرة النبوية ١/ ١٢ ـ ١٨.

(٤) معجم البلدان ٥/ ٨٤، وانظر: كتاب التيجان ٤٦٣ ـ ٤٦٦.

(٥) لم يرد هذا النص في السيرة ولا في كتاب التيجان ولكنه ورد في المغانم المطابة ص٨٥ عن ابن إسحاق.

(٦) في السيرة النبوية ١٢: "وتبان أسعد هو تُبَّع الآخر بن كليكرب بن زيد" ولم ترد بقية الخبر، وفي المغانم المطابة ص٨٥: «وقال صاحب المبتدأ: اسم الذي بنى بيت أبي أيوب للنبي ﷺ تبان أسعد أبو كلكيكرب وهو من التبابعة»، وفي ٣٦٧ ـ ٣٦٨ من المطبوعة: «ونقل ابن إسحاق في كتابه المبتدأ أنَّ هذا البيت بناه تبان أسعد من التبابعة للنبي ﷺ، وكان يكنى: أبو كلكيكرب».

فلــو مُـدَّ عمـري إلـى عمـره لكنـتُ وزيـراً لـه وابـنَ عَـمّ[1]

وختمه بالذهب ودفعه إلى كبيرهم، وسأله أنْ يدفعه إلى النبي ﷺ إنْ أدركه وإلاَّ فمن أدركه من ولده أو ولد ولده، وبَنَى للنبي ﷺ داراً لينزلها إذا قَدِمَ المدينة، فتداولَ الدارَ الملاَّكُ إلى أنْ صارت لأبي أيوب ، وهو من ولد ذلك العالم، وأهل المدينة الذين نصروه كلهم من أولاد أولئك العلماء[2]، انتهى.

زاد غير المجد: ويقال إنَّ الكتاب الذي فيه الشعر كان عند أبي أيوب حين نزل عليه النبي ﷺ، فدفعه له، وهو غريب.

وكتب التواريخ متظاهرة على ما قَدَّمناه في أمر الأنصار ونسبهم.

وقد ذكر السُهيلي إيمان تُبَّع بالنبي ﷺ، وذكر البيتين وروى حديثَ: «لا تَسُبُّوا تُبَّعـاً فإنه كان مؤمناً»[3].

وروى عبد الرزاق عن وَهْب بن منبه، قال: «نهى النبي ﷺ عن سَبِّ أسعد، وهو تُبَّع؛ قال وهب: وكان على دين إبراهيم».

وروى أحمد من حديث سَهْل بن سعد رفعه: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم»[4].

وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس مثله، وإسناده أصلح من إسناد سهل[5].

---

(١) كتاب التيجان ٣٠٨ ووردت ضمن ٢٤ بيتاً ٤٦٨ ـ ٤٦٩ وفي البداية والنهاية ١٦٦/٢ عن السهيلي.

(٢) لم يرد هذا الخبر في السيرة النبوية ، ولا في كتاب التيجان وورد بنصه في المغانم المطابة ص٨٥.

(٣) الروض الأنف ١٦٤/١وذكر ثلاثة أبيات ١٦٣/١.

(٤) مسند أحمد ٤٢٤/٥ ، والفردوس بمأثور الخطاب ١٣/٥ ومجمع الزوائد ٧٦/٨ وروى الذهبي عن الواقدي في سير أعلام النبلاء ٤٦٩/٩ قال: "نهى رسولُ الله ﷺ عن سبِّ أسعد الحميري، قال: هو أولُ من كسا البيت" ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ١١٦/٢ وقال أنه ذكره في التفسير وذكره الزركشي في إعلام الساجد بأحكام المساجد ٥١ نقلاً من المعجم للطبراني عن ابن لهيعة، والحديث الآخر: «لا تسبوا سعداً الحميري فإنه أول من كسا البيت» ٥٢ عن السهيلي وناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ٤٩١.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٢٩٦/١١.

وأما ما رواه عبد الرزاق عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا أدري تبع كان لعيناً أم لا»[1] فمحمول على أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم بحاله.

وقال المرجاني: إنَّ أبا كرب بن أسعد الحميري آمن بالنبي ﷺ قبل أنْ يُبْعَثَ بسبع مئة سنة، وقال:

* شهدت على أحمد.... * البيتين المتقدمين؛

وإنَّ أباه أسعد هو تُبَّع الذي كسا الكعبة؛ ونَقَـلَهُ عن حكاية ابن قُتيبة، والذي رأيتُه في **المعارف** لابن قتيبة: أنَّ أسعد أبا كرب الحميري هو الموصوف بما ذكره[2].

وروى ابن زبالة: «أنَّ تُبَّعاً لما قَدِمَ المدينةَ وأراد إخرابها جاءه حَبْرَانِ من قُريظة يقال لهما: سحيت ومنبه»، فقالا: أيها الملك! انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنها مُهَاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد يخرج في آخر الزمان، فأعجبه ما سَمِعَ منهما، فصدَّقهما وكَفَّ عن أهل المدينة[3].

---

(١) المستدرك للحاكم ٢/ ١٤.

(٢) المعارف ٦٣١ وفي التيجان ٤٥١ : "اسعد ابو كرب الأوسط".

(٣) انظر السيرة النبوية ١/ ١٢ وما بعدها وكتاب التيجان ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

الفصل الخامس

في منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود
وشيء من آطامهم وما دخل بينهم من الحروب
وهو نافع في معرفة جهات المساجد التي لاتُعرف اليوم
وغير ذلك

اعلم أنَّ ابن زَبالة نقل ما حاصله أنَّ الأوس والخزرج بعد انصراف أبي جُبيلة ونصره لهم تفرقوا في عالية المدينة وسافلتها، واتَّخذوا الأموال والآطام، فنزل بنو عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج الأصغر وبنو حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة[1]، فكلاهما من الأوس، دَارَ بني عبد الأشهل قبلي دار بني ظفر مع طرف الحَرَّة الشرقية، قاله المطري[2].

والذي يظهر لي أنَّ منازلهم كانت قريبة من منازل بني ظفر في شاميها وتمتدُّ إلى الحَرَّة المعروفة اليوم بـ: دشم[3] وما حولها، بل سيأتي في ترجمة الخندق ما يقتضي أنَّ منازلهم كانت بالقرب من الشيخين[4].

وابتنى بنو عبد الأشهل أُطُماً يقال له: واقم، وبه سميت الناحية: واقماً[5]؛

---

(١) انظر: كتاب **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب** للحازمي ١٦.

(٢) **التعريف** للمطري ٧٥.

(٣) قال المراغي في **تحقيق النصرة** ١٨٨: "وبنو جشم لا يعرف وإنما المعروف دشم ـ بالدال المهملة ـ بستان شامي مسجد البغلة على نحو رميتي سهم منه، فلعلها منازلهم ووقع في الاسم تغيير".

(٤) الشيخان: بلفظ تثنية شيخ، موضع بالمدينة: هما أُطُمان سميًا به لأنَّ شيخاً وشيخة كانا يتحدثان هناك، وقال المطري: هو موضع بين المدينة وبين جبل أحد، انظر: **المغانم المطابة** ٢١٢ حيث نقل الفيروزأبادي قول ياقوت دون التصريح بنقله منه، وانظر: **معجم البلدان** ٣/ ٣٨٠.

(٥) **المغانم المطابة** ص٧٥.

كان لحضير بن سماك، وله يقول شاعرهم:

نحــنُ بنينــا واقمــاً بــالحَــرَّة   بــلاَزبِ الطيــنِ وبــالأصَّــرةِ

وله يقول خُفَاف بن نَدْبَـة:

لـوَانَّ المنايا جُزْنَ عن[1] ذي مهابة[2]   لَهِبْـنَ حضيـراً يـوم أغلـقَ واقمـا

يطيـف بـه حتـى إذا الليـل جَنَّـهُ   تبـوَّأ منـه مضجعـاً مُتَنَـاعِمَـا[3]

وأطماً يقال له: الرِّعْل[4]، بالمال الذي يقال له: واسط لصخرة[5] أم بني عبد الأشهل، وله يقول شاعرهم يومَ بُعَاث[6]:

* نحن بنو صخرة أرباب الرِّعْل *

وآطاماً غير ذلك.

وابتنى بنو حارثة أُطُماً اسمه: المُسَيَّر[7]، صار لبني عبد الأشهل بعد خروج بني حارثة من دارهم؛ فإنَّ بني حارثة تحوَّلوا من دارهَم هذه إلى غربي مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه في الموضع المعروف اليوم بـ: يثرب، فكانت بها منازلهم على ما قدَّمناه عن المطري في الباب الأول.

والذي تحرر لي من مجموع كلام الواقدي وابن زبالة وغيرهما: أنَّ منازلهم التي

---

(١) س: على.

(٢) في المغانم المطابة ٥٨: «فلو كان حيٌّ ناجياً من حمامه» وفي ٤٢٥: «لو أن المنايا هبن من ذي مهابة».

(٣) المغانم المطابة ٥٨.

(٤) المغانم المطابة ١٥٧: "الرِّعل: بالكسر وإهمال العين، أطم بالمدينة ابتناه بنو عبد الأشهل وهو الأطم الذي في المال المسمى واسط، وكان لضمرة (كذا) بنت مر بن ظَفَر، أم بني عبد الأشهل".

(٥) ذكر الفيروزأبادي: المغانم المطابة ١٥٧ "ضمرة بنت مر بن ظفر" وهو تصحيف، فقد ذكر ابن الكلبي في جمهرة النسب ٢/ ٣٨٥، انها: "صخرة بنت ظفر".

(٦) بعاث: مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بني قريظة، ويقال إنه حصن للأوس، كان به القتال بين الأوس والخزرج قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة بخمس سنين.

(٧) انظر: المغانم المطابة ٣٨١ حيث قال: "أطم من آطام المدينة ابتناه بنو حارثة بن الحارث"، وفي المخطوطة ص٧٥: «وابتنى بنو حارثة الأطم الذي يقال له المسير وهو الأطم الذي عند دار الضحاك وخليفة الأشهلي ثم صار ذلك الأطم لبني عبد الأشهل بعد خروج بني حارثة من دارهم».

استقروا بها وجاء الإسلام، وهم فيها، كانت في شامي بني عبد الأشهل بالحَرَّة الشرقية.

ويؤيد ذلك ما سيأتي في ترجمة الخندق من أنَّ النبي ﷺ خَطَّه من أجمة الشيخين طرف بني حارثة، كما رواه الطبراني.

وقد قال المطري ـ كما سيأتي عنه ـ: الشيخان: موضع بين المدينة وبين جبل أحد، على الطريق الشرقية مع الحَرَّة إلى جبل أحد[١].

ويؤيده أيضاً أن المطري قد ذكر: أنَّ النبي ﷺ غدا إلى أحد يوم وقعته على الطريق الشرقية المذكورة[٢]، وسيأتي أنه بات بالشيخين[٣].

وفي المعارف لابن قتيبة عن ابن إسحاق[٤]: فلما سارت قريش لحرب رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا بيوت بني حارثة فأقاموا بقيَّة يومهم وليلتهم، ثم خرج في غد[٥]، وذكر انخزال عبد الله بن أبيّ[٦]؛ فتحرر أنَّ بيوت بني حارثة عند الشيخين وفي ناحيتهما.

وقد ذكر ابن إسحاق[٧] وغيره: «أنَّ النبي ﷺ أجاز ذلك اليوم في حائط لمِربَع بن قيظي»[٨]، واتَّفَق له معه ما سيأتي ذكره؛ ومربع هذا من بني حارثة.

وأيضاً فقد قدمنا في الفصل الرابع في تحريمها قولَ أبي هريرة في رواية الإسماعيلي[٩]

---

(١) التعريف للمطري ٧٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) السيرة النبوية ٢/٥٥٩.
(٥) المعارف ١٥٨ ـ ١٥٩.
(٦) انخزل عن القوم: إذا فارقهم وأخذ طريقاً اخرى، وهنا نكص وتراجع.
(٧) السيرة النبوية ٢/٥٥٩.
(٨) المصدر نفسه والأغاني، دار الكتب المصرية، ٩/١٦٦.
(٩) الإسماعيلي: هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الشافعي المتوفى بجرجان سنة ٣٧١هـ، مؤلف الصحيح على شرط البخاري وكتاب المعجم في الأسامي وغيرهما، انظر: سزكين ١/٢٠٢ ومعجم المؤلفين ١/١٣٥ وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٩٢ مع مصادر ترجمته.

ثم جاء ـ يعني: النبي ﷺ ـ بني حارثة وهم في سَنَد الحَرَّة[١]، انتهى.

وليس الموضع الذي ذكره المطري في سند الحَرَّة[٢]، بخلاف الموضع الذي قدمناه، مع أنه يحتمل أنَّ بعض منازل بني حارثة كانت[٣] بالموضع الذي ذكره المطري أيضاً.

قال ابن زبالة: وابتنوا بها ـ أي: بدارهم الثانية ـ أُطُماً يقال له: الريَّان[٤]، عند مسجد بني حارثة؛ كان لبني مَجْدَعَة بن حارثة.

وسبب خروج بني حارثة من دار بني عبد الأشهل حربٌ كانت بينهم وبين بني عبد الأشهل، ووالى بنو ظَفَر بني عبد الأشهل، ثم هزمهم بنو حارثة وقتلوا سماك بن رافع ـ وكان باغياً ـ قتله مسعود أبو محيصة الحارثي، وظفرت بهم بنو حارثة فأجْلَوْهُم أولاً، فلحقوا بأرض بني سُليم فسار حضير بن سماك ببني سليم حتى قاتل بني حارثة، فقتل منهم، واشتد عليهم الحصار بأُطُمهم المسيَّر ـ المتقدم ذكره ـ في دار بني[٥] عبد الأشهل، فسارت بنو عمرو بن عوف وبنو خطمة إليهم، وقالوا: إما أنْ تُخَلُّوا سبيلهم وإما أن تأخذوا عَقْلَ[٦] صاحبكم، وإما أنْ تصالحوهم، فأختاروا أنْ يُجلوهم، فخرج بنو حارثة إلى خيبر، فكانوا بها قريباً من سنة، ثم رقَّ لهم حضير وطلب صلحهم، فخرجت السُّفَراءُ في ذلك حتى اصطلحوا، وأَبَتْ بنو حارثة أنْ ينزلوا دارَهم مع بني عبد الأشهل، ونزلوا الـدارالمعروفة بهم اليوم[٧]، انتهى.

ونزل بنو ظَفَر؛ وهو كعب بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن

(١) نقلاً من فتح الباري ٤/ ٨٥.
(٢) التعريف للمطري ٥٩.
(٣) ص: كان.
(٤) اسم أُطُم من آطاتم المدينة لبني حارثة وأطم لبني زريق، وانظر ما قاله المجد في المغانم المطابة ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٥) سقطت من ص.
(٦) العقل: الدِّية.
(٧) المغانم المطابة ١٥٧ وص٧٥ من المخطوطة.

الأوس[1] دارهم شرقي البقيع عند مسجدهم، أي: المعروف بمسجد البغلة[2] بجوار بني عبد الأشهل.

وذكر ابن حزم في **الجمهرة**: أنَّ بطون بني عمرو بن مالك بن الأوس هم النبيت: منهم ظفر وحارثة وبنو عبد الأشهل، وبنو زعورا بن جُشَم بن الحارث أخي عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس[3].

ولم يذكرابن زبالة: بني زعورا في هذه البطون، بل ولا في بطون الأنصار كلها.

وذكر ابن حزم: أنَّ منهم مالك بن التيهان وبني أوس بن عتيك وغيرهم[4].

وقال في موضع آخر: فولد جُشَم عبد الأشهل، بطن ضخم، وزعورا بطن، وهم أهل راتج[5].

ونزل بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قُبَاء، فابتنوا أُطُماً يقال له: الشُّنيف[6] عند دار أبي سفيان بن الحارث، بين أحجار المراء وبين مجلس بني الموالي؛ كان لبني ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف.

وأُطُماً في دار عبد الله بن أبي أحمد؛ كان لكُلثوم بن الهدم من بني عبيد بن زيد بن أظلم أخي بني عبيد بن زيد بن مالك[7].

وأطُماً يقال له: واقم، كان بقُباء لأحيحة بن الجلاح الجحجبي، ثم صار

---

(١) انظر عن نسبهم: **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي** للحازمي ٨٧.

(٢) هو مسجد بني ظفر من الأوس، وهو شرقي البقيع من طرف الحَرَّة، قال المراغي: "خراب ويعرف اليوم بمسجد البغلة " وروى أخباراً فيه، **تحقيق النصرة** ١٣٩/ ١٥٠ **والتعريف** ٤٩.

(٣) **جمهرة أنساب العرب** ٤٧١.

(٤) المصدر نفسه ٣٤٠.

(٥) المصدر نفسه ٣٣٨.

(٦) انظر: **المغانم المطابة** ٢٠٩، ولم يزد على ما ورد هنا.

(٧) **المغانم المطابة** ص٧٥ وهنا اختصر السمهودي النص وزاد عليه.

لبني عبد المنذر بن رفاعة في دِيَّـةِ جَدِّهم رفاعة بن زَنْبَر[١] بن زيد بن أميَّة بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، وله يقول كعب بن مالك[٢]:

فــلا تَتَهَــدَّدْ بــالــوعيــد سفــاهــةً وأوعِدْ شُنَيْفًا إنْ غَضبتَ وواقمـا[٣]

وكان[٤] في رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أُطُمـاً يقال لها: الصَّيَاصي، وكان لهم أُطُمٌ بالمَسْكَبَة شرقي مسجد قُباء، وأُطُمٌ يقال له: المُسْتَظَلّ، كان موضعه عند بئر غَرَس، كان لأحيحة ثم صار لبني عبد المنذر في دِيَةِ جدهم رفاعة[٥].

ثم خرجت بنو جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من قُباء حين قتلوا رفاعة بن زَنْبَر، وغُنْمٌ أخو بني عمرو بن عوف، فسكنوا العُصْبَة، وهي غربي مسجد قُباء.

قال سعد بن عمرو الجحجبي لبشر بن السائب: تدري لِمَ سَكَنَّا العصبة؟ قال: لا! قال: لأنّا قتلنا قتيلاً منكم في الجاهلية[٦]، فقال بشر: والأمانة لوددت أنكم قتلتم منا آخر وأنكم وراء عَير، يعني: الجبل الذي غربي العصبة[٧].

وابتنى أُحيحة بن الجلاَّح بالعُصْبَة أُطُماً يقال له: الضحيان[٨]، وهو الأُطُم الأسود الذي بالعصبة، وكان عرضه قريباً من طوله، بَنَاه أولاً من بثرة[٩] بيضاء

---

(١) س، ر، ت، خ، م٢: زبير ومثله في السيرة ٢٩٨/٣٠٦؛ انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٣٤ وجمهرة النسب ٢/ ٣٧٤ ونسب معد واليمن للكلبي ٢/ ١٠ وتبصير المنتبه لابن حجر ٢/ ٦٤٠ ومثله في الإكمال لابن ماكولا ٢/ ١٢ والإصابة ١/ ٥١٧، ترجمة رقم: (٢٦٦٥).

(٢) المغانم المطابة ص٧٥.

(٣) ص: إن عصيت، وانظر: المغانم المطابة ٢٠٩.

(٤) ص: وكانت.

(٥) المغانم المطابة ص٧٥.

(٦) في المغانم: "... الجاهلية فخرجنا إلى العصبة".

(٧) انظر: المغانم المطابة ٢٦٥ عن الزبير بن بكار، ومعجم البلدان ٤/ ١٢٨.

(٨) يقع بالعرصة الكائنة غرب بئر شميلة وشمالي العصبة، وما تزال أطلاله باقية، المغانم المطابة ٤٥٧.

(٩) البثرة: الحَرَّة، وقيل: هي أرضٌ حجارتها كحجارة الحَرَّة إلا أنها بيضاء، تاج العروس: "بثر".

فسقط ـ يعني: من حجارة الحرار البيض ـ وكان يُرى من المكان البعيد، وفيه يقول أحيحة:

وقد أعْدَدْتُ للحَدَثان حِصنَاً ... لَوَ انَّ المرءَ تنفَعُه العقولُ
طويلَ الرأسِ أبيضَ مُشْمَخِرّاً ... يلوحُ كأنَّهُ سيفٌ صقيلُ[1]

وابتنوا هم وبنو مجدعة أُطُماً يقال له: الهُجَيم[2]، عند المسجد الذي صلى فيه النبي ﷺ[3]، وقد تقدَّم أن بني أنيف كانوا مع اليهود بقُباء، وأنهم حيٌّ من بَلي فلذلك لم يذكر ابن زبالة منازلهم هنا، وسيأتي في المساجد عن المطري وتبعه المجد: أنَّ بني أنيف بطن من الأوس[4]، وأنَّ منازلهم كانت بين بني عمرو بن عوف وبين العصبة[5].

ومأخذ المطري في نسبتهم إلى الأوس قول أهل السير في المغازي: شهد من الأوس كذا وكذا رجلاً، ثم يذكرون فيهم بعضَ بني أنيف، وذلك لأنهم حلفاء الأوس، لا لأنهم منهم، نبَّه عليه ابن إسحاق حيث قال[6]: شهد بدراً من الأوس بضع وستون رجلاً[7]، فذكر من بني جحجبا جماعةً، ثم قال: ومن حلفائهم من بني أنيف، أبو عقيل، ثم نسبه إلى بلي بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة، لكن استفدنا من كلام المطري: أنَّ منازلهم بين العصبة وقُباء[8].

ويستفاد مما قدَّمنا عن ابن زبالة: أنَّ من منازلهم بئر عَذْق[9] وما حولها

---

(١) ر: مشمخر، ورد الخبر والبيتان في المغانم المطابة ٢٢٧.
(٢) سيذكره السمهودي في بقاع المدينة في آخر الكتاب، وقال في بئر الهجيم: بالضم وفتح الجيم، أطم بالعصبة، منسوب إلى الأطم الذي يقال له: الهجيم بالعصبة.
(٣) المغانم المطابة ص٧٥.
(٤) في المغانم المطابة ص٦٨، وفي القاموس ٣/ ١٢٠: "أنيف كزبير ابن جُشَم".
(٥) التعريف للمطري ٧٧.
(٦) السيرة النبوية ١/ ٤٩٤.
(٧) في السيرة النبوية ١/ ٤٩٥ "واحد وستون رجلاً".
(٨) التعريف ٧٧.
(٩) انظر: المغانم المطابة ٤٥ إذ جاءت عنده "غدق"، وقد ردَّ عليه السمهودي في كلامه على آبار المدينة في آخر الكتاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وذكر حمد الجاسر في إضافاته على المغانم=

والمال الذي يقال له: القائم[1]، وذلك معروف بقُباء[2].

وخرجت بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فسكنوا دارهم التي وراء بقيع الغرقد المعروفة بهم[3]؛ ولا يشكل عليه ما سيأتي في دور بني النجَّار من الخزرج من أنَّ حُديلة لقب لمعاوية بن عمرو بن مالك بن النجار للاشتراك في الاسم، ولكنَّ الشهرة ببني معاوية لهؤلاء، واولئك يعرفون بني حُديلة، وقد اشتبه ذلك على المطري فقال في مسجد بني معاوية ـ وهو مسجد الإجابة ـ ما لفظه: هو مسجد بني معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار[4].

ثم قال في دور بني النجار: إنَّ بني حديلة هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، ودارهم عند بئر حاء[5].

ثم قال: ودار بني دينار بين دار بني معاوية بن عمرو بن مالك بن النجَّار، أهل مسجد الإجابة ودار بني حُديلة، فذكر[6] أولاً أنهم هم، ثم غاير بينهما،

= المطابة ٤٥٦: "بئر عذق: وتسمى بئر الرباط، ألحقت بالعين الزرقاء، وتقع في قُباء".

(١) انظر: المغانم المطابة ٣٢٢ "القائم كصاحب: مال كان بالمدينة لبعض بني أنيف".

(٢) المغانم المطابة ص٦٨ ـ ٦٩.

(٣) المغانم المطابة ص٧٥.

(٤) التعريف للمطري ٧٥.

(٥) أورد الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٣٦ ـ ٣٨، أقوالاً كثيرة في قراءتها، وذكر أن بعض المحدثين أفرد مصنفاً لتحقيق ضبط كلمة بئر حاء، فهي كما جاء في النهاية في غريب الحديث ١/ ١١٤: " بَيْرَحَى، هذه اللفظة كثيراً ما تختلف ألفاظ المحدِّثين فيها، فيقولون: بَيْرَحَاء، بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمد فيها، وبفتحها والقصر، وهي اسم مالٍ وموضع بالمدينة، وقال الزمخشري في الفائق: إنها فَيْعَلَى من البَراح وهي الأرض الظاهرة"، وقال حمد الجاسر في إضافاته على المغانم المطابة ٤٥٥ "بئر حاء تبعد عن المسجد النبوي بنحو ٨٤ متراً، وهي في الشمال الشرقي من المدينة داخلها"، وأضاف الشيخ حمد الجاسر في رسالة منه: "وقد دخلت في زيادة المسجد النبوي". وذكرها البكري في معجم ما استعجم ٢٦٢ فقال: على لفظ حرف الحاء،كانت لأبي طلحة فتصدق بها فأعطاها النبي ﷺ لحسان بن ثابت، وهي قصر بني حُدَيلة اليوم، وفي المسالك والممالك ١/ ٤١٢ فتصحفت على ناشريه وهما مستشرقان حيث لم يحسنا تحقيقه فأساءا للنص كثيراً فكثرت فيه التصحيفات والتحريفات.

(٦) ص: فذكروا.

والصوابُ المغايرة، وأنَّ بني حُديلة من الخزرج، وبني معاوية من الأوس[١].

وقد صَرَّح بتغايرهما أهلُ السير، ونسبوهما ـ كما ذكرنا ـ ومسجد الإجابة لبني معاوية من الأوس.

والذي أوقع المطري في هذا ما سيأتي عن عياض في بني حُديلة إن شاء الله تعالى.

ومن بني معاوية هؤلاء حاطب بن قَيس، وفيه كانت حرب حاطب[٢]، كما ذكره ابن حزم[٣].

وخرجت بنو السميعة ـ وهم بنو لوذان بن عمرو بن عوف ـ فسكنوا عند زقاق ركيح، وابتنوا أُطُماً يقال له: السعدان، وموضعه في الرّبع ـ حائط هناك[٤] ـ ذكره ابن زبالة.

ولعل الربع هو الحديقة المعروفة اليوم بـ: الربعي، وكان بنو السميعة يُدعون في الجاهلية: بنو الصماء، فسماهم النبي ﷺ: بني[٥] السميعة[٦].

ونزل بنو واقف والسَّـلَم ابنا امرىء القيس بن مالك بن الأوس عند مسجد الفضيخ[٧]، فكانا هنالك وولدهما[٨].

---

(١) التعريف للمطري ٧٥.

(٢) احدى الحروب التي وقعت بين الأوس والخزرج، والظاهر أن ابن حزم نقل قوله هذا من جمهرة النسب لابن الكلبي ٢/ ٣٧٧ ووردت مفصلة في كتب التاريخ مثل كتاب الكامل لابن الأثير (بيروت ـ دار الكتاب العربي) ١/ ٤١١.

(٣) جمهرة أنساب العرب ٣٣٥.

(٤) المغانم المطابة ص٧٥.

(٥) س، ر، ص: بنو.

(٦) انظر: المصدر نفسه ٣٣٢.

(٧) مسجد الفضيخ: لم يزل معروفاً بهذا الاسم ويعرف عند السمهودي بمسجد الشمس يقع شرقي مسجد قُباء في الشمال الشرقي لقرية العوالي على شفير الوادي، على نشز من الأرض، والفضيخ نوع من الخمر أُهريق في ذلك الموضع قبل أن يُتَّخذ مسجداً عندما نزل تحريم الخمر، ويبعد بنحو ثلاثة أكيال عن المسجد النبوي الشريف.

(٨) المغانم المطابة ٧٥.

وابتنى بنو واقف أُطُماً يقال له: الريدان، وله يقول قيس بن رفاعة:

وكيف أرجو لَذيذَ العيشِ بَعْدَهُـمُ ... وبعدَ مَنْ قد مَضَى من أهلِ رَيدانِ

كان لهم عامة موضعه في قبلة مسجد الفضيخ، وأُطُماً كان موضعه عند بئر عائشة الواقفي[1]، وغير ذلك.

ثم كان بين السَّلَم وواقف كلامٌ، فلَطَمَ واقِفٌ ـ وهو الأكبر ـ عينَ السَّلَم، وكان شرساً، فحلف لا يساكنه، فنزل السَّلَم على بني عمرو بن عوف، فلم يزل ولده فيهم؛ ومن بقيتهم سعد بن خيثمة بن الحارث، ثم انقرضوا سنة تسع وتسعين ومئة[2].

وكان لبني السَّلَم حصنٌ شرقي مسجد قُباء، ذكره ابن زبالة.

وقد[3] ذكر ابن حزم انقراض جميع بني السَّلَم[4]، قال: وكان قد بلغ عددهم في الجاهلية ألفَ مقاتل[5].

قلت: وفي قبلة مسجد الفضيخ عند الحديقة المعروفة بالأشرفية والسابوري آثار آطامٍ وقريةٍ وحصن عظيم، فهي منازل بني واقف.

ونزل بنو وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس في دارهم المعروفة بهم، وابتنوا أُطُماً يقال له: المَوْجَا[6]، كان موضعه في مسجد بني وائل[7].

---

(١) هذه البئر بالمدينة منسوبة إلى عائشة بن نمير بن واقف، رجل من الأوس، وليس عائشة هنا اسم امرأة، المغانم المطابة ٤٣ نقلاً من ياقوت ١/ ٣٠٠ عن أحمد بن يحيي بن جابر البلاذري. وفي مخطوطة المغانم المطابة ص٧٥: «وابتنوا أطماً كان موضعه دبر دار هلال بن أمية الواقفي كان لحنظلة بن رافع بن توبة الواقفي».

(٢) بالنص في المغانم المطابة ص٧٥ ـ ٧٦.

(٣) سقطت من ص.

(٤) قال ابن الكلبي في جمهرة النسب ٢/ ٤٠٤ "وقد انقرض بنو السلم كلهم".

(٥) جمهرة أنساب العرب ٣٤٥.

(٦) س، ر، ص: المرجا، وفي المغانم المطابة ٣٩٧: الموجا: "بالفتح والجيم: أطُم بالمدينة لبني وائل... بن مالك بن الأوس في دارهم التي كانوا بها، وابتنوا العَذْق أيضاً".

(٧) المغانم المطابة ص٧٦ وقد اختصر السمهودي النص.

ونزل بنو أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس في دارهم المعروفة بهم التي بها الكَبّا[1]، يمرُّ سيل مذينب بين بيوتهم، ثم يلتقي هو وسيل بني قريظة بفضاء بني خطمة.

ويؤخذ مما ذكره ابن زبالة في منازل بني النضير بالنواعم قرب منزل بني أمية بن زيد منهم.

وفي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه، قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ نتناوب النزولَ على رسول الله ﷺ[2].

قال ابن زبالة: وابتنوا أُطُماً[3] يقال له: أُطُم العذق، كان عند الكبّا المواجه مسجد بني أمية.

وأُطُماً كان في دار آل روَيفِع التي[4] في شرقي مسجد بني أميّة[5].

ونزل بنو عطيّة بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس بصَفْنَةَ فوق بني الحُبْلى[6].

وصفنة: كجفنة، بإهمال أوله، سميت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بشيء منها، وابتنوا فيها أُطُماً اسمه: شاس، كان لشاس بن قيس أخي بني

---

(١) الكبا: بالفتح والتشديد، مقصورة مثال: حتَّى، موضع بالمدينة على نحو ميل أو ميلين، قال ابن الكلبي: كبًّا في بطحان، **المغانم المطابة** ٣٥٥.

(٢) **المعجم المفهرس** ٧/ ١٥ عن البخاري في "العلم" و"المظالم" و"النكاح" ومسلم في "الطلاق" وغيرهما.

(٣) ص: اطاما.

(٤) سقطت من ص.

(٥) **المغانم المطابة** ص٧٦.

(٦) المصدر نفسه، وصفنة: بالفتح ثم السكون ونون وهاء، موضع بالمدينة بين عمرو بن عوف وبين بني الحُبلى في السبخة، والحبلى: هو سالم بن غُنم بن عوف، من الخزرج، سمي بذلك لعظم بطنه، كانت منزلاً لبني عطية بن زيد بن قيس ... بن الأوس، وابتنوا فيها أطماً اسمه شاس، **المغانم المطابة** ٢٢٠ ومعجم البلدان ٣/ ٤١٤ والخلاصة ١٧٢.

عطية بن زيد[1]، وهو الذي على يسارك في رَحْبة مسجد قُباء، مستقبل القبلة.

ووائل وأمية وعطية بنو زيد هم الجعادرة[2]، سُمُّوا به لأنهم إذا أجاروا جاراً[3] قالوا له: جعدر حيث شئت، أي: اذهب حيث شئت، فلا بأس عليك، وقال الرمق بن زيد:

وإنَّ لَنَـا بيـن الجـواري وليـدةً ... مقـابلـة بيـن الجَعَـادِر والكَسْـرِ

متى تَدْعُ في الزيدين زيد بن مالك ... وزيد بن قيس تأتها عزة النصر[4]

قالوا: والكسر أمية وعبيد وضُبَيْعَة بنو زيد بن مالك بن عوف، كان يقال لهم: كسر الذهب، وذلك أراد الرمق بقوله: "والكسر"، كذا قاله ابن زبالة.

ونقل رزين: إنَّ الجعادرة الأوس كلهم، فإنه قال في ما نقل عن الشرقي: فولد الأوس مالكاً ومن مالك قبائل الأوس كلها، فولد لمالك عمرو وعوف ومرة، ويقال لهم: أوس الله، وهم الجعادرة، سُمُّوا بذلك لِقِصَرٍ فيهم[5]، انتهى.

قلت: وسيأتي عن ابن إسحاق في آخر الفصل السابع ما يقتضي أنَّ أوس الله هم بنو أمية بن زيد ووائل وواقف وخطمة[6]، والله أعلم.

ونزل بنو خطمة ـ وخطمة هو عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس ـ دارهم المعروفة بهم، وابتنوا بها الآطام وغرسوا النخيل، فابتنوا بها أُطُماً يقال له: ضع ذرع[7]، ليس فيه بيوت، جعلوه كالحصن الذي يتحصنون فيه للقتال، وكان لخطمة كلها، وكان موضعه عند مهراس بني خطمة، وإنما سُمِّيَ: ضع ذرع لأنه

---

(١) المغانم المطابة ص٧٦.

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٤٥.

(٣) ص: إذا اجارو جاروا.

(٤) المغانم المطابة ص٧٦.

(٥) سبق له إيراد هذا، وقد فصَّل الكلبي في جمهرة النسب ٢/ ٣٧٠ القول في هذا النسب، وقال: «والجعادر سود قصار».

(٦) السيرة النبوية ١/ ٢٩٣.

(٧) المغانم المطابة ٢٣١ وص٣٥٢ من المخطوطة.

كان عند بئر بني خطمة التي يقال لها ذرع[1]، وابتنى أمية بن عامر بن خطمة أُطُمَاً كـان موضعه في مال الماجشون[2] الذي يلي صدقة أَبَّان بن أبي حُدير[3].

قلت: والظاهر أنه المسمى اليوم بـ: المجشونية، فإنَّ اسمه الأصلي بالماجشونية[4]، على ما تقدم في تربة صُعَيب[5].

وقال المطري: منازل بني خطمة لا يعرف مكانها اليوم، إلاَّ أنَّ الأظهر أنهم كانوا بالعوالي شرقي مسجد الشمس؛ لأنَّ تلك النواحي كلها ديار الأوس، وما سَفَلَ من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج[6]، انتهى.

وفي قوله: "وما سفل . . الخ"، نظر، والذي يظهر أنَّ أول منازل الخزرج في هذه الجهة منازل بني الحارث ـ كما سيأتي ـ وفوقها بنو خطمة.

وسيأتي في وادي بُطْحَان ووادي مهزور ما يؤيد ذلك.

وكان بنو خطمة متفرقين في آطامهم، لم يكن في قصبة دارهم منهم أحد، فلما جاء الإسلام اتَّخذوا مسجدهم، وابتنى رجلٌ منهم عند المسجد بيتاً سكنه، فكانوا يسألون عنه كلَّ غداة مخافةَ أنَّ يكون السبع عَدَا عليه، ثم كثروا في الدار حتى كان يقال لها: غَزَّة؛ تشبيهاً بغزة الشام من كثرة أهلها[7].

وقد انتهى الكلام في منازل الأوس.

وهذه منازل الخزرج:

---

(١) المغانم المطابة ٣٩ وتاريخ المدينة ١/ ١٦١ وسيحدد السمهودي موضع أُطم ضع ذرع في آخر الكتاب، أما البئر فقال فيها: هذه البئر غير معروفة اليوم وتعرف جهتها من مسجد بني خطمة.

(٢) ص: الماجشونية.

(٣) المغانم المطابة ص٧٦ بتصرف يسير في النص.

(٤) جاء في الخلاصة ٤٣ عن طاهر بن يحيى العلوي أن: "صعيب وادي بطحان دون الماجشونية، أي: الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه.

(٥) خ: زرع.

(٦) التعريف للمطري ٧٧.

(٧) المغانم المطابة ص٧٦ ـ ٧٧ بتصرف يسير.

قال ابن زبالة: ونزل بنو الحارث بن الخزرج الأكبر بن حارثة ـ وهم بلحارث ـ دارَهُم المعروفة بهم بالعوالي ـ أي: شرقي وادي بُطْحان وتربة صُعَيب، ويُعرف اليوم بـ: الحارث، بإسقاط بني ـ وابتنوا أُطُماً كان لبني امرىء القيس بن مالك[1].

وخرج جُشَم وزيد ابنا الحارث بن الخزرج ـ وهما التوأمان ـ فسكنا السُّنْح[2]، وهذا هو المراد بقول ابن حزم: كان سكنى بني الحارث بالسُّنْح على ميل من مسجد الرسول ﷺ[3]، انتهى.

قال ابن زبالة: وابتنوا أُطماً يقال له: السُّنْح، وبه سميت الناحية، ويقال: بل اسمهُ: الريَّان[4]، انتهى.

وبالسنح كان منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه بزوجه بنت خارجة بن زيد، قاله عياض.

قال: وهو منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، بينه وبين منزل النبي ﷺ ميل، انتهى.

فكأنَّ السنح ـ وهو كما قال عياض وغيره: بالسين المهملة ثم النون ـ بالقرب من منازل بني الحارث المتقدم بالعوالي[5].

وخرج عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج ،

---

(١) المصدر نفسه ص٧٧.

(٢) هذا قول الزبير بن بكّار بالحرف كما نقله الفيروزأبادي في المغانم المطابة ١٨٧ وزاد من ياقوت ٣/ ٢٦٥ "محلة من محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه... وهي في طرف من أطراف المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج من الأنصار، بعوالي المدينة وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل".

(٣) جمهرة أنساب العرب ٣٦١ والمغانم المطابة ص٧٧.

(٤) المغانم المطابة ص٧٧، وأورد الفيروزأبادي مواضع أخرى باسم الريان، في المغانم المطابة ١٦٦ ـ ١٦٧ نقلاً من ياقوت ٣/ ١١٠ ـ ١١١ دون تسميته، وقال ياقوت: "اسم أطم من آطام المدينة".

(٥) في الخلاصة ١٧٢ "وهو أول العالية".

فسكن الشَوْط[1] وكوم الكومة؛ يقال[2] لها: كومة أبي الحمراء ثم رجع في السنح[3].

وخرجت بنو خُدْارة[4] بن عوف بن الحارث بن الخزرج[5] حتى سكنوا الدار التي يقال لها: جرار سعد[6]، مما يلي سوق المدينة.

وخرجت بنو الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج - وهم بنو خُدْرَة أخوة بني خُدَارَة - فسكنوا دارهم المعروفة ببني خُدْرة وابتنوا أُطماً يقال له: الأجرد[7] وهو الأطم الذي يقال لبئره: البُضَّة[8] كان لمالك بن سنان

---

(١) بالفتح ثم السكون وطاء مهملة، وبه سمي بستان في المدينة، معروف مذكور في التواريخ، **المغانم المطابة** ٢١١، وأشار إلى ما أورده ابن إسحاق (**السيرة النبوية** ٢/ ٥٥٩) من مسير النبي ﷺ إلى أحد وانخزال عبد الله بن أبي: "حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي".

(٢) في **المغانم المطابة** ص٧٧: «التي يقال لها».

(٣) **المغانم المطابة** ص٧٧.

(٤) عن بني خدارة، انظر: **جمهرة أنساب العرب** ٣٦٢ مع المصادر التي ذكرتهم. وقد اختلفوا في رسم هذا الاسم ما بين "خدارة" و"جدارة"، وهو إلى "خدارة" اقرب لأنَّ اسم أخيه "خدرة"، انظر: حواشي **جوامع السيرة** لابن حزم، تح إحسان عباس وناصر الدين الأسد، ٨١ و**جمهرة أنساب العرب** ٣٦٢.

(٥) انظر: **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب** للحازمي ٥٤

(٦) **المغانم المطابة** ص٧٧: «وابتنوا واسطاً»، وجرار سعد: موضع بالمدينة كان سعد بن عبادة ينصب عليه جراراً يبرد الماء لأضيافه، به أُطم دُليم (دليم: جد سعد) ويقع في شرقي المدينة مما يلي الشام عند بئر بضاعة والبئر وسط بيوتهم، ونقل السمهودي عن ابن زبالة ان عرض سوق المدينة ما بين المصلى إلى جرار سعد.

(٧) **المغانم المطابة** ص٧٧، والأجرد: أُطُم بالمدينة ابتناه بنو الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج وهم بنو خدرة، وهو الأطم الذي يقال لبئره البصَّة (أو البضَّة)، كان لمالك بن سنان، والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، **المغانم المطابة** ٨ / ٣١.

(٨) قال الفيروزأبادي في **المغانم المطابة** ٣٠: "بضم الباء وفتح الضاد المشددة بعدها هاء، كأنها من: بَضَّ الماء بضاً: رشح وإن روي بالتخفيف فمن وبض يبض وبضاً... وهي بئر قريبة من البقيع على يسار السالك إلى قباء... وهذه البئر في حديقة كبيرة محوطة، وعندها في الحديقة بئر أخرى صغيرة، ويختلفون أيتهما البضة". وقد سماها حمد الجاسر "بئر البصة" وقال في إضافاته لـ: **المغانم المطابة** ٤٥٥: "تقع في حديقة تعرف بهذا الاسم في الطريق إلى قُبا وقرية قربان من شارع العوالي يقع فيها بئران بينهما نحو ٦٠ متراً، والحديقة من أوقاف الحرم وتسمى الآن: البوصة - بضم الباء - وتبعد عن البقيع بنحو ٢٢٠ متراً".

جد[1] أبي سعيد الخُدْري.

وذكر ابن حزم للحارث بن الخزرج الأكبر ابناً اسمه الخزرج بن الحارث، وقال فيه: فولد الخزرج كعباً، فسار بعض بنيه إلى الشام مع غسان، فليسوا من الأنصار، ثم سمَّى مَنْ بقي منهم[2].

ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار التي يقال لها: دار بني سالم، على طرف الحَرَّة الغربية، غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانوناء[3]، وابتنوا آطاماً منها: المزدلف[4]؛ أُطُم عتبان بن مالك، قاله المطري[5].

وقال ابن زبالة: المزدلف[6]، هو الأُطم الذي عند بيت عتبان[7] بن مالك، كان لمالك بن العجلان السالمي، وله يقول مالك:

إنِّي بَنَيْتُ للحُروبِ المُزْدَلِف [قذفت فيه جندلاً مثل الدلف][8]

ومنها: الشَمَّاخ[9]، كان خارجاً عن بيوت بني سالم من جهة القبلة.

---

(١) قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ٣٦٢: "ومن بني خُدْرة مالك بن سنان بن عبيد.. بن الأبجر وهو خدرة من شهداء أحد، وابنه سعد بن مالك وهو أبو سعيد الخُدري". وقال الفيروزأبادي: ان مالك بن سنان هو والد أبي سعيد الخدري، كما سبق، وجاء اسمه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/١٦٨ "أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة.. الخ".

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٣) التعريف للمطري ٧٧، ورانونا: وادي رانوناء، بنونين ممدوداً مثال عاشوراء وتاسوعاء، وقد حدد السمهودي حدود هذا الوادي تحديداً دقيقاً في آخر الكتاب، وانظر: المغانم المطابة ١٥٠.

(٤) المغانم المطابة ص٧٧.

(٥) التعريف للمطري ٤٨.

(٦) التعريف ٤٨، وفي المغانم المطابة ٣٨١: "أُطُم بالمدينة ابتناه سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهو بيت عتبان بن مالك، كان لمالك بن عجلان السالمي"، وهو عند السمهودي في آخر كتابه هذا: "أطم مالك بن العجلان والد عتبة، عند مسجد الجمعة".

(٧) ص: عند عتبان.

(٨) انظر: المغانم المطابة ٣٨١، وما بين المعقوفتين زيادة من المغانم، ولم يرد البيت في التعريف للمطري.

(٩) المغانم المطابة ٢٠٨، قال: "كان لبني أمية بن زيد بن سالم، ابتناه سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو.. الخ".

ومنها: أُطُم القواقل[1]، وهو الذي في طرف بيوت بني سالم مما يلي ناحية العصبة، كان لبني سالم بن عوف، وتسميته بذلك يرجح ما ذكره ابنُ سيِّد الناس من: أنَّ القواقل بنو غنم وبنو سالم ابني عوف[2]، سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا إذا أجاروا جاراً قالوا له: قوقل حيث شئت[3]، وأفهمَ سياق بعضهم: أنَّ القواقل بعضُ بني سالم بن غنم، وهم بنو الحُبْلَى[4]، وما قدَّمناه هـو الظاهر لما سيأتي في خروجه من قُباء إلى المدينة.

وقال ابن حزم: ولَدُ عوف بن عمرو، سالم بطن، وغَنم بطن، وعَنْز[5] بطن وهو قَوقَل. وذكر من ولده عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن قوقل بن عوف بن عمرو[6].

ونزل بنو غُصَينَة، حَيٌّ من بَلي حلفاء لبني سالم، عند مسجد بني غصينة[7].

ونزل بنو الحُبْلَى ـ بلفظ المرأة الحبلى ـ واسمه مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر، الدارَ المعروفة بهم[8]، بين قباء وبين

---

(١) المصدر نفسه ٣٥٢ وذكر ما ورد فيه باختصار.

(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والسير ١/٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٣) السيرة النبوية ١/٢٨٨.

(٤) قال الحازمي: "سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر، قاله خليفة بن خياط، وسالم يسمى الحُبلى"، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ٧١ وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط، ٩٨.

(٥) خ: وعتر.

(٦) جمهرة أنساب العرب ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٧) المغانم المطابة ص٧٧ وفي السيرة النبوية، ١/٣١١ تح وستنفيلد «عُصَيْنَة» وهو تصحيف، وبنو غصينة هم بنو عمارة بن مالك بن عامر بن أُنيف من بَلي وغصينة ـ تصغير غصن وتأنيثه ـ أم لهم ينسبون إليها، وهم حلفاء لبني عمرو بن بن عوف من الأوس، ولما كانت منازل بني عمرو بن عوف بقباء، فلعل مسجدهم هذا هو مسجد بني أُنيف الذين هم منهم، ومسجد بني أُنيف بقباء، وسيذكر السمهودي أنه من المساجد التي لا تعرف، وجاء في كتاب المناسك للحربي ٣٩٩ ضمن المساجد التي صلّى فيها النبي ﷺ.

(٨) المغانم المطابة ص٧٧: «وابتنوا بها مزاحماً وأطماً آخر كان بين مال عمارة بن نعيم البياضي وبين مال رمانة كان لبني وديعة بن قيس الحبلى، وابتنوا أطماً آخر في جوف بني الحبلى كان لآل رفاعة بن أبي الوليد».

دار[1] بني الحارث بن الخزرج التي في شرقي وادي بُطحان وصُعَيب، كذا قاله المطري[2]، واظن مستنده ما تقدَّم في منازل الأوس من قول ابن زبالة: ونزل بنو عطية بن زيد بن قيس بصَفْنَة فوق بني الحبلى. . . إلى آخره.

وقال ابن حزم: كانت دار بني الحبلى بين دار بني النجار وبين بني ساعدة[3].

قلت: وسيأتي في خروجه ﷺ من قُباء إلى المدينة ما يؤيده، وكذلك مروره ﷺ بعبد الله بن أُبيّ في ذهابه لعيادة سعد بن عبادة، وما ذكرناه من أنَّ الحبلى اسمه مالك بن سالم، ذكره ابن زبالة.

وقال ابن هشام: الحبلى سالم بن غنم بن عوف، وإنما سمي الحبلى لعظم بطنه[4]، انتهى.

وذكر ابن حزم نحوه[5].

والظاهر أنَّ الحبلى كان يطلق على سالم والد مالك المذكور، ثم اشتهر به ابنُه هذا من بين بنيه، وحينئذ فيحمل ما تقدم عن ابن زبالة في نزول بني عطية بن زيد بصَفْنَة فوق بني الحبلى، على أنَّ المراد دار سالم بن غنم في دار بني سالم؛ لكونه ذكر في آطام بني الحبلى هؤلاء ما يوافق كلام ابن حزم في نزولهم قرب دار بني ساعدة، فقال: وابتنوا آطاماً منها: مزاحم[6]، بين ظهراني[7] بيوت بني الحبلى، وهو لعبد الله بن أبيّ بن سَلُول.

---

(١) سقطت من ر.

(٢) التعريف٧٦.

(٣) جمهرة أنساب العرب ٣٥٥.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٣١١.

(٥) جمهرة أنساب العرب ٣٥٤ ـ ٣٤٥.

(٦) أورد الفيروزأبادي قول ابن حبيب في أن: "الشرعبي وراتج ومزاحم آطام بالمدينة وهي لبني زعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو"، المغانم المطابة ١٤٩، إلاَّ انه قال في مكان آخر٣٨٠: "ابتناه بنو الحبلى بين ظهراني بيوت بني الحبلى، كان لعبد الله بن أُبيّ بن سلول".

(٧) ص: ظهران.

ومنها: أُطُم كان بين مال عمارة بن نعيم البياضي وبين مال ابن رمانة.

ومنها: أُطُم كان في جوف[1] بيوتهم، انتهى.

وسيأتي في منازل بني ساعدة ذكر الحماضة، وهي مذكورة في منازل بني بَيَاضة.

وقد صَرَّح ابن حزم وغيره من أهل السير وعلماء النسب: بأنَّ عبد الله بن أُبيّ من بني الحُبْلَى[2] من الخزرج، فالظاهر أنَّ ما وقع للحافظ ابن حجر في حديث زوجة ثابت بن قيس بن شماس في الخلع، من أنَّ عبد الله بن أُبيّ من بني مَغَالة[3] من بني النجار[4] وَهمٌ؛ نعم! داره غربي المسجد، قريبة من دار بني مَغَالة في ما يظهر، والله أعلم.

ونزل بنو سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد[5] بن ساردة[6] بن تزيد ـ بالمثناة من فوق ـ بن جُشَم بن الخزرج الأكبر[7]، ما بين مسجد القبلتين[8] إلى المذاد[9]، أُطم بني حرام في سَنَد تلك الحَرَّة، وكانت دارهم هذه تسمى: خُربى[10].

---

(١) ص: حوق.

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٥٤.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٤٧.

(٤) انظر: فتح الباري ٩/ ٣٩٩.

(٥) خ، ر: أشد؛ وهو أسد في بقية النسخ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٥٨وهو راشد في المغانم المطابة ٢٢١ المطبوع وص٣٤٧ في المخطوطة؛ وهو أسد في نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي ٢/ ٩٨.

(٦) ص والمغانم المطابة ص٧٧: «شاردة» وانظر نسب بني سلمة في جمهرة أنساب العرب ٣٥٨. .

(٧) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب للحازمي ٧٤.

(٨) لم يزل مسجد القبلتين معروفاً وموضعه في وادي العقيق، قال السمهودي: وهو مرتفع عن شفير وادي العقيق كثيراً، وقد جدد سقف هذا المسجد وأصلحه الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدامين سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة. وقد اسهب السمهودي في عرض الروايات فيه ومناقشتها في الباب الخامس.

(٩) قال الزبير بن بكار: "المذاد أطم ابتناه بنو حرام بن كعب بن غنم بن سلمة في الأرض التي كانت لمعبد بن مالك فسميت تلك الناحية المذاد، والأطم الذي عند المزرعة التي يقال لها المذاد"، المغانم المطابة ٣٧٣، وانظر معجم ما استعجم للبكري، تح وستنفيلد، جوتنكن ١٨٧٧، ٥١٨.

(١٠) ذكرها الفيروزأبادي مرة بـ: حَرْبَى (المغانم ١٠٦، ٢٢١) وأخرى بـ: حُزبى بالخاء والزاي كَحُبْلَى =

قال ابن زبالة: «فسماها رسول الله ﷺ: طُلْحَة ـ كذا هو في نسخة ابن زبالة، بالطاء ـ ونقله عنه الزين المراغي[1] أيضاً كذلك[2]، كما رأيته بخطه. ولعل الصواب: ما ذكره المجد في تاريخه: أنَّ النبي ﷺ سماها: صُلحَة»[3]، بضم الصاد المهملة وسكون اللام.

وقال في قاموسه: خُزْبَى[4] كَحُبْلَى، منزلة كانت لبني سَلِمة غيَّرها ﷺ وسماها: صالحة[5].

ونزل بنو سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمَة عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن[6]عبيد الديناري، ولهم مسجد القبلتين[7]، قاله ابن زبالة، وهو يَرُدَّ ما سيأتي عن المطري وغيره: من أنَّ المسجد لبني حَرام[8].

وابتنوا أُطماً يقال له: الأغلب[9] كان على المهد الذي عليه الأحجار التي يشرع[10] عليها السقاؤون حين يُفضُونَ من زقاق رُومَةَ إلى بُطْحَان.

= (القاموس المحيط ١/ ٦١)، وذكرها البكري في معجم ما استعجم: "خزبى" بالخاء والزاي أيضاً، على وزن فَعْلَى، وقال: "موضع تلقاء مسجد القبلتين إلى المذاد في سند الحرة وهي دار بني سلمة من الأنصار فسمَّاها رسول الله ﷺ صالحة، روى ذلك الزبير بن أبي بكر..."، ٣٧٧، ٤٩٨.

(١) هو ابو بكر بن الحسين بن محمد بن طولون زين الدين القرشي المراغي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٨١٦هـ مؤلف كتاب تحقيق النصرة في تلخيص معالم دار الهجرة وغيره، انظر: بروكلمان ٢/ ١٧٢ وملحقه ٢/ ٢٢١ ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٠ مع مصادر ترجمته، وترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١١/ ٢٨ ترجمة ضافية ذكر فيها من ترجمه من شيوخ عصره.

(٢) انظر: تحقيق النصرة ١٤٢.

(٣) المغانم المطابة ١٠٧، ٢٢١ والمخطوطة ص٧٧.

(٤) في القاموس: «وخُزْبَى كَحُبْلَى منزلةٌ كانت لبني سَلَمَة في ما بين مسجد القبلتين إلى المذاد وغيرها ﷺ وسماها صالحة تفاؤلاً بالخَرَب».

(٥) القاموس المحيط ١/ ٦١.

(٦) ر، م١، م٢، س، ت: ابني ؛ خ، ص: ابن، وفي مخطوطة المغانم: «بن».

(٧) المغانم المطابة ص٧٧.

(٨) التعريف للمطري ٥١.

(٩) المغانم المطابة ١٧ : "على النهد الذي يستريح عليها السقاؤون". والنهد والمهد بمعنى واحد.

(١٠) يشرع: يستقي، وفي م٢: يشرع أي يستريح، والظاهر أن: "اي يستريح" كانت في الحاشية =

وأُطُماً يقال له: خيط[1] في شرقي مسجد القبلتين، على شرف الحَرَّة وعنده منقطع السهل من أرض بني سَلِمة.

وأطماً يقال له: منيع[2]، في يماني مسجد القبلتين على ظهر الحَرَّة يمين الحزن[3] الذي في أرض ابن أَبَّان أو دون ذلك قليلاً.

ونزل بنو عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سَلِمَة عند مسجد الخربة[4] إلى الجبل الذي يقال له: جبل[5] الدويخل؛ جبل بني عبيد، ولهم مسجد الخربة[6].

وابتنوا: الأشنف[7]، وهو المواجه لمسجد الخربة، وكان للبَرَاء بن[8] مَعْرور بن صخر بن خنساء[9] بن سنان بن عبيد.

وابتنوا الأطول[10]، عند قبلة مسجد الخربة أو عن يسارها[11].

ونزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلِمَة عند مسجد بني حرام

= فأدخلها الناسخ في المتن.

(١) في المغانم المطابة ١٣٧: "بلفظ واحد الخيوط، أطم بالمدينة ابتناه بنو سوادة بن غنم، كان موضعه في شرقي مسجد القبلتين على شرف الحرَّة عند منقطع السبيل من أرض بني سلمة، كان لسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد".

(٢) بالنص في المغانم المطابة ٣٦٩.

(٣) الحَزْن: ما غلظ من الأرض وفيها حُزُونة. وتصحَّف في المغانم ٣٩٦ إلى "جرن" بالجيم.

(٤) مسجد الخربة بالمدينة يواجه أُطم الأشنف الذي ابتناه بنو عبيد بن عدي بن غنم، وكان للبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد، المغانم المطابة ١٦.

(٥) سقط من ص، م٢.

(٦) المغانم المطابة ص٧٧.

(٧) المغانم المطابة ١٦.

(٨) سقطت من ص.

(٩) في الأصول: حسان، وفي جمهرة أنساب العرب ٣٥٩: "خنساء"؛ وفي الإصابة ١/١٤٤(٦٢٢): "سابق"؛ وفي الاستيعاب لابن عبد البر ٢/١٣٦: "خنساء" ومثله في نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي ٢/٩٩؛ وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/٤٧. وجاء في غير موضع عند ابن الكلبي في نسبهم "خناس"، انظر: ٢/١٠٢ ـ ١٠٣.

(١٠) في المغانم المطابة ١٦: "أطم أيضاً من بناء بني عبيد وكان في موضع الخربة أو عن يسار القبلة شيئاً مما يلي أرض عقيل بن النعمان بن جُبير".

(١١) المغانم المطابة ص٧٧.

الصغير الذي بالقاع[1]، بين الأرض التي كانت لجابر بن عَتيك والأرض التي كانت لمعبد بن مالك، وكانوا بين مقبرة بني سَلِمَة إلى المذاد[2]، والمذاد هو الذي يقول له كعب بن مالك:

فليأتِ مأسدَةً[3] تُسَنُّ سيوفُها بين المَذَاد وبينَ جِزْعِ الخندقِ[4]

وهو أطم لهم، سمِّيت به الناحية.

وابتنوا أُطُماً، يقال له: جاعِس[5]، كان في السهل بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك وبين العين التي عملها معاوية بن أبي سفيان؛ كان لعمرو بن الجَمُوح، جَدّ جابر بن عبد الله بن عمرو[6].

قلت: وهذه العين لعلها التي[7] ذكر ابن النجّار: أنها تأتي إلى النخل الذي بأسفل المدينة، حوالي مسجد الفتح، يعني: في غربيه، ويُعرف ذلك الموضع بـ: السَّيْح[8] ـ بالسين المهملة والمثناة التحتية ـ كما قال المطري[9] والله أعلم.

وابتنى بنو مري بن كعب بن سلمة ـ وهم حلفاء بني حرام ـ أُطُماً يقال له: أخنس، وهو الأسود القائم في بني سلمة في غربي الحائط الذي كان لجابر بن عتيك مما يلي جبل بني عبيد[10]، ذكره ابن زبالة.

---

(١) قال السمهودي في ما سيأتي: القاع موضع مسجد بني حرام، غربي مساجد الفتح، وقال المجد: "هو أطم البلويين، عنده بئر عذق، وما علمت مأخذه فيه". أقول: مأخذه معجم البلدان ٤/٢٩٨.

(٢) المغانم المطابة ص٧٧ ـ ٧٨.

(٣) ص: ماسرة.

(٤) س، ر: جذع، وجزع الوادي بكسر الجيم: هو منعطفه وقيل وسطه أو منقطعه، تاج العروس "جزع".

(٥) في المغانم المطابة ٨٦: بكسر العين المهملة بعدها سين مهملة، أُطم بالمدينة ابتناه بنو حرام بن غنم... الخ.

(٦) المغانم المطابة ص٧٧ ـ ٧٨ وقد تصرف السمهزدي في النص وزاد عليه.

(٧) ص: الذي.

(٨) الدرة الثمينة ٢/ ٣٨٠.

(٩) التعريف للمطري ٥٠.

(١٠) المغانم المطابة ص٧٨.

وقوله: «عند مسجد بني حرام الصغير» يُفْهِمُ أنَّ لهم مسجداً آخر كبيراً وهو الآتي في منزلهم الثاني بشعب[1] سَلع.

وسيأتي في المساجد وصف مسجد بني حرام الذي صلى فيه النبي ﷺ، بأنه بالقاع، وأنه لم يُصَلِّ في مسجدهم الأكبر.

وكلُّ هؤلاء بنو سلمة، وكانوا بهذه الدور، وكلمتهم واحدة، ومَلَّكوا عليهم أَمَّةَ بنَ حرام، فلبث فيهم[2] زماناً حتى هلك رجلٌ من بني عبيد ذو أموال كثيرة، له ولد واحد اسمه صخر، فأراد أَمَّةُ أن ينزع طائفةً من أمواله فَيُقَسِّمها في بني سَلِمَة، فَعَظُمَ ذلك على صخر وشكا ذلك على بني عبيد وبني سَوَاد، وقال: إنْ فعل أَمَّةُ ذلك لأضربنه بالسيف، وسألهم أنْ يمنعوه إذا هو فعل، فأطاعوا له، فلما فعل أَمَّةُ ذلك ضربه صخر فقطع حبلَ عاتقه، وقامت دونه بنو عبيد وبنو سواد، فنذر أَمَّة أنْ لا يُؤْويه[3] ظلُّ بيت ما عاش حتى يقتل بنو سلمة صخراً أو يأتوه به فيرى فيه رأيه، وجلس أَمَّة عند الظَّرِب[4] الذي فوق مسجد الفتح مما يلي الجرف في الشمس، فمَرَّت به وليدة حَطَّابةٌ فقالت: ما لك يا سيدي هنا في الشمس؟ فقال:

إنَّ قومي أجمعوا لي أمرهم ... ثـم نـادَوْا لـيَ صَخْـراً فضـربْ

إنـنـي آلـيـتُ لا يَسْتُـرُنـي ... سَقْفُ بيتٍ من حَرُور ولَهَبْ

أبـداً مـا دامَ صَخْـرٌ آمِنـاً ... بينهم يمشي ولا يخشى العطبْ

فذهبت الجارية، فأخبرتهم، فَرَبطُوا صخراً ثم أتوه به، فعفا عنه وأخذ الذي كان يريد أنْ يأخذ من أمواله، فهذا خبر ما دخل بين بني سلمة[5].

وروى ابن شَبَّة عن جابر بن عبد الله أنَّ بني سلمة قالوا: يا رسول الله، نبيع

---

(١) س، ر: شعب.

(٢) سقطت من خ.

(٣) خ: لا يؤوينه؛ م١: لا يوونه.

(٤) ر، خ، س :ضرب، والظرب: ككتف، ما نتأ من الحجارة وحدَّ طرفه أو الجبل المنبسط أو الرابية الصغيرة، تاج العروس "ظرب" والنهاية في غريب الحديث ٣/١٥٦.

(٥) المغانم المطابة ص٧٨ ـ ٧٩.

دورنا ونتحوَّل إليك، فإنَّ بيننا وبينك وادياً؟ فقال رسول الله ﷺ: «اثْبُتُوا فإنكم أوتَادُهَا، وَمَا مِنْ عَبدٍ يَخْطُو إلى الصَّلاةِ خُطْوَةً إلا كَتَبَ اللهُ لَهُ أجراً»[1].

وروى أيضاً عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، قال: «شكا أصحابنا ـ يعني: بني سلمة وبني حرام ـ إلى رسول الله ﷺ، أنَّ السَّيلَ يَحُولُ[2] بينهم وبين الجمعة، وكانت دورهم مما يلي نخيلهم ومزارعهم في مسجد القبلتين ومسجد الخربة، فقال لهم النبي ﷺ: وما عليكم لو تحوَّلتُم إلى سَفْحِ الجبل، يعني: سلعاً، فتحولوا؛ فدخلت حرام الشِّعب، وصارت سواد وعبيد إلى السفح»[3].

قلت: وشعب بني حرام معروف بسَلْع، وهناك آثار منازلهم وآثار مسجدهم في غربي جبل سَلْع، على يمين السالك إلى مساجد الفتح، من الطريق القبلية، وعلى يسار السالك إلى المدينة، وعلى مقربة من محاذاته في جهة المغرب حصن خل[4].

وروى ابن زبالة ويحيى[5] من طريقه عن جابر بن عبد الله، قال: «كان السِّيل يحول بين بني حرام وبين مسجد رسول الله ﷺ فنقلهم عمر بن الخطاب إلى الشِّعب[6]، وكلَّم قوماً كانوا فيه من أهل اليمن يقال لهم: بنو ناغضة، فانتقلوا إلى الشعب الذي[7] تحت مسجد الفتح، فآثارهم هناك».

---

(١) تاريخ المدينة ١/٧٨.

(٢) خ: السيول تحول.

(٣) تاريخ المدينة ١/٧٨وأضاف السمهودي في الخلاصة ١٧٣ :"والمعروف أنَّ النبي ﷺ قال لهم: «اثبتوا فإنكم أوتادها. . .» وإنما نقل بني حرام إلى الشعب المعروف بهم من سلع عمر بن الخطاب رضي الله عنه".

(٤) س: حل، وهو قصر خل بالخاء، غربي بُطحان وسيحدده السمهودي ويذكر تاريخه في ما سيأتي.

(٥) هو يحيى بن الحسن بن جعفر العقيقي العلوي المتوفى سنة ٢٧٧هـ، مؤلف كتاب **أخبار المدينة**، اعتمد عليه الحربي في **المناسك**، قاله حمد الجاسر في مقدمته لكتاب **المناسك** ١٦٢ ـ ١٦٤ حيث نقل قسماً من مقالة: **المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز** لأحمد صالح العلي، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج١١، ١٣٨٤/ ١٩٦٤، ص١٢٧ ـ ١٢٩.

(٦) روى ابن شَبَّة في **تاريخ المدينة** ١/٧٨: أن النبي ﷺ قال لهم: "وما عليكم لو تحولتم إلى سفح الجبل ـ يعني سلعاً ـ فتحولوا".

(٧) ص: التي.

واشترت بنو حرام غلاماً رومياً من أعطياتهم، وكان ينقل الحجارة من الحَرَّة وينقشها، فبنوا مسجدهم الذي في الشعب وسَقَفوه بخشبٍ وجريد. وكان عمر بن عبد العزيز زاد فيه مدماكين[1] من أعلاه، وطابق سقفه، وجعل فيه زيتَ[2] مسجد رسول الله ﷺ.

قلت: وآثار خرز أساطينه وما تكسَّر منها موجود اليوم فيه، يُعرف محله بالشِّعب المذكور.

وقد روى المجد في فضائل المساجد الخبرَ المتقدم، إلاَّ أنه قال: وجعل فيه زيت[3] مسجد رسول الله ﷺ، ثم قال: «والزيت[4]: الساج الذي يظهر على الحائط»، انتهى.

ولم يضبطه، غير أنه بالذال في كتابه، والذي في كتاب ابن زبالة ويحيى ما قدمناه[5]، والله أعلم.

ونزل بنو بياضة وزريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج الأكبر[6]، وبنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك ابن غَضْب، وبنو عذارة وهم بنو كعب بن مالك بن غَضْب، وبنو اللَّيِّن وهم بنو عامر بن مالك بن غَضْب، وبنو أجدع[7] وهم بنو معاوية بن مالك بن

---

(١) المدماك: في لغة أهل الحجاز هو الساف بلغة العراقيين، وهو كلُّ صفٌّ من اللبن، تاج العروس "دمك".

(٢) في الأصول: زيت، والظاهر أن اللفظة مصحفة من: "الزت أو الزتت" وهو التزيين، ويقال: زَتَتُ المرأة أو العروس إذا أزتُها زَتاً زَيَّنتُها، وزتتت هي نفسَها تَزَيَّنَتْ، تاج العروس: "زَتَّ"، أو لعلها محرفة من اللفظة اليونانية زَنْت التي تعني: خشب الزنت Zante أو السنط المعربة.

(٣) في المغانم المطابة (المخطوطة) ص٢٢٢، جاء ما صورته: «ذنب» و«الذنب»، ولم يذكره الفيروزابادي في القاموس المحيط وذكر الذيب: وهو العيب، والساج: هوخشب يؤتى به من الهند، وقد أعاد السمهودي قوله هذا في "مسجد بني حرام" الآتي في قسم الآماكن والمواضع.

(٤) م٢: والذيب.

(٥) يعني: بالزاي.

(٦) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ٢٩، ٦٨.

(٧) خ: أجزع، وبنو أجدع: قال ابن الكلبي في نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٩٠: "فولد مالك بن غضب عبد حارثة وعامراً ـ وهو أبو الذين، والذين اسم رجل ـ وهم حلفاء في بني بياضة، وكعباً ـ وهو أبو=

غَضْب، دَارَ بني بياضة[1].

قال المطري: في ما بين دار بني سالم بن عوف بن الخزرج التي عند مسجد الجمعة إلى وادي بُطحان قِبليَّ دار بني مازن بن النجار[2].

قلت: الذي يترجح عندي أنَّ دارَهُم كانت في شامي دار بني سالم بن عوف وقبلي دار بني مازن، ممتدة في الحَرَّة الغربية، حتى إنَّ في كلام ابن زبالة ما يقتضي أنَّ بعض منازلهم تمتد إلى منازل بني ساعدة لما سنذكره.

وابتنوا بدارهم الآطام، وروى ابن زبالة: أنه كان بدارهم تسعة عشر أُطُماً، وأنَّ الذي أحصاه لبني أُمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطماً:

منها: أُطُمٌ أسود في يماني أرض فراس بن ميسرة؛ كان في الحَرَّة.

ومنها: عقرب[3]، كان في شامي المزرعة المسماة بالرحابة[4] في الحَرَّة، على الفقارة[5].

ومنها: سويد، كان في شامي الحائط الذي يقال له: الحماضة، ولصاحبه كانت الحماضة[6]، وسيأتي ذكر الحماضة في منازل بني ساعدة، لكن يبعُد أن يكون هو المراد هنا.

= بني غرارة وهم حلفاء لبني عمرو بن عوف ـ ومعاوية وهو أبو بني الأجدع وقد انقرضوا".

(١) **المغانم المطابة** ص٧٩.

(٢) **التعريف** للمطري ٦٠، ٧٧.

(٣) في **المغانم المطابة** ٢٦٦ "بلفظ العقرب من الحشرات، أطم بالمدينة، وهو الأطم الأسود الصغير الذي في شامي الرحابة في الحَرَّة، كان لآل عاصم بن عامر بن عطية".

(٤) الرحابة: كغمامة وسيأتي تحديدها في مسجد بني بياضة وفي بقاع المدينة.

(٥) الفقارة: كتب إليَّ شيخنا حمد الجاسر عافاه الله: «الفقارة هذه ليست الفقرة (الفجرة) فهذه الأخيرة خارج المدينة، تعرف قديماً باسم جبل الأشعر، أما الفَقَارة التي بقرب الرحابة فهي في منازل بني بياضة التي ذكر السمهودي أنها كانت في شامي دار بني سالم وقبلي دار بني مازن، ممتدة في الحرة الغربية» وقال الفيروزابادي في **المغانم المطابة** ٢٤٢ في كلامه على أطم عاصم: «كان على الفقارة في أدنى بيوت بني النجار».

(٦) **المغانم المطابة** ١٩١، وزاد: "كان لغنام بن أوس بن عمرو بن مالك بن بياضة، وله كانت الحماضة".

ومنها: اللواء، كان موضعه في حدِّ السرارة؛ بينه وبين زاوية الجدار الشامي الذي يحيط على الحماضة، عشرون ذراعاً.

ومنها: أُطُم كان في السرارة، والسرارة: ما بين أرض ابن أبي قليع إلى منتهى الحماضة، وما بين الأطم الذي يقال له: اللواء إلى الجدار الذي يقال له: بيوت بني بياضة، والجدار الذي بناه زياد بن عبيد الله لبِرْكَة السوق، وسط السرارة، قاله ابن زبالة، وهو يقتضي أنَّ السرارة كانت قرب سوق المدينة[1].

ويؤيده ذكر الحماضة في منازل بني ساعدة، لكن الظاهر أنَّ المراد ببركة السوق هنا: بركة كانت مما يلي[2] مسيل[3] بُطحان ورانونا؛ لأنَّ[4] ابن شبَّة قال في مسيل[5] رانونا: إنه يقترن بذي صلب، يعني: موضع مسجد الجمعة، ثم يستبطن السرارة، حتى يمرَّ على قعر البركة، ثم يفترق فرقتين، إلى آخر ما سيأتي عنه[6].

ونقل رزين: أنَّ السرارة بين بني بياضة والحماضة.

ثم ذكر ابن زبالة بقية آطامهم، وذكر ما يقتضي أنَّ ما حول السرارة هو أقصى بيوت بني بياضة.

ثم قال: وابتنى بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأُطُم الذي في أدنى بيوت بني بياضة الذي دونه الجسرالذي[7] عند ذي ريش[8].

ثم قال: فلبث بنو غضب بن جشم بن الخزرج ـ أي: الفِرَق المذكورين

---

(١) المغانم المطابة ص٧٩.
(٢) سقطت من ص.
(٣) ص، خ: سيل.
(٤) سقطت من ص.
(٥) ص: سيل.
(٦) تاريخ المدينة ١/١٦٨، وفصَّل السمهودي القول في كلِّ هذا في وادي رانونا، كما سيأتي.
(٧) خ: الذي يمتد عند.
(٨) ذو ريش: وادٍ يأتي من جوف الحَرَّة ـ حرة بني بياضة، وسيأتي ذكره في وادى رانونا بتفصيل اكثر.

كلهم - في دار بني بياضة، وأمرُهُم جميعٌ، ثم إنَّ زريق بن عامر هلك فأوصى ببنيه إلى عَمِّـهِ حبيب بن عبد حارثة، فكان حبيب يكَلِّفُهم النَّضْحَ بأيديهم، فلما اشتدَّ عليهم عَدَوْا عليه فقتلوه، فحالف بنو حبيب بني بياضة على نصرهم على بني زريق، فخافت بنو زريق أن يَكْثُروهُم؛ وكانت بنو بياضة حينئذ أثرى من بني زريق، فخرجوا من دار بني بياضة حتى حَلُّوا دارَهم المعروفة بهم قبليَّ المُصَلَّى وسور المدينة الموجود اليوم وداخله، بالموضع المعروف بـ: ذروان[1] وما والاه، وابتنوا آطاماً منها: أُطُمٌ في زاوية دار كثير بن الصَلْت[2] بالمُصَلَّى، وأُطُماً يقال له: الريَّان عند سقيفة آل سُرَاقة التي يقال لها: سقيفة الريَّان[3].

وأقام بنو عمرو بن عامر بن زريق مع بني بياضة، ولهم الأُطُم الذي في شامي أرض فراس بن ميسرة، في أدنى بيوت بني بياضة مما يلي السبخة، فلبثوا هناك حتى انتقل رافع بن مالك، هو وولده قبيل الإسلام، فسكنوا طرف السبخة ما بين الأساس إلى طرف السبخة إلى الدار التي فيها يسكن إسحاق بن عبيد بن رفاعة، وكان يقال لرافع بن مالك: الكامل، لأنَّ أهل الجاهلية كانوا يقولون لمن كان كاتباً شاعراً: الكامل[4].

وانتقل سائر بني عمرو بن عامر بعد ذلك، فاشتروا من بني عوف بن زريق بعضَ دورهم وحقوقهم[5].

---

(١) لبئر ذروان ذكر كثير في كتب السيرة والحديث في خبر سحر لبيد بن الأعصم اليهودي، وقيل إنه ذو أروان، انظر: المغانم المطابة ٣٩ ـ ٤٠، ١٤٦ ـ ١٤٧، ١٧١ والنهاية في غريب الحديث ٢/ ١٦٠.

(٢) ترجم له ابن سعد في الطبقات ٥/ ١٤ وقال: «وله دار بالمدينة كبيرة في المصلى وقبلة المصلى في العيدين إليها، وهي تشرع على بطحاء الوادي الذي في وسط المدينة» والسخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٣٩٢، وذكره ابن حبان في الثقات ٥/ ٣٣٠ والعجلي في تاريخ الثقات ٣٩٦ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٩ والإصابة ٢/ ٣١٠.

(٣) المغانم المطابة ٧٩ ـ ٨٠.

(٤) المغانم المطابة ص٧٩.

(٥) المصدر نفسه ص٨٠.

وخرجت بنو عوف بن زريق قبيل الإسلام إلى الشام، فيزعمون أنَّ هناك ناساً منهم[١].

ولبث بنو بياضة وبنو حبيب زماناً لا يقاتلون بني زريق، والرسُل تجري بينهم، وبنو زريق يدعونهم إلى الصلح والدِّية، وعرضوا على بني حبيب أن يقطعوا لهم طائفة من ديارهم، فقبلوا ذلك، ووضعوا الحرب، وسمي الزقاق الذي دفعوه لهم: زقاق الدِّية[٢].

وانتقل بنو مالك بن زيد بن حبيب بن عبد حارثة من بني بياضة، ونزلوا الناحية التي ودَّتْ بنو زريق، وابتنوا أُطُماً كان لبني المُعَلَّى بن لوذان[٣].

وتخَلَّفَ بنو الصِّمَّة[٤] بن حارثة بن الحارث بن زيد بن حبيب في بني بياضة، فلبثت بنو المعلى بن لوذان في بني زريق ما شاء الله.

ثم إنَّ عبيد بن المُعَلَّى قَتَلَ حصنَ بنَ خالد الزُّرقي، فأراد بنو زُرَيق أنْ يقتلوه، ثم بدا لهم أنْ يَدُوا حصن بن خالد من أموالهم عن عبيد، على أنْ يُحالفهم بنو المُعَلَّى، ويقطعوا[٥] حِلْفَهم مع بني بياضة، ففعلوا[٦].

وكان عامر بن زريق بن عبد حارثة ـ والد زريق وبياضة ـ لما حضرته الوفاة أوصى ابنَه بياضة بالصبر في الحروب وشدَّة البأس، وأوصاه بأخيه زريق ـ وكان أصغرهما ـ فقال بعض شعرائهم في ذلك:

* بالصَّبْـرِ أوصى عَامِرٌ بَيَاضَـةْ[٧] *

ويقال للأوس والخزرج: أبطأهم فَرَّةً وأسرعهم كَرَّة بنو بياضة وبنو زريق وبنو ظَفَر، وإنَّ الأوس والخزرج لم يلتقوا في موطن قَطُّ إلاَّ كان لهذه القبائل فضلٌ

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المغانم المطابة ص٨٠: «وابتنوا به أطم المعلا وهو عند دار المعلا».
(٤) في المغانم المطابة ص٨٠: «بنو الطبة».
(٥) س، ر، ص: يقطعون.
(٦) المغانم المطابة ص٨٠.
(٧) المصدر نفسه.

بيِّنٌ على غيرهم من بطون الأوس والخزرج[1].

وأما بنو عذارة[2] بن مالك بن غضب بن جشم، فكانوا أقلَّ بطون مالك بن غضب عدداً، وكانوا قوماً ذوي شَراسَة وشَدَّة أنفس، فقتلوا قتيلاً من بعض بطون بني مالك بن غضب؛ إما من بني اللين أو بني أجدع[3]، وأبى أهل القتيل الدِّية، وذهبوا إلى بني بياضة ليعينوهم على بني عذارة حتى يعطوهم القاتل، فكلَّمت بنو بياضة بني عذارة في ذلك، فأبوا أنْ يُخَلُّوا بينهم وبينه فأرادت بنو بياضة أن يأخذوه عَنوة، فخرجوا من دار بني بياضة حتى نزلوا قُباء على بني عمرو بن عوف، فحالفوهم[4] وصاهروهم، وامتنعوا من بني بياضة[5].

ثم إنه دخل بين بني عذارة وبين بني عمرو بن عوف ـ قبيل الإسلام ـ أمرٌ، فأجمعوا أن ينتقلوا من عندهم إلى بني زريق، وكرهوا أنْ يرجعوا إلى بني بياضة، فجاؤهم وذكروا لهم ذلك، فَلَقُوهم[6] بما يُحِبُّون، وسَدَّدوا رأيَهُم، وأتوا أبا عبيدة سعيد بن عثمان الزُّرَقي، فذكروا له ذلك، فَرَحَّبَ بهم وذكر شرفَهم وفضلَهم، ثم قال: إني أُشيرُ عليكم أنْ ترجِعوا إلى أخوالكم ـ يعني: بني عمرو بن عوف ـ ولا تنتقلوا إلى بني زريق، فإنَّ في أخلاقِكم شَرَاسةً وفي أخلاق بني زريق مثلها، فتفرقوا عن رأيه[7].

فلم يزالوا كذلك إلى أن فرض المهديُّ[8] للأنصار سنة ستين ومئة، فانتقلوا بديوانهم إلى بني بياضة[9].

---

(١) المصدر نفسه ص٨٠ ـ ٨١.
(٢) المغانم المطابة ص٨١: «عراعرة».
(٣) بنو الأجدع: انظر عنهم في ما سبق.
(٤) ص: فما لحفوهم.
(٥) المغانم المطابة ص٨١.
(٦) س، ر، م١، م٢: فلقوا.
(٧) المغانم المطابة ص٨٠ ـ ٨١.
(٨) يريد الخليفة المهدي بن المنصور العباسي.
(٩) المغانم المطابة ص٧٩ ـ ٨٢.

وكان بطنان من بطون بني مالك بن غضب ممن كان بدار بني بياضة ـ لا يُدرَى أهم من اللين أم من أجدع[1] ـ كان بينهم ميراث في الجاهلية، فاشتجروا فيه، فلما رأوا أنهم لا يستقيمون فيه على أمرٍ، تداعوا إلى أن يدخلوا حديقةً كانت في بني بياضة فيقتتلوا فيها، فدخلوا جميعاً ثم أغلقوها فاقتتلوا حتى لم يبق منهم عين تطرف، فسمِّيت تلك الحديقة: حديقة الموت[2].

وكان بنو مالك بن غضب ـ سوى بني زريق ـ ألف مقاتل في الجاهلية[3].

وأما بنو أجدع[4]، فلم يبق منهم أحد.

وأما بنو اللين، فكان بقي منهم رجلان، ثم انقرضا لا عقب لهما.

وذكر ابن حزم[5]: أنَّ زيد بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب المتقدمُ ذِكْرُ بنيه، كان له أخٌ، وهو عبد الله بن حبيب، وأنَّ عبد الله بن حبيب هذا والد أبي جُبْيَلة[6] الغساني الذي جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود بالمدينة، كما قدَّمنا الإشارة إليه، والله أعلم.

ونزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر مفترقين في أربع[7] منازل:

فنزلت بنو عمرو وبنو ثعلبة ابنا الخزرج بن ساعدة، دارَ بني ساعدة التي بين السوق ـ أي: سوق المدينة ـ وبين بني ضمرة[8]، فهي في شرقي سوق المدينة مما يلي الشام.

---

(١) س: أجذع، ر: أجزع.
(٢) المغانم المطابة ص٨٢.
(٣) المغانم المطابة ص٨٢.
(٤) س، ر: اجذع؛ خ: أجزع.
(٥) جمهرة أنساب العرب ٣٥٦.
(٦) ر: ولد أبي جبيلة، أما في الجمهرة: "فولدُ حبيب. . . وعبد الله، فولدَ عبد الله بن حبيب أبا جبيلة الملك الغساني". .
(٧) س: الربع.
(٨) المغانم المطابة ص٨٢.

وقال المطري: قرية بني ساعدة عند بئر بُضَاعة[١] والبئر وسط بيوتهم[٢].

قال ابن زبالة: فابتنوا أطماً يقال له: معرض[٣] في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، وهو آخر أُطم بُنيَ بالمدينة؛ قدم[٤] رسولُ الله ﷺ المدينة وهم يبنونه فاستأذنوه في إتمامه، فأذِنَ لهم فيه، وله يقول شاعرهم[٥]:

ونحنُ حَمَينَا عن بُضَاعةَ كلِّها ... ونحن بَنَيْنَا مُعرضَاً فهو مُشْرِفُ

فاصبح معموراً طويلاً قذالهُ ... وتَخْرَبُ آطامٌ بها وتصفصفُ[٦]

وأطماً في دار أبي دُجانة[٧] الصغرى[٨] التي عند بُضاعة.

ونزلت بنو قشبة ـ واسم قشبة: عامر بن الخزرج بن ساعدة ـ قريباً من بني حُدَيلة[٩]، وابتنوا أُطماً عند خوخة عمرو بن أمية الضَّمْري[١٠].

قلت: فمنزلهم في شرقي بني ضمرة، والمنزل المذكور قبل، والله أعلم.

ونزلت بنو أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ـ وهم رهط

---

(١) بئر بضاعة: بئر معروفة في دار بني ساعدة وراء بئر حاء، لها ذكر وافٍ في كتب الحديث والفقه لورود الحديث النبوي في طهارة مائها أو نجاسته، وقد استوفى الفيروزأبادي الكلام فيها وفي ما جاء فيها عند علماء المذاهب في المغانم المطابة ٣١ ـ ٣٥.

(٢) التعريف للمطري ٧٢.

(٣) المغانم المطابة ص٨٢ ومَعْرِض: أطم ابتناه بنو عمرو وبنو ثعلبة ابنا الخزرج، وهو الأطم الذي في دار سويد المواجهة لمسجد بني ساعدة، كان لبني عمرو بن ساعدة، وكان آخر أطم بالمدينة، قدم رسول الله ﷺ وهم يبنونه فاستأذنوه في إتمامه فأذن لهم، المغانم المطابة ٣٨٦.

(٤) ص: وقدم.

(٥) هو أبو أُسَيْد الساعدي، كما في المغانم المطابة ٣٨٦ وترجم له ابن سعد في الطبقات ٣/ ٥٥٧.

(٦) في المغانم: وتقصف، والقذال: جماع مؤخر الرأس.

(٧) ابو دجانة: هو الصحابي الجليل سماك بن خرشة الأنصاري، سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٣ مع مصادره.

(٨) في المغانم ص٨٢: «العصرى».

(٩) ر: حذيلة بالذال وهو تصحيف، وهي أم معاوية بن عمرو بن مالك، جمهرة أنساب العرب ٣٤٧، وقيل: حذيلة بالذال كما ورد في المقتضب والاشتقاق ٢٦٧ وهو تصحيف أيضاً.

(١٠) المغانم المطابة ص٨٢، وعمرو بن أمية: صحابي جليل، أرسله النبي ﷺ برسائله الى النجاشي وغيره وهو الوحيد الذي نجا في وقعة بئر معونة، السيرة النبوية ٢/ ٦٤٩وجوامع السيرة ١٨٠ والإصابة ٢/ ٥٢٤.

سعد بن عُبادة ـ الدارَ التي يقال لها: جِرَارُ سَعْدٍ[١]، وهي جرار كان يسقي الناس فيها الماء بعد موت أبيه[٢].

قال ابن زبالة: عرض سوق المدينة ما بين المُصَلَّى إلى جرار سعد بن عُبَادة.

قلت: فهي مما يلي السوق، فإما أنْ يكون من جهة المشرق والمصلَّى حده من جهة المغرب، فيشهد ذلك لأنها الموضع المعروف اليوم بين أهل درب السويقة، بـ: سقيفة بني ساعدة، ويكون إطلاق السقيفة على ذلك المحل صحيحاً، لا كما قال المطري: إنها بقرية بني ساعدة عند بئر بُضَاعة[٣]؛ لأنَّ سعد بن عبادة لم يكن هناك[٤]، وإنما كان مع رَهْطه في منزلهم والسقيفة كانت عند منزله، وإما أنْ تكون جِرارُ سعدٍ مما يلي السوق من جهة الشام، ويكون المُصَلَّى حدَّه القبلي، وهذا هو الأرجح، لأنَّ الجهة التي بالمشرق مما تقدم إنما هي من منازل بني زريق، والله أعلم.

قال ابن زبالة: فابتنوا أطماً يقال له: واسط[٥]، وقد تقدم أنَّ بني خدارة نزلوا بجرار سعد أيضا، فكأنها كانت منزلهما؛ وبنو خدارة من بني الحارث بن الخزرج، كما تقدم، فدارهم المرادة في حديث عيادة سعد بن عُبادة في بني الحارث بن الخزرج، لا دار بني الحارث المعروفة بهم لبعدها جداً عن منازل بني ساعدة، وليسوا قومَ سعدٍ إلاَّ من حيث أنَّ الكلَّ من الخزرج.

وفي حديث عائشة في الصحيح بعد قول عُروة لها: «ما كان يُعَيِّشُكم؟ قالت: الأسودَانِ التمرُ والماء[٦]، إلاَّ أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار

---

(١) المغانم المطابة ص٨٢.

(٢) ص: امه، والخبر في المصدر نفسه.

(٣) التعريف للمطري ٧٢.

(٤) ص: هنالك.

(٥) المغانم المطابة ص٨٢ وفي الخلاصة ٦١٩: "أطم لبني خدرة، وأطم لبني خزيمة رهط سعد بن معاذ، وأطم لبني مازن، وجبل تنتطح سيول العقيق عنده ثم تفضي للجثجاثة".

(٦) ورد في البخاري (هبة ١، رقاق ١٧، أطعمة ٦، ٤١) ومسلم والترمذي وأحمد وابن ماجه، انظر: المعجم المفهرس ٣/ ٢٠، وفي الموطأ ومسند أحمد بلفظ: "...لم يكن طعامنا إلا الأسودين الماء والتمر".

كانت[1] لهم منائح[2]. . . » الحديثَ.

قال الحافظ ابن حجر في بيان ذلك: جيرانه ﷺ من الأنصار سعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حزم وأبو أيوب وسعد بن زُرَارة، فيبعُد كون سعد بن عُبادة في دار بني الحارث لِعَدِّهِ في الجيران، ومأخذ الحافظ ابن حجر في ذلك ما رواه ابن سعد عن أم سلمة، قالت: كان الأنصار الذين[3] يُكْثِرُونَ إلطافَ رسول الله ﷺ: سعد بن عُبادة وسعد بن معاذ وعمارة بن حزم وأبو أيوب، وذلك لقرب جوارهم من رسول الله ﷺ[4]، انتهى، والله أعلم.

ونزلت بنو وقش وبنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الدارَ التي يقال لها: بنو[5] ساعدة، ويقال لها أيضاً: بنو طريف، وهي بين الحماضة وجِرار سعد[6]، وسيأتي في ترجمة «الشوط»[7]، ما يقتضي أن لبني ساعدة منزلاً في شامي مسجد الراية، والظاهر أنه هذا المنزل، والله أعلم.

ونزل بنو مالك بن النجار دارَهم المعروفة بهم، فابتنى بنو غَنْم بن مالك أُطُماً يقال له: فويرع[8]، وفي موضعه دار حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب[9] رضي الله عنه.

قلت: وهي الدار المقابلة لدار جعفر الصادق التي في قبلة المدرسة

---

(١) م٢: وكانت.

(٢) فتح الباري ١٩٧/٥، ٢٨٣/١١وصحيح مسلم ٢١٨/٨ ـ ٢١٩ وتتمة الحديث فيه: "... من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه". والمنائح: جمع منحة ومنيحة وهي الشاة أو الناقة.

(٣) سقطت من الأصول، الإضافة من طبقات ابن سعد ١٦٣/٨.

(٤) المصدر نفسه وفتح الباري ٣٠٦/٥.

(٥) س،ر: بني.

(٦) المغانم المطابة ص٨٢.

(٧) قسم الأماكن والمواضع في آخر الكتاب.

(٨) المغانم المطابة ٣٢٠ والمخطوطة ص٨٢ وقد اختصر السمهودي النص كثيراً.

(٩) كان والياً للمنصور العباسي على المدينة، انظر: نسب قريش للزبيري ٢٨٠.

الشهابية، كما سيأتي نقله عن ابن شبّة[١].

وابتنى[٢] بنو مَغَالة ـ وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك، ومغالة أم عدي ـ أطُماً يقال له: فارع[٣] وهو الأطم الذي يواجه دور بني طلحة بن عبيد الله، ودخل في دار جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرمَك، وله يقول حسان بن ثابت:

أرِقْتُ لتَوْمَاضِ البروقِ اللوامِعِ ونحنُ نَشَاوَى بين سَلْعٍ وفارعِ[٤]

قاله ابن زبالة.

وقال الزين المراغي: إنَّ هذا الأطُم كان لثابت والد حسَّان بن ثابت، وإنه دخل في الدار المواجهة لباب الرحمة التي كانت دار عاتكة[٥].

ومأخذه في ذلك أنَّ دار عاتكة من جملة دار جعفر بن يحيى، لكن سيأتي من كلام ابن زبالة ويحيى عند ذكرأبواب المسجد أن دار جعفر بن يحيى دخل فيها بيت عاتكة وفارع، أطم حسان بن ثابت، وبيَّنَّا محله هناك في شامي الدار المذكورة، أعني: دار عاتكة.

وفارع هذا هو الأطم الذي كانت به صفية عمَّة رسول الله ﷺ يوم الخندق وعندها حسَّان.

وفي مسلم، في حديث ابن صَيَّاد: «فوجده عند أُطُم بني مَغَالة»[٦].

قال عياض: بنو مَغَالة كلُّ ما كانَ على يمينك إذا وقفت آخر البلاط، مستقبلَ

---

(١) تاريخ المدينة ١/ ٢٦٠.

(٢) ر: وابتنوا.

(٣) المغانم المطابة ص٨٢ و عن فارع انظر: المغانم المطابة ٣٠٩، وقال السمهودي في مكان آخر من هذا الكتاب في دار جعفر بن يحيى: «هي البيت المواجه لباب الرحمة، وكان موضع بيت عاتكة، وما في شاميه من المدرسة الكلبرجية التي أُنشِئَت سنة ٨٣٨ هـ، وهو موضع الأطم»، واقول: دخل كلُّ ذلك في التوسعة الجديدة للمسجد النبوي وفي السوق المجاور للمسجد.

(٤) ديوان حسان بن ثابت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٧٨.

(٥) تحقيق النصرة للمراغي ٧٩ ـ ٨٠.

(٦) صحيح مسلم ٨/ ١٩٢ وما بعدها.

المسجد النبوي[1].

وابتنى بنو حُدَيْلة ـ بضم الحاء المهملة ـ وهو: كما قال ابن زبالة وغيره، لقب معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أُطُماً يقال له: مشعط[2]، كان في غربي مسجدهم الذي يقال له: مسجد أُبيّ ـ يعني: أُبَيّ بن كعب، وفي موضعه بيت يقال له: بيت أبي نبيه.

وقد أسنَدَ ابنُ زبالة عقب ذكره الحديث المتقدم: «إنْ كان الوباء في شيء فهو في ظل مشعط».

وذكر ابن شَبَّة[3] قصر بني حُديلَة، وقال: بناه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ليكون حصناً، قال: وله بابان: بابٌ شارعٌ على خط بني حديلة، وبابٌ في الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التَّيمي، وفي وسطه بئر حاء[4]، انتهى.

وقال عياض في المشارق[5]: بئر حاء: موضع يُعرف بقصر بني حُديلة[6]، وقد[7] قال ابن إسحاق: بنو عمرو بن مالك بن النجار هم بنو حُديلة[8]، أي: لأنَّ حديلة بطن منهم؛ لما قدَّمناه من أنه لقب أبيهم معاوية بن عمرو بن مالك.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٩/ ٢٨٤ وسيأتي قول عياض هذا بعد قليل.

(٢) في المغانم المطابة ص٨٢، وعن مشعط: المغانم المطابة ٣٨٢: "جبل أو موضع بالمدينة"، وضبطه البكري في معجم ما استعجم بالسين المهملة، بضم أوله على لفظ الذي يُسعط به، وقال: اطمِ كان لبني حديلة (من بني النجار) وضبطه السمهودي ـ كما سيأتي في آخر الكتاب ـ بصيغة مِزْفق.

(٣) تاريخ المدينة ١/ ٢٧٢، وجاء فيه: "قصر بني جديلة" بالجيم، وقد نص السمهودي على صوابه فقال: "بضم الحاء المهملة"، كما سيأتي قريباً.

(٤) تاريخ المدينة ١/ ٢٧٢ وقد اسقط السمهودي جملاً من الخبر.

(٥) هو مشارق الأنوار فبى صحاح الآثار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، وقد نُشر في المغرب حتى الآن جزءان منه فقط، وعياض: هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤هـ، معجم المؤلفين ٨/ ١٦ مع مصادر ترجمته.

(٦) مشارق الأنوار ١/ ٣١٣، ٢/ ١١٩.

(٧) ساقطة من ص.

(٨) السيرة النبوية ١/ ٣٠٧.

قلت: فليس بنو حُدَيلة هؤلاء بني معاوية من الأوس، أهل مسجد الإجابة كما قدَّمناه، ولكن الاشتراك في الاسم أوجب الوهم، فقد وقع للقاضي عياض في **المشارق** ما يخالف كلام عامة الناس.

فقال: قال الزبير: كل ما كان من المدينة عن يمينك إذا وقفت آخِرَ البلاط مستقبلَ مسجد النبي ﷺ بنو مَغَالة، والجهة الأخرى ـ أي: التي على يسارك ـ بنو حُدَيلة؛ وهم بنو معاوية وهم من الأوس[1].

قال الجوهري: هي قرية من قرى الأنصار[2].

قال القاضي: هم بطن من الأنصار سميت جهتهم بهم، وهم أيضاً بنو حديلة ـ بحاء ودال مهملتين ـ وحديلة أمهم، انتهى.

والذي نقله غيره عن الزبير: أنَّ بني حُدَيلة من بني النجار من الخزرج[3] وبنو معاوية من الأوس غيرهم ، وقد قدَّمناه عن ابن زبالة شيخ الزبير.

وقد ذكر ابن حزم في **الجمهرة** معاوية من الأوس، وذكر بني حُدَيلة من الخزرج، فقال: وولد مالك بن النجار معاوية وأمه حُدَيلة فنسب إليها[4].

والظاهر أنَّ قول القاضي: "وهم من الأوس" ليس من كلام الزبير في هذا الموضع، ولكنَّ القاضي لما رأى قوله: "وهم بنو معاوية" ظنَّ أنهم بنو معاوية من الأوس، وهذا موجب ما وقع للمطري[5] من الخبط في هذا المحل حيث غاير بينهما مرة وجعلهما متحدين أخرى، ولا يصحُّ الجمع بما ذكره المراغي من احتمال أن يكون بنو معاوية بطناً أو فخذاً من بني حُدَيلة[6]؛ لما قدَّمناه.

وابتنى بنو مبذول ـ واسمه عامر بن مالك بن النجار ـ أطماً يقال له: الفلج،

---

(١) مشارق الأنوار ١/٣١٨.

(٢) في تاج العروس ٧/٢٧٦: "محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان نسبت إلى بني حديلة".

(٣) انظر: كتاب الطبقات لخليفة بن خياط ٨٨.

(٤) جمهرة أنساب العرب ٣٤٧.

(٥) التعريف للمطري ٥٠، ٧٥.

(٦) تحقيق النصرة للمراغي ١٤٩ ـ ١٥٠.

وأطماً كان في دار آل حُيَيِّ بن أخطب كان لبني مالك بن مَبْذُول، وأطماً كان في دار سرجس مولى الزبير[1] التي إلى بقيع الزبير، كان لآل عبيد بن النعمان[2]، أخي النعمان بن عمرو بن مبذول.

وبقيعُ الزبير ذُكِرَ في أماكن يؤخذ منها أنه كان في شرقيِّ الدور التي تلي قبلة المسجد النبوي إلى بني زُرَيق، وإلى بني غنم، وإلى البقَّال[3]، كما سيأتي.

ونزل بنو عدي بن النجار دارَهم المعروفة بهم غربيِّ المسجد النبوي، على ما قاله المطري[4]، وكان بها الأطم الذي في قبلة مسجدهم.

وابتنوا أُطُماً يقال له: أطم الزاهرية؛ امرأة سكنته، كان في دار النابغة عند المسجد الذي في الدار[5].

ونزل بنو مازن بن النجار دارَهم المعروفة بهم قبليِّ بئر البَصَّة، وتسمى الناحية اليوم أبو مازن، غيَّرها أهل المدينة، قاله المطري[6]، وابتنوا بها أُطُمين، أحدهما يقال له: واسط[7].

قلت: والذي يؤخذ من كلام ابن شَبَّة الآتي في منازل القبائل: أنَّ منازل بني مازن كانت في قبلة المدينة، شرقيِّ منازل بني زريق، قريبة منها[8] والله أعلم.

ونزل بنو دينار بن النجار دارَهم التي خَلْفَ بُطْحان المعروفة بهم، وابتنوا أُطُماً يقال له: المنيف[9] عند مسجدهم الذي يقال له: مسجد بني دينار، قاله ابن زبالة.

---

(١) في المغانم المطابة ص٨٢: «مولى الزبير الدنيا».

(٢) المغانم المطابة ص٨٢ ـ ٨٣.

(٣) البَقَّال: موضع بالمدينة يقع بقيع الزبير بجانبه، المغانم المطابة ٦٠، ٦٣، وعرَّفه السمهودي بأن بقيع الزبير يجاور منازل بني غنم، شرقي منازل بني زريق، وإلى جانبه في المشرق البقال، وقال: ولعل الرحبة التي بحارة الخدم، بطريق الغرقد منه.

(٤) التعريف للمطري ٧٤.

(٥) المغانم المطابة ص٨٣ وقد اختصر السمهودي النص كثيراً.

(٦) نقلاً من التعريف للمطري ٧٤.

(٧) المغانم المطابة ص٨٣ وقد اختصر السمهودي النص كثيراً.

(٨) تاريخ المدينة ٢٢٩/١.

(٩) المغانم المطابة ٣٩٦، «قال: ابتناه بنو دينار بن النجار، وهو الذي عند مسجد بني دينار، بناه مالك=

وقال المطري في بيان هذا المسجد: ودار بني دينار بن النجار بين دار بني حديلة ودار بني معاوية؛ أهل مسجد الإجابة، ودارُبني حُدَيلة عند بئر حاء[١]، انتهى.

ولا أدري من اين أخذ هذا، وما ذكره ابن زبالة أقربُ وأولى بالاعتماد لأمورٍ، سنذكرها في بيان مسجدهم.

قال ابن زبالة: وزعم بنو دينار أنهم نزلوا أولاً دار أبي جَهْم بن حُذيفة العَدَوي، وكانت امرأة منهم هنالك، وكان لها سبعة إخوة، فوقفت على بئر لهم بدار أبي جَهْم ومعها مِدرىً[٢] لها من فضة فسقط منها في البئر، فصرخت بإخوتها، فدخل أولهم يخرجه فأُسِر[٣]، فاستغاث ببعض إخوته حتى دخلوا جميعاً فماتوا في تلك البئر[٤]، فهذه منازل بني النجار.

قال المطري: وتَبِعَه مَنْ بعده: إنَّ دار النابغة المتقدمة في بني عدي كانت غربي مسجد الرسول، وهي دار بني عدي بن النجار، ومسجد الرسول ﷺ وما يليه من جهة الشرق دار بني غنم بن مالك بن النجار؛ ودورُ بني النجار بالمدينة وما حولها من الشمال إلى مسجد الإجابة[٥].

والنجار: هو تيم الله بن ثعلبة، وسمِّي بذلك لأنه ضرب رجلاً فَنَجَره[٦]، فقيل له: النجّار.

= بن كعب بن عبد الأشهل»، وجاء في المغانم المطابة ص٨٣: «ونزل بنو دينار بن النجار دارهم التي خلف بطحان ويقال لها بئر دينار وابتنوا المنيف وقيل انهم نزلوا في الجاهلية في موضع دار ابي جهم بن حذيفة العدوي».

(١) التعريف للمطري ٧٥.

(٢) هو المشط ويسمى المدراة جمع مِدارٍ ومداري، ويقال: تدرَّت المرأة، إذا سرَّحت شعرها بالمِدْرَى، تاج العروس "درى" ١٠/١٢٦؛ وذكر الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٤٧: "المِدْرَى: الذي يُحَكُّ به" وزاد في القاموس ٤/٣٢٧: "وراسه حكَّه بالمدرى وهو المُشط والقَرْنُ كالمدراة والمدرية ج مدار ومداري".

(٣) أسر: احتبس فلم يستطع الخروج.

(٤) المغانم المطابة ص٨٣ وأورد شعراً لها في رثاء اخوتها.

(٥) التعريف للمطري ٧٤.

(٦) النجر: يقال: نجره نجراً إذا جمع يده وضربه بالبرجمة الوسطى (كما يفعل أصحاب الملاكمة في الحلبة) انظر: ، تاج العروس: "نجر" ٣/٥٥٥.

وفي دور بنيه هؤلاء قال النبي ﷺ: «خيرُ دورِ الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل»[١]، وهم من الأوس كما سبق.

وفي رواية أخرى[٢]: «ألا أُخبركُم بخير دور الأنصار؟ قالوا: بلى، قال: بنو عبد الأشهل ـ وهم رهط سعد بن معاذ ـ قالوا: ثم مَنْ يا رسول الله؟ قال: ثم بنو النجار»[٣]، وراويهما واحد[٤]، وقد صَحَّتا[٥] فاختلف عليه؛ وتقديم بني النجار رُوِيَ عن أنس من غير اختلاف عليه، ولها مؤيدات أخرى؛ وهم أخوالُ عبد المطلب جَدّ النبي ﷺ ولذلك نزل عليهم ﷺ، كما سيأتي.

ثم ذكر في الرواية المذكورة بعد بني عبد الأشهل، بني الحارث بن الخزرج، أي: الأكبر، ثم بني[٦] ساعدة، وقال في هذه الرواية أيضاً: «وفي كلِّ دورِ[٧] الأنصار خيرٌ»[٨] وكأنَّ المفاضلة وقعت بحسب السبق إلى الإسلام[٩]، وبحسب مَساعيهم في إعلاء كلمة الله.

قال ابن زبالة ـ عقب ذكر جميع منازل الأنصار المتقدمة ـ : ونزل بنو الشطبية حين قدموا من الشام، ميطان[١٠]، فلم يوافقهم، فتحولوا قريباً من

---

(١) في صحيح مسلم ٧/ ١٧٤ "... ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كلِّ دور الأنصار خير.." وقد ورد بطرق عديدة وزيادات، وانظر: المستدرك ٣/ ٥١٦.

(٢) من رواية البخاري و الترمذي، انظر: جامع الأصول ٩/ ١٧٢ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥١٦ وأحمد في مسنده من حديث أنس ١/ ٣٢٧ (المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ) ومن حديث أبي هريرة ١٤/ ٥٠ (المعارف ١٣٦٥هـ) وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٥٤ عن أنس بن مالك وقال: "غريب من حديث مالك تفرد به عبد العزيز عنه".

(٣) في صحيح مسلم ٧/ ١٧٦ "أحَدِّثكم بخيرِ دور الأنصار... الخ".

(٤) في صحيح مسلم: روى الأول أبو أُسيد وروى الثاني أبو هريرة. وانظر: جامع الأصول ٩/ ١٧٢ ـ ١٧٥.

(٥) يريد: أنَّ الروايتين قد صحتا.

(٦) س، ر، ض: بنو.

(٧) س: وكل دور، ر: في كل دور.

(٨) ر: في كل دور؛ س: وكل دور والخبر في مسند الحميدي ٢/ ٥٠٤ والتاريخ الكبير ٤/ ١/ ٢٩٩.

(٩) هذا قول النووي والقاضي عياض، انظر حاشية صحيح مسلم ٧/ ١٧٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٣١٠.

(١٠) هو جبل بحذاء شوران، به بئر يقال لها ضعة (ضفة، صمه) وليس به نبات، المغانم المطابة ٢١٠، =

جذمان[١]، ثم تحولوا فنزلوا براتج[٢]؛ فهم إحدى[٣] قبائل راتج الثلاث.

وقد ذكر راتج في منازل يهود فقال: وكان براتج ناسٌ من اليهود، وكان راتج أُطُماً سمِّيت به تلك الناحية، ثم صار لبني الجذماء، ثم صار بعدُ لأهل راتج الذين كانوا حلفاء بني عبد الأشهل، وهو الذي يقول له قيس بن الخطيم:

* ألا إنَّ بين الشَّرْعَبي وراتج * البيت[٤]

وقد قدَّمنا عن ابن حزم: أنَّ أهل راتج هم بنو زعُورا بن جُشَم أخي عبد الأشهل بن جُشَم[٥].

وذكر أيضاً أنَّ من أهل راتج بني سعد بن مرة بن مالك بن الأوس[٦].

وقال المطري: راتج: جبيل صغير غربي وادي بُطْحان، وبجنبه جبيل آخر صغير يقال له: جبل بني عبيد[٧]، انتهى.

وسيأتي ما ينازع فيه مع بيان أن راتجاً في ناحية مسجد الراية.

= ٣٩٩ وقال ابن حجر في فتح الباري ٤١٥/٧: "ميطان موضع في بلاد مزينة من الحجاز كثير الأوعار".

(١) مثال عثمان والذال معجمة، موضع فيه أطم من آطام المدينة، سميَ بذلك لأنَّ تبعاً كان قد قطع نخله لما غزا يثرب، والجذم: القطع، المغانم المطابة ٨٧ وذكر شعراً لقيس بن الخطيم فيه، وسيذكره السمهودي.

(٢) المغانم المطابة ص٨٣.

(٣) س، ر، ص، خ، م٢: احد.

(٤) المغانم المطابة ١٤٩، ٢٠٢، وورد البيت في ديوانه، تح ناصر الدين الأسد، بيروت ١٩٦٧، ٧١. وعجزه كما ورد في ما سبق: "ضراباً كتجذيم السيال المعضَّـد".

(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٧١.

(٦) المصدر نفسه ٣٤٦.

(٧) التعريف للمطري ٦٢.

الفصل السادس

في ما كان بينهم من حرب بُعاث

نقل رزين عن الشرقي[1]: أنَّ الأوس والخزرج لبثوا بالمدينة ما شاء الله وكلمتهم واحدة، ثم وقعت بين الأوس والخزرج حروبٌ كثيرةٌ حتى لم يُسْمَع قَطُّ في قوم أكثرُ منها ولا أطولُ.

أولها: حرب سُمَير، وسببه رجلٌ من بني ثعلبة كان حليفاً لمالك بن العجلان، قتله رجلٌ من الأوس، يقال له: سُمَير ـ بالمهملة مصغَّراً[2].

ثم حرب كعب بن عمرو.

ثم يوم السَّرارة، وهو موضع بين بني بَيَاضة والحماضة.

ثم يوم الدرك[3]، وهو موضع أيضاً.

ثم حرب بُعَاث، وهو كان آخرَهَا، قُتِل فيه سَرَاةُ الأوس والخزرج ورؤساؤهم.

قلت: في كلام بعضهم أنه كان بين الأوس والخزرج وقائع من أشهرها يوم السرارة، ويوم فارع، ويوم الفِجَار الأول والثاني، وحرب حضير بن الأسلت، وحرب حاطب بن قيس، إلى أنْ كان آخر ذلك يوم بُعاث.

فقول الخطَّابي: "يوم بعاث يوم مشهور، كانت فيه مَقْتَلة عظيمة للأوس

---

(١) أي: أبو المنذر الشرقي.

(٢) ذكرها ابن الأثير مفصلة في الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١/ ٤٠٢.

(٣) س، م٢، خ: يوم الديك؛ ر، م١، ت، ص: يوم الدبك، وسيأتي في آخر الكتاب.

على الخزرج، وبقيت الحرب قائمة مئة وعشرين سنة إلى الإسلام، على ما ذكره ابن إسحاق وغيره"، مُؤَوَّلٌ[1] بأنَّ حروب الأوس والخزرج كلَّها قبل بُعاث وبعده مكثت هذه المدة، وإلا فهو مردود، وسيأتي تعيين[2] تاريخ يوم بُعَاث.

وكان سببه أنَّ الحروب المتقدمة كلها كان الظَّفَر في أكثَرِها للخزرج على الأوس، حتى ذهبت الأوس لتحالف قُرَيْظَة، فأرسلت إليهم الخزرج: لئن فعلتم فأذَنُوا بحرب فَتَفَرَّقُوا، وأرسلوا إلى الخزرج: إنَّا لا نُحالفهم، ولا ندخل بينكم، فقالت الخزرج لليهود: فأعطونا رَهائِنَ، وإلاَّ فلا نأمنكم فأعطوهم أربعين غلاماً من بينهم، ففرَّقتهم[3] الخزرج في دورهم، فلما أَيِسَت الأوس من نُصْرة اليهود، حالفت بطونٌ منهم الخزرج منهم بنو عمرو بن عوف، وقال سائرهم: والله لا نصالح حتى نُدركَ ثَأرَنا، فتقاتلوا وكَثُرَ القتل في الأوس لمَّا خَذَلَهم قومهم، وجُرح سعد بن معاذ الأشهلي فأجاره عمرو بن الجَمُوح الحَرامي، فلما رأت الأوسُ أن أمرَهُم إلى قُلٍّ[4]، عزموا على أن يكونوا حِلفاً للخزرج في المدينة.

ثم اشْتَوَرُوا في أنْ يحالفوا قريشاً، فأظهروا أنهم يُريدون العُمرةَ، وكان بينهم أنَّ من أراد حجاً أو عمرة لم يعرض له، فأجار أموالهم بعدهم البَرَاء بن مَعْرور، فأتوا مكة فحالفوا قريشاً، ثم جاء أبو جهل ـ وكان غائبا ـ فنقض حِلْفَ قريش بحيلةٍ احتالها.

قلت: روى ابن شَبَّة عن أفلح بن سعيد ما يخالفه في نسبة ذلك لأبي جهل مع بيان الحيلة، فقال: خرجت الأوس جاليةً من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها، فلما حالفتهم قال الوليد بن المغيرة: والله ما نزل قوم قَطُّ على قوم إلاَّ أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم، فاقْطَعُوا حلف الأوس، فقالوا: بأي شيء؟[5]

---

(١) س: مأول، ر: مُأوَّلُ.
(٢) سقطت من: ر، س، خ.
(٣) م٢، ر، م١، س: ففرقهم.
(٤) القل: بالضم، القِلَّة كالذُّل والذِلَّة، النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٠٤.
(٥) ص: فقالوا باي قال باي شيء.

قال: إنَّ في القوم حميّة، قولوا لهم: إنّا نسينا شيئاً لم نذكره لكم، إنا قوم إذا كان النساء بالبيت فرأى الرجلُ امرأةً تُعجِبُه قَبّلها ولمسها بيده، فلما قالوا ذلك للأوس نَفَرتْ وقالوا: اقطعوا الحلف بيننا وبينكم فقطعوه[1]، انتهى.

فلما لم يتم لهم الحلف، ذهبت النبيت إلى خيبر.

قلت: أراد بالنبيت بعضَهم، وهم بنو حارثة؛ لما قدَّمناه من أن النبيت يُطلق عليهم وعلى بني عبد الأشهل وبني ظَفَر وبني زعورا، والذي انتقل من هؤلاء إلى خيبر هم بنو حارثة فقط ـ كما سبق، إلاّ أن يُريد غيره ـ فأقاموا بها سنة، وماتت منهم عجوز، فقالوا: "أهون حادث موت عجوز في سنة"، فذهبت[2] مثلاً.

فلما رأت الخزرج أنْ قد ظفرت بالأوس افتخروا عليهم في أشعارهم، وقال عمرو بن النعمان البَيَاضي: يا قوم! إنَّ بَيَاضة بن عمرو أنزلَكُم منزلَ سوءٍ، والله لا يَمَسُّ راسي غسلاً حتى أنزلكم منازل بني قُريظة والنضير، وأقتلَ رُهُنَهم، وكان لهم غِزار المياه وكِرام النخل.

وقال رجلٌ منهم أيضاً شعراً يُتَغَنّى به، يذكر جلاء النبيت إلى خيبر وأخذَهم الرُهُنَ من اليهود:

هَلُـمَّ إلـى الأحـلاف إذ رَقَّ عَظْمُهـم ... وإذ أصلحوا مالاً بجذمان ضائعا[3]

إذا مـا امـرؤٌ منهـم أشَـاءَ عِمـارةَ ... بعثنا عليهم من بني العَنْزِ[4] جائعا[5]

فـأمّـا الصّـريـحُ منهـمُ فَتَحَمَّلُـوا ... وأمّا اليهودُ فاتَّخذناهُمْ بضائعا[6]

---

(١) روى السمهودي هذا الخبر في الخلاصة ١٧٧ ـ ١٧٨ أيضاً واسقط «روى ابن شبة»، ولم أقف على هذا الخبر في كتاب تاريخ المدينة المنشور.

(٢) ص: فذهب.

(٣) سبق التعريف بجُذمان، وهو موضع فيه أُطم من آطام المدينة، سمِّي بذلك لأنَّ تُبَّعاً لما غزا يثرب قطع نخله المغانم المطابة ٨٧، وسوف يأتي ذكره عند السمهودي في ما بعد.

(٤) خ، ص: العتر.

(٥) أشاء: من الأشاءة وهي صغار النخل، انظر: تاج العروس ١/ ٤٠ والنهاية في غريب الحديث ١/ ٥١.

(٦) ر، ت، س، خ: واما اليهودي.

وذاكَ بـأنّـا حيـنَ يـأتـي عـدوّنَـا نَصُولُ بضَربٍ يَتْرُكُ العِزَّخاشِعَا[1]

فبلغ قولُهم قريظةَ والنضير وهم المعنيّون بالصَّريح، لأنهم من بني الكاهن بن هارون؛ وبلغ ذلك أيضاً من كان في المدينة من الأوس، فَمَشَوا إلى كعب بن أسد القُرَظي، فدعوه إلى المحالفة على الخزرج، ففعل ،ثم تحالفوا مع قريظة والنضير، ثم أرسلوا بذلك إلى النَّبيت فقدموا فأخذت الخزرج في قتل الرُهُن، فقال لهم كعب بن أسد القُرَظي: إنما هي ليلة ثم تسعة أشهر وقد جاء الخلف، وأرسلوا إلى الأوس وقالوا لهم: انهَضُوا إلينا فنأتيهم بأجمعنا، فجاءت الخزرج إلى عبد الله بن أُبيّ فقالوا: ما لك لا تقتل الرهن؟ فقال: لا أغدرهم أبداً، وأنتم البُغَاة، وقد بلغني أنَّ الأوس تقول: منعونا الحياة فيمنعونا الموت؟ ووالله ما يموتون أو يُهلكون عامتكم، فقال له عمرو بن النعمان: انتفخ والله سَحْرُكَ! فقال: إني لا أحضُرُكم، ولكأني أنظر إليك قتيلاً يحملك أربعة في كساء.

فاجتمع الخزرج ورَأسوا عليهم عمرو بن النعمان.

قلت: الذي ذكره ابن حزم أنَّ رئيس الخزرج يومئذ هو والد النعمان، وهو رُخَيْلة[2] بن ثعلبة البياضي[3]، والله أعلم - فاقتتلوا في بُعاث، وهو موضع عند أعلى قَوْرَى[4] وكانت الدَّبْرَةُ على الخزرج، وقتل عمرو بن النعمان، وجيءَ به يحمله أربعةٌ كما قال له ابن أبيّ، وحلفت اليهود لتُهَدِمَنَّ حِصْنَ عبد الله بن أبيّ، وكان أبو عامر الراهب مع الأوس، وكانت تحته جميلة بنت أُبيّ وهي أم حنظلة الغَسِيل، فلما أحاطوا بالحصن قال لهم عبد الله: أما أنا فلم أحضر معهم، وهؤلاء

---

(١) خ: بني العتر، ت: بني العشر، والعز بكسرالعين: القوة والشدة، ويقال: سيل عِز: غالب، وهو يريد: العزيز هنا، تاج العروس ٤/٥٨.

(٢) ر: رحلية، س، ت: رحيلة، خ: رخلية، والتصويب من جمهرة أنساب العرب.

(٣) جمهرة أنساب العرب ٣٥٧ والإصابة لابن حجر ٢٦٣٩.

(٤) قورى: وزان فَعْلى، موضع بظاهر المدينة، قال فيه قيس بن الخطيم:

تركنا بُعاثا يوم ذلك منهمُ وقورى على رغمٍ، شباعاً سباعها

وقال السمهودي - في ما سيأتي -: الظاهر أنه الحائط المعروف اليوم بقوران، شرقي المدينة، أسفل الدلال.

أولادكم الذين عندي فإنني لم أقتل منهم أحداً، ونهيتُ الخزرج فعصوني، وكان جلٌّ من عنده من الرهن من أولاد بني النضير، ففرحوا حين سمعوا بذلك، فأجاروه من الأوس ومن قريظة، فأطلق أولادهم وحالفهم، ولم يزل حتى ردَّهم حلفاءَ الخزرج بحيلٍ تَحَيَّلَ بها.

وكان رئيس الأوس في هذه الحرب حُضَيرالذي يقال له: حضير الكتائب والد أُسَيْد بن حضير، وبها قُتِل، وقال خُفاف بن نُدْبة، يرثي حُضَيراً:

أتـانـي حـديـثٌ فكَـذَّبْتُـه   وقالوا: خليلكَ في المَرمَسِ[1]

فيـا عيـنُ بكِّـي حُضَيـر النـدى   حضيـر الكتـائـب والمجلـسِ

وكان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ـ كما تقدَّم أيضاً.

قال بعضهم: وكان النصر فيها أولاً للخزرج، ثم ثَبَّتَ حُضَيرٌ الأوسَ فرجعوا وانتصروا[2].

وذكر أبو الفرج[3] الأصفهاني: أنَّ سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أنَّ الأصيل لا يُقتل بالحليف، فَقَتَل رجلٌ من الأوس حليفاً للخزرج، فأرادوا أن يُقِيدُوه فامتنعوا، فوقعت بينهم الحرب لأجل ذلك[4].

وكان يوم بُعاث قبل الهجرة بخمس سنين[5] على الأصح، وقيل: بأربعين سنة، وقيل: بأكثر، وهو اليوم الذي تقول فيه عائشة رضي الله عنها، كما في **الصحيح**: «كان يوم بُعاث يوماً قَدَّمَهُ الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام، فَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وقـد افترق مَلأُوهم وقُتِلَتْ سَرَاتُهم»[6]؛ يعني: الأوس والخزرج.

ومعناه: أنه قُتل فيه من أكابرهم من كان لا يؤمَنُ أنْ يتكبَّر ويأنَفَ أنْ يدخل

---

(١) م٢: الرمس.

(٢) عن يوم بعاث، انظر: **السيرة النبوية** ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٣) خ: أبو الفتح.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١١١.

(٥) فتح الباري ٧/ ١١١: "قبل الهجرة بخمس سنين"؛ ٧/ ٢٦٥: "كان بعد المبعث بعشر سنين".

(٦) صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٨٤، وانظر: المعجم المفهرس ٢/ ٤٥٧.

في الإسلام لتَصَلُّبه في أمر الجاهلية ولشدة شكيمته حتى لا يكونَ تحت حكم غيره وقد كان بقي منهم من هذا النمط عبدُ الله بن أُبيٍّ بن سَلُول وقصته في ذلك مشهورة[1]؛ وكذلك أبو عامر الراهب الذي سمَّاه النبي ﷺ بـ: الفاسق.

قال أهل السِيَر[2]: قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وسيِّدُ أهلها عبد الله بن أبيّ بن سلول، كان من الخزرج ثم من بني عوف بن الخزرج ثم من بني الحُبْلَى، لا يختلف في شرفه[3] من قومه اثنان؛ لم تجتمع الأوسُ والخزرجُ قبله ولا بعده على رجلٍ من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره ومعه في الأوس رجلٌ هو في قومه من الأوس شريفٌ مطاعٌ، أبو عامر بن صيفي بن النعمان، أحد بني ضَبيعة بن زيد[4]وهو أبو حنظلة الغسيل، وكان قد تَرَهَّبَ ولبس المُسُوح، فَشَقِيا بشرفهما.

أما عبد الله بن أُبيّ، فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضَغِنَ ورأى أنَّ رسولَ الله ﷺ قد استلبه مُلكاً، فلما رأى قومَه قد أَبَوا إلاَّ[5] الإسلام دخل فيه[6] كارهاً مُصِرّاً على نِفاقٍ وضغنٍ، فكان رأسَ المنافقين وإليه يجتمعون وهو القائل في غزوة بني المصطلق: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[7].

وأما أبو عامر فأبى إلاَّ الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام وأتى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، فقال: ما هذا الدين الذي جئتَ به؟ قال: جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم، قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله ﷺ: «إنك لست عليها، قال: إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها، قال: ما فعلتُ، ولكني جئت بها بيضاء نَقِيَّةً، قال: الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً، فقال

---

(١) بالنص في فتح الباري ٧/ ١١١.
(٢) اقتبس السمهودي كلَّ هذه الأخبار عن المنافقين من السيرة النبوية ١/ ٤١١ وما بعدها.
(٣) "ثم من بني عوف. . . في شرفه"، سقط من س. وفي ر: "من الخزرج ثم بني عوف بن الخزرج ثم بني الحبلى".
(٤) جمهرة أنساب العرب ٣٣٣.
(٥) ر: ساقطة.
(٦) ر: فيها.
(٧) سورة المنافقين ٨، وانظر: كتاب العفو والاعتذار ١/ ١٢١ ـ ١٢٥.

رسول الله ﷺ: أَجَلْ، فمن كذب ففعل الله ذلك به، فكان هو ذاك عدو الله؛ خرج إلى مكة مُفارقاً الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق، فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، فمات بها طريداً غريباً وحيداً»[1].

وروى بعضهم: أنه لم يكن في الأوس والخزرج رجلٌ أَوْصَفُ لمحمد ﷺ من أبي عامر المذكور، وكان يألف اليهود ويسألهم فيخبرونه بصفة رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى يهود تَيْمَاء وإلى الشام، فسأل النصارى فأخبروه بذلك، فرجع وهو يقول: أنا على دين الحنيفية، وترهَّبَ ولبس المُسُوح، وزعم أنه ينتظر[2] خروجَ النبي ﷺ، فلما ظهر بمكة لم يخرج إليه فلما قدم المدينة حَسَدَ وبغى، وذكر إتيانه النبي ﷺ بنحو ما سبق، إلاَّ أنه قال: فقال رسول الله ﷺ: «الكاذب أماته الله وحيداً طريداً، قال: آمين، ثم ذكر خروجه إلى مكة، وزاد: فكان مع قريش يتبع دينهم، وترك ما كان عليه؛ فهذا مصداق ما ذكرت عائشة رضي الله عنها».

---

(١) بالنص في السيرة النبوية ١/ ٤١١ ـ ٤١٢.

(٢) ص: ينظر.

الفصل السابع

في مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبي ﷺ

وذكر العقبة الصغرى

اعلم أنَّ تلك الحروب المتقدمة لم تزل بين الأوس والخزرج حتى أكرمهم الله باتباعه ﷺ، وذلك أنه ﷺ كان يَعْرِضُ نفسه في كُلِّ مَوسِمٍ من مواسم العرب على قبائلهم، ويقول: ألاّ رجلٌ يحملني إلى قومه؟ فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي، فيأبونه ويقولون: قَومُ الرجل أعلمُ به(١).

وذكر ابنُ إسحاق: عَرْضَهُ عليه الصلاة والسلام نفسَه على كِندةَ وعلى كَلْب وعلى بني حنيفة، قال: ولم يكن أحدٌ من العرب أقْبَحَ ردّاً عليه منهم(٢).

وقال موسى بن عقبة(٣) عن الزهري: فكان في تلك السنين ـ أي: التي قبل الهجرة ـ يعرض نفسه على القبائل، ويكلم كلَّ شريفِ قومٍ، لا يسألهم إلاَّ أنْ يُؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أُكره أحداً منكم على شيء، بلِ أُريد أنْ تمنعوا من يُؤذيني حتى أبلغَ رسالةَ ربِّي، فلا يقبله أحدٌ(٤).

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٣٠.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٢٨١ ـ ٢٨٣، اختصر السمهودي هنا أخبار السيرة النبوية، وانظر: تاريخ الطبري ١/ ١٢٠٥ روايةً عن ابن إسحاق.

(٣) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي الأسدي المتوفى سنة ١٤١هـ، مؤلف كتاب المغازي، نشر سخاو قطعة وجدها منه وجمع وستنفيلد ما وجده في تاريخ ابن قاضي شهبة من رواياته عن موسى بن عقبه ونشرها، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢٠٥ وسير أعلام النبلاء ٦/ ١١٤ومعجم المؤلفين ١٣/ ٤٣.

(٤) نقلا من فتح الباري ٧/ ٢٣٠.

وذكر الواقدي[1] دُعاءَه ﷺ بني عَبس إلى الإسلام، وأنه أتى غَسَّان في منازلهم بعكاظ وبني محارب كذلك؛ ولم يزل ﷺ يَدْعُو إلى دين الله ويأمر به كُلَّ من لقيه ورآه من العرب، إلى أن قَدِمَ سُوَيْدُ بن الصامت؛ أخو بني عمرو بن عوف من الآوس، وكان يسمَّى: الكامل لِجَلَدِهِ وشِعْرِهِ، وهو القائل:

فَـرِشْنـي بخيـرٍ طَـالَ مَـا قـد بَـرَيْتَنِـي ... فخيرُ الموالي من يريشُ ولا يَبْرِي[2]

فدَعَاهُ رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يبعُدْ ولم يُجبْ، ثم انصرف إلى يثرب، فلم يلبث أنْ قُتل يومَ بُعَاث[3].

قال ابن إسحاق: فإنْ كان رجالٌ من قومه ليقولون: إنا نراه قد قُتِلَ وهو مسلم[4].

وقدم مكة أبو الحَيْسَر[5]؛ أَنس بن رافع، وهو في فتيةٍ من قومه بني عبد الأشهل يطلبون الحِلْفَ[6]، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال رجل منهم ـ اسمه إياس بن مَعَاذ ـ وكان شاباً: هذا والله خيرٌ مما قدمنا له، فضربه أبو الحَيْسَر

---

(١) اورد أبو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة ١٠٠ ـ ١٠٥ روايات الواقدي بالتفصيل.

(٢) البيت من خمسة أبيات في السيرة النبوية ١/ ٢٨٤ وفي تاريخ الطبري ١/ ١٢٠٧ ـ ١٢٠٨.

(٣) تاريخ الطبري ١/ ١٢٠٧ روايةً عن ابن إسحاق وفتح الباري ١/ ٩٨.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٢٨٥.

(٥) في الأصول: أبو الجيسر، أبو الحسر، أبو الحسر، وفي تاريخ الطبري، تح دي خويه ١/ ١٢٠٨ وجمهرة أنساب العرب ١٣١ والسيرة النبوية ١/ ٢٨٥ وجوامع السيرة لابن حزم ٦٩ و الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير ٩٦ والبداية والنهاية ٣/ ١٤٨: أبو الحيسر، وفي خلاصة الوفا ١٧٩ أبو الجيسر، وعلّق حمد الجاسر عليه فقال: "صوابه أبو الجيش"، وفي الإصابة لابن حجر ١/ ١٣٢ (٥٦٢) في ترجمة أنس بن رافع: "أبو الجيش" وهذا مأخذ الشيخ حمد الجاسر، وهو تصحيف لأن ابن حجر أورده على الصواب في ترجمة إياس بن معاذ (٣٨٧) وفي مقدمة فتح الباري ٣٠١: "تزويج عبد الرحمن بن عوف امرأة من الأنصار هي بنت أبي الحيسر بن رافع" ومثله في طبقات ابن سعد ٣/ ١٢٧/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ٣٢٥ وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ١٨٦ والتاريخ الكبير للبخاري ١/ ٢/ ٤٤٢: «لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل».

(٦) انظر: التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٤٤٢ والاستيعاب ١/ ١٢٥ والمعجم الكبير للطبراني ١/ ٢٥١ والمستدرك للحاكم ٣/ ١٨٠ ـ ١٨١.

وانتهره فسكت[١].

ثم لم يتم لهم الحلف، فانصرفوا إلى بلادهم، ومات إياس بن معاذ، فقيل: إنه مات مسلماً[٢].

وقال رزين[٣] في ذكر هذه القصة: ثم جاءت الأوسُ تطلب أنْ تُحالف قريشاً، فجاءهم رسولُ الله ﷺ، وعَرَضَ نفسَهُ عليهم، وقال: اسْمَعُوا منِّي هل لكم في خير مما جئتم له؟ وتلا عليهم القرآن، ثم قال: بايعوني واتَّبِعُوني؛ فإنكم سَتُجْمَعون بي، فقال عمرو بن الجموح: هذا أيْ قَوْم! والله خيرٌ لكم مما جئتم له، فانتهروه، وقالوا: ما جئنا لهذا، ولم يُقْبِلوا عليه، ثم انصرفوا، فكانت وقعة بُعَاث.

وقال ابن زبالة: إنه ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل فيأبونَهُ، حتى سمع بنفرٍ من الأوس قدموا في المنافرة التي كانت بينهم، فأتاهم في رحالهم فقالوا: مَنْ أنتَ؟ فانتسب لهم، وأخبرهم خَبَرَهُ، وقرأ عليهم القرآن، وذكر أنهم أخواله، وسألهم أن يؤوه ويمنعوه حتى يبلغ رسالاتِ ربه، فنظر بعضُهم إلى بعض وقالوا: هـذا والله صادقٌ[٤]، وإنه النَّبِيُّ[٥] الذي يذكرُ أهلُ الكتاب ويستفتحون به عليكم، فاغْتَنِمُوه وآمِنُوا به، فقالوا: أنت رسول الله، قد عَرَفْنَاك وآمَنَّا بك وصَدَّقناك، فَمُرنا بأمْرِكَ فإنَّا لن نعصيك فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ، وجعل يختلف إليهم، ويزدادون فيه بَصيرةً، ثم أمرهم ﷺ أن يَدْعُوا قومَهم إلى دينهم، فسألوه أن يرتحل معهم، فقال: حتى يأذَنَ لي ربي، فلحقوا بأهاليهم بالمدينة[٦].

---

(١) السيرة النبوية ١/٢٨٥ وطبقات ابن سعد ٣/٤٣٨ وإتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨، واختار المحقق: "أبو الجيش".
(٢) المصدر نفسه ١/٢٨٦ وطبقات ابن سعد ٣/٤٣٨.
(٣) هو رزين العبدري، وقد سبق التعريف به.
(٤) ص: والله هذا صادق.
(٥) س، ر، ص: النبي.
(٦) في الأصول: المدينة، بدون باء، وانظر: المغانم المطابة ص٨٣ ـ ٨٤ بالنص، والسيرة النبوية ١/٢٨٦ ـ ٢٨٧ وذكر أسماء النفر.

ثم شَخَصُوا إليه في الموسم، فكان من أمر العَقَبة ما كان[1]، وهو مخالف لما تقدم من أن النفرَ من الأوس لم يقبلوا.

وقد أخرج الحاكم وغيره بإسناد حسن عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: لمَّا أمرَ اللهُ نبيَّه أنْ يعرض نفسه على قبائل العرب وخَرَجَ وأنا معه وأبو بكر إلى مِنىً حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، وتقدَّم أبو بكر ـ وكان نسَّابَةً ـ فقال: من القوم؟ قالوا: ربيعة، فذكر حديثاً طويلاً في مُرَاجَعَتِهِم وتوقفهم أخيراً عن الإجابة، ثم قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ـ وهم الذين سمَّاهم رسول الله الأنصار، لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونَصْره ـ قال: فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ[2].

وقال ابن إسحاق، في ذكر العقبة الأولى: لما أراد الله عزَّ وجلَّ إظهار دينه خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلِّ موسم، فبينا هو عند العقبة لَقِيَ رَهْطاً من الخزرج، قال: أَمِنْ موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أُكَلِّمُكُم؟ قالوا: بلى! فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعَرَضَ عليهم الإسلام، وكان مما صنع الله لهم في الإسلام إنَّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل علم وكتاب، وكانوا هم أهلَ شِرْكٍ؛ أصحابَ أوثانٍ، وكانوا قد غزوهم في بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنَّ نبيّاً مبعوثٌ قد أَظَلَّ زمانُه نتبعه نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَم، فلما كلَّم رسول الله ﷺ أُولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: تَعَلَّمُوا[3] إنه النَّبيُّ الذي تَوَعَّدُكم[4] به يهود، فلا تسبقَنَّكم إليه، فأجابوه في ما دعاهم إليه، وقالوا له: إنَّا تركنا قومَنا، ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فإنْ يَجْمَعهُمُ الله عليك فلا رجلَ أعزَّ منك، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ليَدْعُوا

---

(١) المغانم المطابة ص٨٤ بالنص.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٢٠ عن البيهقي وأبي نعيم في دلائلهما والحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) تعلموا: أي اعلموا.

(٤) في السيرة النبوية ٢٨٦: تواعدكم. وتواعدكم: أي: تتوعدكم بمعنى: تهددكم به يهود.

قومَهم، فلما جاؤوهم لم تبق دار من دور قومهم إلاَّ وفيها ذكر رسول الله ﷺ[1].

قال: وهم ـ يعني: أصحاب العقبة الأولى ـ في ما ذكر لي ستة نفر من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث ـ كلاهما من بني غنم بن مالك بن النجار ـ ورافع بن مالك بن العجلان الزُّرَقي، وقطبة بن عامر بن حديدة[2]، وجابر بن عبد الله بن رئاب، وعقبة بن عامر بن نابىء، وهؤلاء الثلاثة من بني سلمة[3].

وقال موسى بن عقبة[4] عن الزهري وأبو الأسود عن عروة: هم أسعد بن زرارة، ومعاذ بن عفراء ـ وهي أمه ـ وهو ابن عمرو بن الجَمُوح من بني غنم بن مالك بن النجار أيضاً، ورافع بن مالك، ويزيد بن ثعلبة البلوي، ثم من بني غصينة حليفهم، وأبو الهيثم مالك بن التيهان الأوسي، ثم من بني جُشَم أخي عبد الأشهل بن جُشَم، وعُوَيم بن ساعدة الأوسي، ثم من بني أمية بن زيد، ويقال: كان فيهم عُبادة بن الصامت الخزرجي، ثم من بني غنم أخي سالم بن عوف، وذكوان الزُرَقي[5]؛ فيكونون ثمانية، ومنهم من عَدَّهم سبعة فاسقط جابر بن عبد الله أو عبد الله بن زيد[6].

وقيل: إنما أسلم في العام الأول اثنان فقط، هما أسعد بن زرارة وذكوان.

قال ابن إسحاق في ذكر العقبة ـ يعني: الثانية لِمَا قدَّمه، وبعضهم يسميها الأولى ـ: فلما كان الموسم ـ يعني: من العام القابل[7] ـ وافاه منهم اثنا عشر رجلاً، فذكر الستة الذين قدمهم غير جابر بن عبد الله، وزاد: ذكوان الزُرَقي،

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٢٠ وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٣٤ عن ابن إسحاق والسيرة النبوية (من تاريخ الإسلام) للذهبي، تح حسام الدين القدسي ١٩٣.

(٢) ص: حديرة.

(٣) اختصر السمهودي هنا ما ورد في السيرة النبوية ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨ وانظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٠.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٢٨٨ وما بعدها والبداية والنهاية ٣/ ١٤٩.

(٥) نقل السمهودي هذا النص من فتح الباري ٧/ ٢٣٠ وزاد عليه بعض الكلمات للتوضيح.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٢٠.

(٧) في السيرة: المقبل.

وعُبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عبادة بن نضلة الغنمي السالمي الخزرجي، ومعاذ بن عفراء، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة[1].

قال: فبايعهم رسول الله ﷺ عند العقبة على بيعة النساء ـ أي: على وَفق بيعة النساء التي نزلت بعد الفتح ـ على أن لا يشركوا بالله شيئاً. . . إلى آخر الآية[2]، ولم يكن أُمِرَ بالقتال بعد، بل كان جميع ذلك قبل نزول الفرائض ما عدا التوحيد والصلاة، وأرسل رسولُ الله ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمَير ليُفَقِّهَهُم في الدين ويُعَلِّمَهُم الإسلام، فكان يصلي بهم[3].

وقيل: بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن، فكان يسمَّى: «المقرىء، وهو أول من سُمِّيَ به، فنزل على أسعد بن زُرارة»[4].

وقيل: بعث إليهم مُصْعَب بن عُمير وابنَ أم مكتوم[5]، فكان مصعب بن عمير يؤمهم، وذلك أنَّ الأوس والخزرج كره بعضهم أنْ يَؤُمَّهُ بعضٌ[6]، فجَمَّع بهم أول جمعة في الإسلام[7].

وفي الدارقطني عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أنْ يُجَمِّعَ بهم فجمَّع بهم، وكانوا اثني عشر[8].

قال النووي[9]: وعند ابن إسحاق: أولُ من جمَّع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة[10].

---

(١) السيرة النبوية ١/٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٢) سورة الممتحنة ١٢ ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ. . .﴾.
(٣) السيرة النبوية ١/٢٨٩ ـ ٢٩٠.
(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٧ والبداية والنهاية ٣/١٥١.
(٥) انظر عنه وعن اسمه الإصابة ٢/٥٢٣ ـ ٢٢٤.
(٦) جاء في السيرة النبوية١/ ٢٩٠ أن أسعد بن زرارة كان يؤمهم فكره بعضهم أن يؤمهم أسعد وهو منهم.
(٧) أنظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٨، ٤٤١.
(٨) البداية والنهاية ٣/ ١٥١، قال ابن كثير: «وفي إسناده غرابة»، وانظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٣عن البيهقي.
(٩) في الأصول: قال الزهري، وهو بعيد لأنه توفي سنة ١٢٤هـ وهو أحد شيوخ ابن إسحاق. وروى الذهبي عن موسى بن عقبة عن الزهري: «إنَّ مصعباً أول من جَمَّع بالمدينة» السيرة النبوية ١٩٦/١٩٨.
(١٠) انظر: السيرة النبوية ١/ ٢٩٠ «أول من جَمَّعَ بنا بالمدينة في هَزمٍ من حَرَّة بني بياضة يقال له: بقيع =

وفي أبي داود، من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كان أبي إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة، فسألته، فقال: كان أول من جَمَّع بنا في هَزْم النبيت من حَرَّة بني بياضة في نقيع يقال له: نقيع الخضمات، قلت: كم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون[1].

قال البيهقي: ولا يخالف هذا ما رويَ عن الزهري من تجميع مصعب بن عمير بهم وأنهم كانوا اثني عشر[2]، إذ مراد الزهري أنه أقام الجمعة بمعونة النفر الاثني عشر الذين بايَعُوا في العقبة، وبعثه ﷺ في صحبتهم أوعلى أثرهم حين كَثُرَ المسلمون، ومنهم أسعد بن زُرارة، فالزهري أضاف التجميع إلى مصعب بن عمير لكونه الإمام، وكعب أضافه إلى أسعد لنزول مصعب أولاً عليه ونَصْرِه له وخروجه به إلى دور الأنصار يدعوهم إلى الإسلام، وأراد الزهري بالاثني عشر عدد الذين خرجوا به، وكانوا له ظهراً[3]، ومرادُ كعب جميع مَنْ صَلَّى معه، هذا وقولُ كعب متصل، وقول الزهري منقطع، انتهى.

وروى الطبراني مرسلاً في خبر طويل، قال فيه عن عروة: «ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أنِ ابْعَثْ إلينا رجلاً من قِبَلِكَ يدعو الناسَ بكتاب الله فإنه أدنى أنْ يُتَّبَعَ؛ فبعث إليهم رسولُ الله ﷺ مصعب بن عمير، أخا بني عبد الدار، فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس، ويفشو الإسلام، وهم في ذلك مستخفون بدعائهم، ثم أنَّ أسعد بن زرارة أقبل هو ومصعب بن عُمير حتى أتيا مَرْقاً[4]

= الخُضمات، قال: قلت: وكم أنتم يومئذ» قال: أربعون رجلاً ؟، والبداية والنهاية ٣/ ١٥١ وفتح الباري ٢/ ٣٥٥ ؛ ٧/ ٢٢٣.

(١) السيرة النبوية ١/ ٢٩٠ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٤١ وفتح الباري ٧/ ٢٢٣ والتعريف للمطري ٧٨ وتحقيق النصرة للمراغي ١٥٥ ـ ١٥٦ والسيرة النبوية (من تاريخ الإسلام) للذهبي ١٩٦ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/ ٢٩٧، ٢٩٩ ـ ٣٠٠ والمصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ٦١١ والتاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١/ ٣١٤.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٤١.

(٣) أي: عوناً.

(٤) في السيرة النبوية ١/ ٢٩١: "على بئر يقال له بئر مَرق"؛ وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١٠٨: "بئر مرق أو قريباً منها". وذكر السمهودي في آخر هذا الكتاب نقلاً عن البيهقي ما ورد في السيرة، =

أو قريباً منه، فجلسا هنالك، وبعثا[1] إلى رَهْطٍ من أهل الأرض، فأتوهم مُسْتَخْفين، فبينا مصعب بن عمير يُحَدِّثُهم ويقصُّ عليهم القرآن، أُخبِرَ بهم سعد بن معاذ، فأتاهم في لأمَتِه[2] ومعه الرُّمح حتى وقف عليه فقال: عَلام يأتينا في دارنا هذا الوحيد الفريد الطريد الغريب يُسَفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم؟[3] لا أراكما بعد هذا بشيء من جوارنا، فرجعوا»[4].

ثم إنهم عادوا الثانية لبئر مرق أو قريباً منها، فأخبر بهم سعد بن معاذ الثانية، وتوعدهم بوعيدٍ دون الأول، فلما رأى أسعدُ منه اللينَ قال: يا ابن خالة، اسْمَع من قوله، فإنْ سمعت منكراً فاردده بأهْدَى منه، وإنْ سمعت خيراً فأجب إليه، فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليه مصعب: ﴿حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[5]، فقال سعد: وما أسمع إلاَّ ما أعرف فرجع وقد هداه الله، ولم يُظْهِر أمر الإسلام حتى رجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه، وقال: مَنْ شكَّ فيه من صغير أو كبير فليأتنا بأهْدَى منه، فوالله لقد جاء أمرٌ لتَحُزَّنَّ[6] فيه الرقاب، فاسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلامه ودعائه إلاَّ من لا يُذكر، فكانت أولَ دارٍ من دور الأنصار أسلمت بأسرها، ثم إنَّ بني النجار اشتدوا على أسعد بن زرارة وأخرجوا مُصعب بن عُمير، فانتقل إلى سعد بن معاذ، فلم يزل يدعو ويُهْدَى على يديه، حتى قَلَّ دارٌ من دور الأنصار إلاَّ أسلم فيها ناسٌ واسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجَمُوح، وكسرت أصنامهم، فكان المسلمون

= فقال: "يقال له بئر مرق، ويؤخذ منه قربها من دار بني ظَفَر وبني عبد الأشهل وهناك بناحية مسجد الإجابة نخيل تُعرف بالمرقية، فالظاهر أنها منسوبة لها". وانظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٢٠ والمغانم المطابة ٤٧.

(١) ص: وبعث.
(٢) اللأئمة: ما يلبسه ويحمله المقاتل من السلاح.
(٣) في دلائل النبوة لأبي نعيم ١٠٨: "ويدعوكم إليه ولا أراكم بعدها بشيء من جوارنا".
(٤) بالنص مع بعض التصحيفات في دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.
(٥) سورة الزخرف ١ ـ ٣.
(٦) دلائل النبوة ٢/ ٤٣٢.

أعزَّ أهلها، ورجع مصعب بن عُمير إلى رسول الله ﷺ[1]، انتهى.

وقد روى هذه القصة ابنُ إسحاق[2] عَنْ مَنْ سمَّى من شيوخه بزيادةٍ ونقصٍ، فقال: «إنَّ أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال لها: بئر مَرَق، فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فلما سمع بذلك سعدُ بن معاذ وأُسَيدُ بن حُضَير ـ وهما يومئذ سيدا قومهما بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك ـ فقال سعدُ لأُسَيد: لاَ أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتَيا دارينا ليُسَفِّها ضعفاءنا، فازجُرْهُمَا وانْهَهُما عن أنْ يأتيا دارَيْنَا، فإنه لولا أنَّ أسعدَ بنَ زُرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، فأخذ أُسيد حَربتَه ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيِّدُ قومه قد جاءك فاصْدُقِ الله فيه».

قال: فوقف عليهما متشتِّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تُسَفِّهان ضعفاءنا، اعتَزِلانَا إنْ كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإنْ رَضيتَ أمراً قبلته وإنْ كرهته كُفَّ عنك ما تكره، فقال: أنْصَفْتَ، ثم رَكَزَ حربته وجلس إليهما، فكلَّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن فقالا ـ في ما يذكر عنهما ـ : والله لَعَرَفْنَا في وجهه الإسلام قبل أنْ يتكلم، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فَتَطَّهَر، وتُطَهِّر ثيابَك ثم تتشهد شهادة الحق، ثم تصلِّي، فقام ففعل ذلك، ثم قال لهما: إنَّ ورائي رجلاً إنْ اتَّبَعَكُما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه، وسأرسله إليكما الآن؛ سعدَ بنَ مُعاذ، ثم انصرف إلى سعد وقومه ـ وهم جلوس في ناديهم ـ فلما نظر إليه سعد مقبلاً قال: أَحْلِفُ بالله لقد جاءكم أُسيد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلتَ؟ قال: كلَّمت الرجلين، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثْتُ أنَّ بني حارثة

---

(١) الخبر بطوله في دلائل النبوة لأبي نعيم ١٠٨ ـ ١٠٩ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ وفيه تغيير في بعض الألفاظ وزيادة عن ما هنا.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٢٩٠ وما بعدها.

خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلـوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِرُوكَ فقام سعد مُغْضَباً مبادراً متخوفاً للذي ذكر له، فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيتَ شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين عرف أنَّ أُسيداً إنما أراد أنْ يسمعَ منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال: يا أبا أُمامة! أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منِّي، أتغْشَانا في دارَيْنَا بما نكره؟ وقد قال أسعد لمصعب بن عمير: أيْ مُصعب، جاءك والله سيِّدُ مَنْ وراءه من قومه، إنْ يَتْبَعْكَ لا يتخلف عنك منهم اثنان فقال له مصعب: أَوَ تقعد فتسمع، فإنْ رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته وإنْ كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفتَ، ثم ركَزَ الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرَفْنَا والله في وجهه الإسلام قبل أنْ يتكلم لإشراقه وتَسَهُّلِه، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم؟ فذكرا له ما تقدم، ففعله، ثم أقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسَيدُ بن حُضَير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، أفْضَلُنا رأياً وأيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قال: فإنَّ كلامَ رجالكم ونسائكم حرامٌ عليَّ حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امراةٌ إلاَّ مسلماً أو مسلمة، ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون، إلاَّ ما كان من دار بني أمية بن زيد وخَطْمة ووائل وواقف[1]؛ وتلك أوس الله، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن صيفي بن الأسلت، وكان شاعراً لهم قائداً يسمعون منه ويطيعون، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجَرَ رسول الله ﷺ، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم أسلموا كلهم.

وفي التاريخ الأوسط للبخاري: أنَّ أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ:

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٨ ـ ٤٤٠.

فـإنْ يُسْلِـمِ السَّعـدان يُصْبِـحْ محمـدٌ ... بمكةَ لا يخشى خِـلافَ المُخَالِفِ[1]

فيا سعدُ سَعْدَ الأوس كُنْ أنتَ ناصراً ... ويا سَعْدُ سَعْدَ الخزرجين الغطارفِ

أجيبـا إلـى داعـي الهـدَى وتَمَنَّيـا ... على الله في الفردوس مُنْيَةَ عارفِ[2]

في أبيات أخرى.

وذكر لها رزين سبباً آخر كما سيأتي، وهذا أصحّ، ولم يذكر ابن إسحاق في الخبر المتقدم إسلام عمرو بن الجَموح، بل ذكره بعد ذكر العقبة الآتية، كما سنذكره؛ نعم ابنُه معاذ شهد العقبة.

---

(١) اورده ابن حجر منفرداً في فتح الباري ١٢٣/٧ ولم ينسبه.

(٢) انظر: التاريخ الصغير للبخاري ٢٥/١ ـ ٢٦، والاستيعاب لابن عبد البر ١٥٥/٤، وأورد الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١ ـ ٢٨٠ الأبيات عن ابن الكلبي بزيادة بيت رابع، والأبيات الثلاثة مع بيت رابع في تاريخ الطبري ١/١ ـ ١٢٤٢ والبداية والنهاية ١٦٥/٣ عن البيهقي ودلائل النبوة للبيهقي ٤٢٨ ـ ٤٢٩ والمستدرك للحاكم ٢٥٣/٣.

الفصل الثامن

في العقبة الكبرى

وبعضهم يُسمّيها: العقبة الثانية

ومقتضى ما قدمناه أن تسمَّى: الثالثة؛ قال ابن إسحاق: ثم إنَّ مصعب بن عُمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين للقائهم النبي ﷺ ومبايعته في الموسم مع حجّاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله[1].

وروى ابن إسحاق[2] ـ وصحّحه ابنُ حِبّان من طريقه عن كعب بن مالك، قال: «خرجنا حُجّاجاً مع مشركي قومنا، وقد صلينا وفَقَهْنَا، ومعنا البراء بن معرور سيدُنا وكبيرنا، فذكر شأن صلاته إلى الكعبة، قال: فلما وصلنا إلى مكة، ولم نكن رأينا رسول الله ﷺ قبل ذلك، فسألنا عنه، فقيل: هو مع العباس في المسجد، فدخلنا فجلسنا إليه، فسأله البراء عن القبلة، ثم خرجنا إلى الحج وواعَدْنَاهُ العقبة».

فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، وكُنّا نكتم مَنْ معنا من المشركين أمرنا ومعنا عبد الله بن عمرو، والد جابر، ولم يكن أسلم قبل فَعَرَّفناه أمرَ الإسلام، فأسلم حينئذ وصار من النقباء، قال: فَنِمْنَا تلك الليلة في قومنا في

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٧ باختلاف يسير وزيادة ونقص في الألفاظ.

رحالنا، حتى إذا مضى ثُلُث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ سَلَّلَ القَطَا مستخفين، فاجتمعنا في الشعب عند العقبة[1] ثلاثة وسبعين رجلاً ومعنا امرأتان: أم عمارة بنت كعب؛ إحدى نساء بني مازن وأسماء بنت عمرو بن عدي، أحدى نساء بني سلمة.

قال: فجاء ومعه العباس، فتكلم فقال: إنَّ محمداً مِنَّا من حيث علمتم، وقد مَنَعْنَاهُ، وهو في عِزٍّ، وقد أبى إلاَّ الانحياز إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وَافُونَ له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وذاك، وإلاَّ فمن الآن.

قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسولَ الله فَخُذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم، فدعا إلى الله، وقرأ القرآن، ورغَّب في الإسلام، ثم قال: أُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم[2].

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، فقال: نعم والذي بعثك بالحق لَنَمْنَعَنَّك مما نمنع منه أُزُرَنَا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أصحابُ الحروب وأهلُ الحَلْقَةِ؛ ورثناها كابراً عن كابر؛ فاعترض القولَ ـ والبراءُ يكلِّم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم ابن التيهان، فقال: يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين الرجال ـ يعني اليهود ـ حِبالاً ونحن قاطعوها، فهل عَسَيْتَ إنْ نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أنْ ترجع إلى قومك وتَدَعَنا؟! قال: فتبسمَ النبي ﷺ، ثم قال: بل الدَّمَ الدَّمَ والهَدْمَ الهَدْمَ[3]، أنا منكم وأنتم منِّي، أُحارب من حاربتم وأُسالم من سالمتم، وقال رسول الله ﷺ: «أَخْرِجُوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم[4] اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس؛ فمن الخزرج: أسعد بن زرارة نقيب

---

(١) هذا الشعب يقع على يسار الذاهب إلى مِنى، كما حدده السمهودي في ما سيأتي بعد قليل.

(٢) انظر: معرفة الصحابة ٢٩٦/٢ ـ ٢٩٩، في ترجمة أسعد بن زرارة مع مصادر ورود الخبر.

(٣) الهدم: بالسكون والفتح فسرها ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢٥١/٥ وخلص إلى أن هذا قول معروف للعرب، يقولون: دمي دمُك وهَدمي هدمك، وذلك عند المُعاهدة والنُصرة؛ وفسره ابن هشام في السيرة النبوية ٢٩٧/١، فقال: "يعني الحرمة، يقول: حرمتي حرمتكم ودمي دمكم".

(٤) العبارة: "يكونون. . . فاخرجوا منهم" سقطت من ر.

بني النجار، وسعد بن الربيع وعبد الله بن رَواحة نقيبا بني الحارث بن الخزرج[1]، ورافع بن مالك بن العجلان نقيب بني زُرَيق، والبراء بن مَعْرُور وعبد الله بن عمرو بن حرام نقيبا بني سلمة، وعُبادة بن الصامت نقيب القبائل».

وفي الطبراني: أنه نقيب بني عدي من الخزرج، فكأنه نقيب الجميع، وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو نقيبا بني ساعدة.

ومن الأوس: أُسيد بن حضير نقيب بني عبد الأشهل، وسعد بن خَيْثَمة ورفاعة بن المنذر نقيبا بني عمرو بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأهلُ العلم يعدون[2] فيهم أبا الهيثم ابن التيهان، ولا يعدون رفاعة[3].

قلت: فيكون أبو الهيثم نقيباً ثانياً لبني عبد الأشهل، فإنه منهم، وقد صرحوا به.

وجعل ﷺ النقباء على عدد[4] الأسباط؛ وروي أنه نقَّبَ على النقباء أسعد بن زُرارة[5]، فتوفي بعدُ والمسجدُ النبوي يُبْنَى.

قيل: فاجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ وسألوه أنْ يجعلَ منهم شَخْصَاً بدله نقيباً عليهم، فقال لهم: أنتم أخوالي، وأنا فيكم وأنا نقيبكم، وكره ﷺ أنْ يخُصَّ بها بعضَهم دون بعض، فكان ذلك من فضل بني النجار الذي يَعُدُّونَ.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم: أنَّ رسول الله ﷺ قال للنقباء: «أنتم كُفَلاء على قومكم كفالَةَ الحَوَارِيِّينَ لعيسى بن مريم، قالوا: نعم»[6].

---

(١) «ابن الخزرج»: سقطت من ص.
(٢) ص: يدون.
(٣) السيرة النبوية ١/٢٩٨.
(٤) ص: عدة.
(٥) معرفة الصحابة ٢/٢٥٣.
(٦) السيرة النبوية ١/٢٩٩.

وحدَّث عاصم بن عمر بن قتادة[1]: «أنَّ القوم لما اجتمعوا للبيعة، قال العباس بن عبادة بن نَضْلَة؛ أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج! هل تدرون على مَا تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نَهكَت أموالَكُم مصيبةٌ وأشرافَكُم قتلاً أسلمتموه؟ فمن الآن! فهو والله إنْ فعلتم خِزْيُ الدنيا والآخرة، وإنْ كنتم ترون أنكم وَافُونَ له بما دعوتُمُوه إليه على ما ذكرت لكم، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنَّا نأخذه على ما قلتَ، فما لنا بذلك يا رسولَ الله إنْ نحن وَفَيْنَا؟ قال: الجنة، قالوا: ابْسُط يدَكَ، فبسط يده فبايعوه».

قال عاصم: ما قال ذلك العباسُ إلاَّ ليشُدَّ العَقْدَ في أعناقهم.

وقال غيره[2]: أراد التأخير[3] تلك الليلة رجاءَ أنْ يحضُرَ عبدُ الله بن أُبيّ بن سلول، فيكون أقوى للأمر.

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعُمون أنَّ أبا أمامة أسعد بن زُرارة كان أولَ من ضَرَب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان، وفي حديث كعب المتقدم أنه البراء بن معرور، ثم بايع القوم[4].

وفي المستدرك عن ابن عباس: كان البَرَاء بن مَعْرُور أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة العقبة[5].

وعند أحمد عن جابر، وعند الحاكم في الإكليل عن كعب بن مالك: قال عبد الله بن رَوَاحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: أشترط لربي أنْ تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أنْ تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة قالوا: ربح البيع، لا نُقيل ولا

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٩٩ "وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة. . ." .
(٢) في السيرة النبوية ١/ ٢٩٩ "وأما عبد الله بن أبي بكر فقال. . ." .
(٣) في السيرة : "ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة" .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٠٠.
(٥) المستدرك ٣/ ١٨١ .

نَسْتَقِيلُ، فنزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] الآية[2].

وفي حديث كعب المتقدم ـ بعد ذكر صُرَاخ الشيطان ـ: أنَّ العباس بن نَضْلَة قال للنبي ﷺ: «والذي بعثك بالحق إنْ شئتَ لنَمِيلَنَّ على أهل مِنىً غداً بأسيافنا، فقال ﷺ: لم أُؤْمَرْ بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها، فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّةُ قريشٍ حتى جاؤنا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج! إنه بَلَغَنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا أنْ تَنْشُبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم، فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا، لم يعلموه»[3].

وفي حديث غير كعب[4]: أنهم أتوا عبدَ الله بن أُبيّ، فقال لهم: إنَّ هذا الأمر جسيم، ما كان قومي لِيَتَفَوَّتُوا[5] عليَّ بمثل هذا، وما علمته كان[6].

وروى أنَّ مشركي الأنصار الذين حجوا في ذلك العام كانوا خمس مئة نفر، وأن أهل العقبة كانوا سبعين نفراً.

وفي لفظٍ عن ابن إسحاق: من الأوس أحد عشر رجلاً، ومن القبائل أربعة نفر حلفاء الخزرج وكان من بني الحارث بن الخزرج اثنان وستون رجلاً[7].

فكأنه أدخل في الخزرج حلفاءهم[8] الأربعة، وإلاَّ فيزيد العدة على ثلاثة وسبعين، أربعة.

---

(١) سورة التوبة ١١١.
(٢) نقلاً بالنص من فتح الباري ٦/ ٤.
(٣) السيرة النبوية ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.
(٤) في السيرة ١/ ٣٠١ "وحدثني عبد الله بن أبي بكر".
(٥) في طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٣ "ليفتاتوا".
(٦) المصدر نفسه.
(٧) سرد ابن إسحاق أسماءهم وما فعلوا في ما بعد في الإسلام بالتفصيل، السيرة النبوية ١/ ٣٠٥ـ٣١٣.
(٨) ص: وحلفاهم.

وروى رزين: أنَّ أهل العقبة كانوا سبعين رجلاً وامرأتان، فإنه روى حديث العقبة[1] هذه عن عُبَادة بن الصامت بنحو حديث كعب المتقدم، فقال: قال عبادة بن الصامت: فلما كان العام المقبل أتينا رسولَ الله ﷺ ونحن سبعون رجلاً وامرأتان من قومنا، فَوَاعَدَنا رسول الله ﷺ عند مسجد شِعْبِ العقبة ـ عن يسارك وأنتَ ذاهبٌ إلى مِنىً ـ فلما توافينا عنده جاء رسولُ الله ﷺ ومعه عمه العباس، وقال: يا معشر الخزرج ـ وهذا الاسم يغلب على الأوس والخزرج جميعاً إذ ذاك ـ، إنَّ محمداً منّا حيثُ علمتم، وقد منعناه كما بلغكم، فإن كنتم تعلمون أنكم تقدرون على منعه وإلاَّ فَذَرُوه فهو مع قومه في عزٍّ ومنعةٍ، فقام البَراء بن مَعْرُور فقال: قد سمعنا ما قلتَ، وإنَّا ما ضربنا إليه أكباد الإبل إلاَّ وقد علمنا أنه نبي؛ فبايعنا يا رسولَ الله، واشترط لنفسك ولربك ما شئت، فحمد الله رسولُ الله ﷺ، ودعا إلى الله ورغَّبَ في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أنْ تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، فأخذ البَرَاء بيده، وقال: نعم والذي بعثك بالحق نبيّاً لنمنعك مما نمنع منه أُزُرَنا، ونحن أهل الحلَقَة والحُصُون والحروب.

فقام أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً، ونحن قاطعوها، فهل عَسَيْتَ إنْ نَصَرك الله أنْ ترجع إلى قومك وتَدَعَنا، فقال رسول الله ﷺ: «بل الدَّمَ الدَّمَ والهَدْمَ الهَدْمَ، المحيا محياكم والمماتُ مماتكم، وأُحارب مَنْ حاربكم، وأُسالم من سالمكم؛ أخرِجُوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونوا نقباء على الناس، فأَخْرَجُوا تسعةً من الخزرج وثلاثة من الأوس، فبينما هم في ذلك إذْ صَرَخ الشيطانُ يقول: يا أهل الجباجب[2] ـ وهي المنازل ـ هل لكم في الصُّبَأة[3] قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: هذا ابن أَزْبَّ العقبة، لأفْرُغَنَّ لك أي عدو الله، أرجعوا إلى رحالكم، نصَرَكُم الله، فقال له العباس بن

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ٢٢١ وما بعدها، روايةً عن عبادة بن الصامت وغيره.

(٢) الجباجب: بالضم واحدها جبجب وهو المستوي من الأرض ليس بحَزْن وهي أسماء منازل بمنى، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٣٤، وفي طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٣: "يا أهل الأخاشب".

(٣) الصبأة: جمع صابىء، وهو من ترك دينه لدين آخر، وكانت قريش تطلقه على من أسلم.

عبادة بن نَضْلَة: والذي بعثك بالحق نبيًا لئن شئتَ لَنميلنَّ بأسيافنا غداً على مِنىً، فقال له: لم أُؤْمَرْ بذلك».

ثم ذكر قصة كلام قريش في ذلك وحلفَ مشركي قومهم[1] عن ذلك.

قال: ثم إنهم قالوا لرسول الله ﷺ: «أتخرج معنا؟ قال: ما أُمرت به».

قال رزين: وقد قيل إنه وقَع بين قريش والأنصار كلام في سبب خروج النبي ﷺ معهم، ثم ألقيَ الرعبُ في قلوب قريش، فقالوا: ليس يخرج معكم إلاّ في بعض أشهر السنة، ولا يتحدث العرب بأنكم غلبتمونا، فقالت الأنصار: الأمر في ذلك لرسول الله ﷺ ونحن سامعون لأمره، فأنزل الله على رسوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾[2]، أي: إنْ كان كُفَّار قريش يُريدون المكر بك فسيمكر الله بهم، فانصرفت الأنصار إلى المدينة.

وقيل: إنَّ قريشاً بدا لهم فخرجوا في آثارهم، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلفا في أمرٍ، فردوهما إلى مكة: المنذر وعباس بن عبادة، فأدركهما جُبير بن مُطْعم والحارث بن أميَّة فخلَّصاهما ولحقا أصحابهما[3].

قلت: والذي ذكره غيرُه أن الرجلين هما المنذر وسعد بن عُبادة، فأما المنذر فأعجز القومَ ونجا، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْعِ رَحْلِهِ[4]، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمَّتِـه ـ وكان ذا شَعرٍ كثير ـ ثم خلَّصَه منهم جبير بن مطعم والحارث بن أمية، لأنه كان يجير لهما تُجَّارَهما ويمنعهم أنْ يُظلَموا ببلده[5].

وذكر رزين، عقب ما تقدَّم عنه: إسلام عمرو بن الجَمُوح، كما ذكره أهل

---

(١) ص: قومهم لهم.

(٢) سورة الأنفال ٦٢.

(٣) في السيرة النبوية ١/٣٠١ ان قريش أدركت سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه.

(٤) هو سير مضفور يُجعلُ زماماً للبعير وغيره والجمع نُسْع ونِسَع وأنساع ونسوع.

(٥) السيرة النبوية ١/٣٠١، وقد اختصر السمهودي النص، وانظر: طبقات ابن سعد ١/٢٢٣.

السير عقب ذلك أيضاً، وكان عمرو شيخاً كبيراً من سادات بني سلمة، وشهد معاذ ابنُه العقبةَ.

وكان لعمرو في داره صنمٌ من خَشَب يعبده، يُدعى: مَناة، فكان معاذ ابنه ومعاذ بن جبل وفتيان بني[1] سلمة يدلجون بالليل على صنم عمرو فيطرحونه في بعض حُفَر بني سلمة ـ وفيها عذر الناس ـ منكَّساً على رأسه فإذا أصبح قال عمرو: مَنْ عدا على إلآهنا هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غَسَله وطيَّبَه ثم يقول: والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأخزينَّه، فتكرر ذلك، فطَهَّره يوماً وطيَّبه ثم جاء بسيفه فعلَّقَه عليه ثم قال: إني والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإنْ كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك، فلما نام أخذوا السيف وقَرَنُوا كلباً ميتاً بالصنم بحبلٍ ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عِذْرَة[2]، فلم يجده عمرو في مكانه، فخرج حتى وجده كذلك، فلما أبصرَ ما به وكلَّمه من أسلم من قومه، فأسلم وحَسُنَ إسلامه، وقال في ذلك:

والله لـو كنـتَ إلاهـاً لـم تكـنْ ... أنت وكَلْبٌ وسطَ بئرٍ في قَرَنْ

أفٍّ لملقـاك إلاهـــاً مستـدن ... الآن فَتَّشْنَاكَ عـن سـوء الغَبَن

الحمـدُ للـه العلـي ذي المنـن ... الـواهـب الـرزاق ديَّـان الـدِيَـن

هو الذي أنقذني من قبل أنْ ... أكونَ في ظلمة قبرٍ مُرْتَهَنْ[3]

---

(١) س، ر: ابن.

(٢) س، ص: عذر، ومثله في دلائل النبوة للبيهقي ٤٥٦/١.

(٣) الخبر بنصه مع الأبيات في السيرة النبوية ٣٠٣/١ ـ ٣٠٤ والبداية والنهاية ١٦٥/٣ ـ ١٦٦ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١١٠ ـ ١١١ ودلائل النبوة للبيهقي ٣٥٦/٢ ـ ٤٥٧.

الفصل التاسع

في هجرة النبي ﷺ إليها

روينا في الصحيحين حديث: «رأيت أني أُهاجِرُ من مكة إلى أرض بها نخلٌ، فذهب وهلي[1] إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»[2].

ووقع للبيهقي من حديث صهيب: «أُريتُ دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حَرَّتين، فإما أن تكون هجر أو يثرب[3] ولم يذكر اليمامة»[4].

وللترمذي من حديث جرير: «أُوحيَ إليَّ، أيّ هؤلاء البلاد[5] الثلاثة نزلتَ فهي دار هجرتك: المدينة أو البحرين أو قِنَّسْرِين[6]، واستغربه، وفيه نظر لمخالفته لما في الصحيح من ذكر اليمامة، وأما هَجَر فيصحُّ التعبير بها عنها لكونها من بلاد البحرين، وأما قنسرين فهي من أرض الشام»[7].

---

(١) وهل إلى الشيء يَهِلُ وهلاً: إذا ذهب وهمه إليه، النهاية في غريب الحديث ٥/٢٣٣ وذكر الحديث.

(٢) فتح الباري ٧/٢٢٦ "رأيت في المنام أني أهاجر..." ومثله في صحيح مسلم ٧/٥٧ (الرؤيا).

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١١١والبداية والنهاية ٣/١٦٨: "... سبخة ذات نخل بين لابتين" عن الزهري عن عروة عن عائشة (ر).

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/٢٢٨.

(٥) سقطت من الأصول، والإضافة من الترمذي.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ٢/٣٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٥٨والبداية والنهاية ٣/١٦٨، رواية عن أبي بكر البيهقي عن أبي عبد الله الحافظ، وقال: هذا حديث غريب جداً. ورواه الترمذي في المناقب ٥٠، كتاب المناقب ٦٨، "باب فضل المدينة" من جامعه عن الفضل بن موسى عن... جرير، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل بن موسى.

(٧) نقلاً من فتح الباري ٧/٢٢٨.

ويحتمل أنْ يكون أُرِيَ ما في الصحيح وأُوحِيَ إليه بالتخيير، قبل أو بعد فاختار المدينة[1].

وقال ابن التين: أرِيَ النبيُّ ﷺ دارَ[2] هجرته بصفة تجمع المدينة وغيرها، ثم أُرِيَ الصفة المختصَّة بالمدينة فتعيَّنت[3].

ثم أذَنَ النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة، وأقام بمكة ينتظر أنْ يؤذَنَ له في الخروج.

فتوجه بين العقبتين جماعة منهم ابن أُمِّ مكتوم، ويقال: إنَّ أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي[4]، زوج أُم سلمة، وذلك أنه أوذِيَ لما رجع من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها، ثم بلغه قصة الاثني عشر من الأنصار فتوجَّه إلى المدينة فقدمها بُكْرَةً[5].

وقدم بعده عامر بن ربيعة عشيَّةً، ثم توجَّه مصعب بن عمير ليُفَقِّـه من أسلم من الأنصار، كما تقدَّم.

ثم توالى خروجُهم بعد العقبة الأخيرة، فخرجوا إرسالاً، منهم: عمر بن الخطَّاب وأخوه زيد وطلحة بن عبيد الله وصُهيب وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان بن عفان وغيرهم، حتى لم يبق معه ﷺ بمكة إلاَّ عليُّ بن أبي طالب والصديق رضي الله عنهما ـ كذا قاله ابن إسحاق وغيره[6].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) ص: أولا دار.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٣٤.
(٤) ذكر البخاري (فتح الباري ٧/٢٥٩): أن أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وذكر أبن إسحاق (١/ ٣١٤) وابن سعد (١/ ٢٢٦): أن أبا سلمة كان أول من هاجر، وجزم به موسى بن عقبه، كما في رواية الذهبي في تاريخ الإسلام تح تدمري (قسم السيرة ٣١٣.
(٥) فتح الباري ٧/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٦) السيرة النبوية ١/ ٣١٤ ـ ٣١٥.

والظاهر أنَّ المراد لم يبق من أعيانهم، لما رُويَ من أنَّ مَنْ كان بمكة ممن يُطيق الخروج من المسلمين خرجوا بعد خروجه ﷺ من مكة، فطلبهم أبو سفيان وغيره من المشركين، فردُّوهم وسجنوهم، فافتتن منهم ناس؛ ففي هذا دلالة على بقاء جماعة غير الصديق وعليٍّ رضي الله عنهما مع النبي ﷺ حينئذ.

فلما رأت قريش ذلك، علموا أنَّ أصحابه قد أصابوا مَنَعةً، ونزلوا داراً فحَذِروا[١] خروج رسول الله ﷺ إليهم، فاجتمعوا بدار النَّدوة ليأتمروا في أمر رسول الله ﷺ وفيهم أبو جهل.

وزعم ابن دريد في **الوشاح**: أنهم كانوا خمسة عشر رجلاً[٢].

وفي **المولد**[٣] لابن دحية[٤]: كانوا مئة رجل، وجاءهم إبليس في صورة شيخ نَجْدي، فقال: أدخلوني معكم، فلن تعدموا مني رأياً، فأدخلوه، فقال بعضُهم: نخرجه من بين أظهرنا، وقال آخرون: بل نحبسه ولا يُطْعَمُ حتى يموت، فقال أبو جهل: قد رأيتُ أصْلَحَ من رأيكم: أنْ يُعطَى خمسةٌ[٥] رجالٍ من خمس قبائل سيفاً سيفاً فيضربونه ضَربَةَ رجلٍ فيتفرق دمه في هذه البطون، فلا يقدر لكم بنو هاشم على شيء، فقال النجدي: لا أرى غيرَ هذا فأخبر جبريلُ النبيَّ ﷺ فأنزل الله على نبيِّه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٦]، فقال النبي ﷺ لعليّ: «نَمْ على فراشي وتَسَجَّ[٧] بِبُرْدي[٨]

---

(١) خشوا وتوقعوا وظنوا وتهيأوا لمنعه.

(٢) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ٣٢.

(٣) عنوانه: التنوير في مولد السراج المنير (منه نسختان في باريس).

(٤) ابن دحية: هو أبو الخطاب عمر بن حسن بن خلف الداني السبتي المتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٣هـ، مؤلف النبراس في تاريخ خلفاء آل عباس و المطرب في أشعار أهل المغرب وغيرهما، انظر: بروكلمان ١/ ٣١٠ وملحقه ١/ ٥٤٤ وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٩ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٠ مع مصادر ترجمته فيها.

(٥) ص: خمس.

(٦) سورة الأنفال ٣٠.

(٧) تاريخ الطبري ١/ ١٢٣٢ "واتشح" ومثله في تحقيق النصرة للمراغي ٣٢.

(٨) س، ر: ببردتي.

فلن يَخْلُصَ إليك منهم أمرٌ تكرهه[1]، فتردَّ هذه الودائعَ إلى أهلها؛ لأنَّ كُفَّار قريش كانت تُودَع عنده لأمانته؛ وكان اسمه عندهم: الأمين الصادق».

وأتى النبي ﷺ أبا بكر الصديق فأعلمه، وقال: قد أُذِنَ لي، فقال: «الصحبة يا رسول الله، وكان إنما حَبَس نفسه عليه لما ثَبَتَ في **الصحيح**[2] أن النبي ﷺ لما ذكر لأصحابه رؤياه المتقدمة هاجر من هاجر منهم قِبَلَ المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة»[3].

وتَجَهَّز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له النبي ﷺ: «على رِسْلَكَ؛ فإني أرجو أنْ يؤذَن لي، فقال له: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم، فحبس نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وكان عمر قد تقدَّم إلى المدينة، وعَلَفَ أبو بكر راحلتين كانتا عنده الخَبَط[4] أربعة أشهر[5]، فعرض على النبي ﷺ إحداهما، فقال: بالثمن»[6].

وفي رواية ابن إسحاق، قال: لا أركب بعيراً ليس هو لي، فقال: فهو لك قال: لا ولكن بالثمن الذي ابتَعتها به، قال: أخذتها بكذا وكذا، قال: قد أخذتها بذلك، قال: هي لك[7].

والحكمة فيه ـ كما أفاده بعضهم[8] ـ أنه ﷺ أحَبَّ أنْ لا تكون هجرته إلا من مال نفسه.

---

(١) س، ر، م١، م، ت: أمر فترد، وفي السيرة ١/ ٣٢٥ "فإنه لن يخلُص إليك شيء تكرهه منهم" ومثله في تاريخ الطبري نشرة دي خويه ١/ ١٢٣٢، والظاهر أن السمهودي نقل هذا من تحقيق النصرة للمراغي ٣٢.

(٢) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ٣٢.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٦٧.

(٤) الخبط: محركة، ورق الشجر ينفض بالعصيّ ثم يجفف ويطحن ويُخلط بدقيق أو غيره ويوخف بالماء فتوجره الإبل، تاج العروس "خبط" ٥/ ١٢٥، وفي صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٦٠: "ورق السَّمُر وهو الخَبَط"، وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١١٢، "ورق السمر" وانظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧.

(٥) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ٣٢.

(٦) دلائل النبوة لأبي نعيم ١١١ بإسناده إلى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٣٢٩ وانظر: تاريخ الطبري ١/ ١١٣٥ ـ ١١٣٦ برواية هشام بن عروة عن أبيه.

(٨) هو السهيلي كما نقله ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٢٣٥ من الروض الأنف.

وذكر ابن إسحاق: أنَّ الناقة التي أخذها هي الجَدْعَاء، وأنها كانت من إبل بني الحريش[١].

وكذا في روايةٍ أخرجها ابنُ حِبَّان، وأنها الجدعاء[٢].

وأفاد الواقدي: أنَّ الثمن كان ثمانِ مئة درهم[٣]، وأن المأخوذة هي القصواء[٤]، وأنها كانت من نَعَم بني قُشَير، وأنها عاشت حتى ماتت في خلافة الصديق، وكانت مُرسَلةَ ترعى في النقيع[٥].

وفي طبقات ابن سعد: أنَّ ثمنها ثمانِ مئة درهم، اشتراهما أبو بكر من نَعَم بني قشير، وأخذ النبي ﷺ القصواء بثمنها[٦]، وسيأتي من رواية يحيى الحسيني[٧] أيضاً: أنها القصواء.

وجاء عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ أذِنَ له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[٨]، أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم[٩].

فذهب أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط ـ قاله ابن عقبة.

وفي تهذيب ابن هشام: عبد الله بن أرقد[١٠]؛ وفي رواية الأموي[١١]

---

(١) نقل السمهودي هذا النص من فتح الباري ٧/ ٢٣٥، وانظر: السيرة النبوية، تح وستنفيلد ٢/ ١٠٢.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٣٥.

(٣) قول الواقدي في البداية والنهاية ٣/ ١٧٧ ومقدمة فتح الباري لابن حجر ٣٠٣ وفتح الباري ٧/ ٢٣٥.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٨٨ وذكر ابن كثير هنا بقية قول الواقدي.

(٥) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٣٥، وفيه "البقيع".

(٦) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ٣٣.

(٧) هو يحيى بن الحسن بن جعفر العقيقي، مؤلف كتاب أخبار المدينة وقد سبق التعريف به.

(٨) سورة الإسراء ٨٠.

(٩) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٢٧ وانظر: دلائل النبوة ٢/ ٥١٦ عن الحاكم.

(١٠) في السيرة ١/ ٣٢٧ "أرقط" و "أريقط" وقد ورد في بعض نسخها "ارقد"، انظر: ٢/ ١٠١ وفي رواية الطبري ١/ ١٢٣٨ عن ابن إسحاق عن عروة بن الزبير عن عائشة، ورد "أرقد" ومثله في البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٨٩ عن ابن إسحاق أيضاً.

(١١) هو سعيد بن يحيى بن سعيد بن ابان الأموي القرشي المتوفى سنة ٢٤٩هـ، صاحب المغازي، حمل=

عن ابن إسحاق: ابن أريقد.

وفي العتبية[1] عن مالك، اسمه: رقيط من بني الديل من كنانة[2] - فاستأجره، وكان هادياً خِرِّيتاً - أي: ماهراً بالهداية - وكان على دين الكفّار[3] - قال النووي: لا نعلم له إسلاماً[4] - فأمره أنْ يأتيهما بعد ثلاث في غار ثَوْرٍ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله، فجاء عليّ رضي الله عنه.

واجتمعت قريش على باب الدار ليقتلوه بزعمهم، فقال لهم أبو جهل: لا تقتلوه حتى يجتمعوا - يعني: الخمسة من القبائل الخمس - وجعل يقول لهم: هذا محمد كان يزعم أنكم إنْ تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ويكون لكم في الآخرة جنات تأكلون منها، وإنْ لم تتابعوه يكون له فيكم ذبحٌ في الدنيا ويوم القيامة نارٌ تُحرقون فيها، فقال رسول الله ﷺ: «نعم والله كذا أقول وكذا يكون، وأنت أحدهم، ثم أخذ حَفْنَةً من ترابٍ فرماها في وجوههم فأخذ على أبصارهم ولمَّ على أصْمِخَتِهِم فجعل على رأس كلِّ رجلٍ منهم تراباً، وهو يقرأ أول سورة يس يستتر بها منهم إلى ﴿فَهُم لا يُبصِرون﴾ وتلا: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[5]، ثم أتى منزل أبي بكر، فخرجا من خُوخَةٍ كانت له وأتَـيَا غارَ ثَوْر، وأقامَ المشركون ساعة، فجعلوا يتحدَّثون، فجاءهم رجل كان إذ ذاك بعيداً منهم فقال لهم: وما تنتظرون؟ فقالوا: أنْ نُصبح فنقتل محمداً،

= المغازي عن ابن إسحاق واعتنى بها وزاد فيها أشياء، انظر: العبر في خبر من غبر ١/٣١٥ وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٩.

(١) في فتح الباري ٧/ ٢٣٨: "وعن مالك اسمه رقيط حكاه ابن التين وهو في العتبية"، والعتبية لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي السفياني العتبي القرطبي المالكي المتوفى سنة ٢٥٥هـ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣٥.

(٢) انظر: فتح الباري ٧/ ٢٣٦ "بكسر الدال وسكون التحتانية، وقيل: بضم أوله وكسر ثانيه مهموز".

(٣) نقلا من فتح الباري ٧/ ٢٣٨.

(٤) فتح الباري ٧/ ٢٣٢ "كان على دين كفار قريش" وانظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/ ٣٣٩ حيث ورد: «جزم به عبد الغني المقدسي وتبعه النووي وقال ابن حجر في الإصابة: لم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد».

(٥) سورة الإسراء ٤٥.

قال: قبَّحكم الله وخيَّبَكم، أو ليس قد خرج عليكم وجعل على رؤوسكم التراب؟[1] قال أبو جهل: أو ليس هو ذاك مُسَجًّى ببرده؟ الآن كلَّمَنَا».

فلما أصبحوا قام عليٌّ عن[2] الفراش، فقال أبو جهل: صَدَقَنا ذلك المُخْبِر فاجتمعت قريش وأخذت الطُّرق وجعلت الجعائل[3] لمن جاء به، فانصرفت أعينهم ولم يجدوا شيئاً، فجاء الديلي بعد ثلاث بالراحلتين.

ولا ينافي هذا ما وقع في رواية هشام بن عُروة عند ابن حبان حيث قال: فركبا حتى أتيا الغار فتواريا فيه[4]؛ لاحتمال أنهما ركبا غير هاتين الراحلتين أو هما، ثم ذهب بهما عامر بن فهيرة إلى الديلي.

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب في الحديث المتقدم: «أنَّ علياً رقَدَ على فراش رسول الله ﷺ يُورِّي عنه، وباتت قريش تختلف وتأتمر: أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعليٍّ فسألوه، فقال: لا علمَ لي، فعلموا أنه فَرَّ منهم»[5].

وروى أحمد بإسنادٍ حَسَنٍ عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾ الآية، فذكر تشاور قريش، ثم قال: فبات عليٌّ علىَ فراشه ﷺ، وخرج هو حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه رسول الله ﷺ ـ يعني: ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه ـ فلما أصبحوا ورأوا علياً ردَّ الله كيدهم[6]، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري! فاقْتَصُّوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نَسْجَ العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه،

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧ عن ابن إسحاق.
(٢) س: على.
(٣) جمع جَعَالة وهي الجائزة.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٣٦.
(٥) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٣٦.
(٦) م٢، ص: مكرهم؛ م١: مكيدهم.

فمكث فيه ثلاث ليالٍ[١].

وذكر نحوه موسى بن عقبة عن الزهري[٢].

وكله مقتضٍ لأنَّ الخروج إلى الغار كان في بقية تلك الليلة، وكان ذلك بعد العقبة بشهرين وليالٍ.

وقال الحاكم: بثلاثة أشهر أو قريباً منها[٣].

ويرجِّح الأول ما جزم به ابن إسحاق: من أنَّه خَرَجَ أولَ يوم من ربيع الأول؛ فيكون بعد العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً[٤].

وكذا جزم به الأموي، فقال: خرج لهلال ربيع الأول، وقدم المدينة لاثنتي عشرة خَلَتْ منه[٥].

وعلى هذا كان خروجه يوم الخميس، وهو الذي ذكره محمد بن موسى[٦]، لكن قال الحاكم: تواترت الأخبار بأن الخروج كان يوم الاثنين[٧].

وجمع الحافظ ابن حجر: بأنَّ خروجه من مكة كان يوم الخميس ـ أي: في أثناء ليلته[٨] لما قدمناه ـ وخروجه من الغار ـ يعني: غار ثور ـ ليلة الاثنين؛ لأنه أقام فيه ثلاث ليالٍ[٩].

ومن روى ليلتين، لعله لم يحسب أول ليلة[١٠].

وأما حديث الحاكم: "لبثت مع صاحبي" يعني: أبا بكر في الغار بضعة عشر

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٣٦ بتصرف وحذف بعض الجمل والكلمات.
(٢) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٣٦.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٢٧.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٢٧: "فيكون بعد البيعة".
(٥) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٢٧.
(٦) فتح الباري ٧/ ٢٢٧ هذا قول ابن حجر، وفي ٧/ ٢٣٦: محمد بن موسى الخوارزمي.
(٧) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٣٦.
(٨) ص: ليلة.
(٩) انظر: فتح الباري ٧/ ٢٣٦.
(١٠) المصدر نفسه ٧/ ٢٣٧.

يوماً ما لنا طعام إلا ثمر البرير[1]، أي: الأراك، فقال الحاكم: معناه: مكثنا مختفين من الكفار في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوماً[2].

وقال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أنها قصةٌ أخرى، لما في **الصحيح** من أنَّ عامر بن فهيرة كان يروح عليهما في الغار باللبن، وكذا قصة نزولهما بخَيْمَة أُم معبَد، وغير ذلك[3].

وكان مدة مقامه ﷺ بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة.

وقال عروة: عشراً، وقال ابن عباس: خمس عشرة[4] سنة.

وفي رواية عنه: ثلاث عشرة[5].

ولم يُعلم بخروجه إلا عليّ وآل أبي بكر.

وكان من قصة نسج العنكبوت وغيره من أمر الغار ما كان، وانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما ـ يردفه أبو بكر ويعقبه ـ والدليل، فأخذ بهم في[6] أسفل مكة حتى أتى بهما طريق السواحل أسفل من عُسْفَان، ثم عارض الطريق على أَمَج، ثم نزل من قديد خيام أم معبد الخزاعية[7] من بني كعب، وبقية المنازل إلى قُباء[8] ـ ذكرها ابن زبالة ـ

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/ ١٥، وفي التلخيص للذهبي ٣/ ١٥: «سمعه جماعة من داود وهو في مسند أحمد».

(٢) فتح الباري ٧/ ٢٣٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ص: خمسة عشر.

(٥) أورد ابن حجر هذه الروايات في فتح الباري ٧/ ٢٣٠.

(٦) س: من.

(٧) وردت قصة أم معبد في دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/ ١١٧ ـ ١١٨ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠ والسيرة النبوية ١/ ٣٣٠ والروض الأُنُف للسهيلي ٤/ ٢٢٠ وما بعدها وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١/ ٣٢٦ والاستيعاب لابن عبد البر (حيدراباد ١٩١٧) ٢/ ٧٩٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٢٧ والإصابة لابن حجر ٤/ ٤٩٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ٣٠٤ وما بعدها وهي في كتب الحديث والسنن والتاريخ كما في حاشية الروض الأنف ٤/ ٢٢١.

(٨) المغانم المطابة ص٨٤ حيث ذكر بالتفصيل المنازل التي مرَّ بها النبي ﷺ وهي تشبة إلى حدٍّ كبير ما ذكره ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٣٣٣.

وقد أوضحناه في الأصل[١].

واتفق في مسيرهم قصة سُراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد على ما ذكره ابن سعد وغيرها من القصص المشتملة على الآيات البينات[٢].

قال رزين: وأقامت قريش أياماً لا يدرون أين أخذ محمد ﷺ، فسمعوا صوتاً على أبي قبيس وهو يقول:

فـإنْ يُسْلِـمِ السَّعـدان يُصْبِـحْ محمــدٌ   من الأمن لا يخشى خلافَ المُخَالِفِ[٣]

فقالت قريش: «لو علمنا مَنِ السعدان» فقال:

أيا سعدُ سَعْدَ الأوس كن أنت مانعاً   ويا سَعْدُ سَعْدَ الخزرجين الغطارف

أجيبـا إلـى داعـي الهـدَى وتَبَـوَّءا   من الله في الفردوس زُلْفَة عارفِ[٤]

فعلموا إذ ذاك أنه أخذ طريق المدينة.

قلت: والأقرب ما تقدم من إنشاد هـذه الأبيات قبل ذلك، لأنَّ السَعْدَين كانا قد أسلما قبل، ثم سمعوا قائلاً بأسفل مكة لا يرى يقول:

جزى الله ربُّ الناس خَيرَ جزائه   رفيقيـنِ قـالا خَيْمَتَـي أُمِّ معبـد

قلت: ورويَ هذا مع الأبيات الآتية مما سُمِعَ حينئذٍ، وقيل: سمعوا هاتفاً على أبي قُبَيْس يقول:

جزى الله خيراً والجـزاء بكفِـه   رفيقين قالا خيمتي أُمِّ مَعْبَـدِ

هُمَـا رَحَـلا بـالحـقِّ وَانْتَـزَلا بِـهِ   فقدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ محمد

---

(١) يريد: كتاب اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى الذي احترق سنة ٨٨٦هـ في حريق المسجد النبوي وكتابنا وفاء الوفا هذا إنما هو مختصر ذاك، انظر: خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢ والمستدرك ٣/ ٨.

(٣) ر: الأمر.

(٤) انظر: التاريخ الصغير للبخاري ١/ ٢٥ ـ ٢٦، والاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٥٥، وأورد الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ الأبيات عن ابن الكلبي بزيادة بيت رابع، والأبيات الثلاثة مع بيت رابع في تاريخ الطبري، تح دي خويه (لايدن) ١/ ١٢٤١ ـ ١٢٤٢ وفي البداية والنهاية ٣/ ١٦٥ عن البيهقي.

فما حملت من ناقة فوق رحلها　　أبـرَّ وأوفـى ذِمَّـةً مـن محمـد

واكسى لُبردِ الحال قبل ابتذاله　　وأعطى لرأس السانح المتجدد(١)

لِيَهْنَ بني كَعْبٍ مكان فَتَاتِهـمْ　　ومقعدها للمؤمنين بمرصد(٢)

وكان رسول الله ﷺ قد مَرَّ بأمِّ معبد، فاستسقاها لبناً، فقالت: ما عندنا من لبن ونحن في سنة(٣)، فنظر إلى شاةٍ قد نحلت، عجفاء من الهُزال، فقال: قَرِّبي لي هذه الشاة، فقربتها فمسح ضَرْعَها بيده المباركـة وسمَّى ودعا، ثم قال: هاتِ قَدَحاً، فجاءت بقدحٍ، فحلب فيه حتى امتـلأ، فأمـر أبا بكر أنْ يشرب، فقال: بل أنت فاشرب يا رسول الله، قال: ساقي القوم آخرهم شرباً، فشرب أبو بكر، ثم حلب فشرب رسولُ الله ﷺ، ثم حلب فشربت أُمُّ معبد، ثم حلب فقال: ارفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك، ثم ركبوا وساروا، فلما أتى أبو معبد أخبرته بما رأت، وسقته اللبن، فعلم أنه رسول الله ﷺ، فركب راحلته وخرج في أثره يطلب أن يُسلم، فقيل: إنه قال في طريقه:

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه　　رفيقيـن قـالا خيمتـي أم معبـد

هما نزلاها بالهدى فاهتدت به　　فقد فاز مـن أمسى رفيـقَ محمَّدِ

فيالَ قُصَيٍّ ما زوى الله عنكُمُ　　به من فعال لا تُجارى وسُؤدَدِ

ليَهْنِ بني كعب مكانُ فتاتهـم　　ومقْعَـدُهَـا للمـؤمنيـن بمـرصـد

---

(١) م٢: واكسى لبر الحال.

(٢) س: فتاتها، وقد أورد ابن كثير روايات مختلفة لقصة أم معبد عن ابن إسحاق والبهيقي والواقدي وغيرهم، البداية والنهاية ٣/ ١٧٩ ـ ١٩٤، وابن سعد في طبقاته ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢ بزيادة وإختلاف في الأبيات والطبري في تاريخه ١/ ١٢٤٠ ـ ١٢٤١ وأشار المحقق إلى مصادرها. وورد البيتان الثالث والرابع ضمن قصيدة لأُسيد بن زُنيم أو أنس بن زنيم أحد بني كنانة الذي أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، وفي: تصحيفات المحدثين للعسكري، ٢/ ٩٣١ ـ ٩٣٢ مع مصادر ورودها، وأوردها أبو نعيم مع أبيات حسَّان بن ثابت في دلائل النبوة (حيدرأباد) ١١٨ وابن سيد الناس في عيون الأثر ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨ مع أبيات حسان وقال: "والمعروف في هذا الشعر أنه لأبي أُناس الديلي رهط أبي الأسود، وكان أبو أناس شاعراً"، ١/ ٣٠٩ وانظر: المستدرك للحاكم ٣/ ٩ ـ ١٠.

(٣) أي: في عام جدب ومحل.

سَلُوا أختكم عن شاتها وإنائها | فإنكمُ إنْ تَسْألُوا الشاةَ تَشْهَد
دعاها بشاة حائل فتحلَّبت | له بِصَريحٍ ضَرَّةُ الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها لحالبٍ | يرددها في مصدر ثم مورد[1]

وقال الشرقي: بلغني أنَّ أبا معبد أدركهما ببطن ريم، فبايع رسولَ الله ﷺ وانصرف[2].

قلت: وذكر غير رزين هذه الأبيات كلها في ما سُمِعَ بأسفل مكة من القائل الذي لم يدروه؛ فلما سمع حسَّان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ بذلك جعل يجاوب الهاتف ويقول:

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهُمْ | وقُدِّسَ من يَسرِي إليهم ويغتدي
تَرَحَّلَ عن قومٍ فضلَّت عقولهم[3] | وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم | وأرشَدَهم؛ من يَتْبَعِ الحقَ يَرشُدِ
وهل يستوي ضُلاَّلُ قوم تسكعوا[4] | عَمَىً وهُدَاةٌ يهتدون بمهتَدِ
لقد نزلت منه على أهل يثرب | ركابُ هُدىً حَلَّتْ عليهم بأسْعُدِ
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حَوله | ويتلو كتابَ الله في كلِّ مسجد
وإن قال في يومٍ مقالةَ غائبٍ | فتصديقُهَا في اليوم أو في ضُحى غَدِ
لِيَهْنَ أبا بكرٍ سعادةُ جَدِّهِ | بصحبته؛ من يُسْعِدِ الله يَسْعَدِ[5]

قال أبو سليمان الخطَّابي: لما شارف النبي ﷺ المدينةَ لقيه بريدة الأسلمي

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ١١٨ مع بعض الإختلافات اليسيرة وعيون الأثر ١/٣٠٧ والمعجم الكبير للطبراني ٤/٤٩.

(٢) واد من أودية العقيق، وسيذكر السمهودي في ما بعد أن رسول الله ﷺ هبط بطن ريم ثم قدم قباء، وذكر ياقوت في معجمه ٣/ ١١٤ المسافات بينه وبين المدينة.

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ٢٤٤ "فزالت عقولهم".

(٤) المصدر نفسه ٢٤٥: "تسفهوا".

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١١٨ ودلائل النبوة للبيهقي ١/٢٧٦ مع المصادر التي أوردته وعيون الأثر ١/٣٠٧ ـ ٣٠٨ والمستدرك ٣/ ١٠ ومنال الطالب لابن الأثير ١٤٤.

في سبعين من قومه بني أسلم، فقال: مَنْ أنتَ؟ قال: بريدة[١]، فقال لأبي بكر: برد أمرنا وصَلُحَ، ثم قال: ممن؟ قال: من أسلم، قال: سلمنا، ثم قال: ممن؟ قال: من بني سَهْم، قال: خرج سهمنا[٢].

وقد رواه ابنُ الجوزي في **شرف المصطفى**[٣] من طريق البيهقي موصولاً إلى بريدة، قال: كان النبي ﷺ لا يتطيَّر، وكان يتفاءل، وكانت قريش جعلت مئة من الإبل لمن يأخذ نبي الله ﷺ فيرده إليهم حين توجه إلى المدينة، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سَهْم، فلقي نبيَّ الله ﷺ فقال نبي الله ﷺ: من أنت؟ قال: أنا بريدة، فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، بَرَد أمرُنَا وصلح، ثم قال ﷺ: ممن أنت؟ قال: من أسلم، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: سلمنا، ثم قال: ممن؟ قال: من بني سَهْم، قال: خرج سهمك، فقال بريدة للنبي ﷺ: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله رسولُ الله، فقال بريدة: أشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً.

فلما أصبح، قال بريدة للنبي ﷺ: «لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، فحلَّ عمامته ثم شدَّها في رُمْحٍ ثم مشى بين يديه ﷺ[٤]، فقال: يا رسول الله تنزل على[٥] مَنْ؟ فقال النبي ﷺ: إنَّ ناقتي هذه مأمورة، قال بريدة: الحمد لله الذي

---

(١) ر: أبو بريدة.

(٢) الخبر في **غريب الحديث** ١/ ١٨٠ ـ ١٨١ تختلف ألفاظه عما هنا: «قال: خرج سهمك» **والوفا بأحوال المصطفى**، تح مصطفى عبد الواحد، ٢٤٧ وفيه: «قال خرج سهمك يا أبا بكر».

(٣) كذا في كلِّ النسخ، وقد ورد النص في **الوفا بأحوال المصطفى** لابن الجوزي ١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، دون ذكر البيهقي، والمعروف أن كتاب **شرف المصطفى** لأبي سعيد عبد الملك بن محمد الخركوشي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٧هـ، مؤلف **تهذيب الأسرار** وكتاب **دلائل النبوة** وهو المعروف بـ: **شرف المصطفى**، انظر: بروكلمان ١/ ٢٠٠ وملحقه ١/ ٣٦١ وسزكين ١/ ٦٧١ **وسير أعلام النبلاء** الذهبي ١٧/ ٢٥٦ **ومعجم المؤلفين** ٦/ ١٨٨ مع مصادر ترجمته فيها كلها.

(٤) **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** للسخاوي، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤، ١/ ٢١٣.

(٥) في **الوفا بأحوال المصطفى** لابن الجوزي: «تنزل عليَّ».

أسلمت بنو سهم طائعين»[1].

وفي **الصحيح**: أنَّ رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركبٍ من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياض[2].

ورويَ أنَّ طلحة كان قدم من الشام ومعه ثياب أهداها لأبي بكر من ثياب الشام، فلما لقيه أعطاه، فلبس منها النبي ﷺ وأبو بكر[3].

قال الحافظ ابن حجر: فيحتمل أنَّ كُلاً من طلحة والزبير أهدى لهما، والذي في السِيَر: هو طلحة، فالأولى الجمع، وعند ابن أبي شيبة ما يؤيده وإلا فما في الصحيح أصح[4].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١: «طائعين غير مكرهين» وتح مصطفى عبد الواحد، ٢٤٧.

(٢) **صحيح البخاري** (أنقرة)، ٥/ ١٦٤و انظر: **المعجم المفهرس** ١/ ٢٤١ **والدرة الثمينة** ٢/ ٣٣٠ **وتحقيق النصرة** للمراغي ٣٣ **وعيون الأثر** لابن سيد الناس ١/ ٣٠٢ **والمستدرك** ٣/ ١١.

(٣) انظر: **عيون الأثر** ١/ ٣٠٣ عن موسى بن عقبة.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ٧/ ٢٤٣.

الفصل العاشر

في دخوله ﷺ أرض المدينة

وتأسيس مسجد قُباء

كان المسلمون بالمدينة قد سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ، فكانوا يخرجون كلَّ يومٍ إلى الحَرَّة أولَ النهار فينتظرونه، فما يَرُدُّهم إلاّ حَرُّ الشمس، فبعد أنْ رجعوا يوماً، أوفى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين، فلم يملك اليهودي أنْ قال بأعلى صوته: يا بني قَيْلَة ـ يعني: الأنصار ـ وفي رواية: يا معشر العرب: هذا جَدُّكم ـ يعني: حظَّكم ـ وفي رواية: صاحبكم الذي تنتظرونه، فثار المسلمون إلى السلاح، فتَلَقَّوا رسولَ الله ﷺ بظهرالحَرَّة[(١)]، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف[(٢)] بقُبَاء، على كلثوم بن الهدم، قيل: وكان يومئذ مشركاً، وبه جَزَم ابن زبالة[(٣)].

وقال رزين: نزل في ظل نخلة، ثم انتقل منها إلى دار كلثوم أخي بني عمرو بن عوف.

وفي أخبار المدينة ليحيى الحسيني؛ جَدِّ أُمراء المدينة اليوم، في النسخة التي رواها ابنُـه طاهر بن يحيى عنه من طريق محمد بن معاذ، قال: حدثنا مجمِّع بن يعقوب عن أبيه وعن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش عن عبد الرحمن بن يزيد بن

---

(١) المستدرك ٣/ ١١.

(٢) تحقيق النصرة للمراغي ٣٣.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ :"وجزم به محمد بن الحسن بن زبالة في أخبار المدينة".

حارثة، قالا: صلى رسولُ الله ﷺ بظهر حَرَّتنا، ثم ركب فأناخ إلى عِذق عند بئر غَرس[1] قبل أنْ تبزغ الشمس، وما يُعرف رسول الله ﷺ من أبي بكر؛ عليهما ثياب متشابهة، فجعل الناسُ يقفون عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أُطُمِهم الذي يقال له: شُنيف[2]، فأمهل أبو بكر ساعة حتى خُيِّل إليه أنه يؤذي رسول الله ﷺ[3]، فقام فستَرَ على رسول الله ﷺ بردائه، فعَرَف القومُ رسولَ الله ﷺ، فجعلوا يأتون فيسلِّمون على رسول الله ﷺ، قلت لمجمِّع بن يعقوب: إنَّ الناس يَرون أنه جاء بعد ما ارتفع النهار وأحرقتهم الشمس، قال مجمِّع: هكذا أخبرني أبي وسعيد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن يزيد، قالا: ما بزغت الشمس إلاَّ وهو جالس في منزله ﷺ.

قلت: ولم أرَ هذا الخبر في النسخة التي رواها ولد ابن يحيى عن جده.

وقوله: "عند بئر غرس"، الظاهر أنه تصحيف، ولعله: بئر عذق، لبعد بئر غرس من منزله ﷺ بقُباء، بخلاف بئر عذق، وإلاَّ فهو قادح في ما عليه الناس اليوم من أنَّ بئر غرس هي المعروفة اليوم بمحلها الآتي بيانه.

وفي كتاب يحيى أيضاً عن محمد بن إسماعيل بن مجمَّع، قال: لما نزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم، هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة، قال: يا نُجيْح ـ لمولى له ـ فقال رسول الله ﷺ، والتفت إلى أبي بكر: أُنجحتُ[4]، أو:

---

(١) هي بئر بقباء على منازل بني النضير، وهي شرق مسجد قباء على نصف ميل إلى جهة الشمال وهي بين النخيل، المغانم المطابة ٤٦ وذكر أخباراً تتعلق بها، وسيرد ردُّ السمهودي قريباً. وذكرها عبد القدوس الأنصاري في آثار المدينة المنورة ١٦٤ ـ ١٦٥ وقال: "وبئر غرس معروفة اليوم، وقد شاهدناها مراراً في أثناء نُزَهنا بقرية قربان في حديقة الغرس، وهي واقعة في شمال غرب هذه الحديقة" واقتبس أقوال المطري والسمهودي في حديثه عن آبار المدينة في الفصل الأول من الباب السادس الآتي.

(٢) مثال زبير، اسم أُطُم بقباء بناه بنو عمرو بن عوف عند دار أبي سفيان بن الحارث بين أحجار المراء وبين مجلس بني الموالي، الذي كان لبني ضبيعة بن زيد، المغانم المطابة ٢٠٩.

(٣) ص: بحرّ الشمس.

(٤) المغانم المطابة ص٨٤ وفتح الباري ٧/ ٢٦٠.

أُنجحنا[١]، فقال: أطعمنا رُطَباً، قال: فأتوا بقنوٍ من أُم جرذان فيه رطب منصف وفيه زَهَو[٢]، فقال ﷺ: «ما هذا؟ قال: عذق أم جرذان، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ بارك في أمِّ جرذان».

وقد أخرجه أبو سعيد[٣] في **شرف المصطفى** من طريق الحاكم[٤].

وقال قومٌ: نزل ﷺ على سعد بن خيثمة.

وقد رواه يحيى أيضاً.

قال رزين: والأول أصحُّ، انتهى.

وقال الحاكم: إنه الأرجح، قال: وقد قاله ابن شهاب، وهو أعرف بذلك من غيره[٥].

وقال بعضهم: كان سعد عَزَباً، فكان ﷺ يجلس مع أصحابه في بيته، فلذلك قيل: إنه نزل عنده، ويشهد له ما نقله ابنُ الجوزي عن ابن حبيب الهاشمي، قال: نزل النبي ﷺ على كلثوم، وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة، ويسمى: منزل العزَّاب[٦].

وفي **الصحيح**: فَتَلقَّوا رسول الله ﷺ بظهر الحَرَّة، فعَدَلَ بهم ذاتَ اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف[٧] ـ وفي رواية له: علّوَ المدينة[٨] ـ وقُباء

---

(١) **تحقيق النصرة** ٣٤.

(٢) الرطب المنصف: الذي صار نصفه رطباً، والذي فيه زهو: الذي فيه صفرة أو حمرة، قال ابن الأثير: "زها النخل يزهو إذا ظهرت ثمرته، وأزهى يُزهي إذا اصفَرَّ واحمَرَّ"، **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ٣٢٣.

(٣) في الأصول: أبو سعد، وكتاب **شرف المصطفى** هو المعروف بـ: كتاب **دلائل النبوة** لأبي سعيد عبد الملك بن محمد الخركوشي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٧هـ كما سبق التعريف به.

(٤) **فتح الباري** ٧/ ٢٦٠ نقلاً من **شرف المصطفى** لأبي سعيد الخركوشي.

(٥) نقلاً من **فتح الباري** ٧/ ٢٦٠.

(٦) **الوفا بأحوال المصطفى** ١/ ٣٩٦ "قال محمد بن حبيب الهاشمي: لما قدم رسول الله ﷺ نزل قباء على كلثوم..."، و**السيرة النبوية** ١/ ٣٣٤ و**طبقات ابن سعد** ١/ ٢٣٣.

(٧) **صحيح البخاري** (انقرة) ٥/ ١٦٥ "وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول".

(٨) المصدر نفسه ٥/ ١٨٥ "لما قدم رسول الله ﷺ نزل في علو المدينة...".

معدودة من العالية، وكأنَّ حكمته التفاؤل له ولدينه بالعلوّ ـ وذلك يوم الاثنين نهاراً عند الأكثر[١].

قال الحافظ ابن حجر: وهو المعتمد، وشذَّ من قال: يوم الجمعة[٢].

قلت: لعلَّ مراد هذا القائل القدوم الآتي للمدينة نفسها بعد الخروج من قُباء.

وقيل: ليلة الاثنين، لقوله في مسلم: ليلاً[٣].

قال الحافظ ابن حجر: ويجمع بأنَّ القدوم كان آخر الليل، فدخل نهاراً[٤].

قلت: وفيه نظر! وكان ذلك أول ربيـع الأول، على ما رواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب[٥].

وقيل: لثمانٍ خَلَوْنَ منه[٦].

وفي الإكليل[٧] عن الحاكم: تواترت الأخبار بذلك[٨].

وفي رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق: قدمها لليلتين[٩] خَلَتا من شهر ربيع الأول، ونحوه عن أبي معشر[١٠]، ولكن قال: ليلة الاثنين، ومثله عن ابن

---

(١) المغانم المطابة ص٨٤.

(٢) فتح الباري ٧/ ٢٤٤، وفي السيرة النبوية ١/ ٣٣٥ "فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة".

(٣) صحيح مسلم ٨/ ٢٣٧ وانظر: تحقيق النصرة للمراغي ٣٤ فقد ذكر جملة من الأقوال فيه.

(٤) فتح الباري ٧/ ٢٤٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) كتاب الإكليل لمحمد بن عبد الله بن البيِّع الحاكم النيسابوري المتوفى بنيسابور سنة ٤٠٥هـ، مؤلف المستدرك على الصحيحين ومعرفة علوم الحديث وكتاب الإكليل وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٢ وسزكين ١/ ٢٢١ مع مصادر ترجمته فيها.

(٨) تحقيق النصرة ٣٣وفتح الباري ٧/ ٢٣٦.

(٩) في السيرة النبوية ١/ ٣٣٥: "كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين".

(١٠) أبو معشر نَجيح بن عبد الرحمن السِّندي صاحب كتاب المغازي المتوفى ببغداد سنة ١٧٠هـ، انظر: سزكين١/ ٢٩١ـ١٩٢ وبروكلمان: ملحق ١/ ٢٠٧وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣٥مع مصادر ترجمته فيهما.

البرقي[1]، وثبت كذلك في أواخر صحيح مسلم[2].

وفي رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه حين اشتدَّ الضحى[3]، وهذا ما جَزَم به الكلبي في ما نقله عنه الحافظ ابن حجر[4].

وحكاه ابن الجوزي في شرف المصطفى[5] عن الزهري فقال: قال الزهري: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[6].

وبه جَزَم النووي في السِيَر من الروضة[7] وكذا ابن النجَّار[8].

ونقل المراغي[9] هذا عن النووي وابن النجار فقط، وتعجَّب من عدم موافقته لشيء من الأقوال، وكأنَّه فهم أنَّ مرادهما قدوم المدينة نفسها بعد الخروج من قُباء، وليس ذلك مرادهما، فإنَّ ابن النجَّار عبَّر بقوله: "فعدل بهم رسول الله ﷺ ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة[10] من شهر ربيع الأول"[11].

---

(١) تحقيق النصرة ٣٤ وفتح الباري ٧/ ٢٤٤، وذكر الذهبي ثلاثة أخوة كلٌ منهم حدَّث عن ابن هشام بالسيرة، والظاهر انَّ عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد البرقي المتوفى سنة ٢٨٦هـ، راوي السيرة عن ابن هشام هو المراد هنا، انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٦ ـ ٤٩.

(٢) صحيح مسلم ٨/ ٢٣٧ والنص منقول من فتح الباري ٧/ ٢٤٤.

(٣) السيرة النبوية ١/ ٣٣٣ "لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل".

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤.

(٥) هو كتاب الوفا بأحوال المصطفى ، فلعل له عنواناً آخر لم يذكره مترجمو ابن الجوزي وإلا فكتاب شرف المصطفى لأبي سعيد الخركوشي الذي اقتبس منه ابن حجر في فتح الباري كثيراً.

(٦) الوفا بأحوال المصطفى ١/ ٣٩٣.

(٧) تحقيق النصرة للمراغي ٣٤، والروضة هو روضة الطالبين وعمدة المفتين ليحيى بن شرف النووي المتوفى بنوى من مصر سنة ٦٧٦هـ، انظر: طبقات الشافعية ٨/ ٣٩٨ ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٠٢.

(٨) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٠، وانظر: جوامع السيرة لابن حزم ٩٣.

(٩) في تحقيق النصرة ٣٤: "لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ووافقه جازماً بذلك النووي في زوائده من كتاب السير من الروضة".

(١٠) "لاثنتي عشرة"، لم ترد في الدرة الثمينة.

(١١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣٠.

وأما النووي وإنْ عبَّر بالمدينة فليس مراده سوى ذلك، والعلماء كلهم يطلقون على ذلك قدوم المدينة[1].

وفي شرف المصطفى لابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، واسْتُنْبِيءَ يوم الاثنين، ورفع الحَجَر يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين وقُبِضَ يوم الاثنين[2].

وفي روضة الأقشهري[3]: قال ابن الكلبي: خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول، وقدم المدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه[4].

قال أبو عمر[5]: وهو قول ابن إسحاق، إلاَّ في تسمية اليوم[6].

وعند أبي سعيد[7] في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن حزم: قدم لثلاث عشرة من ربيع الأول[8].

وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال، وعنده من حديث عمر: ثم نزل على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لليلتين بقيتا[9]

---

(١) في خ حاشية هذا نصها: "قال مغلطاي في سيره: وكان نزوله ﷺ بقبا يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول وهو الرابع من تيرماه وهو من أشهر العجم والعاشر من أيلول سنة تسع مئة وثلاث وثلاثين لذي القرنين"، والنص في صفحة ١٦٩ من المطبوعة.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١/ ٣٩٣ والروضة الفردوسية ورقة ٧١ب عن ابن عباس، ٧٧ب عن ابن عبد البر، وفيها: "ونُبِّيءَ" وفي تاريخ الطبري ١/ ١٢٥٥: "استنبيء".

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٣١هـ مؤلف كتاب الروضة الفردوسية، وقد سبق التعريف به.

(٤) الروضة الفردوسية ورقة ٥٢أ.

(٥) هو ابن عبد البر.

(٦) في السيرة النبوية ١/ ٣٣٣: "قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الأثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل".

(٧) هو عبد الملك بن محمد الخركوشي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٧هـ وقد سبق التعريف به وبكتابه.

(٨) نقلاً حرفياً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤.

(٩) ر، م٢: بقيا.

من ربيع الأول ـ ولعل الرواية: "خلتا" ليوافق ما تقدم[١].

ونقل ابن زبالة عن ابن شهاب: إنَّ ذلك كان في النصف من ربيع الأول[٢] وقيل: كان قدومه في سابعه.

وجزم ابن حزم: بأنه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر[٣]، وهذا يوافق قول هشام بن الكلبي: إنه خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول، فإنْ كان محفوظاً فلعل قدومه قُباء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الأول، وإذا ضُمَّ ذلك إلى ما سيأتي عن أنس أنه أقام بقُبَاء أربع عشرة ليلة خرج منه أنَّ دخوله المدينة نفسها كان لاثنين وعشرين منه، لكنَّ الكلبي جزم بأنه دخلها لاثنَتَي عشرةَ خَلَتْ منه؛ فعلى قوله تكون إقامته بقباء أربع ليالٍ فقط، وبه جزم ابنُ حِبَّان فإنه قال: أقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس يعني: وخرج يوم الجمعة، فلم يَعْتَدَّ بيوم الخروج[٤].

وكذا قال موسى بن عقبة: إنه أقام فيهم[٥] ثلاث ليالٍ، فكأنه لم يعتدَّ بيوم الخروج ولا الدخول[٦].

وعن قومٍ من بني عمرو بن عوف: أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوماً، حكاه ابن زبالة[٧].

وفي البخاري من حديث أنس: أقام فيهم أربع عشرة ليلة، وهو المراد في رواية عائشة بقولها: بضع عشرة ليلة[٨].

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: أقام فيهم ثلاثاً، قال: وروى ابن

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤.
(٢) المغانم المطابة ص٨٤.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤، وانظر: تحقيق النصرة للمراغي ٣٤.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤.
(٥) سقطت من ر، س.
(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤، وقد سقط هذا الخبر بكامله من م٢.
(٧) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤، وجاء فيه: "حكاه الزبير بن بكار"، وابن زبالة كان شيخ الزبير.
(٨) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤ وانظر: تاريخ الطبري ١/ ١٢٤٤ والمغانم المطابة ص٨٤.

شهاب عن مجمِّع[١] بن حارثة: أنه أقام اثنتين[٢] وعشرين ليلة[٣].

وقال ابن إسحاق: أقام فيهم خمساً، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك[٤].

قال الحافظ ابن حجر: أنس ليس من بني عمرو بن عوف، فإنه من الخزرج، وقد جزم بأربع عشرة ليلة[٥]، فهو أولى بالقبول[٦].

وأمر النبي ﷺ بالتاريخ فكُتب من حين الهجرة في ربيع، رواه الحاكم في الإكليل، وهو مُعْضِلٌ، والمشهور أنَّ ذلك كان في خلافة عمر رضي الله عنه، وأنَّ عمر قال: الهجرة فرَّقَتْ بين الحقِ والباطل[٧]، فأرَّخ بها، وابتدأ من المحرَّم بعد إشارة علي وعثمان رضي الله عنهما بذلك[٨]، وقد ذكرنا ما قيل في سببه في الأصل[٩].

وأفاد السهيلي[١٠]: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[١١].

---

(١) ر: مجموع.

(٢) م١، م٢: اثنين.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٤.

(٤) قال ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٣٣٥: "فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث. فيهم أكثر من ذلك"، وانظر: البداية والنهاية ٣/ ١٩٨ "وبنو عمرو.... أقام فيهم ثماني عشرة ليلة".

(٥) في المغانم المطابة ص٨٤: «وعن مشيخة بني عمرو بن عوف أنه نزل على كلثوم بن الهدم وهو مشرك وأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة».

(٦) فتح الباري ٧/ ٢٤٤ : "فهو اولى بالقبول من غيره".

(٧) تاريخ الطبري ١/ ١٢٥١.

(٨) نقل السمهودي كلَّ هذا من فتح الباري ٧/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ مختصراً.

(٩) هو كتاب اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى الذي احترق سنة ٨٨٦هـ مع كتب السمهودي الأخرى في حريق المسجد النبوي الشريف وكتابنا وفاء الوفا هذا اختصره السمهودي من ذاك.

(١٠) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٦٨ والروض الأنف ٤/ ٢٥٧.

(١١) سورة التوبة ١٠٨.

وفي الصحيح: أنهم لما قدموا، قام أبو بكر للناس، أي: يتلقَّاهم، وجلس رسول الله ﷺ فَطَفِقَ مَنْ جاء من الأنصار يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّلَ عليه بردائه، فعرف الناسُ رسولَ الله ﷺ[١].

وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب، قال: وجلس رسولُ الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يكن رآه يحسبه أبا بكر، حتى إذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر بشيء أظَلَّه به[٢].

وفي رواية ابن إسحاق: حتى رأينا أبا بكر ينحاز له عن الظل، فعرفناه بذلك[٣].

ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خُبَيْب بن إساف[٤] أحدِ بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح، ويقال: على خارجة بن زيد منهم[٥].

وأقام عليّ رضي الله عنه بعد مخرجه ﷺ أياماً، قال بعضهم: ثلاثة[٦]، حتى أدّى للناس وَدَائعهم التي كانت عند النبي ﷺ وخَلفه لردِّها، ثم خرج فلحق رسول الله ﷺ بقُباء، فنزل على كلثوم بن الهدم[٧].

قال ـ في ما رواه رزين ـ: فبينا أنا بائت عند رسول الله ﷺ إذا برجل يضرب بابَ امرأة، فخرجت فأعطاها شيئاً وانصرف، ثم فعل ذلك ليلة ثانية أيضاً، فذكرت ذلك لها، فقالت: هذا سهل بن حُنَيْف يَغْدُو كلَّ ليلة على أصنام قومه فيكسرها ثم يأتي بها لأوقدَهَا حَطَباً، وقد عَلِمَ أنْ ليس لي من الحطب شيء[٨].

---

(١) صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٦٥.

(٢) فتح الباري ٧/ ٢٣٩ : "فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه"، وقد سقطت "به" من ر..

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٤٤وفي السيرة النبوية ١/ ٣٣٤ : "حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأظلَّه فعرفناه عند ذلك" ومثل هذا عند الطبري في تاريخه ١/ ١٢٤٣ عن ابن إسحاق.

(٤) انظر عنه: تصحيفات المحدثين للعسكري، تح محمود أحمد ميرة، القاهرة ١٩٨٣، ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠ مع المصادر التي ذكرته والتصحيفات في الاسم.

(٥) هذا ما ذكره ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٣٣٤، وانظر: جوامع السيرة ٩٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) تحقيق النصرة للمراغي ٣٤.

(٨) السيرة النبوية ١/ ٣٣٥ ومثله في تاريخ الطبري ١/ ١٢٤٤.

وروى يحيى[1] عن عبد العزيز بن عبيد الله بن عثمان بن حُنيف، قال: لما نزل رسول الله ﷺ [على][2] بني عمرو بن عوف ـ وقد كان بين الأوس والخزرج ما كان من العداوة ـ وكانت الخزرج تخاف أنْ تدخل دار الأوس وكانت الأوس تخاف أنْ تدخل دار الخزرج، وكان أسعد بن زُرارة قَتَلَ نَبْتَل[3] يومَ بُعاث، فقال رسول الله ﷺ: «أين أسعد بن زُرارة؟ فقال سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ورفاعة بن عبد المنذر: كان يا رسولَ الله قد أصابَ منَّا رجلاً يومَ بُعاث، فلما كانت ليلة الأربعاء جاء أسعد إلى النبي ﷺ مُتَقَنِّعاً بين المغرب والعشاء، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: يا أبا أُمامة، جئتَ من منزلك إلى ها هنا وبينك وبين القوم ما بينك وبينهم»[4] قال أبو أمامة: لا والذي بعَثَك بالحق، ما كنت لأسمع بك في مكان إلاّ جئتُ، ثم بات عند رسول الله ﷺ حتى أصبح، ثم غدا[5]، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر: أجيروه، قالوا: أنتَ يا رسولَ الله فأجِرْهُ فجِوارُنا في جوارك، فقال رسول الله ﷺ: «يُجِيرُه بعضُكُم، فقال سعد بن خيثمة: هو في جواري، ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى أسعد بن زُرارة في بيته فجاء به مُخَاصره[6]؛ يدُه في يده، ظهراً حتى انتهى به إلى بني عمرو بن عوف، ثم قالت الأوس: يا رسولَ الله كلنا له جار، فكان أسعد بن زُرارة بعدُ يغدو ويروح إلى رسول الله ﷺ»، انتهى.

وكان لكلثوم بن الهدم بقباء مِرْبَدٌ ـ والمِرْبَد: الموضع الذي يبسط فيه التمر

---

(١) هو العقيقي الحسيني، وقد سبق التعريف به.

(٢) سقطت من الأصول، والسياق يقتضيها.

(٣) في س، ر، م١،ت،، ش، خ: "قتل نبتل يوم بعاث"، وفي م٢، ص: "قتل نبتل بن الحارث"، وفي خلاصة الوفا ١٩١: "نبيل بن الحارث" ونبتل بن الحارث كان من المنافقين أصحاب مسجد الضرار، ويوم بعاث كان قبل الهجرة، فأنى يكون هذا؟ انظر: السيرة النبوية ٣٥٦/١، ٩٠٧، ٩٢٥ والاكتفا للكلاعي ٤٧٩/١ ـ ٤٨٠ وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي ٢٣/٩ ـ ٢٤.

(٤) سقطت من الأصول، والإضافة من الخلاصة ١٩١.

(٥) "ثم غدا"، سقطت من ر، س.

(٦) كذا في الأصول، وفي الخلاصة: يخاصره.

لِيَيْبَسَ[1] ـ فأخذه رسول الله ﷺ فأسَّسَه وبناه مسجداً، كما رواه ابن زبالة وغيره.

وفي الصحيح عن عروة: فلبثَ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسَّسَ المسجدَ الذي أسِّس على التقوى[2].

وفي رواية عبد الرزاق عنه قال: الذين بُنِيَ فيهم المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف[3].

وكذا في حديث ابن عباس عند ابن عائذ[4]، ولفظه: ومكثَ في بني عمرو بن عوف ثلاثَ ليالٍ، واتَّخذ مكانه مسجداً، فكان يصلِّي فيه، ثم بناه بنو عمرو بن عوف، فهو الذي أُسس على التقوى[5].

وروى يونس بن بُكَير[6] في زيادات المغازي عن المسعودي[7] عن الحكم ابن عتيبة[8]، قال: لما قدم النبي ﷺ فنزل بقُباء قال عمَّار بن ياسر: ما لرسول

---

(١) جاء عند ياقوت: أن الأصمعي قال: "المربد: كل شيء حبست فيه الإبل ولهذا قيل مربد النعم بالمدينة وبه سمي مربد البصرة"، معجم البلدان ٥/ ٩٨.

(٢) صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٦٦.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٥: "وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب عن عروة قال".

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عائذ بن أحمد الدمشقي القرشي المتوفى بدمشق سنة ٢٣٣ أو ٢٣٤هـ، له مؤلف في المغازي وآخر في الفتوح، لم يصلا إلينا بعد، وقد ذكر ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٤٥٧ أنه سمعه من الفاروثي، وقال ابن حجر أنه قرأ منتقىً من مغازيه (المعجم المفهرس لابن حجر، مراد ملا ٦٠٣ بخطه: ورقة ٢٧أ)، انظر: سزكين ١/ ٣٠١ ومعجم المؤلفين ١٠/ ١١٧ مع مصادر ترجمته.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٥.

(٦) هو يونس بن بكير بن واصل الشيباني المتوفى سنة ١٩٩هـ، صاحب المغازي والسير عن ابن إسحاق، وقد وصلت إلينا قطعتان من السيرة لابن إسحاق برواية يونس بن بكير، وهما في مكتبة القرويين بفاس وأخرى بدمشق، ونشرها محمد حميد الله بالرباط سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦، بعنوان: سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، انظر: سزكين ١/ ٢٨٩ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٥ مع مصادر ترجمته.

(٧) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي المتوفى سنة ١٦٥هـ، انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، ٦/ ٢١٠.

(٨) لعله الحكم بن عتيبة بن نَهَّاس، كوفي، كان قاضياً بالكوفة، أو لعله الحكم بن عتيبة الكندي المتوفى سنة ١١٥هـ، وهو الأرجح، انظر: ميزان الإعتدال ١/ ٥٧٧ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٨.

الله ﷺ بُدٌّ من أن يجعل له مكاناً يستظلُّ به إذا استيقظ، ويصلي فيه؛ فجمع حجارة فبنى مسجد قُبَاء، فهو أول مسجدٍ بُنِيَ، يعني: لعامة المسلمين أو للنبي ﷺ بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً، وإنْ كان قد تقدم بناء غيره من المساجد[1].

فقد روى ابنُ أبي شيبَة[2] عن جابر، قال: لقد لبثنا بالمدينة، قبل أن يقدم علينا رسولُ الله ﷺ سنتين نَعْمُر المساجد ونقيم الصلاة[3].

ولذا قيل: كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقُبَاء قد بنوا مسجداً يصلّون فيه، يعني: هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قُباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس[4]، ولم يُحْدِث فيه شيئاً[5]، أي: في مبدأ الأمر، لأنَّ ابن شَبَّة روى ذلك، ثم روى: «أنه ﷺ بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم، وقال: جبريل يؤم بي البيت»[6].

وقد أُخْتُلِفَ في المراد بقوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾[7].

فالجمهور على أنَّ المراد به مسجد قُباء، ولا ينافيه قوله ﷺ لمسجد المدينة: «هو مسجدكم هذا»[8] إذ كلٌّ منهما أُسس على التقوى[9]، على ما سيأتي إيضاحه.

وفي الكبير للطبراني ـ وفيه ضعيف ـ عن جابر بن سمرة، قال: لمّا سأل أهلُ قُباء النبيَّ ﷺ أن يبني لهم مسجداً، قال رسول الله ﷺ: «ليقم بعضكم فيركب

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٥.

(٢) في س، ر، ت، خ: ابن شبة، والتصحيح من م١، م٢ وفتح الباري.

(٣) المصنف ٨/ ٣٤٥ وانظر: فتح الباري ٧/ ٢٤٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٨٥.

(٥) تاريخ المدينة ١/ ٥١.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) سورة التوبة ١٠٨.

(٨) فتح الباري ٧/ ٢٤٥.

(٩) في فتح الباري ٧/ ٢٤٥: "والحق أن كلاً منهما أسس على التقوى".

الناقة، فقام أبو بكر رضي الله عنها فركبها فحركها فلم تنبعث، فرجع فقعد، فقام عمر رضي الله عنه فركبها فلم تنبعث، فرجع فقعد، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ليقم بعضكم فيركب الناقة، فقام علي رضي الله عنه، فلما وضع رجله في غَرْز الركاب وَثَبَتْ به، فقال رسول الله ﷺ: أرْخِ زِمَامَهَا، وابنوا على مدارها فإنها مأمورة»[١].

وروى الطبراني ـ وفيه من لم يعرف ـ عن جابر أيضاً، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى أهل قُباء نسلِّم عليهم فأتاهم فسلم عليهم، فرحَّبوا به، ثم قال: يا أهل قُباء ائتوني بأحجارٍ من هذه الحَرَّة، فجمعت عنده أحجارٌ كثيرةٌ، ومعه عَنَزَةٌ[٢] فَخَطَّ قبلتهم، فأخذ حجراً فوضعه رسول الله ﷺ ثم قال: يا أبا بكر، خُذْ حجراً فضعه إلى حَجَري، ثم قال: يا عمر خُذْ حجراً فضعه إلى جنب حَجَر أبي بكر، ثم قال: يا عثمان، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر[٣]، ثم التفت إلى الناس فقال: لِيَضَعْ كلُّ رجلٍ[٤] حَجَرَه حيث أحبَّ على ذلك الخَطِّ»[٥].

قلت: وهو يقتضي أنَّ هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبي ﷺ إلى قُباء[٦]، بل[٧] بعد قدوم عثمان رضي الله عنه من الحبشة، فإنه كان قد هاجر إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجه رقيَّة بنت رسول الله ﷺ، وكان أولَ خارج إليها، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.

فيمكن أنَّ النبي ﷺ أسَّسه عند قدومه، ثم بناه بعد ذلك[٨] وإلاَّ فلم يكن

---

(١) المعجم الكبير ٢/٢٤٦.

(٢) العنزة: عصا مثل الرمح القصير ولها سنان.

(٣) انظر البداية والنهاية ٣/٢١٨ عن البيهقي في دلائل النبوة.

(٤) في الأصول: وضع رجل حجره.

(٥) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ٥٢أ والمعجم الكبير للطبراني ٢/٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٦) نقلاً من المصدر نفسه.

(٧) سقطت من ر.

(٨) هذا قول الأقشهري في الروضة الفردوسية ورقة ٥٢أ.

عثمان رضي الله عنه حاضراً ـ كذا نبّه عليه بعضهم.

ولهذا قال السهيلي: أول من وضع حجراً رسولُ الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر[١]، ولم يذكر عثمان؛ ثم قال: «وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتي المدينة»، انتهى.

وسيأتي عند ذكره في المساجد عن عمر رضي الله عنه أنه قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وأصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسّسه رسول الله ﷺ وجبريل يؤم به البيت، ولم أرَ من نبّه على تعيين زمان قدوم عثمان من الحبشة.

وسيأتي في بنائه[٢] ﷺ لمسجد المدينة أخبار تقتضي حضور عثمان له، وهو محتمل أيضاً للبناء الأول والثاني.

وسبق في الفصل قبله عَدُّ عثمان في من قدم المدينة قبل مقدم النبي ﷺ إليها، وهو كذلك في كلام ابن إسحاق[٣].

وقال المحب الطبري[٤]: الظاهر أنَّ قدوم عثمان من الحبشة كان[٥] قبل هجرة النبي ﷺ أو بعدها وقبل وقعة بدر؛ لأنه صَحَّ أنه كان في وقعة بدر متخلفاً بالمدينة على زوجته رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة[٦]، ووقعة بدر في الثانية، وكان قدوم أكثر مهاجري الحبشة في السابعة، كما سيأتي، والله أعلم.

وفي الكبير للطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن الشَّمُوس بنت النعمان، قالت: نظرتُ إلى رسول الله ﷺ حين قدم ونزل وأسَّس هذا المسجد؛ مسجد قُباء، فرأيته

---

(١) الروض الأنف ٤/ ٣٥٤.

(٢) س، ر: بيانه.

(٣) السيرة النبوية ١/ ٣٢٣ "ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار"، أي: قبل مقدم النبي عليه الصلاة والسلام.

(٤) هو أحمد بن عبد الله المكي محب الدين شيخ الحرم المتوفى سنة ٦٩٤هـ، مؤلف الرياض النضرة في فضائل العشرة وشرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي وغيرهما، وقد سبق التعريف به.

(٥) سقطت من ص.

(٦) الرياض النضرة ٣/ ٩.

يأخذ الحجرَ أو الصخرةَ حتى يَهْصِرَه الحَجَرُ[1]، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سُرَّته، فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: بأبي وأمي يا رسولَ الله أَعْطِني أَكْفِكَ، فيقول: لا، خذ مثلَه، حتى أسَّسه ويقول: إنَّ جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة، قالت: فكان يقال: إنه أقومُ مسجدٍ قبلةً[2].

قلت: قد صَحَّ أنه ﷺ كان يستقبل بيتَ المقدس حتى نُسِخَ ذلك، وجاء آتٍ لقُباء وهم في صلاة الصبح فأخبرهم، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة[3]؛ فيحتمل أنَّ جبريل عليه السلام كان يؤم به البيت ليستدلَّ به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتين، ولعلمه بما يؤول إليه الأمر من استقبال الكعبة، أو أنه ﷺ كان مُخيَّراً في ابتداء الهجرة في التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة ـ كما قاله الربيع[4] ـ فأمَّ به جبريلُ البيتَ لذلك.

واختياره الصلاة لبيت المقدس أولاً لاستمالة اليهود، أو أنَّ استقبال الكعبة كان مشروعاً في ذلك الوقت ثم نُسخ ببيت المقدس ثم نسخ بالكعبة، لما قاله ابن العربي[5] وغيره: من أنَّ القبلة نسخت مرتين، أو أنَّ ذلك تأسيس آخر غير التأسيس الأول، ويدلُّ لهذا الأخيرما قدمناه من رواية ابن شَبَّة.

وقوله في حديث الشَّمُوس المتقدم: "حتى يهصره الحجر"، أي: يُميلُه.

---

(١) الروض الأنف ٤/ ٢٥٤، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٦٤، وسوف يشرحه المؤلف بعد قليل.

(٢) وزاد السمهودي في الخلاصة ٣٧٠: "قلت لعل هذا في بناءٍ غير الأول بعد تحويل القبلة".

(٣) فتح الباري ١/ ٥٠٦ "كتاب الصلاة"، ١٣/ ٢٣٢ "أخبار الآحاد" والبيان والتحصيل لابن رشد ١/ ٤٦٤ ـ ٤٦٦.

(٤) لعله يريد: الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي وراوية كتبه، انظر: طبقات الشافعية ٢/ ١٣٢ وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧ مع مصادر ترجمته فيهما.

(٥) هو أبو بكر محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي المالكي المتوفى بفاس سنة ٥٤٣ هـ، مؤلف عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي وأحكام القرآن وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧ مع مصادر ترجمته، ولم أقف على هذا القول في تفسيرقوله تعالى: "فلنولينك قبلة ترضاها" أو "لمسجد أسس على التقوى" في كتاب أحكام القرآن له.

وأورده المجد[١] من رواية الخطَّابي بلفظ آخر فقال[٢]: وروى الخطابي عن الشَّمُوس بنت النعمان قالت: كان رسول الله ﷺ حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه فيضعه، فيأتي الرجلُ يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أنْ يَدَعَه ويأخذ غيره؛ ثم قال: صَهَرَه وأَصْهَرَهُ: إذا أَلصَقَهُ بالشيء، ومنه اشتقاق الصِّهر في القرابة[٣].

وروى ابنُ شَبَّة أيضاً: أنَّ عبد الله بن رَوَاحة كان يقول وهم يبنون في مسجد قُباء:

* أفلحَ مَـــنْ يعـالـج المسـاجـدا *

فقال رسول الله ﷺ: «المساجدا»

فقال عبد الله:

* ويقــرأُ القــرآنَ قــائمـــاً وقــاعــدا *

فقال رسول الله ﷺ: «وقاعدا»

فقال عبد الله:

* ولا يَبِيـــتُ الليـــلَ عنـــه راقـــدا *

فقال رسول الله ﷺ: «راقدا»[٤].

والله أعلم.

---

(١) المغانم المطابة ٣٢٩.

(٢) م٢: قال.

(٣) غريب الحديث ١/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣ بألفاظ أخرى، وبالنص في الروض الأنف ٤/ ٢٥٤ عن الخطابي.

(٤) تاريخ المدينة ١/ ٥٢ وورد في السيرة ١/ ٣٣٧ منسوباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

"لا يستوي من يعمر المساجدا يـدأب فيهـا قائمـاً وقـاعـدا

ومن يُرى عن الغبار حائدا"

الفصل الحادي عشر

في قدومه ﷺ باطن المدينة وسكناه بدار أبي أيوب الأنصاري، وأمر هذه الدار، وما آلت إليه وما وقع من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال أهل السِيَر: ثم أنَّ رسول الله ﷺ أرسَلَ إلى ملأ بني النجار[1]، فجاءوا متقلدين بالسيوف[2] ـ وكانوا أخوَالَهُ، وذلك أنَّ هاشم بن عبد مناف تزوَّج منهم امرأةً، وهي سلمى بنت عمرو، فجاءه منها ولد.

فلما مات هاشم وكبر الغلام، مَرَّ به قوم من قريش فأبصروه وقد ترعرع وهو ينتضل[3] ويقول: أنا الفتى[4] القرشي، فجاءوا وأخبروا عَمَّه المُطَّلب بن عبد مناف، فذهب فجاء به، فدخل به مكة وهو رِدْفُهُ وعليه ثياب السفر، فقالت قريش: هذا عبد المطلب، فغلب عليه هذا الاسم، فلذلك كان أخواله من بني النجار، فقالوا لرسول الله ﷺ: «اركبوا آمنين مُطَاعين»[5].

---

(١) هنا يبدأ النقص في نسخة راغب باشا (ر).

(٢) في صحيح البخاري ٥/ ١٨٥: "أرسل إلى ملأ بني النجار فجاءوا متقلدي سيوفهم"، وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٢١٤، وفي طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٥ : "إلى ملاءٍ من بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم".

(٣) يقال: ناضله، أي: راماه فَنَضَلَه، من باب نصر، أي: غَلَبه برمي السهام، وانتضل القوم وتناضلوا مثله.

(٤) سقطت من م١، م٢، ت، ص.

(٥) في صحيح البخاري ٥/ ١٧٠: "اركبا آمنَيْن مُطاعَين"، وفي طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٤: "قوما آمنين مطمئنين"؛ ١/ ٢٣٦: "اركبا آمنَيْن مطاعَين" وفي البداية والنهاية ٣/ ١٩٧ نقلاً من مسند أحمد: "انطلقا آمنين مطاعين".

وفي البخاري من حديث أنس: «قَدِمَ رسول الله ﷺ فنزل في حيٍّ يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار فجاءوا بالسيوف»(١).

ثم رواه البخاري بلفظ آخر، فقال: «قدم النبي ﷺ فنزل جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا للنبي ﷺ وأبي بكر(٢) فسلموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنيَنِ مُطَاعَين، فركب حتى نزل جانب دار أبي أيوب»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: تقديره: فنزل جانب الحَرَّة؛ فأقام بقُبَاء المدة التي أقام بها وبنى بها مسجده، ثم بعث إلى. . . إلى آخره(٤).

وفي التاريخ الصغير للبخاري عن أنس أيضاً قال: إني لأسعى مع الغلمان إذ قالوا: جاء محمد، فننطلق فلا نرى شيئاً، حتى أقبل وصاحبه، فَكَمَنَّا(٥) في بعض خرائب(٦) المدينة، وبعثا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما، فاستقبله خمس مئة من الأنصار، فقالوا: انطلقا آمنين مطاعين. . . الحديث؛ ففيه طَيٌّ لذكر قصة قُبَاء، إلاَّ أنْ يُريد أنَّ ذلك وقع في مبدأ الأمر عند نزوله ﷺ بقُبَاء؛ وهو ما اقتضاه رواية رزين، فإنه قال: عن أنس، قال: كنت إذ قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة ابنَ تسعِ سنين، فأسمع الغلمان والوَلائِد يقولون: جاء رسولُ الله ﷺ، فنذهب فلا نرى

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ١٨٥: "فجاءوا متقلدي سيوفهم"؛ وانظر البخاري: صلاة ٤٨، مناقب الأنصار ٤٦، ومسلم: مساجد ٩، زكاة ٦٩، الدارمي: صلاة ١٢، النسائي: مساجد ١٢، زكاة ٦٤ و مسند أحمد ٣/ ٢١٢، ٤/ ٣٥٨.

(٢) م١، ص: "النبي ﷺ وأبي بكر"، وانظر: فتح الباري ٧/ ٢٥٠.

(٣) صحيح البخاري ٥/ ١٧٠ ـ ١٧١ وفتح الباري ٧/ ٢٥٠.

(٤) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٥١.

(٥) يريد أنس: أنا والغلمان.

(٦) في فتح الباري ٧/ ٢٥١ نقلاً من التاريخ الصغير للبخاري: "في بعض خرب المدينة"، وفي الأصول: جوانب، فلعل اللفظة مصحفة من: "خرائب"، وقد ورد الخبر بطوله في البداية والنهاية ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧ عن الأمام أحمد، وجاء فيه: "بعض خراب المدينة." وقال فيه: ورواه البيهقي عن الحاكم. . . عن أنس بنحوه أو مثله.

شيئاً، حتى جاء رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، فَكَمَنَّا في خِرَبٍ[1] في طرف المدينة، وأرسلا رجلاً[2] يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما[3] زُهاء خمسِ مئة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما، قال: فما رأيتُ مثلَ ذلك اليوم قط؛ والله لقد أضاء[4] منها كلُّ شيء[5]، ونزلا على كلثوم بن الهدم، ثم ذكر تأسيس مسجد قُبَاء[6].

ثم قال: ثم خرج منها رسولُ الله ﷺ يُريد المدينة، فلا يَمُرُّ بدارٍ من دور الأنصار إلاَّ عَرَضوا عليه، وذكر نحو ما سيأتي، فهو صريح في أنَّ ذلك كان عند مَقْدَمِهِ ﷺ في بدء الأمر.

وكان خروجه ﷺ من قُبَاء يوم الجمعة، وتعيينه من الشهر مُرَتَّبٌ على ما تقدم في قدومها.

وروى يحيى[7]: أنه ﷺ لما شَخَص ـ أي: من قُبَاء ـ اجتمعت بنو عمرو بن عوف، فقالوا: يا رسولَ الله أَخَرَجْتَ مَلالاً لنا أم تُريد داراً خيراً من دارنا؟ قال: إني أُمِرتُ بقريةٍ تأكلُ القرى[8]، فخلُّوها ـ أي: ناقته ـ فإنها مأمورة، فخرج ﷺ من قُبَاء، فعرض له قبائل الأنصار كلُّهم يدعوه ويَعِدُ النُصرةَ والمَنَعَةَ، فيقول: خَلُّوها فإنها مأمورة، حتى أدركته الجمعة في بني سالم، فصلى في بطن الوادي الجمعةَ؛ وادي ذي صُلْب[9].

---

(١) في مشارق الأنوار للقاضي عياض ٢/ ٤٠: "بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء وآخره باء بواحدة كذا لجميع رواة البخاري"، وقال ابن الأثير: "الخرب: بكسر الخاء وفتح الراء جمع خَرِبَة أو خِرْبَة، ويجوز أن يكون الخَرِب بفتح الخاء وكسر الراء" النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٨ وتاج العروس ١/ ٢٢٩ "خرب".

(٢) خ: رجالاً، وفي الحاشية كتب: رجلاً.

(٣) ت: فاستقبلها؛ وفي فتح الباري ٧/ ٢٥١: "فاستقبله".

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٤.

(٥) عيون الأثر ١/ ٣١٢ مع مصادر وروده.

(٦) فتح الباري ٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤٨، ٢٤٩ ـ ٢٥٣.

(٧) هو يحيى العقيقي الحسيني، كما مَرَّ التعريف به.

(٨) صحيح البخاري (أنقرة) ٣/ ٥٥ ومسند الحميدي ٢/ ٤٨٨.

(٩) م٢: بضم أوله وإهماله، وورد في المغانم المطابة ٢٨٦: "وصدرُ سيلِ ذي صُلب من رانونا، ثم يصب ذو صلب في سدِّ عبد الله بن عمرو بن عثمان ثم في ساخطة وأموال العصبة ثم في عوسا ثم=

قلت: قيل: كانت هذه أول جمعةٍ صلاَّها رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقيل: إنه كان يصلِّي الجمعة في مسجد قُبَاء في إقامته هناك، والله أعلم.

وروى[١] أيضاً عن عمارة بن خُزيمة، قال: «لما كان يوم الجمعة وارتفع النهار دعا رسولُ الله ﷺ براحلته، وحَشَد المسلمون ولبسوا السلاح، وركب رسولُ الله ﷺ ناقتَه القُصواء والناس معه عن يمينه وعن شماله وخلفه؛ منهم الماشي والراكب، فاعتَرَضَنا الأنصارُ فما نَمُرُّ بدارٍ من دورهم إلاَّ قالوا: هَلُمَّ يا رسولَ الله إلى العِزِّ والمنعة والثروة، فيقول لهم خيراً، ويدعو ويقول: إنها مأمورة، خَلُّوا سبيلها».

فَمَرَّ ببني سالم، فقام إليه عِتْبَان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك بن العجلان وهو آخذ بزمام راحلته يقول: يا رسولَ الله انزل فينا فإنَّ فينا العدد والعدة والحلقة ونحن أصحاب الفضاء[٢] والحدائق والدرك، يا رسولَ الله قد كان الرجل من العرب يدخلُ هذه البَحْرَة خائفاً فيلجأ إلينا فنقول له: قوقل حيث شئت، فجعل رسول الله ﷺ يتبسَّم ويقول: «خَلُّوا سبيلها فإنها مأمورة».

فقام إليه عُبادة بن الصامت[٣] وعباس بن نَضْلة بن العَجْلان فجعلا يقولان: يا رسولَ الله انزل فينا[٤]، فيقول النبي ﷺ: «بارك الله عليكم، إنها مأمورة».

فلما أتى مسجد بني سالم ـ وهو المسجد الذي في الوادي ـ فَجَمَّعَ بهم فخَطَبهم، ثم أخذ رسول الله ﷺ عن يمين الطريق حتى[٥] أتى بني الحُبْلى، فأراد أنْ ينزل على[٦] عبد الله بن أُبيّ، فلما رآه ابنُ أُبيّ ـ وهو عند

= في بطحان ثم يلتقي هو وبطحان عند دار الشواترة، وهو في عداد بني زريق" وسيذكر السمهودي حدوده في ما بعد.

(١) أي: يحيى العقيقي الحسيني.

(٢) ت، خ، م١، م٢: القضا، س، ص: الفضا، وفي الخلاصة ١٩٢: العصا، وهو تصحيف.

(٣) ص: وعباس صامت بن الصامت.

(٤) "يا رسول الله انزل فينا"، مكررة في م١.

(٥) ساقطة من م٢.

(٦) م١، م٢: إلى.

مُزَاحِم[1]، أي: الأُطم، مُحتَبياً ـ قال: اذهَبْ إلى الذين دَعَوك فانزل عليهم، فقال سعد بن عبادة: لا تَجِدْ يا رسولَ الله[2] في نفسك من قوله فقد قَدِمْتَ علينا والخزرج تريد أن تُمَلِّكَه علينا[3]، ولكن هذه داري[4].

فَمَرَّ ببني ساعدة، فقال له سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة: هلمَّ يا رسولَ الله إلى العز والثروة والقوة والجلد، وسعد يقول: يا رسولَ الله ليس من قومي رجل أكثر عذقاً[5] ولا فَمَ بئر مني مع الثروة والجلد والعدد والحلقة؛ فيقول رسولُ الله ﷺ: «بارك الله عليكم؛ وجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أبا ثابت خَلِّ سبيلَها فإنها مأمورة».

فمضى واعترضه سعدُ بن الربيع وعبد الله بن رَوَاحة وبشير بن سعد، فقالوا: يا رسولَ الله لا تجاوزنا، فإنا أهلُ عَدَدٍ وثروةٍ وحلقة، قال: بارك الله فيكم، خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة.

واعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو ـ أي: من بني بَيَاضة ـ يقولان: يا رسولَ الله هَلُمَّ إلى المواساة والعِزِّ والثروة والعدد والقوة، نحن أهلُ الدرك يا رسولَ الله، فقال رسول الله ﷺ: «خَلُّوا سبيلها فإنها مأمورة».

ثم مَرَّ ببني عَدي بن النجار ـ وهم أخوالُه ـ فقام أبو سليط وصرْمَة بن أبي أنيس في قومهما، فقالا: يا رسولَ الله[6] نحن أخوالُكَ، هَلُمَّ إلى العدد والمَنَعة والقوة مع القرابة، لا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسولَ الله، ليس أحدٌ من قومنا أولى بك مِنَّا لقرابتنا بك، فقال رسولُ الله ﷺ: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

ويقال: إنَّ أولَ الأنصار اعتَرَضَه بنو بَيَاضة، ثم بنو سالم، ثم مال إلى ابن أبيّ، ثمَّ مَرَّ على بني عدي بن النجار، حتى انتهى إلى بني مالك بن النجار.

---

(١) المغانم المطابة ٣٨٠حيث أورد ذكره في شعر قيس بن الخطيم.
(٢) "يا رسول الله" ساقطة من م٢.
(٣) م١: عليها.
(٤) انظر رواية ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣ وتاريخ المدينة ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧. .
(٥) يريد: أكثر نخلاً.
(٦) سقطت من م٢.

قلت: وقول بني عدي بن النجار: نحن أخوالك، لأنهم أقاربه من جهة الأمومة؛ لأنَّ سلمى بنت عمرو ـ أحد بني عدي بن النجار ـ كانت أُمَّ جده عبد المطلب.

وقول البراء في حديث الصحيح: «إنَّ النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال: أخواله ـ من الأنصار[1]، فيه تجوُّزٌ من حيث إنه ﷺ إنما نزل على إخوتهم بني مالك بن النجار، أو أراد أنه نزل بخطَّة بني النجار لتقارب منازلهم الجميع، ومنهم بنو عَدي»[2].

وقال الحافظ[3] ابن حجر في المقدمة في الكلام على الحديث المذكور: «هم من بني عمرو بن عوف من الخزرج، وكانت أم عبد المطلب جدِّ النبي ﷺ منهم، واسمها سلمى؛ فهم أجداده حقيقةً، وأخواله مجازاً، والشك من راوي الخبر»[4]، انتهى.

وهو وهَمٌ، سبَّبه اشتباه النزول الأول بقُبَاء بهذا النزول الذي وقع فيه الاستقرار، وليس بنو عمرو بن عوف ممن يوصف بذلك، وقد تنبَّه له في الشرح[5]، فذكره على الصواب، كما قدَّمناه، والله أعلم.

وروى رزين: «أنه ﷺ سار من قُبَاء ومعه جماعةٌ من الأنصار في السلاح وجميعُ المهاجرين، وذكر صلاته الجمعة، قال: ثم ركب فجاء بني الحُبْلَى فأراد أنْ ينزل على عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول، وكان جالساً محتبياً عند أُطُم له، فقال: اذْهَبْ إلى الذين دَعَوكَ فانزل عليهم، فقال سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ: لا تَجِدْ عليه، فإنَّ أهلَ هذه البَحْرَة كانوا قد أجمعوا على أنْ يُعَصِّبُوه ويُتَوِّجُوه، فلما ردَّ الله

---

(١) صحيح البخاري (أنقرة) ١/ ٣٥ وفتح الباري ٧/ ٢٥٢.

(٢) نقلاً من فتح الباري ١/ ٩٦.

(٣) هنا ينتهي السقط من ر.

(٤) هدي الساري، مقدمة فتح الباري، إخراج عبد العزيز ابن باز ومحب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٣٩٠، ٢٥٠ وفتح الباري ١/ ٩٦.

(٥) فتح الباري ١/ ٩٦ و ٧/ ١١٦ و٧/ ٢٥٢.

عليه ذلك بالحق الذي أعطاك شَرِقَ لذلك»[1].

قلت: الذي في الصحيح ذكر سعد لذلك في قصة عيادته ﷺ له من مرض بعد سكناه بالمدينة.

والذي في كتب السِيَر عن ابن إسحاق: أنَّ الجمعة أدركته في وادي رَانُونَا فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وكانوا أربعين، وقيل: مئة، فأتاه عتبان بن مالك في رجالٍ من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقِمْ عندنا في العَدَد والعُدَّة والمَنَعَة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة ـ لناقته ـ فَخَلَّوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة، تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة ، فأجابهم بمثل ما تقدم، فخلوا سبيلها [فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فأجابهم بمثل ذلك، فخلوا سبيلها][2] حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بَلْحَارث، فأجابهم بما تقدم فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مَرَّتْ بدار عديّ بن النجار ـ وهم أخواله دنْياً[3] ـ اعترضهم سليط بن قيس في رجالٍ منهم، فأجابهم بمثل ما تقدم ، حتى إذا أتتْ دار بني مالك بن النجار بَرَكَتْ على باب مسجده ﷺ، ثم وثَبَتْ فسارت غيرَ بعيدٍ ورسولُ الله ﷺ واضعٌ لها زمامَها لا يَثْنِيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أولَ مرة فبركت فيه، ثم تحلحلت وأرزمت[4] ووضعت جِرَانها[5] فنزل عنها رسول الله ﷺ[6].

---

(١) نقلاً من تاريخ المدينة ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ وفي النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦، "غَصَّ به حتى كأنه لم يقدر على إساغته وابتلاعه فغصَّ به"، وذكر قسماً من الحديث، وجاء في السيرة النبوية ١/ ٤١٣ مثله ولكن بألفاظ مختلفة حين كان ﷺ في طريقه لعيادة سعد بن عُبادة.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصول، والزياد من السيرة النبوية ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٣) س، ر: ديناً. ودنيا أي: لِحّاً، من الدنو وهو القرب.

(٤) ر، م١، م٢: ورزمت، س: فرزمت، وفي السيرة ١، ٣٣٦: "ورزمت".

(٥) أرزمت: أي: صوّتت، والإرزام: الصوت لا يفتح الفم به، والجران من الناقة عنقها، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦٣؛ ٢/ ٢٢٠.

(٦) السيرة النبوية ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

وفي رواية: أنها لما وثَبَتْ من مبركها الأول بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول.

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «هذا المنزل إنْ شاء الله»[١].

وذكر ابن سيِّد الناس ـ بعد قصة بني سالم ـ: أنَّ راحلته انطلقت حتى وازنت دار بني بياضة، فذكر قصتهم، ثم قال: فانطلقت حتى إذا مَرَّتْ بدار بني ساعدة اعترضه سعدُ بن عُبَادة، وذكر قصتهم، ثم قال: فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع، وذكر قصتهم، ثم ذكر بقية القصة[٢]، كما قدَّمناه.

وذكر يحيى ـ في رواية أخرى ـ: أنه ﷺ بعد أنْ سار من بني سالم تَيَامَنَ فأتى منزل ابن أُبَيّ، ثم مضى في الطريق، والطريق يومئذٍ فضاء حتى انتهى إلى سعد بن عبادة، ثم اعترضت له بنو بياضة عن يساره[٣]، ثم مضى حتى أتى بني عدي بن النجار، ثم أتى إلى بني مازن[٤] بن النجار، فقامت إليه وجوههم، ثم مضى حتى انتهى إلى أبواب[٥] المسجد وقد حشدت بنو مالك بن النجار، فهم قيام ينتظرونه إلى أن طلع، فهَشَّ إليه أسعد بن زرارة وأبو أيوب وعمارة بن حزم وحارثة بن النعمان يقول: يا رسولَ الله قد علمت الخزرج أنه ليس رَبْعٌ أوسعُ من ربعي، قال: فبركت بين أظهرهم فاستبشروا، ثم نهضت كأنها مذعورة تُرَجِّع الحنين فساءهم ذلك فجعلوا يَعْدُون بجنبها حتى أتت إلى زقاق الحبشي ببئر جمل[٦]

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣١ والتعريف للمطري ٤٠ وتحقيق النصرة للمراغي ٣٩.

(٢) عيون الأثر ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٣) ص: يسارهم.

(٤) سقطت من س.

(٥) ص: باب.

(٦) س، ر، ص: بئر جمل، وقال الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٣٥: "بئر معروفة بناحية الجُرف في آخر العقيق" وسيأتي قول السمهودي حولها في أنها غير معروفة اليوم وأنه لم ير من سبق المجد بكونها بالجرف غير ياقوت الذي قال في معجم البلدان ١/ ٢٩٩: "بالجيم بلفظ الجمل من الإبل، موضع بالمدينة فيه مال من أموالها".

فبركت، والنبي ﷺ عليها مُرْخٍ لها زمامها[1]، ثم قامت عَودَهَا على بَدْئها تزيد في المشي حتى بركت على باب المسجد وضَرَبتْ بجِرَانِها وعدلت ثَفِنَاتِها[2]، وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه في النزول عليهم فأخذ رَحْلَه فأدخله، فنظر رسول الله ﷺ إلى رَحْلِه وقد حُطَّ فقال: المرء مع رحله.

وذكر رزين: اعتراض بني سالم له وقوله: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» ثم قال: فَمَرَّ ببني بياضة فكذلك، ثم ببني ساعدة فكذلك، ثم بدار بني الحارث بن الخزرج فكذلك، ثم بدار عدي بن النجار فكذلك، فمضت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب المسجد اليوم، ولم ينزل رسول الله ﷺ حين بركت، ثم وثبت فسارت غيرَ بعيدٍ ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مبركها الأول، فنزل إذ ذاك رسول الله ﷺ، فقال: أيُّ الدور أقربُ؟[3] فقال أبو أيوب: داري، هذا بابي وقد حَطَطْنَا رَحْلَكَ فيها، فقال: "المرء مع رَحْلِه"، فمضت مثلاً.

وروى ابن زبالة: أنها لما بركت بباب أبي أيوب جعل رسول الله ﷺ يُريد أنْ ينزل فتحلحل فيطيف بها أبو أيوب فيجد جبَّار بن صخر أخو[4] بني سلمة ينخسها برجله، فقال أبو أيوب: يا جبار! عن منزلي تنخسها؟ أما والذي بعثه بالحق، لولا الإسلام لضربتك بالسيف، فنزل رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب، وقَرَّ قَراره[5]، واطمأنت داره، ونزل معه زيد بن حارثة.

وعند الحاكم عن أنس: جاءت الأنصار فقالوا: إلينا يا رسولَ الله، فقال: دعوا الناقة فإنها مأمورة، فبركت على باب أبي أيوب.

---

(١) في حاشية م٢، ورقة ٦٥أ كتب الناسخ بخطه: «هكذا في نسخة المصنف بعد قوله زمامها بياض وكتب مقابله في الهامش بخطه ما نصه: كذا في نسختين من كتاب يحيى ولعله ثم قامت عودها إلى آخره»، مما يوحي أنَّ نسخة م٢ منقولة من نسخة المصنف.

(٢) س: بقناتها، ر، م١: بفنائها، والثَفِنة: بكسر الفاء، ما ولي الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما ويحصل فيه غلظ من أثر البروك، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢١٥.

(٣) ساقطة من ر.

(٤) كذا في الأصول، وله وجه بإضمار وهو.

(٥) ر: وقد قراه.

وروى الطبراني في الأوسط ـ وفيه صُدَيق بن موسى ـ قال الذهبي: ليس بالحجة[(١)]، عن عبد الله بن الزبير: أنَّ رسولَ الله ﷺ قدم المدينة فاستناخت راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي ودار الحسن بن زيد، فأتاه الناسُ فقالوا: يا رسولَ الله المنزل، فانبعثت به راحلته فاستناخت ثم تحلحلت، ولناسٍ ثمَّ عَريشٌ كانوا يرشونه ويعمرونه ويتبرَّدون فيه، حتى نزل رسولُ الله ﷺ عن راحلته فآوى إلى الظل فنزل فيه فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسولَ الله منزلي أقرب المنازل إليه فأنقل رحلك؟ قال: نعم، فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه آخر فقال: يا رسولَ الله انزل عليَّ، فقال: إنَّ الرجلَ مع رحله حيث كان.

وثَبَتَ رسولُ الله ﷺ في العريش اثنتي عشرةَ ليلة حتى بُنِيَ المسجد[(٢)].

قلت: دار جعفر بن محمد هي التي في قبلة دار أبي أيوب ملاصقة لها، ودار الحسن بن زيد تقابلها من جهة المغرب؛ بينهما الشارع[(٣)].

وعند ابن عائذ وسعيد بن منصور[(٤)]: أنَّ ناقته ﷺ استناخت به أولاً، فجاءه ناسٌ فقالوا: المنزل يا رسول الله، فقال: دعوها، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد، ثم تَحَلْحَلَتْ، فنزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: منزلي أقربُ المنازل فَأْذَنْ لي أنْ أنقلَ رحلَكَ، قال: نعم، فنقل رحله[(٥)] وأناخ الناقة في منزله[(٦)].

---

(١) ميزان الإعتدال ٢/ ٣١٤، وروي: صِدَّيق في إحدى نسخ الميزان.

(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٠٢ عن البيهقي (من كتاب دلائل النبوة).

(٣) حدد عبد القدوس الأنصاري رحمه الله في آثار المدينة المنورة ٢١ ـ ٢٢، دار أبي أيوب هذه وتتبع ما اعتراها من تغيير عبر التاريخ ثم قال: "وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري أعيد بناؤها بصفة مسجد مقبب ذي محراب، ولا تزال إلى الآن بهذا الشكل، في القسم الجنوبي الغربي من دار آل البالي، وعلى جدارها الخارجي حجر منقوش فيه بحروف بارزة مذهبة ما نصه: هذا بيت أبي أيوب الأنصاري موفد النبي عليه الصلاة والسلام في ٧ سنة ١٢٩١"، ومثل ذلك فعل بتحديد دار جعفر بن محمد الصادق وقال: "وهي اليوم من أوقاف المسجد النبوي"، صفحة ٢٤.

(٤) هو شيخ الحرم أبو عثمان الخراساني البلخي المكي مؤلف كتاب السنن، توفي بمكة سنة ٢٢٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٨٦ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٣٢.

(٥) ر: فنقل راحلته.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٦.

وقال الواقدي: أخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده، ونقله الحافظ ابن حجر عن ابن سعد[1].

ونقل الأقشهري في روضته[2]: عن ابن نافع ـ صاحب مالك ـ في أثناء كلامٍ نَقَله عن مالك: أنَّ ناقته ﷺ لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها وأخذه الذي كان يأخذه عند الوحي، ثم ثارت من غير أنْ تُزْجَرَ وسارت غير بعيد ثم التفتت، ثم عادت إلى المكان الذي بركت فيه أول مرة فبركت فَسُرِّيَ عنه، فأمرَ أن يُحَطَّ رَحلُه[3].

وفي بعض الروايات: أنَّ القوم لما تنازعوا أيهم ينزل عليه، قال: إني أنزل على أخوال عبد المطلب أُكرمُهم بذلك[4].

وفي البخاري، من حديث عائشة: «أنه ﷺ أقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فقال: أيُّ بيوت أهلنا أقرب؟ أي: أخوال جده، فقال أبو أيوب: أنا يا نبيَ الله، هذه داري، وهذا بابي، قال: فانطلق فَهَيِء لنا مَقِيلاً»[5].

وفي رواية لابن زبالة: «اختار رسول الله ﷺ على عينه[6]، فنزلَ في[7] منزله وتَخَيَّره، وأراد أنْ يتوسط الأنصار كلها»[8].

قال المطري: وهو غير منافٍ لما تقدم من قوله: "دعوها فإنها مأمورة" لأنَّ

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٤٦ نقلاً من طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧.

(٢) هوكتاب الروضة الفردوسية وهو في أسماء من دُفن بالبقيع، ومنه نسخة بمكتبة دحداح، انظر عنه: بروكلمان: ملحق ٢/ ٩٢٨ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٣٥ وقد سبق التعريف بالأقشهري.

(٣) الروضة الفردوسية ورقة ١٠ب في الحاشية العليا.

(٤) فتح الباري ٧/ ٢٤٦.

(٥) صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٧١، والمقيل: موضع القيلولة واخرجه الأمام أحمد في مسنده أيضاً، انظر: المعجم المفهرس ٥/ ٥٠٥ وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٢٧ ودلائل النبوة لابي نعيم ١١٤.

(٦) على عينه: من المجاز كقولك: أنت على عيني، أي: في الإكرام والحفظ جميعاً، تاج العروس ٩/ ٢٨٩.

(٧) سقطت من ص.

(٨) التعريف للمطري ٤٠.

الله اختار له ما كان يختار لنفسه[1].

وفرح أهلُ المدينة بمقدمه ﷺ إليهم فرحاً شديداً؛ ففي البخاري من حديث البَرَاء: «ما رأيت أهلَ المدينة فرحوا بشيء فَرَحَهم برسول الله ﷺ...» الحديث[2].

وروى أبو داود: أن الحبشة لعبت بحرابهم فرحاً بقدومه ﷺ[3].

قال رزين: وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير، يقلن[4]:

طلعَ البَدْرُ عَلينا مِن ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وجب الشكرُ علينا ما دعا للهِ داعِ[5]

وفي رواية:

أيها المبعوث فينا جئتَ بالأمْرِ المُطاعِ

والغلمان والولائد يقولون: جاء رسولُ الله ﷺ فَرَحاً به[6].

وفي شرف المصطفى[7]: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب، خرج جوارٍ من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمدٌ مِن جارِ[8]

فقال رسول الله ﷺ: «أَتُحْبَبْنَنِي[9]؟ قلن: نعم يا رسولَ الله، فقال: والله وأنا

(١) التعريف للمطري ٤٠.
(٢) صحيح البخاري ٥/ ١٨٠ وعيون الأثر ١/ ٣١٣.
(٣) الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٤٩٧ عن أنس.
(٤) تحقيق النصرة ٤٠.
(٥) المصدر نفسه، عن عائشة رضي الله عنها؛ وفي فتح الباري ٧/ ٢٦١ عن أبي سعيد الخركوشي في كتاب شرف المصطفى: "ورويناه من طريق عبيد الله بن عائشة منقطعاً... وهو سند معضل".
(٦) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٠٧.
(٧) في فتح الباري ٧/ ٢٦١: "واخرج الحاكم من طريق إسحق بن أبي طلحة عن أنس: فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدف وهن يقلن".
(٨) الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٤٩٧، عن أنس.
(٩) خ: أحببتني.

أحبُّكُنَّ، قالها ثلاثاً»[1].

وفي رواية: «يعلم الله إني أُحِبُّكنَّ»[2].

وأخرج الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس: فخرجت جوارٍ من بني النجار يضربن بالدفوف[3] وهن يقلن، وذكر البيت المتقدم[4].

وروي عن أنس، قال: «لما خرج رسول الله ﷺ من مكة أظلم منها كلُّ شيء، فلما دخل المدينة أضاء منها كلُّ شيء»[5].

ورواه ابن ماجه بلفظ: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء[6].

ورواه أبو داود بلفظ: «لما قدم رسول الله ﷺ وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً بقدومه ﷺ، وما رأيت يوماً كان أحسَنَ ولا أضوأَ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة؛ أضاء منها كلُّ شيء»[7]، الحديث.

ورواه ابن أبي خيثمة[8] عنه بلفظ: «شهدت يوم دخول رسول الله ﷺ المدينة، فلم أرَ يوماً أحسنَ منه ولا أضوأ»[9].

---

(١) تحقيق النصرة للمراغي ٤٠ نقلاً من شرف المصطفى للخركوشي.

(٢) ورواه ابن الجوزي في الوفا ١/ ٣٩٧ وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٠٨ وبالفاظ مختلفة في معجم الطبراني الصغير ١٥.

(٣) ر: بالف.

(٤) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ وقال: "وقد أخرجه الحاكم في مستدركه كما يروى" وذكر أن البيهقي ذكره أيضاً عن أبي عبد الرحن السلمي.

(٥) المستدرك ٣/ ١٢ وعيون الأثر ١/ ٣١٢ مع مصادر الخبر، والهيثمي في موارد الظمآن ٥٣٠.

(٦) المعجم المفهرس ٤/ ٨٣ عن ابن ماجه (١/ ٥٢٢) ومسند أحمد (٣/ ٢٤٠)، وأنظر: موارد الظمآن ٥٣٠ والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي (عبد الواحد) ٧٩١ ودلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٦٥ والمستدرك للحاكم ٣/ ٥٧.

(٧) المعجم المفهرس ٣/ ٥٢٣ عن ابن ماجه وأحمد.

(٨) هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة المتوفى سنة ٢٧٩هـ، صاحب التاريخ الكبير، منه نسخة في جامع القرويين بفاس، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢٧٢ وسزكين ١/ ٣١٩ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٢٧ وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩٢ مع مصادر ترجمته فيها.

(٩) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ وعيون الأثر ١/ ٣١٣ والمستدرك ٣/ ١٢.

وروى يحيى عن عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[1] الناس إليه، وقيل: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ فجئت أنظر، فلما تبيَّنتُ وجهَهُ علمت أنَّ وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أول شيء سمعته يتكلم، قال: «أيها الناس، أفْشُوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[2].

وهذا الحديث بنحوه في الترمذي وصحَّحه[3].

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ـ أعطاهما خمس مئة درهم وبعيرين ـ فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم بنتيه وسَوْدَة زوجه وأمِّ أيْمَنَ زوج زيد بن حارثة وأسامة بن زيـد، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر؛ فيهم عائشة وأختُها أسماء ـ زوج الزبير ـ وأمها أم رُومان[4]، فلما قدموا المدينة أنزلهم في بيت حارثة بن النعمان[5].

وقال رزين: إنَّ أبا بكر أرسل عبدَ الله بن أُرَيْقِط مع زيد بن حارثة ليأتيه بعائشة وأم رومان أمها وعبد الرحمن[6].

قال بعضهم: ووجدوا طلحة بن عبيد الله على خروجٍ، فخرج معهم، فقدموا كلهم. وروى ابن إسحاق عن أبي أيوب الأنصاري، قال: لما نزل عليَّ رسولُ الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفل وأنا وأمُّ أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، إني أكره وأُعْظِمُ أنْ أكون فوقك وتكون تحتي، فاظْهَرْ أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل، فقال: يا أبا أيوب أن أرفق بنا وبمن يَغْشَانا أنْ نكون في سُفْلِ البيت، قال: فكان رسولُ الله في سفله، وكنَّا فوقه في المسكن،

---

(١) انجفل إليه: هرع واسرع إليه، وذهب مسرعاً نحوه.

(٢) المستدرك للحاكم ٣/ ١٣ والمصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٣٣٨ والوفا بأحوال المصطفى ١/ ٣٩٨.

(٣) الجامع الكبير ٤/ ٢٦٤ (بشار)، وانظر: عيون الأثر ١/ ٣١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٤) الفقرة: "فلما قدمو المدينة... وأم رومان"، ساقطة من ر.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٦) انظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٥ فقد جمع بين الروايتين.

فلقد انكسر حُبٌّ[١] لنا فيه ماءٌ، فقمت أنا وأمُّ أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحافٌ غيرها ننشّف بها الماء تخوفاً أنْ يقطر على رأس رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه[٢].

قلت: وذكر بعضهم: أنَّ ذلك هو سبب سكناه في العلو بعد ذلك، والذي في **صحيح** مسلم عن أبي أيوب: أن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل ﷺ في السفل وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس النبي ﷺ؟! فتنحَّوا وباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: السفل أرفق، فقال: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها، فتحوّل النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل[٣].

وقد قَدَّمنا في آخر **الفصل الرابع**: أنَّ ابن إسحاق ذكر أنَّ هذا البيت بَناهُ تُبَّع الأول لما مَرَّ بالمدينة للنبي ﷺ، ينزله إذا قدم المدينة فَتَدَاولَ البيتَ المُلاَّكُ إلى أن صار لأبي أيـوب، وأنَّ أبا أيوب من ذرية الحَبْر الذي أسلمه تُبَعّ كتابَه[٤].

وقد نقل الحافظ ابنُ حجر ذلك عن حكاية ابن هشام في **التيجان**[٥]، قال: وأورده ابن عساكر في ترجمة تُبَّع[٦]: فما نزل ﷺ إلا في بيته.

وقد ابتاع المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بيتَ أبي أيوب الأنصاري هذا من ابن أفلح مولى أبي أيوب بألف دينار، فتصدق به[٧]، وهو في شرقيّ المسجد المقدس، كما سيأتي في الدور المطيفة بالمسجد.

---

(١) الحُب: هو الخابية من الفخّار.

(٢) **السيرة النبوية** ١/ ٣٣٨.

(٣) صحيح مسلم ٦/ ١٢٧ وأخرجه الأمام أحمد في مسنده، انظر: **المعجم المفهرس** ٢/ ٤٧٣.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٥٢ وتحقيق النصرة للمراغي ٣٩ ـ ٤٠.

(٥) كتاب **التيجان لمعرفة ملوك الزمان في أخبار قحطان** لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى بالفسطاط سنة ٢١٨هـ، وقد نُشر في حيدرأباد سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨ منسوباً لوهب بن منبه ونشر بالتصوير في صنعاء سنة ١٩٧٩ بعنوان: **كتاب التيجان في ملوك حمير** بأخطائه وتصحيفاته الكثيرة جداً بالرغم مما كتب على غلافه: "تحقيق ونشر. .الخ"، انظر: سزكين ١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢٨ وبروكلمان ١/ ١٣٥ وملحقه ١/ ٢٠٦ ومعجم المؤلفين ٦/ ١٩٢ مع مصادر ترجمته فيها.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٥٢.

(٧) **المغانم المطابة** ص٨٥.

وقد اشترى الملكُ المظفَّر شهابُ الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادي[1] عَرصَة دار أبي أيوب هذه، وبناها مدرسة للمذاهب الأربعة، ووقف عليها أوقافاً بمَيافارقين[2] التي هي دار ملكه، وبدمشق لها وقفٌ آخر أيضاً[3]، ولها بالمدينة الشريفة أيضاً وقف من النخيل وغيرها، غير أنه شمل ذلك ما عمَّ الأوقاف، وكان بها كتب كثيرة نفيسة فتفرقت أيدي سَبَا[4]، وآل حال هذه المدرسة إلى التعطيل، فسكنها بعض نُظَّارها فتشاءمت على عياله، واتصل ذلك بسلطان مصر فخرج منها، ولهذه المدرسة قاعتان: كبرى وصغرى، وفي إيوان الصغرى الغربي خزانة صغيرة جداً، مما يلي القبلة فيها محراب[5].

قال المطري: يقال إنها مَبْرَكُ ناقة النبي ﷺ[6].

وكانت إقامته ﷺ بهذه الدار ـ كما أفاده ابن سعد ـ سبعة أشهر[7] ـ أي: بتقديم السين على الباء ـ حتى بنى مساكنه.

وقال رزين: أقام عند أبي أيوب من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الثانية. وقال الدولابي[8]: شهراً[9].

---

(١) توفي في سنة ٦٤٥هـ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٣٣ مع مصادر ترجمته.

(٢) مدينة مشهورة في كتب التواريخ الأيوبية بديار بكر، قريبة من مدينة آمد، وذكر ياقوت نتفاً من تاريخها في معجم البلدان ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٨ وصنَّف عبد الله بن محمد الفارقي المعروف بابن الأزرق المتوفى سنة ٥٩٠هـ تاريخ ميافارقين فنشره محققاً بدري عبد اللطيف عوض بالقاهرة سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩.

(٣) التعريف للمطري ٤٠.

(٤) بدون همز، يكتب بالألف لأنَّ أصله الهمزة، أي: سُلبت ونُهبت وتفرقت شذر مذر كما تفرق أهل سبأ، انظر: تاج العروس ١/ ٧٦ ففيه تفصيل.

(٥) المغانم المطابة ٣٦٨ والتعريف للمطري ٤٠ وتحقيق النصرة للمراغي ٤٢.

(٦) التعريف للمطري ٤٠ وتحقيق النصرة للمراغي ٤٢.

(٧) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧.

(٨) لعله محمد بن أحمد بن حماد، أبو بشر الدولابي المتوفى سنة ٣١٦هـ، مؤلف كتاب الكنى والأسماء وغيره، انظر: بروكلمان: ملحق ١/ ٢٧٨ وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٠٩ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٥٥.

(٩) نقلاً من تحقيق النصرة ٤١.

وفي كتاب يحيى عن زيد بن ثابت قال: لما نزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب لم يدخل منزلَ رسول الله ﷺ هديةٌ أولَ من هديةٍ دخلتُ بها عليه: قصعة مثرودة خبزَ برٍّ وسمناً ولبناً فأضعها بين يديه، فقلت: يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: «بارك الله فيها، ودعا أصحابه فأكلوا فلم أَرِمِ الباب[1] حتى جاءت قصعة سعد بن عُبادة على رأس غلام مُغَطَّاة فأقف على باب أبي أيوب فأكشف غطاءها لأنظر، فرأيت ثريداً عليه عُراق، فدخل بها على رسول الله ﷺ»[2].

قال زيد: فلقد كنا في بني مالك بن النجار ما من ليلة إلاَّ على باب رسول الله ﷺ منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تحوَّل رسول الله ﷺ من بيت أبي أيوب، وكان مقامه فيه سبعة أشهر، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كلَّ ليلة.

وفيه: أنه قيل لأم أيوب[3]: أيُّ الطعام كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ، فانكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم؟ قالت: ما رأيته أَمَرَ بطعام فَصُنِعَ له بعينه ولا رأيناه أُتيَ بطعام قَطُّ فَعَابَه.

وقد أخبرني[4] أبو أيوب أنه تَعَشى عنده ليلة من قَصْعَةٍ أرسل بها سعدُ بن عبادة: طُفَيْشَل[5]، فقال أبو أيوب: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ ينهل تلك القدر ما لم أرَه ينهلُ غيرَها، فكنَّا نعملها له، وكنَّا نعمل له الهريس، وكانت تعجبه وكان يحضر عَشَاءهُ خمسة إلى ستة عشر، كما يكون الطعام في الكَثْرَةِ والقِلَّة.

وفيه: عن أبي أيوب: أنهم تكلَّفوا له طعاماً فيه بعضُ هذه البقول، فلما أتوه به كَرِهَهُ وقال لأصحابه: كُلُوا فإني لستُ كأحدكم، إني أخاف أنْ أوذِيَ صاحبي[6].

---

(١) أرم الباب: لم أفارقه بعد.
(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧.
(٣) في الأصول: لأم أبي أيوب.
(٤) ما زال الكلام لزيد بن ثابت.
(٥) الطفيشل كسميدع: نوع من المرق، تاج العروس ٧/ ٤١٩.
(٦) يريد ﷺ الملك الذي يلازمه أو جبريل عليه السلام، والإشارة هنا إلى الثوم.

وفي كتاب رزين عنه[1] ـ بعد ذكر نزوله عليه ـ قال: وما مَرَّت ليلة من نحو السنة إلا وتأتيه جَفْنَة سعد بن معاذ ثم سائر الناس، يتناوبون ذلك نُوَباً.

قال أبو أيوب: فصنعت له ليلةً طعاماً، وجعلت فيه ثوماً، فلم يأكل منه رسول الله ففزعت فنزلت إليه فقلت له: أحرامٌ هو؟ فقال: إني أُناجي وأنا أكرهه[2] لذلك، وأما أنتم فكلوه، قال: فقلت: فإني أكره ما تكره يا رسولَ الله[3].

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَعَ فيه يهود وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم، وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال ـ في ما بلغنا[4] ـ: تآخوا في الله أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي[5].

قلت: كانت هذه المؤاخاة بعد مَقْدَمِه ﷺ بخمسة أشهر.

وقيل: ثمانية، وهو يبني المسجد.

وقيل: بعدهُ، وقيل: قبله.

وذكرها أبو حاتم في السنة الأولى.

والظاهر أنَّ ابتداءها كان فيها، واستمرت على حسب مَنْ يدخل في الإسلام أو يحضر، كما يعلم من تفاصيلها.

قيل: وكانوا تسعين رجلاً؛ من كلٍّ طائفة خمسة وأربعون.

---

(١) يريد: عن زيد بن ثابت.

(٢) ر، ص: أكره.

(٣) ورد هذا الخبر بالفاظ أخرى في السيرة النبوية ١/٣٣٨؛ والبداية والنهاية ٣/٢٠١ عن البيهقي، وقال أيضاً: رواه مسلم وثبت في الصحيحين عن أنسٍ بن مالك قال: جيء رسول الله ﷺ ببدر وفي رواية: بقدر فيه خضراوات من بقول، قال: فسأل فأُخبِرَ بما فيها فلما رآها كره أكلها، قال: "كل فإني أناجي من لا تناجي".

(٤) مثل قراءتنا في البداية والنهاية ٣/٢٢٦ عن ابن إسحاق، أما في السيرة النبوية، تح وستنفيلد ١/٣٤٤: "فقال في ما بلغني ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل".

(٥) انظر نص معاهدة النبي ﷺ مع يهود ومؤاخاة المهاجرين والأنصار في: السيرة النبوية ١/٣٤١ـ٣٤٦ ومؤاخاته مع علي في المستدرك ٣/١٤.

وقيل: مئة، آخى بينهم على الحق والمواساة والتوارث، وكانوا كذلك إلى أنْ نزل بعد بدر: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ . . .﴾ الآية[1].

وقال الواقدي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار[2].

وقال ابن عبد البر[3]: كانت المؤاخاة مرتين: الأولى قبل الهجرة بمكة بين المهاجرين، فآخى بين أبي بكر وعمر، وهكذا حتى بقي عليٌّ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة»[4].

والمؤاخاة الثانية: ما تقدم من مؤاخاة المهاجرين والأنصار، وهي المرادة بقول الحسن: كان التوارث بالحِلْفِ فَنُسِخَ بآية المواريث[5].

ولأبي داود عن أنس بن مالك: حالف رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا[6].

وحديث: "لا حِلفَ في الإسلام"[7] معناه: حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع منه[8].

---

(١) سورة الأنفال ٧٥ ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾؛ اختصر السمهودي هذا النص من طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٨ وانظر: المعجم الكبير ١١/ ٢٨٤.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٨.

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ١٠٠.

(٤) المستدرك ٣/ ١٤، والكامل لابن عدي ٢/ ١٦٦، ٢١٩، ٥ وذكر البلاذري في أنساب الأشراف تح محمد حميدالله ١/ ٢٧٠ أن النبي ﷺ آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على المواساة والحق" وتابعه ابن سيد الناس في عيون الأثر ١/ ٣٢٢ والجامع الكبير للترمذي ٦/ ٨٤ مع تخريجه.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٣٢٢.

(٦) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٢٤ عن الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود بطرق متعددة وذكر نص كتاب المؤاخاة ونص كتاب الموادعة مع اليهود عن ابن إسحاق.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٢/ ١٣٧، ١٤١؛ ١١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ مع مصادر وروده.

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٣٢٢ فإن هذا من كلام النووي، وانظر صحيح البخاري، مصطفى البابي الحلبي، ٣/ ١١٩، ٦/ ٥٥ ـ ٥٦، ٨/ ١٩٠ ـ ١٩١.

وعَبَّر رزين عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في ما نقله عن أبي حاتم بقوله: ثم آخى بين أصحابه، ودعا لكلٍّ واحد منهم دعوة، وقال: ابشروا أنتم في أعلى غُرَفِ الجنة، وقال لعلي: ما أَخَّرْتُك إلاً لنفسي، أنت أخي ووارث علمي، وأنت معي في الجنة في قصري مع ابنتي[١].

وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم، فذكر المؤاخاة بين أبي بكر وعمر، وذكر جماعة، ثم قال: فقال عليّ: يا رسول الله، إنك آخيت بين أصحابك، فمن أخي؟ قال: أنا أخوك[٢].

وقد أنكر ابن تيمية[٣] في الرد على ابن المطهَّر الرافضي[٤] المؤاخاة بين المهاجرين، خصوصاً مؤاخاة النبي لعلي، قال: لأنها شُرِّعت للإرفاق والتآلف، فلا معنى لها بينهم[٥]؛ وهو ردٌّ للنص وغفلةٌ عن حقيقة الحكمة في ذلك، مع أنَّ بعضهم كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة، فالإرتفاق ممكن، وقد كان النبي ﷺ يقوم بعليٍّ من عهد الصبا، واستمر ذلك[٦].

وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن: أنه ﷺ: آخى بين الزبير وابن مسعود[٧]

---

(١) ذكر سبط ابن العجمي في نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ١/ ٢٧٢ قول ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر الحِلي الرافضي في: أنَّ النبي ﷺ لم يؤاخِ بين المهاجرين وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، وقد أوردها ابن عبد البر في كتاب الدررَ في اختصار المغازي والسير٨٢ وذكرها ابن سيد الناس في عيون الأثر ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٣.

(٢) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٧١.

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨هـ، معجم المؤلفين ١/ ٢٦١.

(٤) ابن المطهر: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المتوفى في الحلة سنة ٧٢٦هـ، انظر: بروكلمان ٢/ ١٦٤ وملحقه ٢/ ٢٠٦ ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٠٣ مع مصادر ترجمته، وأشار السبكي إلى ذلك في ترجمة والده في طبقات الشافعية ١٠/ ١٧٦ وأورد لأبيه شعراً في الروافض وذكر ردَّه على ابن تيمية في الزيارة.

(٥) منهاج السنة النبوية ٤/ ٩٦ ـ ٩٧، وتابعه تلميذه ابن القيم في زاد المعاد ٢/ ٧٩ وابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٢٧.

(٦) ينقل السمهودي هنا قول ابن حجر ورده باختصار، انظر: فتح الباري ٧/ ٢٧١.

(٧) تاريخ المدينة ٣/ ١٠٥٣ وفتح الباري ٧/ ٢٧١ وطبقات ابن سعد ٣/ ١٠٢ والاستيعاب ١/ ٥٨٠.

وهما من المهاجرين[1].

والتأم شمل الحيين: الأوس والخزرج ببركته ﷺ، فمرَّ شاس بن قيس[2] - وكان شيخاً من اليهود شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم - على نفرٍ من الأوس والخزرج في مجلسٍ يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من إلفَتِهِم وصلاح ذات بينهم بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع مَلأُ بني قَيلة بهذه البلاد، والله[3] ما لنا معهم إذا اجتمع ملاؤهم بها من قرار، فأمَرَ شاباً من يهود كان معه، فقال: اجلس إليهم ثم اذكر يوم بُعاث، وما كان فيه، وأَنْشِدْهُم بعض ما كانوا يتقاولون[4] فيه من الأشعار، ففعل الشاب ذلك، فتنازع القوم وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب[5]؛ وهما أوس بن قَيظي وجَبَّار بن صخر، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إنْ شئتم رددناها الآن جَذَعة، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدُكم الظاهرة؛ وهي الحَرَّة، فخرجوا إليها، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فخرج إليهم في من معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، الله! الله! أَبِدَعْوَى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أنْ هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقَطَع به عنكم أمْرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم؟ فعرف القومُ أنها نزغةٌ من الشيطان وكيدٌ من عدوهم، فبكوا، وعانق الأوسُ الخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوِّ الله شاس بن قيس، فأنزل الله في شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[6] وأنزل الله في الذين صنعوا ما صنعوا من الحيين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

(١) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٧١.
(٢) النص بكامله في السيرة النبوية ١/ ٣٨٥ - ٣٨٧.
(٣) ص: لا والله ومثل ذلك في الروض الأنف ٤/ ٣٥٨.
(٤) ص: تقاولوا.
(٥) أي: على الركوب للقتال.
(٦) سورة آل عمران ٩٨ - ٩٩.

إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[(١)].

وكان حُيَيُّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر من أشدِّ يهود للعرب حَسَداً لما خصَّهم الله برسوله ﷺ، فكانا جاهِدَيْن في ردِّ الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٢)].

وحدَّثت صفية بنت حُيي رضي الله عنها، قالت: كنت أحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقَهُمَا قَطُّ مع ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدا عليه أبي وعمي مُغَلِّسَين[(٣)]، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالَّين كَسْلانَين سَاقِطَين يمشيان الهُوَينا، فهششت إليهما ـ كما كنت أصنع ـ فوالله ما التفت إليَّ واحدٌ منهما، مع[(٤)] ما بهما من الغمِّ، وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو[(٥)]؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتُثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت[(٦)]، فَشَقِيَا بحَسَدِهما، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران ١٠٠ ـ ١٠٣.

(٢) سورة البقرة ١٠٩ وعن الخبر، انظر: الروض الأنف ٤/٤٥٨ ـ ٣٦٠ ومعالم التنزيل للبغوي ٢/١٩٨ وتاريخ المدينة ٢/٤١٩.

(٣) أي: وقت الغلس، وهو ظلمة آخر الليل.

(٤) خ: على ما بهما.

(٥) ر: أهو، س: هو.

(٦) الروض الأنف ٤/٣١٠ ـ ٣١١ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٣٣.

الفصل الثاني عشر
في ما كان من أمره ﷺ بها
في سِني[1] الهجرة
إلى أن توفاه الله عزّ وجلّ، مختصرا

وقد لخَّصهُ رزين من تاريخ أبي حاتِم[2]، فزدت فيه نفائس ميَّزتُها، فأقول في أولها: قلت، وفي آخرها: والله أعلم.

وقد أقام ﷺ بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين بالإجماع ـ كما حكاه النووي[3].

السنـة الأولـى: وقد تقدم بعضُ ما فيها من بناء مسجد قُباء وغيره.

وقال أبو حاتم: كان فيها بناء المسجد النبوي، ومات أسعد بن زُرارة والمسجد يُبْنَى، فكان أول من دُفِن بالبقيع من المسلمين.

قلت: ومن هذا يُعلم أنَّ عثمان بن مظعون أول من دُفنَ به من المهاجرين ـ جمعاً بين النقلين ـ ومات كلثوم بن الهدم قبل أسعد بن زرارة فهو أول من مات من الأنصار بعد مقدم النبي ﷺ.

وقيل: توفي أسعد بن زرارة في الثانية، والله أعلم.

---

(١) في الأصول: سنين.

(٢) هو أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي شيخ المحدثين المتوفى ببغداد سنة ٢٧٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧ مع مصادر ترجمته.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ١١٤ وفتح الباري ٨/ ١٥٠ ، ٨/ ٢٣٠.

ومات البَرَاء بن مَعْرُور قبل قدوم رسول الله ﷺ وأوصى أنْ يُوجَّه إلى الكعبة، وصَلَّى رسولُ الله ﷺ على قبره، وكانت الأنصار يتقربون إلى رسول الله ﷺ بالهدايا؛ رجالهم ونساؤهم، وكانت أمُّ سُليم تتأسف على ذلك وما كان لها شيء، فجاءت بابنها أنس، وقالت: يَخْدمك أنسُ يا رسول الله؟ قال: نعم[1].

قلت: الذي في الصحيح عن أنس: «قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إنَّ أنساً غلامٌ كَيِّسٌ[2] فليخدمك، قال: فخدمته»، الحديث[3].

وقد يُجمع بأنها جاءت به أولاً، وانطلق به أبو طلحة ثانياً، لأنه وليّه وعصَبَتَه، وهذا غير مجيئه به لخدمته ﷺ في غزوة خيبر، كما يفهمه لفظ الحديث، والله أعلم.

ثم زِيدَ في صلاة الحضر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر[4].

قلت: وقال السهيلي: إنَّ ذلك كان بعد الهجرة بعام أو نحوه، والذي عليه الأكثر أنَّ الصلاة نزلت بتمامها من بَدْء الأمر[5]، والله أعلم.

ووُعِك أصحابه، فدعا بنقل وبائها إلى الجُحْفة، وقال: «اللهمَّ حبب إلينا المدينة»، ثم آخى بين أصحابه كما سبق، ثم مات الوليد بن المغيرة بمكة وَوُلِدَ عبدُ الله بن الزبير؛ جاءت أمه أسماء بعد الهجرة فَنُفِسَت به في قُباء في شوال،

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١٢٦.

(٢) كيِّس: من الكيس وهو العقل، أي عاقل حاذق متأنٍ ومنه كيَّس الفعل: أي حسنه، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٣) رواه البخاري في الوصايا والديات ومسلم في الفضائل وأحمد في مسنده، انظر: المعجم المفهرس ٦/ ٧٥.

(٤) فرضت الصلاة ركعتين ركعتين إلاَّ المغرب، ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري (أنقرة) ١/ ٢١٤ وانظر عن ورود الحديث عند غير البخاري: المعجم المفهرس ١/ ٤٧٦ وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٣٣١ عن ابن جرير الطبري.

(٥) الروض الأنف ٣/ ١١ ـ ١٢ والإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا لمغلطاي ١٨٢.

فكان أولَ مولود ولد في الإسلام بها بعد الهجرة[1]، وكان أول شيء دخل جوفَه ريقُ رسولِ الله ﷺ، تَفَلَ في فيه[2].

قلت: سيأتي في مسجد دار سعد بن خَيْثَمة من المساجد التي لا تُعلم عينها؛ إنَّ الذهبي[3] قال: إنَّ عبد الله ولد في الثانية، والله أعلم.

ثم عقد رسول الله ﷺ لواءً لابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب على ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وهي أول رايةٍ عُقِدتْ في الإسلام، ورمى فيها سعد بن أبي وقَّاص بسهم، فكان أولَ سهمٍ رُميَ به في الإسلام، فالتقى مع أبي سفيان بن حرب[4] وقيل: عكرمة بن أبي جهل[5]، وكان في مئة من المشركين ببطن رابغ، ويُعْرَف بـ: وَدَّان فانحاز إلى المسلمين من المشركين المِقْدَاد بن عمرو بن الأسود وعتبة بن غزوان[6]، وكان حامل اللـواء لعبيدة[7] مِسْطَح[8] بن أُثاثة[9].

قلت: وذكر أبو الأسود في مغازيه[10] عن عروة، ووصله ابن عائذ من

---

(١) تحقيق النصرة للمراغي ١٥٣.

(٢) ذكر ابن كثير الروايات المختلفة ودحض رواية الواقدي إعتماداً على رواية البخاري وغيره، وخَلُص إلى أن عبد الله بن الزبير ولد في السنة الأولى، انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٣٠ وفتح الباري ٧/ ٢٤٨.

(٣) إذا أراد الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ، فانه قال في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣ أن عبد الله بن الزبير: "ولد سنة اثنتين وقيل سنة إحدى".

(٤) هذه رواية الواقدي في تاريخ الطبري ١/ ١٢٦٥.

(٥) السيرة النبوية ١/ ٤١٦.

(٦) المصدر نفسه ١/ ٤١٦.

(٧) ر، س، ت: حامل لعبيدة.

(٨) في خ: حامل اللوا لعبيده بن اثاثة، وفي: ر، س، ت: مصلح والتصويب من تاريخ الطبري ١/ ١٢٦٥. وقد ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ١٨٧ مع مصادر ترجمته.

(٩) فرّق ابن إسحاق بين غزوة ودَّان وبين سرية عبيد الله بن الحارث، السيرة النبوية ١/ ٤١٣ ـ ٤١٤.

(١٠) هو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، أبو الأسود القُرَشي الأسدي، حدَّث بكتاب المغازي لعروة بن الزبير عنه، وتوفي سنة بضع وثلاثين ومئة، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥٠ مع مصادر ترجمته. وذكره الطبري في أكثر من موضع وروى عنه، انظر: فهارس تاريخ الطبري ٥٢٠، ولم يذكر محمد مصطفى الأعظمي هذا الخبر وغيره من الأخبار الكثيرة في المصادر المختلفة في ما جمع من =

حديث ابن عباس: «إنَّ النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء[١]، بعث عُبيدَة بن الحارث في ستين رجلاً»[٢] وذكر القصة، فيكون ذلك في السنة الثانية، وبه صَرَّح بعض أهل السِيَر، والله أعلم.

ثم عقد لواءً لعمه حمزة على ثلاثين من المهاجرين ـ قيل: ومن الأنصار[٣] ـ ليتعرض عِيرَ[٤] قريش، فلقي أبا جهل في ثلاث مئة راكب، فحجز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو[٥]، وكان حليفاً للفريقين، ثم انصرفوا من غير قتال، وكان حاملَ لواء حمزة يومئذ أبو مَرْثَد[٦].

قلت: قدَّم بعضهم هذه على سَرِيَّة عبيدة، وقال: إنَّ لواءَ حمزة أولُ لواءٍ عُقِدَ في الإسلام، ورجَّح ابن إسحاق الأول، وقال: إنما أشكلَ أمرُهُمَا أن النبي ﷺ شَيَّعَهُما جميعاً[٧].

= روايات عروة بن الزبير في كتاب المغازي برواية أبي الأسود، انظر: مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، فهو كتاب ناقص.

(١) هي قرية من أعمال الفُرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل الأبواء جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، معجم البلدان ١/ ٧٩ والمغانم المطابة ٤ ـ ٦. وهي ما تزال معروفة، وتقع شرقي بلدة مستورة الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة وتبعد عنها بما يقارب ٢٥ كيلاً شرقها بميل نحو الجنوب، والمسافة بينها وبين رابغ كما يأتي: من رابغ إلى الأصافر ٢٤ كيلاً ومن الأصافر إلى ثنية هَرشا ٦ أكيال ومن ثنية هَرشا إلى الأبواء ١٣ كيلاً فتكون المسافة ٤٣ كيلاً.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق في تاريخ الطبري ١/ ١٢٦٧، وهي في السيرة النبوية ١/ ٤١٨ وهذا النص نقله السمهودي من فتح الباري ٧/ ٢٨٠.

(٣) في السيرة النبوية ١/ ٣١٩ وتاريخ الطبري ١/ ١٣٦٧ عن ابن إسحاق: "ليس فيهم من الأنصار أحد".

(٤) س، ر: على.

(٥) في السيرة النبوية ١/ ٤١٩ "مجدي بن عمرو الجُهني وكان موادعاً للفريقين جميعاً".

(٦) طبقات ابن سعد ٢/ ٦، أبو مرثد كَناز بن الحُصين الغَنَوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وبالنص في فتح الباري ٧/ ٢٨٠.

(٧) لم يرد في السيرة ١/ ٤١٩ وانما جاء: "وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فشبه ذلك على الناس".

وذكر أبو عُمَر[١]: أنَّ أول رايةٍ عُقِدَتْ لعبد الله بن جَحْش[٢].

وقيل: إنَّ سرية حمزة هذه كانت في السنة الثانية، والله أعلم.

ثم بَنَى رسولُ الله ﷺ بعائشة وهي بنت تسع سنين[٣]، وكان عَقَد بها في مكة قبل الهجرة بثلاث وهي بنت ستٍ.

قلت: وعقد على سَودَة بنت زَمْعَة بعد عائشة ـ وقيل: قبلها ـ وبنى بها بمكة، وكان بناؤه بعائشة على رأس تسعة أشهر، وقيل: ثمانية، وقيل: ثمانية عشر شهراً، من قدومه[٤]، والله أعلم.

ثم عقد لواءً لسعد بن أبي وَقَّاص في عشرين، يريد عِيرَ قريش، في ذي القعدة، فخرجوا على أقدامهم، يَكْمُنُونَ[٥] بالنهار ويسيرون بالليل، وكان حاملَ اللواء لسعد المقدادُ بن عمرو، فلم يجدوا شيئاً.

ثم جاء أبو قيس ابن الأسلت ليُسلِم، فلقيه ابنُ أبيّ ابن سَلُول، فقال: تَرَبَّص حتى ترى، فرجع فمات كافراً.

قلت: وأسلم عبد الله بن سلام في أول قدومه ﷺ؛ ففي البخاري من حديث عائشة التصريح بأنه جاء قبل دخوله ﷺ دار أبي أيوب لما سمع بقدومه ﷺ، ثم رجع إلى أهله، ثم قال ﷺ لأبي أيوب: اذهب فهيِّيءْ لنا مقيلاً، فقال: قوما على بركة الله[٦]، اي: هو وابو بكر.

قالت: فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام، فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك قد جئت بحقٍ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم[٧] فَسَلْهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت،

---

(١) هو ابن عبد البر النمري القرطبي.

(٢) الاستيعاب (في هامش الإصابة) ٢/ ٢٧٣.

(٣) سقطت من ص.

(٤) انظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٥.

(٥) ر: يمكثون.

(٦) صحيح البخاري (أنقرة) ٥/ ١٧١، والمقيل: موضع القيلولة.

(٧) خ: فدعهم.

فإنهم إنْ يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل رسول الله ﷺ فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود، ويلكم! اتقوا الله، فوالذي لا إله إلاَّ هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا، قالوا: ما نعلمه، قال: فأيُّ رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إنْ أسلم، قالوا: حاشا لله! ما كان ليسلم، قال: أفرأيتم إنْ أسلم، قالوا: حاشا لله! ما كان ليُسلم، كَرَّر عليهم ذلك ثلاثاً فيقولون له ذلك، قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج عليهم، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت فأخرجهم رسول الله ﷺ»[1].

وفي رواية أخرى[2]: «أنَّ عبد الله بن سلام سأل رسولَ الله ﷺ عن أشياء فلما أعلمه بها أسلم»[3].

وفي هذه الرواية ذكر قصة يهود المتقدمة، وأنَّ عبد الله بن سلام لما خرج إليهم وتَشَهَّدَ قالوا: شَرُّنا وابن شرِّنا، وتنقَّصوه، فقال: هذا كنت أخاف يا رسولَ الله[4].

ونَصَبتْ أحبار يهود العداوة للنبي ﷺ بغياً وحَسَداً؛ منهم: حُيَيُّ بن أخطب وأبو رافع الأعور وكعب بن الأشرف وعبد الله بن صوريا والزبير بن بَاطَا وشمويل ولبيد بن الأعصم وغيرهم[5].

ودخل منهم جماعة في الإسلام نِفاقاً، وانضاف إليهم من الأوس والخزرج منافقون.

وأُريَ عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأذان، وقيل: كان ذلك في السنة

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ١٧١ ـ ١٧٢ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١١٤ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٢٨.
(٢) سقطت من ص.
(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٢٨، وأخرج ابن الجوزي هذه الرواية في الوفا بأحوال المصطفى ١/ ٥١١ عن البخاري، وذكر حديثاً آخر طويلاً وقال فيه: «انفرد بإخراجه مسلم».
(٤) صحيح البخاري (انقرة) ٥/ ١٩٠ ـ ١٩١.
(٥) ذكرهم السهيلي بالتفصيل في الروض الأنف ٤/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨.

الثانية عندما شاور رسول الله ﷺ أصحابه في ما يجمعهم به للصلاة؛ إذ كان اجتماعهم قبلُ بمنادٍ: الصلاة جامعة، والله أعلم[1].

السنة الثانية: فلما جاء العاشر من المحرم أمر رسول الله ﷺ بصَومِه، وقال: «نحن أحق بموسى من اليهود»[2]، ثم زوَّج علياً بفاطمة.

قلت: وذلك قبل بدر، في رجب على الأصحّ، وبَنَى بها في ذي الحجة، كما سيأتي، وكان لها خمس عشرة سنة، وقيل: ثمان عشرة؛ وقيل: تزوجها بعد أُحُدٍ، والله أعلم.

ثم غزا رسول الله ﷺ بنفسه إلى الأبواء[3]، وهي من ودَّان على ستة أميال مما يلي المدينة.

قلت: ولتقاربهما أُطلق عليهما غزوة ودَّان، والله أعلم.

واستخلف على المدينة سعد بن عُبادة، وكان حامل لوائه سعد بن أبي وقَّاص، ثم رجع ولم يَلْقَ كيداً، فانصرف بعد ما وادع مجدي بن عمرو الضَّمْريَّ.

ثم غزا في مئتين من أصحابه إلى ناحية رَضْوَى، وحاملُ لوائه سعد بن أبي وقَّاص، ثم رجع ولم يلقَ كيداً.

قلت: وهي غزوة بُوَاط[4]؛ خرج رسول الله ﷺ يريد تجَّار قريش أيضاً، حتى بلغ بواط من ناحية رضوى[5].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون، وفي نسخةٍ: السائب بن مظعون[6].

---

(١) فصل السهيلي القول فيه في الروض الأنف ٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠١.
(٢) تاريخ الطبري ١/ ١٢٨١.
(٣) سبق التعريف بها.
(٤) بفتح الموحدة، وقد تضم وبتخفيف الواو وآخرها مهملة، جبل من جبال جهينة قرب ينبع.
(٥) جبل مشهور عظيم بينبع.
(٦) بالنص في فتح الباري ٧/ ٢٨٠ وأنظر: السيرة النبوية ١/ ٤٢١، وهذا صحيح فقد ورد في نسخة أخرى من السيرة النبوية ، انظر: ٢/ ١١٥ من تح وستنفيلد. فإن السائب بن مظعون هو أخو عثمان بن مظعون وأما السايب بن عثمان بن مظعون فهو ابن أخيه.

وقال الواقدي: سعد بن معاذ[1]، والله أعلم.

ثم أغار على سرح المدينة كُرْز بن جابر الفِهْرِيُّ، فخرج رسول الله ﷺ في أثره في المهاجرين، وحاملُ لوائه علي بن أبي طالب، فانتهى إلى بدر[2] وفاته كُرز، وهذه بدر الأولى[3].

قلت: ذكر ذلك ابن إسحاق بعد العشيرة بليالٍ[4]، والله أعلم.

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جَحْش في سَرِيَّةٍ ـ وهم الذين قَتَلوا في الشهر الحرام ـ في اثني عشر نفساً، فأضلَّ عتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقَّاص راحلتهما[5]، فتخلفا عنهم، ومضى العَشَرةُ حتى لَقُوا جماعةً من قريش، منهم عثمان بن عبد الله بن المغيرة؛ وافتُدِيَ من رسول الله ﷺ، والحكم بن كيسان؛ أسلمَ، وقتلوا عمرو بن الحضرمي[6].

قلت: ذكرها بعضهم بعد العشيرة، ووصلوا نَخْلَةَ ـ على يوم وليلة من مكة ـ فَمَرَّت بهم عِيرُ قُريش تحمل زبيباً وأدَمَاً من الطائف معها الجماعة المذكورون في آخر يوم من رجب، فاستأسروا الأسيرين، وقتلوا عمراً واستاقوا العِير، وكانت أول غنيمة في الإسلام[7]، والله أعلم.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى العشيرة، فوادَعَ بني مُدْلج وحلفاءهم، ثم رجع[8].

قلت: وكان خروجه فيها يعترض عِيراً لقريش ، ففاتته بأيام، واستخلف أبا

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٨٠، وانظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٨.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٤٢٣ وطبقات ابن سعد ٢/ ٦ : "حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر".

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٨٠ : "حتى بلغ سَفَوان، من ناحية بدر" وانظر: معجم البكري ٧٤٠.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٤٢٣، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة في ما قال ابن هشام.

(٥) في الأصول: راحلتيهما، وهي راحلة واحدة في السيرة النبوية ١/ ٤٢٤ وطبقات ابن سعد ١/ ١١.

(٦) تاريخ الطبري ١/ ١٢٧٤ ـ ١٢٧٨ وتاريخ المدينة ٢/ ٤٧٢ ـ ٤٧٨.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٤٢٣ وطبقات ابن سعد ٢/ ١٠ ـ ١١.

(٨) فتح الباري ٧/ ٢٨٠.

سلمة بن عبد الأسد[١]، والله أعلم.

قال أبو حاتم: وبلغني أنَّ رسول الله ﷺ كان يُحِبُّ أنْ يُوَجَّهَ إلى الكعبة، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مُصَلًّى، فدعا الله تعالى، فأنزل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[٢]، وقت صلاة الظهر يوم الثلاثاء، النصف من شعبان ثانية سِنِي[٣] الهجرة.

قلت: سيأتي ما فيه من الخلاف في الفصل الثالث من الباب بعده، والله أعلم.

ثم نزلت فريضة الصوم في شعبان، فصاموا رمضان، فلما فُرِضَ رمضان لم يأمرهم بصيام عاشوراء ولا نهاهم[٤].

ثم كانت غزوة بدر في رمضان لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وقيل: يوم جمعة صبيحة سبع عشرة منه.

وقيل: صبيحة أربع وعشرين منه، وكان المسلمون ثلاث مئة وبِضْعَةَ عشر[٥].

قلت: الراجح القول الثاني، وخرجت الأنصار معه ﷺ فيها، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، ومعهم ثلاثة أفراس، وكان المشركون ألفاً.

ويقال: تسع مئة وخمسين رجلاً معهم مئة فرس، وهذه بدر الثانية لما تقدم، والله أعلم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٩ ـ ١٠ وفتح الباري ٧/ ٢٨٠ عن ابن هشام.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) في الأصول: سنين.

(٤) تاريخ الطبري ١/ ١٢٨١.

(٥) في الأصول: بضع عشرة؛ وانظر: فتح الباري ٧/ ٢٩١: "بضعة عشر وثلاث مئة"؛ "أصحاب بدر ثلاث مئة وبضعة عشر".

ثم قَتل عميرُ[1] بن عدي الخطمي العصماءَ؛ امرأة من الأنصار ـ وهي زوج يزيد الخطمي ـ كانت تؤذي رسول الله ﷺ في الشعر، فقتلها ثم جاء رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا ينتطحُ فيها عَنْزَان»[2].

قلت: قال في الاكتفا[3]: إن العصماء هذه نافَقَت لما قُتِل أبو عفك ـ بالفاء وإهمال أوله ـ وقالت شعراً تَعيبُ الإسلامَ وأهله، وتؤنِّبُ الأنصارَ في أتباعهم رسول الله ﷺ وإنَّ عُميراً رجع إلى قومه بعد قتلها وهم يومئذٍ كثيرٌ مَوجُهُمْ[4] في شأنها، ولها خمسة بنون رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قتلت بنت مروان، يعني: العصماء، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، فذلك أول ما عَزَّ الإسلام في دار بني خطمة، وكان يستخفي بإسلامه فيهم من أسلم، ويومئذ أسلم رجالٌ منهم لما رأوا من عِزِّ الإسلام[5]، انتهى.

والذي رواه ابن سيد الناس عن ابن سعد: أنه قال بعد ذكر قتل عُمير للعصماء: ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي، وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف شيخاً قد بلغ عشرين ومئة، وكان يُحرِّض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير ـ وهو أحد البكائين وممن شهد بدراً ـ: عليَّ نذرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموتَ دونه، وذكر قتله إياه[6].

وهو[7] مخالف لما قدمناه عن الاكتفا من تقديم قتل أبي عفك على قتل العصماء.

---

(١) في كتاب تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢/ ٢: "غشمير" وقال: "كذا سماه ابن دريد، وقيل غشمين". وقد ورد المثل وعمير في الفاخر للمفضل الضبي ٣١٢ومجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٢٥ وجمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٣٧٦، ٤٠٢ والمستقصى للزمخشري ٢/ ٢٢٧.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٧ ـ ٢٨ والخبر في المغازي للواقدي ١/ ١٧٢ ـ ١٧٤ بتفصيل أوسع مما هنا.

(٣) هو كتاب الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلنسي المتوفى سنة ٦٣٤هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٣٧١ وملحقه ١/ ٦٣٤ وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٣٤ ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٧٧ مع مصادر ترجمته فيها.

(٤) موجهم: من ماج البحر إذا اضطرب وماج في الحديث يموج، إذا أكثر.

(٥) الاكتفا ٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨ وعيون الأثر ١/ ٤٤٢ والمغازي للواقدي ١/ ١٧٣ وما بعدها.

(٧) ص: وهذا.

وذكر ابن سعد أيضاً: أنَّ قتل العصماء كان لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان، وأنَّ عُميراً كان ضرير البصر، وسمَّاه رسول الله ﷺ البصير[1].

قيل: وكان أول من أسلم من بني خطمة، وكان إمامَ قومه وقارئهم، وكان يدعى: القارىء، والله أعلم.

ثم خطب رسول الله ﷺ قبل الفطر بيومين يُعَلِّم الناس زكاة الفطر.

قلت: وقيل: في أول شوال، وصلَّى صلاة الفطر، وفيها فُرضت زكاة الأموال أيضاً، وقيل: في الثانية، وقيل: في الثالثة، وقيل: في الرابعة، وقيل: قبل الهجرة وثَبَتَتْ بعدها، والله أعلم.

ثم غزا بني قَينَقاع في شوال[2].

قلت: قد تقدم أنَّ النبي ﷺ كان قد وادع اليهودَ، وكانوا يرجعون إلى ثلاث[3] طوائف: بني قَيْنَقاع، والنَّضير، وقُرَيظة؛ فنقض الثلاث[4] العهدَ طائفة بعد طائفة، فأول من نقض منهم بنو قينقاع فحاربهم النبي ﷺ بعد بدر في شوال، فألقى الله الرُّعْبَ في قلوبهم، فنزلوا على حكمه، فأراد قتلهم، فاستوهبهم منه عبد الله بن أُبيّ، وكانوا حلفاءه فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذْرِعات.

قال في الاكتفا: وكان منشأ أمرهم ـ يعني: في نقض العهد ـ أنَّ امرأةً من العرب قدمت بِجَلَبٍ لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها[5] على كشف وجهها، فأبتْ، فعمد الصائغ إلى طَرف ثوبها فعقَدهُ إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فوقع الشر بينهم

(١) المصدر نفسه.
(٢) انظر: السيرة النبوية ١/ ٥٤٥ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٨.
(٣) س، ر، م١، م٢، خ: ثلاثة.
(٤) في الأصول: ثلاثة.
(٥) خ: يراودونها.

وبين المسلمين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه[1].

ورُويَ: أنَّ ابن أُبيّ قال للنبي ﷺ: «يا محمد! أحسِن في مَوالِيَّ، فأعرض عنه، وأنه قال: أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غَداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: هم لك»[2].

وقال مغلطاي[3] في غزوة بني قينقاع: قال الحاكم: هذه وبني النضير واحد، وربما اشتبهتا على من لا يتأمل[4].

وقال الحافظ ابن حجر، بعد ذكر أنهم أول من نقض العهد: فغزاهم النبي ﷺ ثم بني النضير، وأغرب الحاكم فزعم أنَّ إجلاء بني قينقاع وإجلاء بني النضير كان في زمن واحد، ولم يُوافَقْ على ذلك؛ لأنَّ إجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق[5].

وذكر الواقدي: أنَّ إجلاء بني قينقاع كان في شوال سنة اثنتين[6] ـ يعني: بعد بدر بشهر ـ ويؤيده ما روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس، قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر يهود! أسلموا قبل أنْ يصيبكم ما أصاب قريشاً، فقالوا: إنهم كانوا لا يعرفون القتال، ولو قاتلتنا لعرفتَ أنّا الرجال، فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ

---

(١) السيرة النبوية ١/٥٤٦ وطبقات ابن سعد ٢/٢٨ ـ ٢٩ والاكتفا للكلاعي ٢/ ٨٠.

(٢) المصدر نفسه ١/٥٤٦ وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٩ والاكتفا للكلاعي ٢/ ٨٠.

(٣) هو مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي المتوفى سنة ٧٦٢هـ، مؤلف كتاب الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا ، انظر: بروكلمان ٢/ ٤٨ وملحقه ٢/ ٤٧ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٣١٣ والأعلام للزركلي ٧/ ٢٧٥ والفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة والتاريخ والتراجم . . الخ، لقاسم السامرائي ١/ ٢٢ مع مصادر ترجمته فيها كلها.

(٤) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا ٢٢٠.

(٥) بالنص في فتح الباري ٧/ ٣٣٠/ ٣٣٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩: "يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين سهراً من مُهاجره".

﴿وَتُحْشَرُونَ﴾[1] إلى قوله: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[2].

وأصاب ﷺ من سِلاح بني قينقاع ثلاثةَ أسيافٍ ودرعين: أحدهما تُسمَّى: فضة، والأخرى تسمَّى: السغدية، بالسين المهملة والغين المعجمة[3].

قال بعض الحفَّاظ: وكانت السغدية[4] درعَ داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت، والله أعلم.

ثم غزا غزوة السويق في ذي القعدة.

قلت: سُمِّيت به لأنه كان أكثر زاد المشركين، وغنمه المسلمون لأنَّ أبا سفيان خرج في مئتي راكب، وقيل: في أربعين، حتى أتوا العُريض[5]، فَحرَّق نخلاً، وقتل رجلاً من الأنصار وأجيراً له، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفَّفُون للهرب فيلقون جُرُبَ السويق، فأخذها المسلمون فرجعوا[6]، وذلك بعد بدر، فإنَّ أبا سفيان حَلَف بعدها أنْ لا يَمَسَّ راسَه ماءٌ من جنابةٍ حتى يغزو محمداً، ففعل ذلك، ورأى أنَّ يمينه انحلَّت، والله أعلم.

ثم مات عثمان بن مظعون في ذي الحجة، فهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة، ثم صلَّى رسول الله ﷺ صلاة العيد، ثم ضحَّى بكبش ثم بنى عليٌّ بفاطمة في ذي الحجة.

قلت: وقال النووي: وتوفيت في ذي الحجة منها رقيَّة ابنته ﷺ، لكن ذكر أهل السِيَر ما يقتضي أنَّ وفاتها كانت في رمضان منها[7]، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران ١٢.

(٢) بالنص في فتح الباري ٧/ ٣٣٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩.

(٤) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ٧٤أ، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩: «الصغدية».

(٥) المغانم المطابة ٢٦٠ "العريض: تصغير عِرض أو عُرض وادٍ بالمدينة" وذكر خبر أبي سفيان نقلاً من أبي بكر الهمذاني ورواية الزبير بن بكار عن محمد بن عقبة للحديث النبوي: "أصح المدينة من الحمى ما بين حَرَّة قريظة إلى العريض" وأورد شعراً لأبي قطيفة عمرو بن الوليد فيه ذكر "يوم العريض" المشار إليه هنا.

(٦) البكري: معجم ما استعجم ٥٧١.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٤٥٧ وانظر: الإصابة ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

السنة الثالثة: ثم قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له، ثم قتله».

قلت: ابن الأشرف كان أصله عربياً من نَبْهان، على ما قاله ابن إسحاق أتى أبوهُ المدينة فحالف بني النضير، فشَرُفَ فيهم، وتزوج بنت أبي الحُقَيق فولدت له كعباً، وكان جسيماً شاعراً، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر، وخرج إلى مكة وأنشدهم الأشعار، وبكى أصحاب القَليب[١] من قريش، ونزل فيهم على المطلب بن أبي وَدَاعة السهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية، فهجاه حسَّان وهجا امرأته عاتكة فطردته، فرجع إلى المدينة وشَبَّب بنساء المسلمين، وكان يهجو رسول الله ﷺ، ويحرِّضُ عليه كفَّار قريش[٢].

وقيل: صنع طعاماً وواطأ يهود أن يدعو النبي ﷺ فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه، فجاء فأعلمه جبريل فقام منصرفاً، وقال: من لكعب بن الأشرف[٣] فانتدب إليه[٤] محمد بن مسلمة في نفرٍ، واحتال عليه حتى نزل له ليلاً فقتله[٥].

وقيل: أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أنْ يبعث رهطاً ليقتلوه، والله أعلم.

ثم غزا غزوة الكُدُر، وكان حامل لوائه علي بن أبي طالب، فرجع ولم يلق كيداً.

قلت: خرج فيها رسول الله ﷺ يريد بني سليم، واستخلف سباع بن عرفطة[٦]؛ وقيل: ابن أم مكتوم، فبلغ ماءً يقال له: الكُدُر[٧]، وتُعرف بغزوة

---

(١) هم قتلى بدر من المشركين، والقليب: البئر التي لم تطو.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٣١ ـ ٣٢ وفتح الباري ٧/ ٣٣٦وما بعدها.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/٣٣٧ من فوائد عبد الله بن إسحاق الخراساني من مرسل عكرمة بسند ضعيف.

(٤) ص: له.

(٥) السيرة النبوية ١/ ٥٤٨ ـ ٥٥٣.

(٦) المستدرك ٣/ ٣٦ ـ ٣٧ في غزوة خيبر.

(٧) كدر: بالضم جمع أكدر، وهو ماء لبني سليم وكان رسول الله ﷺ خرج إليها لجمع من سليم في سنة ثلاث، فلما أتاه وجد الحي خلوفاً فاستاق النعم ولم يلق كيداً، المغانم المطابة ٣٥٦ ومعجم ما استعجم للبكري ٤٧٠، ٥٧١ : وهو عنده "بضم أوله وإسكان ثانيه".

قرقرة، ويقال: بُحْران، فلم يلق أحداً، والله أعلم[١].

ثم غزا غزوة أنمار، فجاءه دعثور فوجده نائماً تحت الشجرة، فاستيقظ رسول الله ﷺ وهو قائم على رأسه بالسيف، فقال له دعثور: من يمنعك مني؟ قال: الله، فوقع السيف من يده، وأخذه رسول الله ﷺ وقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، قال: اذهب لشأنك، فولّى وهو يقول: محمدٌ خير منِّي، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنا أحقُّ بذلك منك، فنذرت غَطَفان برسول الله ﷺ فهربوا»[٢].

قلت: هذه غزوة ذي أمَر[٣]، غزا فيها غطفان، وقال ابن إسحاق في غزوة غطفان: هي غزوة ذي أمر[٤]، وسمَّاها الحاكم: غزوة أنمار[٥]، وسمَّى بعضهم الأعرابي: غورث[٦].

ويقال: كان ذلك في ذات الرقاع، ولا مانع من تعدد ذلك، وكأنَّ أبا حاتم رأى اتحادهما فلم يذكر ذات الرقاع، وهي بنخل عند بعضهم؛ فلذالك لم يذكرها أيضاً، والله أعلم.

ثم كانت سرية القَرْدَة[٧]، وكان أميرها زيد بن حارثة، فلقي بها عير قريش،

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٥٤٤، سماها "غزوة الفرع من بحران" "يريد قريشاً" ولم يرد "ماء الكدر" فيها؛ وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٥ ـ ٣٦ والمغازي للواقدي ١/ ١٩٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٤ ـ ٣٥ وعيون الأثر ١/ ٤٥٤ والمستدرك ٣/ ٢٩.

(٣) سيذكره السمهودي في ما بعد نقلاً عن الأسدي، "وهو وادٍ بطريق فيد إلى المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بقرب النخيل، وظاهر كلام غيره أنه الذي بقرية نخل".

(٤) الجملة: «غزا فيها غطفان... ذي أمر» سقطت من ص، وانظر: عيون الأثر ١/ ٤٥٤ عن ابن إسحاق.

(٥) نقلاً من الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاي ٢٢٤، وانظر: المستدرك ٣/ ٢٩.

(٦) السيرة النبوية ١/ ٦٦٣، وفي فتح الباري ٧/ ٤٢٦ والأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي ٢٤٦: "غورث بن الحارث". هنا يبدأ النقص الثاني في ر.

(٧) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر ١/ ٤٥٦: "والفَرْدَة بالفاء المفتوحة وسكون الراء، وضبطها بعضهم بفتح القاف والراء". وكتب إليَّ شيخنا حمد الجاسر فيها ما يأتي: «صواب هذا الاسم «الفَرْدَة» بالفاء، وقد حققت هذا في كلامي على هذا الاسم في كتاب الأماكن للحازمي ٧٤٥ بما ملخصه: ولحسن الحظ فهذا الموضع الذي اختَلَفَ المتقدِّمون في ضبطه ذلك الاختلاف هل هو =

فأخذها، وأسر فرات بن حَيَّان، وبلغ الخُمس من تلك الغنيمة عشرين ألفاً[١].

قلت: والقَرْدَة ماء من مياه نجد، فإنَّ قريشاً بعد بدر خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام، فسلكوا طريق العراق، وكان في هذه العير أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة[٢] هي عُظْمُ تجارتهم[٣]، والله أعلم.

ثم كانت أُحُد.

قلت: كانت في شوال سنة ثلاث[٤] باتفاق الجمهور، وشَذَّ من قال: سنة أربع، وقال ابن إسحاق: لإحدى عشرة ليلة خلت منه، وقيل: لسبع ليال[٥]، وقيل: لثمان، وقيل: لتسع، وقيل: في نصفه.

وقال مالك: كانت بعد بدر بسنة، وفيه تجوُّزٌ، لأنَّ بدراً كانت في رمضان باتفاقهم، فهي بعدها بسنة وشهر لم يَكْمُل، ولهذا قال مرة أخرى: كانت بعد الهجرة باحدى وثلاثين شهراً[٦].

وكان السبب فيها: أنه لما قَتَل الله مَنْ قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع من بقي منهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بِعيرهم، فكلَّموا أبا سفيان ومن له في العير مال في الاستعانة بها على حرب النبي ﷺ ففعلوا[٧].

= بالفاء أو بالقاف لا يزال معروفاً، فهو بالفاء بعدها راء ساكنة فدال مهملة فهاء، إنه رأسان بارزان من سلسلة جبال المِسْمَى (مُحَجَّرُ قديماً) بقربهما ماءان يفصل بينهما منخفض رملي ممتد من النفود: الماء الجنوبي منهما يدعى: فَرْدَةُ الشُّمُوس، والغربي: فَرْدَة النَّظِيم، وقد فَصَّلتُ الكلام في تحديد موضع سرية زيد، وإنَّ المذكور فيها هما فَرْدَتَان هاتان في «قسم شمال المملكة» من المعجم الجغرافي، ولا يزال قبر زيد الخيل الطائي معروفاً هناك، ولكن العامة يسمونه: قبر أبي زيد الهلالي».

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦ وعيون الأثر ١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ عن ابن إسحاق.

(٢) المصدر نفسه: "ومعه مال كثير نُقَرٌ وآنية فضة"؛ والسيرة النبوية ١/ ٥٤٧: "ومعه فضة كثيرة".

(٣) تاريخ الطبري ١/ ١٣٧٣ ـ ١٣٧٥ عن ابن إسحاق والواقدي.

(٤) عيون الأثر ٢/ ٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦.

(٦) بالنص في فتح الباري ٧/ ٣٤٦.

(٧) عيون الأثر ٢/ ٦.

وقيل: كان المال خمسين ألف دينار، فسَلَّم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وعُزِلَتْ الارباح، وكانوا يربحون في تجارتهم الدينار ديناراً[١]، وجَهَّزُوا الجيشَ بذلك، وحركوا مَنْ أطاعهم من القبائل، وخرجوا بأحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُن[٢] لئلا يَفِرّوا، فخرج أبو سفيان ـ وكان قائدهم ـ بهند بنت عتبة، وكذلك سائر أشرافهم خرجوا بنسائهم، وكان جُبير بن مُطعِم أمر غلامه وَحْشِياً الحبشي بالخروج مع الناس، وقال له: إنْ قتلتَ حمزةَ عمَّ محمد ﷺ بعمي طعيمة[٣] بن عدي فأنت عتيق، وأقبلوا حتى نزلوا بعينين[٤]: جبلٌ ببطن السبخة من قَنَاة على شفير الوادي مقابل المدينة[٥]، قاله ابن إسحاق ـ ووادي قناة خلف عينين بينه وبين أحد، فإنَّ عينين في مقابلة أحد ـ فنزلوا هم أمام عينين مما يلي المدينة وفي غربيِّهِ لجهة بئر رُومَة، فلا يخالف ما سيأتي عن المَطَري.

ونقل ابن عقبة: أن أبا سفيان سار بجمعه حتى طلعوا من بين الجماوين[٦] ثم نزلوا ببطن الوادي الذي قبل أحد؛ وكان رجالٌ من المسلمين أسِفُوا على ما فاتهم من مشهد بدر، وتمنَّوَا لقاء العدو.

وأُريَ رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: رأيت البارحة في منامي بَقَراً تُذبحُ، والله خيرٌ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظُبَتِهِ[٧]، أو

---

(١) المصدر نفسه: "لكل دينار ديناراً".

(٢) الظعن والظعائن وأضعان: جمع ظعينة وهي الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن، ولا ضعن إلا للإبل التي عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن.

(٣) في الأصول: طعمة، والتصويب من: فتح الباري ٧/٣٦٧ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١٥ ونسب قريش لمصعب الزبيري، تح ليفي بروفنسال، دار المعارف ١٩٧٦، ١٩٨.

(٤) عينان: تثنية العين هو جبل الرماة الذي عليه البيوت والحوانيت اليوم قبلي قبة حمزة، انظر: آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري، دمشق ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥، ١٣٠ والمغانم المطابة ٢٨٩.

(٥) نقلاً من السيرة النبوية ١/٥٥٥ ـ ٥٥٧ وطبقات ابن سعد ٢/٣٦ بتصرف وانظر: عيون الأثر ٢/٦.

(٦) الجماوان: هضبتان عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة، المغانم المطابة ٩٠.

(٧) ظُبَة السيف: بضم وفتح هو طرف السيف وتجمع على: ظباة وظبين، النهاية في غريب الحديث ٣/١٥٥.

قال: به فلول[1]، فكرهته، وهما مصيبتان[2].

ورأيت أني في درع حصينة، وأني مُردِفٌ كبشاً؛ قالوا: ما أوَّلتَها؟ قال: أوَّلتُ البقر بقراً يكون فينا، وأولت الكبش كبش[3] الكتيبة، وأولت الدرعَ الحصينةَ المدينة، فامكثوا فإنْ دَخَلَ القومُ الأزقَّـةَ قاتلناهم ورُمُوا من فوق البيوت[4].

ونقل ابن إسحاق أيضاً: أنَّ عبد الله بن أُبيّ قال: يا رسولَ الله، أقِمْ بالمدينة، ولا تخرج إليهم، فوالله مـا خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قط إلاَّ أصابَ منَّـا، ولا دَخَلها علينا إلاَّ أصبنا منه، فَدَعْهُم، فقال أولئك القوم: يا نبي الله كنا نتمنَّى هذا اليوم، وأبى كثير من الناس إلاَّ الخروج، فلما صلَّى الجمعة وانصرف دعا باللأمَةِ فلبسها، ثم أذَّنَ في الناس بالخروج، فندم ذوو الرأي منهم، فقالوا: يا رسول الله امكث كما أمرتنا، فقال: ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمةَ الحرب أنْ يرجع حتى يقاتل[5]، فخرج بهم وهم ألف[6] رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف[7].

وقال المطري: إنَّ نزول قريش يومَ أُحُدٍ بالمدينة كان يوم الجمعة[8]؛ قال: وقال ابن إسحاق: يوم الأربعاء[9].

قال المطري: «فنزلوا برومة من وادي العقيق، وصلى النبي ﷺ الجمعة بالمدينة، ثم خرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية؛ حَرَّة واقم، وبات بالشيخين

---

(١) ص: فلولا.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٣٨/٢ وعيون الأثر ٨/٢ والمعجم الكبير ٣٩٤/١١.

(٣) سقطت من ر.

(٤) كل ما مرَّ من الأخبار نقله السمهودي من فتح الباري ٣٤٦/٧ ـ ٣٤٧ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٥) انظر: تفسير الطبري تح أحمد محمد شاكر، ٣٧٢/٧ ـ ٣٧٣ عن قتادة ومسند أحمد ٣٥١/٣ ومجمع الزوائد للهيثمي ١٠٧/٦ ودلائل النبوة للبيهقي ٢٠٤/٣، ٢٠٨ ومصنف عبد الرزاق ٣٦٤/٥ ـ ٣٦٥ وطبقات ابن سعد ٣٨/٢.

(٦) في حاشية خ: "قال مغلطاي في سيره وذلك أن قريشاً تجمعت لقتاله عليه الصلاة والسلام في ثلاثة آلاف رجل فيهم سبع مئة دارع ومئتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة والمسلمون ألف رجل ويقال تسع مئة" وهذا النص في الإشارة إلى سيرة المصطفى ٢٣١.

(٧) السيرة النبوية ٥٥٧/١ ـ ٥٥٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٨) التعريف للمطري ١٧، ٧٧.

(٩) في السيرة النبوية ٥٨٨/١: "قال ابن هشام: وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال".

ـ موضع بين المدينة وبين جبل أُحد على الطريق الشرقية مع الحَرَّة إلى جبل أحد، وغدا صبح يوم السبت إلى أحد»[1]، انتهى.

ونَقَلَ الأقشهري: أنه ﷺ دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة[2] ألوية؛ فدفع لواء الأوس إلى أُسَيد بن حُضَير، ولواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر بن الجَمُوح، وقيل: إلى سعد بن عبادة، ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وقيل: إلى مُصعَب بن عُمير[3]، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ركب فرسَه، وتقلد القوس، ثم أخذ قَنَاته بيده، وفي المسلمين مئة دارع، وخرج السعدان أمامه: سعد بن معاذ وسعد بن عُبادة والناس على يمينه وشماله، فمضى حتى إذا كان بالشيخين ـ وهما أُطُمانِ ـ التفت فنظر إلى كتيبة خشنة[4] لها زَجَلٌ[5]، فقال: ما هذه؟ قالوا: حُلَفاء ابن أبيّ من يهود، فقال رسول الله ﷺ: «لا نستنصر بأهل الشرك؟ فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن أُبيّ بثلث الناس»[6]، انتهى.

وفي الاكتفا: أنَّ مُخَيْرِيقاً كان من أحبار يهود، فقال لهم يومئذ: لقد علمتم إنَّ نصرَ محمد عليكم لَحَقٌّ، فتعللوا بسَبْتِهم، فقال لهم: لا سَبْتَ لكم وأخذ سيفه وعُدَّته فَلَحِقَ برسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتِلَ بعد أنْ قال: إنْ أُصِبْتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما يشاء، وفيه قال رسول الله ﷺ: «مخيريق خير يهود»[7]، انتهى.

وروى الطبراني في الكبير والأوسط برجال ثِقات عن أبي حميد الساعدي:

---

(١) التعريف للمطري ٧٧.

(٢) العبارة: "أرماح فعقد ثلاثة": سقطت من س.

(٣) روى الواقدي في المغازي ١/ ٢١٥ خبراً شبيهاً بهذا، وأنظر: تاريخ خليفة بن خياط ٦٧.

(٤) س، م١، م٢، ت والروضة الفردوسية: بكتيبة حسنة، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٤٨: "بكتيبة خشناء".

(٥) الزجل الصوت، يقال: سحابٌ زَجِل أي: ذو رعدٍ.

(٦) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٤٤ب عن ابن الجوزي، وانظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٨ ـ ٣٩ وعيون الأثر ٢/ ٨ ـ ٩.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٥٧٨ والروض الأنف للسهيلي ٦/ ١٢ والاكتفا للكلاعي ٢/ ١٠٣.

أنَّ النبي ﷺ خرج يوم أُحُدٍ حتى إذا جاوز ثَنِيَّةَ[(١)] الوَدَاع فإذا هو[(٢)] بكتيبة خشناء[(٣)]، فقال: "مَنْ هؤلاء" قالوا: عبد الله بن أُبَيّ في ست مئة من مواليه من اليهود من بني قينقاع، فقال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا! يا رسولَ الله، قال: مُرُوهُمْ فليرجعوا، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين[(٤)].

قال الأقشهري، عقب كلامه السابق: وعرض رسول الله ﷺ مَنْ عَرَض وردَّ من ردَّ في ذلك الموضع ـ يعني: بالشَّيْخَين ـ وأذَّنَ بلال المغرب فصلَّى النبي ﷺ بأصحابه، وبات بذلك الموضع ﷺ واستعمل على الحرس في تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين يطوفون بالعسكر، وأدلَجَ رسول الله ﷺ في السَحَر وهو يرى المشركين ودليلُه أبو خيثمة الحارثي[(٥)]، فانتهى إلى موضع القنطرة، فحانت الصلاة، فصلَّى بأصحابه الصبح صفوفاً عليهم السلاح[(٦)].

قال: وقال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة على رجليه إلى أُحُد، فجعَلَ يصفُّ أصحابه للقتال كما يُقَوَّمُ القِدْحَ[(٧)].

وقال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد حتى إذا كان بالشوط انخزل عبد الله بن أُبَيَ في ثلاث مئة[(٨)].

وفي رواية: بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني[(٩)].

وقال ابن عقبة: فبقي ﷺ في سبع مئة، فلما رجع عبد الله بن أُبيّ سقط في

---

(١) س: حتى إذا كان جاوز.
(٢) سقطت من ص.
(٣) في الأصول: حسناء وحسنة، وفي طبقات ابن سعد٢/٤٨: "خشناء"، وفي النهاية في غريب الحديث ٢/٣٥: "كتيبة خشناء: أي: كثيرة السلاح".
(٤) بالنص في طبقات ابن سعد ٢/٤٨ وفي المستدرك ١/١٢٢ عن أبي حميد الساعدي.
(٥) هو عبد الله بن خيثمة أو مالك بن قيس، انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٥٤.
(٦) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٤٤ب، وانظر: طبقات ابن سعد ١/٣٩ ـ ٤٠.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) السيرة النبوية ١/٥٥٩.
(٩) المصدر نفسه.

أيدي طائفتين من المؤمنين: وهما بنو حارثة[١] وبنو سَلِمة[٢].

وقال الأقشهري: فبقي رسول الله ﷺ في سبع مئة، ومعه فرسه وفرس لأبي بُردَة بن نيار، وهذه رواية الواقدي[٣].

والذي رواه ابن عقبة ـ كما سيأتي ـ: أنه لم يكن مع المسلمين فرس[٤].

وفي الإكتفا بعد ذكر انخزال ابن أُبَيّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ مضى حتى سَلَكَ في حَرَّة بني حارثة، ثم قال: مَنْ رجلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَب ـ أي: من قُرْبٍ ـ، من طريق لا يَمُرُّ بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة[٥] ـ أخو بني حارثة ـ: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حَرَّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مالٍ لمربع بن قَيظي ـ وكان منافقاً ضرير البصر ـ فلما سمع حِسَّ رسول الله ﷺ ومن معه قام يَحْثي[٦] في وجوههم التراب ويقول: إنْ كنت رسولَ الله فإني لا أُحِلُّ لك أنْ تدخل حائطي، وذكر أنه أخذ حَفْنَةً من تراب، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه فهذا الأعمى؛ أعمى القلب أعمى البصر، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد»[٧].

قال الأقشهري: وجعل أحداً خلف ظهره، واستقبل المدينة وجعل عينين

---

(١) هنا ينتهي السقط من ر.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/٣٤٦.

(٣) الروضة الفردوسية ورقة ١٤٤ب وطبقات ابن سعد ٢/٣٩.

(٤) السيرة النبوية ١/٣٥٨/ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٤/١٣، وابن حجر في فتح الباري ٧/٣٥٠، ومنه نقل السمهودي وهو في المغازي للواقدي ١/٢١٨ تح مارسدن.

(٥) قال مغلطاي في الإشارة إلى سيرة المصطفى ٢٣٧: «وأما قول ابن إسحاق: كان دليله عليه الصلاة السلام أبو خيثمة الحارثي، ففيه نظر، لما ذكره الواقدي وغيره من أنه أبو حَثْمة والد سهل بن أبي حثمة».

(٦) في الأصول: فحثا، والفعل من باب عدا ورمى، والتصويب من السيرة النبوية ١/٥٥٩ والبداية والنهاية ٤/١٤ عن ابن إسحاق.

(٧) بالنص في السيرة النبوية ١/٥٥٩ ـ ٥٦٠ و في الاكتفا للكلاعي ٢/٨٩ ـ ٩٠.

الجبل عن يساره[1].

قال ابن عقبة: وصَفَّ المسلمون بأصل أُحُد، وصف المشركون بالسبخة وتعبوا للقتال، وعلى خيل المشركين ـ وهي مئة فرس ـ خالدُ بن الوليد، وليس مع المسلمين فرسٌ[2]، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، وأَمَّرَ رسول الله ﷺ عبدَ الله بن جُبير على الرُّماة وهم خمسون رجلاً، وعَهِدَ إليهم أن لا يتركوا منازلهم[3].

ونقل الأقشهري: أنه جعلهم على جبل عينين[4].

وفي الاكتفا: أنه ﷺ قال لأميرهم: «انضح الخيل عنا لا يأتونا من خلفنا، إنْ كانت[5] لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتَيَنَّ من قِبَلِك وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين، وتعبَّأت قريش، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مئتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل»[6].

وقد كان أبو عامر الراهب من الأوس خرج عن قومه إلى مكة مُبَاعداً لرسول الله ﷺ، فكان يَعِدُ قريشاً أنْ لو لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم هو في الأحابيش وعِبدَان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر! قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق، وبذلك سمَّاه رسول الله ﷺ، وكان يسمى في الجاهلية: الراهب فلما سمع ردَّهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم رضخهم بالحجارة[7]، انتهى.

وروى البزار ـ ورجاله ثقات ـ عن الزبير بن العوام، قال: عرض رسول

---

(١) الروضة الفردوسية ورقة ١٤٤ب.
(٢) فتح الباري ٧/ ٣٥٠.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٤٦.
(٤) الروضة الفردوسية ورقة ١٤٤ب.
(٥) ص: كان.
(٦) الاكتفا للكلاعي ٢/ ٩٠ ـ ٩١.
(٧) نقلاً من الاكتفا للكلاعي ٢/ ٩١ أو من السيرة النبوية ١/ ٥٦١، وانظر: المغازي للواقدي ١/ ٢٢٣ وطبقات ابن سعد ٢/ ٤٠.

الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال: مَنْ يأخذ هذا السيف بحَقِّهِ؟ فقام أبو دجانة، فقال: يا رسول الله أنا آخذه بحقه، فأعطاه إياه، فخرج، فاتبعته فجعل لا يَمُرُّ بشيء إلاَّ فَراه[1] وهتكه، حتى أتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهي تقول:

نحـنُ بنـاتُ طـارقْ نمشـي علـى النَمَـارِقْ
والـدر فـي المخانـق والمِسْـكُ فـي المَفَـارق
إنْ تُقبِلُـوا نُعـانـق ونَفْـرِشُ النمـارق[2]
أو تُـدبِـروا نُفَـارِق فِـرَاقَ غيـرِ وَأمِـق[3]

تعني: تُحَرِّضُهم بذلك، قال: فحمل عليها، فنادت يا لصخر[4]! فلم يجبها أحدٌ، فانصرف عنها، فقلت له: كلَّ ما فعلته[5] بسيفك رأيته[6] فأعجبني غيرَ أنك لم تقتل المرأة، قال: فإنها نادت فلم يُجبها أحد، فكرهت أنْ أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصرَ لها[7].

وفي **الاكتفا**: ذكر الزبير رضي الله عنه أنَّ سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أُحد، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجُوناً، فعاد في يده سيفاً قائِمُهُ منه فقاتل به؛ فكان ذلك السيف يسمى: العُرجون، ولم يزل بَعدُ يُتَوارَث حتى بِيع من بُغـا التركي[8]

---

(١) س، ر، خ: أفراه، ويقال: فريت الشيء وأفريه فرياً وأفريته: إذا شققته وقطعته، **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ٤٤٢.

(٢) ر: تقلبوا، وهو تصحيف.

(٣) **في عيون الأثر** ٢/ ٣٩ : "الشعر ليس لهند بنت عتبة وإنما هو لهند بنت بياضة بن طارق بن رياح الإيادي".

(٤) ر،خ، ت، م١، م٢: بالصحرا، ص: بالصحرا، س: بالصخرات. وصخر اسم أبي سفيان بن حرب قائد المشركين وزوجها.

(٥) «ما فعلته» سقطت من ص.

(٦) ر، خ، ت: كل سيفك رأيته.

(٧) **تاريخ الطبري** ١/ ١٣٩٧ عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير بالفاظ تختلف قليلاً عن ما هنا.

(٨) هو بغا الكبير الشرابي المتوفى سنة ٢٤٨هـ، قائد المنتصر بالله والمستعين بالله، انظر: **الإنباء في تاريخ الخلفاء** لابن العمراني، بتحقيقي، لايدن ـ القاهرة ١٩٧٣، ١٢١، ١٢٣، ١٣٧ **والبداية والنهاية** ١١/ ٢.

بمئتي دينار[1].

وروى البزار برجال **الصحيح** عن بريدة: أن رجلاً قال يوم أحد: اللهمَّ إنْ كان محمد على الحق فاخسف بي[2]، قال: فخسف به.

وقال ابن إسحاق: قتل أصحاب لواء المشركين وهم سبعة[3] بأحدٍ: واحدٌ بعد واحدٍ[4].

وقال غيره: أَحَدَ عشر آخرهم غلام لبني طلحة.

وقال ابن عقبة: وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار، فبارز طلحة بن عثمان من بني عبد الدار فقتله، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهَضُوهم[5]، وحملت خيل المشركين فنضحهم الرُّماة بالنبل ثلاث مرات، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوه، فرأى ذلك الرماة، فتركوا مكانهم، ودخلوا العسكر، فابصر ذلك خالد ومن معه، فحملوا على المسلمين في الخيل، فمزقوهم، وصرخ صارخ: قُتِل محمد، أخراكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل، وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب، وتوجه النبي ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأَدْمَوْهُ وكسروا رَبَاعيته، فَمَرَّ مُصْعِداً في الشعب ومعه طلحة والزبير، وقيل: معه طائفة من الأنصار منهم سهيل بن بيضاء والحارث بن الصمَّة.

واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثّلونَ بهم؛ يقطعون الآذان والأنوف

---

(١) **الاكتفا** للكلاعي ٢/ ١١٠ وانظر: **عيون الأثر** ٢/ ٣٢ نقلاً من **الموفقيات** للزبير بن بكار و**الإشارة إلى سيرة المصطفى** لمغلطاي ٢٣٤، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٢٧٤.

(٢) ر، خ، م١، م٢، ت، ص: به وكذلك في **كشف الأستار عن زوائد البزار** ٢/ ٣٢٩.

(٣) ر: تسعة، ذكر ابن سعد في **طبقاته** ٢/ ٤١ تسعةً منهم بأسمائهم وأسماء من قتلهم من المسلمين، وفي **عيون الأثر** ٢/ ٤٨: "حملة اللواء من بني عبد الدار بن قصي عشرة".

(٤) **البداية والنهاية** ٤/ ٢٣: "حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة".

(٥) غلبوهم وردُّوهم وأبعدوهم، **المصباح المنير** للفيومي ١/ ١١٣.

والفروج ويبقُرون البطون، وهم يظنون أنهم أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه، فقال أبو سفيان يفتخر بآلِهَتِه[1]: اعْلُ هُبَل! فناداه عمر: الله أعلى وأجلّ، ورجع المشركون إلى أثقالهم[2].

قال ابن إسحاق: كان أولَ من عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وتَحَدُّثِ[3] الناس بقتله، كعبُ بن مالك الأنصاري، قال: عرفت عينيه تزهران[4] تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، ابشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليَّ أنْ انصِتْ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمَّة ورهط من المسلمين[5].

فلما أسند رسولُ الله ﷺ في الشعب أدركه أُبَيّ بن خَلَف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجَوتَ[6]! فقال القوم: يا رسولَ الله أيعطِفُ عليه رجلٌ منا؟ فقال: دَعُوه، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِمَّة ـ يقول بعض القوم: فلما أخذها رسول الله ﷺ استقبله ـ فطعنه في عُنُقِه طَعْنَةَ تدأدأ[7] منها عن فرسه مراراً[8].

وكان أُبَيّ بن خَلَف يَلْقَى رسولَ الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إنَّ عندي العود[9] ـ فرساً ـ أعلفه كلَّ يوم فَرْقَاً[10] من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول

---

(1) ص: يفتخر بالهبل.

(2) المستدرك ٢/٢٩٦ ـ ١٩٧.

(3) في السيرة النبوية ١/٥٧٤ و تاريخ الطبري ١/١٤٠٦: "وقول الناس بقتله" عن ابن إسحاق.

(4) ر، س: عرفت عيناه يزهران.

(5) نقلاً من الاكتفا للكلاعي ٢/١٠٠.

(6) ص: "إن نجا"، الاكتفا ٢/١٠١ وعيون الأثر ٢/٢٤.

(7) تدأدأ: تقلَّب عن فرسه وتدحرج، النهاية في غريب الحديث ٢/٩٥ والسيرة النبوية ١/٥٧٥ والاكتفا ٢/١٠١.

(8) السيرة النبوية ١/٥٧٥ والاكتفا ٢/١٠١.

(9) الاكتفا ٢/١٠١: "العوذ".

(10) الفَرق: بالفتح والسكون، مكيال كان معروفاً بالمدينة وهو ستة عشر رطلاً.

الله ﷺ: أنا أقتلك إنْ شاء الله، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد، فقالوا: ذهب والله فؤادك، والله إنْ بكَ بأس[1]! قال: إنه قد كان قال بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلني، فمات عدوُّ الله بسرف[2] وهم قافلون إلى مكة[3].

وقد قال رسول الله ﷺ في ما قاله يومئذٍ: «اشتدَّ غضبُ الله على رجلٍ قتله رسول الله ـ ﷺ[4] ـ فسُحْقاً لأصحاب السعير»[5].

وفي **الصحيح** عن عائشة، قالت: لما كان يومُ أحد هُزم المشركون هزيمةً بيِّنةً، فصاح إبليس: أي عباد الله أُخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى: أي عبادَ الله أبي! أبي! فقالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم[6].

ونقل الأقشهري: أنَّ أبا سفيان بن حرب قال يومئذ لبني عبد الدار: إنكم ضيعتم اللواء يوم بدر، فأصابنا ما رأيتم، فادفعوا اللواء إلينا نَكْفِكُم، وإنما أراد تحريضَهم على القتال والثبات، فغضبوا وأغلظوا له، وأنَّ رسولَ الله ﷺ سأل: مَنْ يحمل لواءَ المشركين؟ قيل: عبد الدار، قال: نحن أحقُّ بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟ فقال: ها أنا، قال: خُذ اللواء، فأعطاه اللواء، وإنَّ حمزة رضي الله عنه حَمَل على عثمان بن طلحة؛ حامل لواء المشركين فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مُؤتَزَره، ثم إنَّ أصحاب اللواء قتلوا واحداً بعد واحد، فانكشف

---

(١) ت: والله إن بأس، خ: والله إن ما بك بأس، وفي المرتبة الرابعة لابن حزم، ورقة ٤٦ب: "ما بك من بأس" وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٤٦: "لا بأس بك" وفي السيرة النبوية ١/ ٥٧٥ والاكتفا ٢/ ١٠١: "والله إن بك بأس"، وفي عيون الأثر ٢/ ٢٤ والروض الأنف ٦/ ٧: "إن بك من بأس".

(٢) سرف: موضع قرب التنعيم، على ستة أميال من مكة وقيل أكثر، معجم البلدان ٣/ ٢١٢.

(٣) نقلاً من السيرة النبوية ١/ ٥٧٥ وانظر: الروض الأنف ٦/ ٧ و الاكتفا ٢/ ١٠١ عن ابن إسحاق والمستدرك ٢/ ٣٢٧.

(٤) جامع الأصول ٨/ ٢٥٢.

(٥) الاكتفا ٢/ ١٠١.

(٦) انظر: معرفة الصحابة ٣/ ٢٢٤ وفتح الباري ٧/ ١٣٢/ ٣٦١ مع شرحه وجامع الأصول ٨/ ٢٣٩ والاكتفا ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣ والمستدرك ٣/ ٢٠٢.

المشركون منهزمين، ونساؤهم يدعون بالويل والثبور، وتبعهم المسلمون يَضعُون فيهم السلاح، ووقعوا يأخذون الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك أقبل جماعة منهم وخلَّوا الجبل، فَكَرَّ خالد بالخيل، فتبعه عكرمة، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جُبَير، وانتقضت صفوف المسلمين، ونادى إبليس: قُتِلَ محمد! وثبت رسول الله ﷺ ما يزول، يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا، ويرمي بالحجارة، وثبت معه عصابة من الصحابة: أربعة عشر من المهاجرين فيهم أبوبكر وعمر وسبعة من الأنصار[1]، انتهى.

وروى النَسائي عن جابر، قال: لمَّا ولَّى الناسُ يومَ أُحدٍ، كان النبي ﷺ في اثـني عشر رجلاً من الأنصار فيهم طلحة[2].

ووقع عند الطبري من طريق السُدِّي، قال: تفرق الصحابة، فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل، وثبت رسول الله ﷺ يدعو الناسَ إلى الله، فرماه ابن قَمِئَة بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشَجَّه في وجهه فأثقله، فتراجع إلى النبي ﷺ ثلاثون رجلاً، فجعلوا يَذِبُّون عنه، فحمله منهم طلحة وسهل بن حُنَيف، فَرُمِيَ طلحة بسهم فيبست يده[3].

وقال بعض من فرَّ إلى الجبل: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبيّ يستأمن لنا من أبي سفيان، فقال أنس بن النضر: يا قوم إنْ كان محمد قُتِلَ فإنَّ ربَّ محمدٍ لم يُقتَل، فقاتلوا على ما قاتل عليه ـ ثم ذكر قصَّةَ قتله ـ وقصد رسول الله ﷺ الجبل، فأراد رجلٌ من أصحابه أن يرميَه بسهم، فقال: أنا رسول الله، فلما سمعوا ذلك فرحوا به، واجتمعوا حوله، وتراجع الناس[4].

وروى أحمد عن سعد بن أبي وقَّاص، قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ

---

(١) اختصر الأقشهري في الروضة الفردوسية ورقة ١٤٤ب ـ ١٤٥ب ما ورد في السيرة النبوية ١/ ٥٦٢ ـ ٥٧٧ وطبقات ابن سعد ٢/ ٤١ ـ ٤٨ متفرقاً.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٥١/ ٣٦٠ وانظر: جامع الأصول ٨/ ٢٤٣ عن النسائي.

(٣) تاريخ الطبري ١/ ٨/ ١٤٠٤ ـ ١٤١٠ وفتح الباري ٧/ ٣٥١/ ٣٦٢.

(٤) بالنص في فتح الباري ٧/ ٣٥١/ ٣٦٢.

وعن يساره يومَ أُحدٍ رجلين[1] عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ»[2]، وقد أخرجه الشيخان.

وفي رواية لمسلم: "يعني جبريل وميكائيل"[3].

وقول مجاهد: لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده، إلاَّ يوم بدر[4].

قال البيهقي: أراد به أنهم لم يقاتلوا يومَ أُحدٍ عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به[5].

وعن عروة بن الزبير: كان الله تعالى[6] وَعَدَهُمْ على الصبر والتقوى أنَّ يُمِدَّهم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوَّمِين، وكان قد فعل، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مَصَافَّهم وتركت الرماة عَهْدَه إليهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مَدَدَ الملائكة، وأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾[7] فصدق الله وعده، وأراهم الفتح، فلما عَصَوا أعقبهم البلاء[8].

وعند ابن سعد: ثبت معه ﷺ سبعة من الأنصار وسبعة من قريش[9].

وفي مسلم من حديث أنس: «أُفْرِدَ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش: طلحة وسعد»[10].

وقال ابن إسحاق: حدثني حُميدٌ الطويل عن أنس، قال: كسرت رَبَاعية

---

(1) ص: رجلان.

(2) فتح الباري ٧/ ٣٥٨ مع شرحه، وانظر: المعجم المفهرس ٢/ ٣١١ عن البخاري "لباس ٢٤"، "مغازي ١٨"، ومسلم "فضائل ٤٧" والترمذي "أدب ٧٦" ولم يرد أنه ورد في مسند أحمد، ولم يروه ابن الأثير في جامع الأصول ٨/ ٢٤٧ عن الإمام أحمد أو الترمذي.

(3) صحيح مسلم ٧/ ٧٢ وجامع الأصول ٨/ ٢٤٧ وانظر: فتح الباري ١٠/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ كتاب اللباس.

(4) الروضة الفردوسية ورقة ١٤٧أ: «قال ابن عباس ومجاهد».

(5) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(6) سقطت من ص.

(7) سورة آل عمران ١٥٢.

(8) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٥٦ وفيها: "وتركت الرماة عهد الرسول ﷺ إليهم ألا يبرحوا منازلهم".

(9) طبقات ابن سعد ٢/ ٤٢.

(10) جامع الأصول ٨/ ٢٤٣: "أنَّ النبي ﷺ أُفرد. . ." من حديث مسلم.

النبي ﷺ يوم أُحد وشُجَّ في وجهه، فجعل الـدَّمُ يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يُفلِحُ قومٌ خَضَبوا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ . . . الآية﴾[1].

وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقَّاص، قال: «ما حرصت على قتل رجلٍ قط حِرصي على قتل أخي عُتْبَة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله ﷺ»[2].

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري: «أنَّ عُتبة بن أبي وقاص ـ أخا سعد ـ هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى، وجرح شفته السفلى، وإنَّ عبد الله ابن شهاب الزهري هو الذي شَجَّه في جبهته، وإنَّ عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجنته، وإنَّ مالك بن سنان مصَّ الدمَ من وجهه، ثم ازدرده، فقال له: لن تَمَسَّك النار»[3].

وفي الطبراني من حديث أبي أمامة، قال: «رمى عبد الله بن قمئة رسولَ الله ﷺ يوم أحد فَشَجَّ وجهه، وكسر رباعيته وقال: خذها وأنا ابن قَمِئَة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: ما لكَ أقمأك الله، فسلَّطَ الله عليه تَيسَ جبلٍ، فلم يزل يَنْطَحه حتى قطَّعَهُ قطعة قطعة»[4].

وقال السهيلي: الذي كسر رباعية رسول الله ﷺ عُتبَةُ بن أبي وقاص أخو سعد، لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم إلاَّ وهو أبخر أو أهتم، يُعرفُ ذلك في عقبه[5].

وروى ابن الجوزي عن محمد بن يوسف الفريابي، قال: لقد بلغني أنَّ الذين

---

(١) سورة عمران ١٢٨ ؛ السيرة النبوية ١/ ٥٧١ وفتح الباري ٧/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦.
(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٦٦؛ وانظر: السيرة النبوية ١/ ٥٧٦.
(٣) بالنص في فتح الباري ٧/ ٣٦٦ وهذا دليل واضح على أن السمهودي لم يقتبس من السيرة مباشرة وذلك لأن ما ورد فيها هو: "فقال رسول الله ﷺ: من مسَّ دمي لم تصبه النار".
(٤) بالنص في فتح الباري ٧/ ٣٦٦ ومثله في ٧/ ٣٧٣.
(٥) الروض الأنف ٥/ ٤٧٠.

كسروا رَباعية النبي ﷺ لم يولد لهم صبي فنبتت له رَباعية[1].

وقيل: كان سبب الهزيمة أنَّ ابن قَمِئَة الليثي قتل مصعب بن عُمير، وكان مصعب إذا لبس لأمتَهُ يشبه النبي ﷺ فلما قتله ظنَّ أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش وقال: قد قتلت محمداً، فازدادوا جُرأةً وصاح إبليس من العقبة: قُتِل محمد، فلما سمع المسلمون ذلك ـ وهم متفرقون ـ كانت الهزيمة فلم يَلْوِ أحدٌ على أحدٍ.

والصواب: أنَّ السبب مخالفة الرماة للأمر، وهذا مؤكِّدٌ له ومتممٌ، مع أنَّ الأصل في ذلك ـ مع إرادة الله ـ ما اتفق ببدر من أخذ الفداء.

فقد أخرج الترمذي والنسائي عن عليّ: أنَّ جبريل هبط فقال: خيِّرهُم في أسارى بدر؛ القتل أو الفداء؟ على أنْ يُقتل منهم في القابل مثلهم[2]، قالوا: الفداء ويقتل منا[3].

وقال الترمذي: حَسَن[4]، وذكر غيره له شواهد تقوِّيه.

ولهذا جاء في **الصحيح**: أنَّ النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومئة: قتلوا سبعين وأسروا سبعين.

وفيه أيضاً: أنَّ المشركين أصابوا يوم أحد من المسلمين سبعين، ولفظه من حديث البراء، قال: «لقينا المشركين يومئذٍ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمَّرَ عليهم عبد الله بن جُبيَر، وقال: لا تبرحوا، وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإنْ رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا[5]، فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يَشْتَدِدْنَ في الجبل، رفعن عن سُوقهنَّ قد بدت خَلاَخِلُهُنَّ، فأخذوا يقولون: الغنيمة! الغنيمة! فقال عبد الله: عهد إليَّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا فلما أبوا

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ٢/ ٤٠١ والروض الأنف ٥/ ٤٧٠..

(٢) العبارة: "في القابل مثلهم" سقطت من س، ر؛ ص: من قابل مثلهم.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٥١ ـ ٣٥٢، والحديث في موارد الظمآن ٤١١ عن علي رضي الله عنه.

(٤) المصدر نفسه ٧/ ٣٥٢.

(٥) ص: فلا تعينون.

صَرَفَ الله وجُوهَهم، فأصيب سبعون[1] قتيلاً»[2].

ووقع عند مسلم من طريق ابن عباس عن عمر في قصة بدر، قال: فلما كان يوم أحد قُتل منهم سبعون وفروا، وكُسِرت رَباعية النبي ﷺ وهُشِّمَتْ البيضة على رأسه، وسال الدَّمُ على وجهه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا...﴾ الآية[3].

والمراد بكسر الرَّباعية ـ وهي السن التي تلي الثَّنِية والنابَ ـ أنها كُسِرَت فذهب منها فِلْقَةٌ ولم تُقْلَع من أصلها[4].

وقوله: وفرُّوا، أي: بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم، والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق؛ فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة، فما رجعوا حتى انقضى القتال، وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[5]، وفرقة صاروا حيارى لما سَمِعوا أنَّ النبي ﷺ قُتِلَ فصار غاية الواحد منهم أنْ يَذُبَّ عن نفسه أو يَسْتَمِرَّعلى بصيرته في القتال إلى أن يُقتل، وهم أكثرهم، وفرقة بقيت مع النبي ﷺ ثم تراجع إليهم القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حيٌّ، وما ورد من الاختلاف في العدد محمول على تعدد المواطن في القصة.

ووقع عند أبي يعلى في حديث عمر المتقدم: فلما كان عام أحد عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقُتِل منهم سبعون.

وفي الاكتفا: أنه لما قُتل مصعب بن عُمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليَّ بن أبي طالب، فقاتل في رجال من المسلمين، ولما اشتدَّ القتال جلس رسول الله ﷺ يومئذ تحت راية الأنصار، وأرسل إلى عليٍّ أنْ قَدِّم الراية، فتقدم فقال: أنا

---

(١) س: سبعين.

(٢) فتح الباري ٦/ ١٦٢ ـ ١٦٣، ٧/ ٣٤٩ وجامع الأصول ٨/ ٢٣٥ مع إخراجه في كتب الحديث.

(٣) سورة آل عمران ١٦٥.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٦٦.

(٥) سورة آل عمران ١٥٥.

أبو القُصَم[١]، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة: هل لك يا أبا القصم في البِرَاز من حاجة؟ قال: نعم، فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين، فضربه عليّ فصرعه، ثم انصرف ولم يُجْهِز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بِعَورَتِه، فعطفتني عليه الرحم، وعرفت أنَّ الله قد قتله[٢].

وقد قيل: إنَّ سعد بن أبي وقَّاص هو الذي قتل أبا سعد هذا[٣].

وروى الطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس، قال: دخل علي بن أبي طالب على فاطمة يوم أحد، فقال: خذي هذا السيف غيرَ ذَميم، فقال النبي ﷺ: «لئن كنت أحسنتَ القتالَ فقد أحسنه سَهْلُ بن حنيف وأبو دجانة ابن خرشة»[٤].

وذكر في الاكتفا دخول الحلقتين من حلق المِغْفَر في وجنَتِه ﷺ، وأنه وقع في حُفْرَةٍ من الحُفَر التي عَمِل أبو عامر الراهب ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ عليّ بيده، ورفعه طلحة حتى استوى قائماً، ومصَّ مالك بن سنان ـ والد أبي سعيد الخدري ـ الدمَ من وجهه، ونزع أبو عبيدة ابن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه ﷺ فسقطت ثَنِيَّتُهُ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثَنِيَّتُهُ الأخرى[٥].

ورمى سعد بن أبي وقَّاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يُنَاولني النَّبْلَ ويقول: أرم فِدَاكَ أبي وأمي؟ وأصيبت يومئذٍ عينُ قَتادة بن النعمان فردَّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسنَ عينيه، وأصيب فمُ عبد الرحمن بن عوف فهتم، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر؛ أصابه بعضها في رجله فعرج.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الشعب ومعه أولئك النفرُ من أصحابه، فبينما هم في الشعب إذ علتْ عاليةٌ من قريش الجبلَ، فقال: اللهمَّ إنه لا ينبغي لهم أنْ يعلونا، فقاتل عمر بن الخطاب ورَهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

---

(١) القُصَم: الدواهي ومفردها قَصْمَة وهي المعضلة المهلكة، انظر: الروض الأنف ٥/ ٤٦٢.

(٢) الاكتفا ٢/ ٩٥.

(٣) الروض الأنف ٥/ ٤٦٢ عن ابن إسحاق والكشّي في تفسيره عن سعد بن أبي قاص.

(٤) المعجم الكبير ٧/ ١٠٤، ١١/ ٢٥١ والروضة الفردوسية ورقة ١٤٨ب ـ ١٤٩أ.

(٥) الاكتفا ٢/ ٩٧ ـ ٩٨ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/ ٢٣.

ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع ـ وقد كان بَدِنَ[1] وظاهرَ بين درعين ـ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها[2]، فقال رسول الله ﷺ: «أوجبَ طَلْحَة»[3].

وصَلَّى النبي ﷺ يومئذٍ الظهرَ قاعداً من الجراح التي أصابته، وصَلَّى المسلون خلفه قعوداً[4].

وفي الصحيح من حديث البَراء: «أنَّ أبا سفيان ـ حين أراد الانصراف ـ قال: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم! فقال النبي ﷺ أجيبوه، قالوا: ما نقول: قال: قولوا: الله مولانا ولا مولىً لكم»[5].

وفيه أيضاً: أن أبا سفيان أشرف يومَ أحدٍ فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تُجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ قال: لا تُجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطَّاب؟ فلما لم يُجِبْهُ أحدٌ، قال: إنَّ هؤلاء قُتِلوا، ولو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يَمْلك عمر نفسَهُ فقال: كَذَبْتَ يا عدوَ الله، قد أبقى اللهُ لك ما يُخْزيكَ[6].

قال ابن إسحاق: فلما أجاب عمرُ أبا سفيان، قال له: هَلُمَّ إليَّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائْتِهِ فانظر ما شأنه، فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدُك بالله يا عمر أقَتَلْنا محمداً، فقال عمر: أللهمَّ لا، وإنه ليسمع كلامَكَ الآن، قال: أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرُّ»[7].

---

(١) بدن: أي ثَقُلَ بما عليه من الدرعين، فقد أورد ابن الأثير: أن رسول الله ﷺ ظاهر بين درعين (جامع الأصول ٨/ ٢٥١ عن أبي داود) أي: لبس إحداهما فوق الأخرى، وفي النهايــة في غريب الحديث ١/ ١٠٨، البَدَن: الدرع من الزرد، وبدَّن: كبر واسن.

(٢) سقطت من ر.

(٣) السيرة النبوية ١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧ وفتح الباري ٦/ ١٠٣، ٧/ ٣٦١ والمستدرك للحاكم ٣/ ٢٥ والروض الأنف للسهيلي ٦/ ٩ ـ ١٠.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٥٧٧ والروض الأنف ٦/ ١٠ عن ابن هشام.

(٥) جامع الأصول ٨/ ٢٣٥ عن البخاري والدارمي.

(٦) جامع الأصول ٨/ ٢٣٥.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣.

ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مَثْلٌ[1]، والله ما رضيتُ وما سخطت، وما أمرت وما نهيت، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إنَّ موعِدَكم بدر العامَ القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعدٌ»[2].

ثم بعث رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإنْ كانوا قد جَنَبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ فإنهم يُريدون مكةَ، وإنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يُريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ثم لأناجِزَنَّهُم، فخرج عليّ فرآهم قد جَنَبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[3].

وفزع الناس لقتلاهم وانتشروا يبتغونهم ـ وسيأتي خبرهم وتعيينهم إن شاء الله تعالى في **الفصل السادس من الباب الخامس** ـ وبكى المسلمون يومئذٍ على قتلاهم فَسُرَّ المنافقون، وظهر غِشُّ اليهودِ، وفارت المدينة بالنفاق[4].

قال العلماء: وكان في قصة أحد من الحكم والفوائد أشياء عظيمة[5].

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من الرماة.

ومنها: إنَّ عادة الرسل أنْ تُبتَلى وتكون لها العاقبة.

ومنها[6]: إظهار أهل النفاق حتى عرف المسلمون أنَّ لهم عدواً بين أظهرهم.

---

(١) مثلٌ: يقال: مَثَلْتُ به أَمْثُلُ به مَثْلاً إذا قطعتَ أطرافه وشوَّهت به وجدعته، **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ٢٩٤، وفي البخاري: "وتجدون مُثْلَةً" وانظر تفسيرها في **فتح الباري** ٧/ ٣٥٢.

(٢) **السيرة النبوية** ١/ ٥٨٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ٧/ ٣٤٧.

(٥) في خ حاشية هذا نصها: «قوله في الفصل السادس: وإن ما ذكر عدد شهداء أحد وأسماءهم في الفصل السابع من الباب الخامس فليتأمل، أي قوله هنا في الفصل السادس، وإن ما ذكر في الفصل السادس من دفن بالبقيع رضي الله عنهم، كتبه عبد الله بن أحمد الشهابي الحسني السمهودي».

(٦) "منها": سقطت من الأصول ويقتضيها السياق هنا.

ومنها: أنَّ في تأخير النصر هضماً للنفس.

ومنها: أن الله هَيَّأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فَسبَّبَ لهم ذلك ليبلغوها.

ومنها: أنَّ الشهادة من أعلى مراتب الأولياء، فساقها إليهم بين يدي الرسول ليكون شهيداً عليهم[1].

قال ابن إسحاق: وفي شأن أحد أنزل الله ستين آية من آل عمران[2].

وروى ابن أبي حاتم[3] من طريق المِسْوَر بن مَخرَمة، قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يومَ أُحُدٍ، قال: اقرأ العشرين ومئة من آل عمران تجدها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ إلى قوله: ﴿أَمَنَةً نُعَاسًا﴾[4].

ثم خرج رسول الله ﷺ بعد الوقعة مُرهِباً لعدوه حتى انتهى إلى حَمراء الأسد، فأخذ في وجهه ذلك أبا عَزَّةَ الجُمَحي، وكان النبي ﷺ قد مَنَّ عليه يومَ بدر بغير فداء، وأخذ عليه أنْ لا يُظاهر عليه أحداً، وكان شاعراً، فقال له صَفوَان بن أميَّة: إنك امرؤٌ شاعرٌ فأعِنَّا بلسانك، ولم يزل به حتى خرج معهم، فلما أخذه النبي ﷺ قال: «يا رسولَ الله أقلني، فقال رسول الله ﷺ: والله لا تمسح عارضيك بمكة، تقول: خَدَعتُ محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه».

وفي رواية: أنه قال له: «إنَّ المؤمن لا يُلدغُ من جُحرٍ مرتين، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه»[5].

وفي هذه السنة أيضاً حُرِّمتْ الخمر[6]، ويقال: في التي بعدها.

---

(١) كل هذه أقوال ابن حجر نقلها السمهودي مختصرةً من **فتح الباري** ٧/ ٣٤٧ دون الإشارة إليه.

(٢) نقلاً من **فتح الباري** ٧/ ٣٤٧.

(٣) ص: وروى أبا حاتم، وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٣/ ٢٦٣ مع مصادر ترجمته.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ٧/ ٣٤٧، سورة آل عمران: من أول الآية ١٢١.

(٥) الروايتان في **السيرة النبوية** ١/ ٥٩١.

(٦) قال ابن حجر: "أن تحريم الخمر كان بعد أحد"، **فتح الباري** ٧/ ٣٥٣.

وقال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أنَّ تحريمها كان عام الفتح سنة ثمانٍ واستدلَّ بشيء فيه نظر[1].

وتزوَّج النبي ﷺ حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في شعبان على الأصح.

وقيل: في التي قبلها، وزينب بنت خزيمة أمّ المساكين في رمضان فمكثت عنده شهرين أو ثلاثة، وقيل: ثمانية أشهر وماتت.

وولد الحسن بن علي في منتصف رمضان، وعلقت أمه بالحسين بعد خمسين ليلة.

وتزوج عثمان أمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ والله أعلم.

السنة الرابعة: وكانت بئر مَعُونَة أولها في المحرَّم.

قلت: في **الصحيح** من رواية أنس، قال: إنَّ النبي ﷺ أتاه رِعلٌ وذَكْوَان وعُصَيَّة وبنو لَحْيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدُّوه على قومهم، فأمدَّهم النبي ﷺ بسبعين من الأنصار.

قال أنس: كنَّا نسمِّيهم القُرَّاء، يَحْطِبُون بالنهار ويُصَلُّون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غَدَروا بهم وقتلوهم، فَقَنَتَ شهراً يدعوا على رعل وذكوان وبني لحيان[2].

وفي بعض الروايات ما يقتضي أنَّ الذين استمدوا، لم يُظهِروا الإسلام، بل كان بينهم وبين النبي ﷺ عهدٌ، وأنهم غير الذين قَتلوا القُرَّاءَ لكنهم من قومهم، وهو الذي في كُتُب السِيَر.

وقد بيَّنَ ابنُ إسحاق في **المغازي** وكذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أسماء الطائفتين، وأنَّ أصحاب العهد هم بنو عامر ورأسهم أبو بَرَاء عامر بن مالك

---

(١) قال ابن حجر ذلك في فتح الباري ٨/ ٢٧٩ في باب: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في ما طعموا. . ." وأورد شواهده وحججه.

(٢) فتح الباري ٦/ ١٨٠، ٧/ ٣٨٥ والمطالب العالية له ١/ ١٢٥ مع مصادر وروده.

بن جعفر، المعروف بـ: مُلاعِب الأسِنَّة، وأنَّ الطائفةَ الأخرى من بني سليم، وأنَّ عامر بن أخي ملاعب الأسنة أراد الغدرَ بأصحاب النبي ﷺ، فدعا بني عامر إلى قتالهم فامتنعوا وقالوا: لا نَخفِرُ ذِمَّة أبي بَراء، فاستصرخ عليهم عصية وذكوان من بني سليم، فأطاعوه وقتلوهم[1].

قالوا[2]: ومات أبو بَرَاء بعد ذلك أسفاً على ما صنع به عامر بن الطُّفيل[3].

وقيل: أسلم أبو بَرَاء عند ذلك، وقاتل حتى قُتِل.

وعاش عامر بن الطفيل حتى مات كافراً بدعاء النبي ﷺ، أصابته غُدَّةٌ كغُدَّة البعير[4]، ولم يكن القُرَّاء المذكورون كلهم من الأنصار، بل كان بعضهم من المهاجرين مثل عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ونافع[5] بن ورقاء الخزاعي وغيرهما، كما يؤخذ من الصحيح[6] أيضاً، والله أعلم.

ثم كانت غزوة الرجيع في صفر[7].

قلت: ذكرها ابن إسحاق في الثالثة قبل بئر معونة، والرجيع: موضع ببلاد هذيل والله أعلم.

ثم كانت غزوة بني النَّضير.

قلت: ذكرها بعضهم في الثالثة قبل أُحُد.

وقال الزهري: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد[8].

وذكرها ابن إسحاق في الرابعة بعد بئر معونة وأن سببها: أنَّ النبي ﷺ جاءهم

---

(1) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٩١.
(2) سقطت من ص.
(3) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ٣٩١ ـ ٣٩٢.
(٥) هو نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قال الذهبي في تجريد اسماء الصحابة ١/ ١٧٢: "وقد صحفه بعضهم إلى: رافع، إنما هو نافع"، وانظر: الإصابة ٣/ ٥٤٣.
(٦) نقلاً من فتح الباري ٣٨٦ ـ ٣٨٧ والسيرة النبوية ١/ ٦٤٨ ـ ٦٥١.
(٧) «في صفر» سقطت من .
(٨) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٣٠.

يستعينهم في دِيَة، وجلس إلى جنب جدارٍ لهم، فخلا بعضُهُم ببعض وأمروا عمرو بن جحاش أنْ يرقى فيُلْقي عليه صخرة، فأتاه الخبر من السماء، فقام مُظهِراً أنه يقضي حاجة، وقال لأصحابه: لا تبرحوا، ورجع مسرعاً إلى المدينة، فأمرَ بحربهم والمسير إليهم، وأمر بقطع النخل والتحريق[1].

قال: وحاصَرهم ستَّ ليالٍ، فسألوا أن يُجْلَوا من أرضهم على أنَّ لهم ما حملت الإبلُ، فصولحوا على ذلك، فاحتملوا إلى خيبر وإلى الشام، فكانت أموالهم له ﷺ خاصة[2].

ووافق ابنَ إسحاق على ذلك جلُّ أهل المغازي، وأصَحُّ منه ما رواه ابن مردويه بسند صحيح: أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا إلى النبي ﷺ: أخرُجْ إلينا في ثلاثةٍ من أصحابك ويلقاك ثلاثةٌ من علمائنا، فإنْ آمنوا بك اتَّبعناكَ فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأةٌ من بني النَّضير إلى أخٍ لها من الأنصار ـ مُسلمٍ ـ تُخبره بأمرِ بني النَّضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ بأمر بني النَّضير قبل أنْ يصل إليهم، فرجع وصبَّحهم بالكتائب، فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قُريظة فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنَّ لهم ما أقَلَّت الإبل، إلاَّ السلاح، فاحتملوا أبواب بيوتهم؛ فكانوا يُخرِّبون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أولَ حشر الناس إلى الشام[3].

ورواه أيضاً عبدُ بن حُمَيد في تفسيره[4].

وروى[5] أيضاً من طريق عِكْرِمة: أنَّ غزوتهم كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف[6].

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٣١.
(٢) السيرة النبوية ١/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤ وفتح الباري ٧/ ٣٣١.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٣١ عن ابن مردويه.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٣١: "عن عبد الرزاق".
(٥) أي: عبد بن حُميد أيضاً، كما في فتح الباري.
(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٣٢.

وروى أنَّ قريشاً كتبوا لبني النَّضير يحُثُّونهم على حرب رسول الله ﷺ فأضمروا الغدر بالنبي ﷺ.

ولما حرَّقَ رسولُ الله ﷺ نخلَهُم، قال حسَّان رضي الله عنه يُعَيِّر قريشاً من أبيات:

وهان على سَرَاةِ بني لؤيٍ حَريقٌ بالبُوَيرَةِ مُسْتَطِيرُ[1]

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ولم يكن أسلم حينئذٍ:

أدامَ اللَّهُ ذلكَ من صنيعٍ وحَرَّقَ في نواحيها السعيرُ

سَتَعْلَمُ أيُّنا منها بنَزَهٍ وتَعْلَمُ أيَّ أرضَينَا تَضيرُ

أي: ستعلم أيُّنا منها ببعدٍ، وأيُّ الأرضَين[2] أرضُنا أو أرضُكُم يحصل لها الضير، أي: الضرر؛ لأنَّ بني النَّضير إذا خرجت أضرَّت بما جاورها وهو أرض الأنصار لا أرض قريش.

ونقل ابن سيِّد الناس عن أبي عمرو الشيباني: أنَّ الذي قال البيت المتقدم المنسوب لحسَّان هو أبو سفيان بن الحارث، وأنه إنَّما قال:

* وعَزَّ على سَرَاة بني لؤيٍّ *

بدل: "وهان"، قال: ويروى: "بالبويلة" بدل: "بالبويرة"، وأنَّ المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسَّان، وما قدَّمناه هو رواية البخاري[3].

قال ابن سيِّد الناس: وما ذكره الشيباني أشْبَهُ[4].

---

(١) انظر: فتح الباري ٧/ ٣٣٣، والبويرة، ويقال لها البويلة: مصغَّر بؤرة وهي الحفرة، قال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٣٣٣: "مكان معروف بين المدينة وبين قباء، وهي من جهة قبلة مسجد قُباء إلى جهة الغرب". وقد جاء في فتح الباري: "بين المدينة وبين تيماء"، وتيماء هنا تصحيف قباء. وانظر: المغانم المطابة ٦٦.

(٢) ص: الأراضين.

(٣) رواه البخاري في المغازي "باب حديث بني النضير"، رقم: ٤٠٣٢.

(٤) نقل السمهودي كلَّ ما سبق من فتح الباري ٧/ ٣٣٣، وقال: "وعند شيخ شيوخنا أبي الفتح ابن سيد الناس في عيون الأثر . . . " وأختار ابن حجر رواية البخاري التي أخرجها في ٧/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ وانظر: عيون الأثر ٢/ ٧٧ ـ ٧٨ : "هذه رواية البخاري. . . هذا أشبه بالصواب من الرواية الأولى".

قلت: كأنه استبعد أنْ يدعو أبو سفيان في حالة كفره على أرض بني النَّضير، وقد قدَّمنا وجهه.

وكان أشراف بني النضير بنو الحقيق وحُيَيّ بن أخطب، فكانوا في مَنْ سار إلى خيبر، فَدَان لهم أهلها، وأسلم منهم يامين بن عمير وأبو أسعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

وروى ابن شَبَّة عن الكلبي، قال: لما ظهر النبي ﷺ على أموال بني النضير، قال للأنصار: إنَّ إخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال، فإنْ شئتم قَسَّمتُ هذه الأموال بينهم وبينكم جميعاً، وإنْ شئتم أمسكتم أموالكم فقسمت هذه فيهم، قالوا: بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئتَ[1] فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2].

وقال ابن إسحاق: قسمها ﷺ في المهاجرين إلاَّ أنَّ سهل بن حُنَيف وأبا دجانة، ذكرا فَقْراً فأعطاهما منها[3]، والله أعلم.

ثم وُلِدَ الحسين بن عليّ.

قلت: المشهور في ولادته أنها في السنة الثالثة، كما قدَّمنا، والله أعلم.

ثم كانت بدر الموعد[4].

قلت: هي بدر الثالثة لما تقدَّم، والله أعلم.

ثم كان مقتل سلاَّم بن مشكم، أي: أبو رافع، ويقال: عبد الله بن أبي الحقيق؛ وهي سرية عبيد الله بن عتيك[5].

ثم رجم رسول الله ﷺ اليهودين اللذين كان يحني أحدهما على الأخر[6].

---

(١) نقل ابن حجر في فتح الباري ٣٣٣ عن كتاب الإكليل للحاكم ما يشبه معناه هنا.

(٢) سورة الحشر ٩، والخبر في: تاريخ المدينة ٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٣) السيرة النبوية ١/ ٦٥٤.

(٤) ص: الموعود.

(٥) السيرة النبوية ١/ ٧١٤ وما بعدها، وجامع الأصول ٨/ ٢٢٨ وتاريخ المدينة ٢/ ٤٦٢.

(٦) هما يهوديٌّ ويهودية، ومعنى حنى: انكبَّ عليها يقيها الحجارة، ووردت "يجنأ" ايضاً، وورد =

قلت: وفيها في شوال تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة؛ هند، وقيل: رملة بنت أبي أمية، وهي أول من هاجر مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، ثم هاجرت إلى المدينة، كذا ذكر بعض أهل السير.

وقال أبو عمر[1]: تزوجها ﷺ سنة اثنتين بعد بدر في شوال[2].

وفيها غزوة ذات الرقاع بعد بني النَّضير بشهرين عند ابن إسحاق[3]، وقيل: في الخامسة، وذكرها البخاري بعد خيبر لما في **الصحيح**[4] من حضور أبي موسى الأشعري فيها، وهو من أصحاب السفينة[5]، ولا مانع من التعدد[6]، والله أعلم.

السنة الخامسة: ثمَّ فَكَّ رسول الله ﷺ سَلْمَانَ من[7] الرِقّ، ثم خرج إلى دُومَة الجَندَل، فَرَجِع ولم يَلْقَ كيداً، ثم توفيت أمُّ سعد بن عُبادة، ثم كُسِفَ القمر في جمادى الآخرة، فَصَلَّى بهم كصلاة كسوف الشمس.

قلت: وجعلت اليهود يضربون بالطساس، ويقولون: سُحِرَ القمر.

وروى ابن حِبَّان في صحيحه: أنه ﷺ صَلَّى لكسوف القمر، والله أعلم.

ثم أصابت قريشاً شِدَّةٌ، فبعث إليهم بِفِضَّةٍ يتألفهم بها.

ثم وَفَد بلال بن الحارث المزني، فكان أول وافد مسلم إلى المدينة، ثم قدم[8] ضمام بن ثعلبة.

ثم غزا المريسيع في شعبان.

= الحديث في صحيح البخاري، مناقب ٢٦، تفسير سورة آل عمران: باب "قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" وفي الحدود ٢٤، وانظر فتح الباري ١٢/ ١٢٨ وعند الدارمي، الحدود ١٥ وفي الموطأ، حدود ١، وانظر: المستدرك للحاكم ٣/ ٣٦٥ والنهاية في غريب الحديث ١/ ٤٥٤.

(١) هو ابن عبد البر النمري القرطبي وقد سبق التعريف به.

(٢) الاستيعاب ٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٢(في حاشية الإصابة لابن حجر).

(٣) فتح الباري ٧/ ٤١٧.

(٤) فتح الباري ٧/ ٤١٦ وما بعدها.

(٥) أي: كان من المهاجرين إلى الحبشة، السيرة النبوية ١/ ٢١٠.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤١٦ ـ ٤٢١ باختصار شديد.

(٧) م٢: بن.

(٨) م٢: قام.

وفيها أُنزلت آيةُ التيمم بسبب عِقْدِ عائشة رضي الله عنها.

قلت: وسيأتي أنَّ الأشبه أنَّ بني المُصْطَلَق هي هذه، والله أعلم.

ثم غزوة الخندق.

قلت: هكذا ذكره ابن إسحاق[١]، وهو المعتمد.

وقال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع.

وصححه النووي في الروضة، مع قوله: بأنَّ بني قريظة في الخامسة وهو عجيب، لما سيأتي من أنها كانت عقيب الخندق، سمِّيت بذلك لَحَفْرِ النبي ﷺ الخندقَ بإشارة من سَلمان الفارسي؛ وتسمى بـ: الأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب، وهم الذين سمَّاهم الله تعالى: الأحزاب، وأنزل الله في ذلك صَدْرَ سورة الأحزاب[٢].

وذلك أنَّ حُيَيَّ بن أَخْطَب في نفر من بني النَّضير خرجوا من خيبر إلى مكة، فَحَرَّضوا قريشاً على الحرب، وخرج كنانة بن أبي الحُقَيْق يَسعَى في بني غَطَفان ويَحُضُّهم على قِتال رسول الله ﷺ على أنَّ لهم نصفَ ثَمَر خيبر، فأجابه عُيينة بن حِصْن الفَزَاري، وكتبوا إلى حُلَفَائِهم من بني أسدٍ فأقبلَ إليهم طُلَيْحَة بن خُوَيلد في من أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش، فنزلوا مَرَّ الظَّهران[٣]، فجاءهم من أجابهم من بني سليم، وكانوا قد استمدوهم فصاروا في جمع عظيم[٤].

ذكر ابن إسحاق بأسانيد: أنَّ عدَّتهم عشرة آلاف، قال: وكان المسلمون ثلاثة آلاف[٥].

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٦٦٨.

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

(٣) مرّ الظهران: هو وادى فاطمة الآن، من تعليق لحمد الجاسر في حاشية كتاب المناسك للحربي ٦٥٣ وفي حاشية كتاب المغانم المطابة ١٥٣.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٩٣.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٩٣ وانظر: عيون الأثر ٢/ ٨٧.

وقيل: كان[1] المسلمون ألفاً، والمشركون أربعة آلاف[2].

وذكر موسى بن عقبة: أنَّ مدة الحصار كانت عشرين يوماً[3]، ونزلت قريش بمجتمع السيول[4] من رُومة بين الجرف وزُغابة، وغطَفَان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نَقَمَي[5] إلى جانب أُحُد[6].

وفي رواية ابن مردويه عن ابن عباس: ونزل عُيَيْنَةُ في غَطَفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع، والخندق بينه وبين القوم، وجعل النساء والذراري في الآطام.

وقال ابن إسحاق: نزلت قريش بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة، ونزل عُيَيْنَة في غطفان، وذكر ما تقدم من رواية ابن عباس المذكورة[7].

وروى الطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن رافع بن خديج، قال: لم يكن حصنٌ أحصَنَ من حصن بني حارثة، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه، وقال: إنْ أَلَمَّ بِكُنَّ أحدٌ فَأَلْمَعْنَ بالسيف، فجاءهن رجلٌ من بني ثعلبة بن سعد يقال له: بُجدان[8]؛ أحد بني جحاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل

---

(١) سقطت من س، ر، ص، م٢.

(٢) في فتح الباري ٧/ ٣٩٣: "وقيل كان المشركون أربعة آلاف والمسلمون نحو الألف".

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٩٣.

(٤) في رواية السيرة: "الأسيال" ومثلها في عيون الأثر ٢/ ٨٨ عن ابن إسحاق.

(٥) قال الفيروزابادي في المغانم المطابة ٤١٤ : "موضع من أعراض المدينة قريب أحد كان لآل أبي طالب"، وذكر رواية ابن إسحاق في نزول غطفان.

(٦) السيرة النبوية ١/ ٦٧٣.

(٧) المصدر نفسه، حول نزول قريش: "نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة".

(٨) ر: بحران، س: نجدان، م١، م٢: بُجْدان.

يقول للنساء: انزلنَّ إليَّ خيرٌ لَكُنَّ، فحَرَكَنَّ السيفَ فأبصره أصحابُ رسول الله ﷺ فابتدر الحصنَ قومٌ فيهم رجلٌ من بني حارثة يقال له: ظفر[1] بن رافع، فقال: يا بجدان ابرز، فبرز إليه فحمل عليه فقتله، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ[2].

وروى البزار بإسناد ضعيف عن الزبير بن العوام رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج للخندق جعل نساءه وعمته صفيّة في أُطُم يقال له: فارع، وجعل معهم حسان بن ثابت، فرقى يهوديٌّ حتى أشرف على نساء رسول الله ﷺ وعلى عمته، فقالت صفية: يا حسان قم إليه حتى تقتله، قال: لا والله ما ذاك فيَّ، ولو كان فيَّ لخرجت مع رسول الله ﷺ قالت صفية: فاربط السيف على ذراعي، ثم تَقَدَمت إليه حتى قتلتهُ، وقطعت رأسه، فقالت له: خذ الرأس فارم به على اليهود، قال: ما ذاك فيَّ، فأخذت هي الرأس فرمت به على اليهود، فقالت اليهود: قد علمنا أن لم يك يترك أهله خُلُوفاً ليس معهم أحدٌ، فتفرقوا وذهبوا[3].

وروى أحمد بإسنادٍ قوي عن عبد الله بن الزبير، قال: كانت صفية في حصن حسان بن ثابت يوم الخندق، أي: وهو المسمى بـ: فارع، فذكر الحديث في قتلها اليهودي وقولها لحسان: انزل فاسلبه، فقال: ما لي بسَلَبه حاجة[4].

وروى الطبراني هذه القصة عن صفية رضي الله عنها في غزوة أحد، وفي إسناده اثنان، قال الهيثمي[5]: لم أعرفهما، وبقية إسناده ثقات[6].

والمذكور في كتب السير: أنَّ هذه القصة في الخندق، وأنَّ بعضهم كان بحصن بني حارثة، وبعضهم بفارع، وأنَّ صفية رضي الله عنها لما فرغت من قتل

---

(١) في المعجم الكبير ٤/ ٢٦٨: "ظهير".

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٦٨.

(٣) المستدرك ٤/ ٥٠ ـ ٥١ عن أم فروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدها الزبيرعن أمه صفية بنت عبد المطلب.

(٤) المصدر نفسه عن هشام بن عروة عن أبيه والروضة الفردوسية ورقة ١٥٣ب ـ ١٥٤أ.

(٥) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي المتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٧ هـ، مؤلف موارد الظمآن في زوائد ابن حبان وزوائد المعجمين الأوسط والأصغر للطبراني، انظر: بروكلمان ٢/ ٧٦ وملحقه ٢/ ٨٢ و معجم المؤلفين ٧/ ٤٥ مع مصادر ترجمته.

(٦) مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١١٤، ١٣٤ ـ ١٣٥ وفي سنده جعفر بن الزبير وهو متروك كذاب وضاع.

اليهودي ورجعت إلى الحصن قالت لحسان: انزل فاسلبه، فإني لم يمنعني من سلبه إلاَّ أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب[١].

قال السهيلي: محمل هذا الحديث عند الناس أنَّ حسَّان كان جباناً شديدَ الجبن، وقد دفع بعض العلماء هذا وأنكره، وقال: لو صَحَّ هذا لَهُجيَ حسان به فإنه كان يُهَاجي الشعراء[٢]، وكانوا يَرُدُّون عليه، فما عَيَّرهُ أَحَدٌ بجبنٍ وإنْ صَحَّ فلعل حسَّان كان مُعْتَلاً في ذلك اليوم بعلَّةٍ منعته من شهود القتال[٣]، انتهى.

وروى الطبراني برجال الصحيح عن عروة مرسلاً: أنَّ النبي ﷺ أدخَلَ نساءه يوم الأحزاب أُطُماً من آطام المدينة، وكان حسان بن ثابت رجلاً جَبَاناً، فأدخله مع النساء، فأغلق الباب، وذكر القصة.

وممن ذكر القصة في الخندق ابنُ إسحاق[٤] ويؤيده أنَّ اليهود إنما غدروا في الخندق، وذلك أنَّ حُيَيّ بن أخطب توجَّه إلى بني قُريظة، فلم يزل بهم حتى غدروا، وبلغ المسلمين غدرُهم، فاشتدَّ بهم البلاء والحصار حتى تكلم مُعَتِّب بن قشير - أخو بني عمرو بن عوف - وأوس بن قَيظي - أحد بني حارثة - وغيرهما من المنافقين، بالنفاق[٥]، وانزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا. . . ﴾[٦] الآيات.

قال ابن عباس: وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان، وكان حيي بن أخطب أتى كعب بن أسد صاحب عَقْد بني قُريظة وعهدهم، فأغلق باب حصنه دونه، وقال: لم أرَ من محمد إلاَّ وفاءً

(١) السيرة النبوية، تح وستنفلد ١/ ٦٨٠.

(٢) قال ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير ١٨٦: «ولَهُجِيَ بذلك ابنه عبد الرحمن، فإنه كان كثيراً ما يهاجي الشعراء العرب مثل النجاشي وغيره».

(٣) الروض الأنف للسهيلي، تح عبد الرحمن الوكيل، ٦/ ٣٢٤ وانظر: تاريخ دمشق ٤/ ١٤٠ عن الكلبي والأغاني ٤/ ١٦ ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١١٤.

(٤) السيرة النبوية ١/ ٦٨٠.

(٥) السيرة النبوية ١/ ٦٧٥، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٨٦ وعيون الأثر ٢/ ٩١.

(٦) سورة الأحزاب ١٢.

وصدقاً، فقال له: إني جئتك بِعِزِّ الدهر، جئتك بقريش وغطفان على قادتهما وسادتهما قد عاهدوني وعاقدوني أنْ لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذُلِّ الدهر وبجَهَام قد هَرَاق ماءه فهو يُرْعِد ويُبرِق وليس فيه شيء، فلم يزل به حتى نقض كعبٌ عهده وبَرِيَ مما كان بينه وبين محمدﷺ[1]، فاشتدَّ الخوف بالمسلمين.

قال ابن إسحاق: ولم يقع بينهم حربٌ إلاَّ مُرَامَاة[2] بالنبل، ولكن كان عمرو بن عبد ودٍّ العامري اقتحم هو ونفرٌ معهم خيولهم من ناحية ضيِّقَةٍ من الخندق[3]، فبارزه عليّ فقتله، وبرز نَوفَلُ بن عبد الله بن المغيرة المخزومي[4]، فبارزه الزبير فقتله، ويقال: قتله عليّ، ورجعت بقية الخيول منهزمة[5].

وقيل: اقتتلوا ثلاثة أيام قتالاً شديداً حتى يحجز الليل بينهم، سيما في اليوم الثالث، حتى شغلهم القتال عن صلاة العصر والمغرب.

وقيل: والظهر وذلك قبل أنْ يـزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[6].

قال مالك: ولم يستشهد يوم الخندق إلاَّ أربعة أو خمسة، وذكر غيره: ستة، وهم: سعد بن معاذ ـ كما سيأتي ـ وأنس بن أوس بن عتيك وعبد الله بن سهيل، وهم من بني عبد الأشهل، وثعلبة بن عَنَمة[7] والطفيل بن النعمان وهما من بني

---

(١) نقلاً من السيرة النبوية ١/ ٦٧٤ وانظر: عيون الأثر ٢/ ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) في السيرة ١/ ٦٧٦: "إلا الرِّميَّا بالنبل"، وقال ابن هشام: "ويقال: "الرِّمْيا"، وانظر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣.

(٣) في فتح الباري ٧/ ٤٠٠: "... الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي..."

(٤) روى ابن سيد الناس عن ابن عائذ في عيون الأثر ٢/ ٩١: "وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس ليوثبه الخندق فوقع في الخندق قتله الله تعالى..."، وانظر: السيرة النبوية ١/ ٦٩٩.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤٠٠ وليس من السيرة مباشرة.

(٦) سورة البقرة ٢٣٩.

(٧) عنمة: بفتح المهملة والنون، الإصابة لابن حجر ١/ ٢٠١ والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١٩٩ قال عروة بن الزبير: "قتل يوم خيبر"، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٦٨ وذكر ابن عبد البر رواية عروة=

سلمة، وكعب بن زيد، من بني دينار بن النجار[1].

وكان من المناوشات بين الفريقين أنْ مات بعض بني عمرو بن عوف من أهل قُباء، فاستأذن أقرباؤه رسولَ الله ﷺ ليدفنوه، فأذن لهم ، فلما خرجوا إلى الصحراء لِدَفنِ ميّتهم وافقوا ضِرار بن الخطاب وجماعة من المشركين بعثهم أبو سفيان ليمتاروا له من بني قريظة على إبلٍ له، فحملوا على بعضها قمحاً وعلى بعضها شعيراً وعلى بعضها تمراً وتبناً للعلف، فلما رجعوا وبلغوا ساحة قُباء وافقوا الذين كانوا يدفنون ميتهم، فناهضهم المسلمون وغَلَبوهم، فجُرِحَ ضرار جراحاتٍ فهرب هو وأصحابه، وساق المسلمون الإبلَ بما عليها إلى رسول الله ﷺ وكان للمسلمين في ذلك سَعَةٌ من النفقة[2].

ثم أتى نُعيم بن مسعود الأشجعي إلى النبي ﷺ مُسْلِماً، ولم يعلم به قومه فقال له: "خَذِّلْ عَنَّا"، فمضى إلى بني قريظة - وكان نديماً لهم - فقال: قد عرفتم محبتي! قالوا: نعم ، فقال: إنَّ قريشاً وغَطَفان ليست هذه بلادهم وإنهم إنْ رأوا فرصةً انتهزوها، وإلاَّ رجعوا إلى بلادهم وتركوكم في البلاد مع محمد، ولا طاقةَ لكم به، قالوا: فما ترى؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رُهُناً، فقبلوا رأيه، فتوجَّه إلى قريش فقال لهم: إنَّ اليهود نَدِمُوا على الغدر بمحمد فراسلوه في الرجوع إليه، فراسلهم بأنَّا لا نرضى حتى تبعثوا إلى قريش فتأخذوا منهم رُهُناً فأقتلهم، ثم جاء غطفان بنحو ذلك، فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة بأنا قد ضاق بنا المنزل ولم نجد مرعىً، فاغْدُوا للقتال حتى نناجز محمداً، فأجابوهم: إنَّ اليومَ يومُ السبت، ولا نعملُ فيه شيئاً، ولا بدَّ لنا من الرُّهُنِ منكم لئلا تغدروا بنا، فقالت قريش: هذا ما حذَّركُم نُعيم، فراسلوهم ثانياً: إنا لا نعطيكم رُهُنا، فإنْ شئتم أنْ تخرجوا فافعلوا، فقالت قريظة: هذا ما أخبرنا

= أيضاً في الاستيعاب ١/١٩٩/ وانظر: السيرة النبوية ١، ٣١٠، ٦٩٩: "وقتل بالخندق شهيداً"، وعيون الأثر ٢/ ١٠١ وجمهرة أنساب العرب ٣٦٠.

(١) لهم ذكر في تجريد أسماء الصحابة للذهبي في اماكن متفرقة.

(٢) الروضة الفردوسية ورقة ١٥٧أ - ب.

نُعيم[1]، ثم بعث الله عليهم الريح فما تركت لهـم بناءً إلاَّ هدَّمته، ولا إناءً إلاَّ أكْفَأْتَه[2]؛ لا تُقِرُّ لهم قراراً ولا ناراً ولا بناءً[3].

فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، والله ما أصبحتم بدار مُقام؛ لقد هلك الكُرَاعُ والخُفُّ واخلفتنا بنو قريظة، ولقينا من شِدَّةِ الريحِ ما ترون، فارتحلوا فإني مُرتحلٌ، فتَحَمَّلت قريش وإنَّ الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم[4]، وقال ﷺ: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا»[5].

وفي الذيل على أخبار المدينة لابن النجار لصاحبه الغرَّافي[6] عن الكلبي: أنه قال: إنَّ الملائكة اتَّبعُوا الأحزاب حتى بلغوا الرَّوْحَاء يكرِّون في أدبارهم، فهربوا لا يَلْوُون على شيءٍ، والله أعلم.

ثم كانت غزوة بني قريظـة:

قلت: قال أبو الربيع الكلاعي في الاكتفا: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ومعه المسلمون، فلما كانت الظهر أتاه جبريل ـ ويقولون في ما ذكر ابن عقبة: أنَّ رسول الله ﷺ كان في المغتسل عند ما جاءه

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤٠٢ وليس من السيرة ١/ ٦٨٠ وما بعدها.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤٠٠.

(٣) انظر: الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٥٣.

(٤) عيون الأثر ٢/ ٩٦ ـ ٩٨ عن ابن إسحاق.

(٥) فتح الباري ٧/ ٤٠٥.

(٦) النسبة إلى "الغرَّاف" وهو بلد ونهر لم يزالا مشهورين في العراق، وقد ذكر السخاوي أن أبا العباس الغرافي ذيَّل في كرَّاسة على كتاب الدرة الثمينة لابن النجار ولم يزد، علم التاريخ عند المسلمين، لفرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ٦٤٢، فلعله أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن أحمد الحسيني الغرافي، والد علي بن أحمد المتوفى سنة ٧٠٤هـ والذي ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/ ١٧ وابن العماد في الشذرات٦/ ١٠ والسيوطي في حسن المحاضرة ١/ ٣٨٧ وابن القاضي في درة الحجال ٣/ ٢١٥ و٢١٦ وكان شيخ المطري الذي ذكره كثيراً في التعريف.

جبريل، وهو يُرَجِّلُ رأسه[1]، وقد[2] رَجَّلَ أَحَدَ شِقيّه ـ فجاءه جبريل على فرس عليه اللأمة وأثرُ الغُبار، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال له جبريل: غَفَر الله لك! قد وضعتم السلاح؟ قال: نعم، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاحَ بعدُ، وما رجعتُ إلاَّ من طلب القوم، إنَّ الله يأمُرُكَ بالمسير إلى بني قريظة فإني عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم[3]، انتهى.

وفي رواية أخرى: أنه قال: انهض إليهم فلأضَعْضِعَنَّهُم، فَأَدْبَرَ جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زُقاق بني غَنْم من الأنصار، وأصله في البخاري في باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، من رواية أنس قال: كأني أنظُرُ إلى الغُبار ساطعاً في سكة بني غَنم، موكب جبريل[4].

ورواه ابن سعد من طريق حُمَيد بن هلال مُطوَّلاً، لكن ليس فيه أنس، وأوله: «كان بين النبي ﷺ وبين بني قريظة عهد، فلما جاءت الأحزاب نَقَضُوه وظاهروهم، فلما هزم الله الأحزاب تحصَّنوا، فجاء جبريل فقال: يا رسول الله، انهض إلى بني قريظة، فقال: إنَّ في أصحابي جَهْداً، فقال: انهض إليهم فلأضعضعنَّهم، قال: فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطَع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار»[5].

قلت: زقاقهم هو عند موضع الجنائز في شرقي المسجد، كما علم من ذكر منازلهم.

وفي رواية: لما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق والمسلمون، ووضعوا السلاح، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ معتجراً بعمامة من إستبرق على بَغلة عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضَعْتَ السلاحَ يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال: ما

---

(١) خ: شعره.

(٢) ر: قد.

(٣) الأكتفا ٢/١٧٦.

(٤) فتح الباري ٧/٤٠٧ ـ ٤٠٨ وطبقات ابن سعد ٢/٧٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٧٧ باختصار وتصرف.

وضعت الملائكة السلاح بعدُ، وما رجعتُ إلا من طلب القوم[1]، إنَّ الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة، فأمر النبي ﷺ بلالاً فأذَّنَ في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصَلِّيَنَّ العصر إلاَّ في بني قريظة، وقدم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناسُ وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة في رواية[2].

وفي أخرى خمس عشرة[3]، وعند ابن سعد عشرة[4]، حتى أجهدهم الحصار وقُذفَ في قلوبهم الرعبُ، فعرض عليهم رئيسُهم كعبُ بن أسد، وقال لهم: إما أنْ تؤمنوا بمحمد، فوالله إنه نبي، أو تقتلوا نساءكم وأبناءكم وتخرجوا مستقتلين، ليس وراءكم ثَقَلٌ؛ أو تُبَيِّتوا المسلمين ليلة السبت، فقالوا: لا نؤمن ولا نستحلّ السبت، وأي عيشٍ[5] لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟[6].

وأرسلوا إلى أبي لُبَابة بن عبد المنذر ـ أخي بني عمرو بن عَوف من الأوس ـ وكانوا حلفاءهم، فاستشاروه في النزول على حكم رسول الله ﷺ فأشار إلى حَلْقِه، يعني: الذبح، ثم ندم، فتوجه إلى المسجد النبوي، وارتبط بسارية ـ تُعرف به اليوم ـ حتى تاب الله عليه[7]، واستشهد من المسلمين خَلَّاد بن سويد، من بني الحارث بن الخزرج، طَرَحت عليه امرأة من بني قريظة رحىً فقتلته، وأمر ﷺ بقتلها بعد ذلك.

ومات في الحصار أبو سنان بن محصن الأسدي، أخو عُكَّاشة بن محصن، فدفنه رسول الله ﷺ في مقبرة بني قريظة التي تدافن بها المسلمون لما سكنوها، ولم يُصَبْ غيرُ هذين.

فلما اشتدَّ بهم الحصار أذعَنُوا أنْ ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فقال

---

(١) سقطت من ص.
(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣١٣.
(٣) هذه رواية ابن سعد في فتح الباري ٧/ ٤١٣.
(٤) في طبقات ابن سعد ٢/ ٧٦: "أربع عشرة ليلة".
(٥) سقطت من م٢.
(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤١٣ وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٥.
(٧) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤١٣.

الأوس: قد فعلت في موالي الخزرج ـ أي: بني قينقاع ـ ما علمت، فقال: ألا ترضون أنْ يَحْكُمَ فيهم رجلٌ منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ، وكان سعد قد أصابه سهم في أكحله[١] يوم الخندق، فأتاه قومُه، فحملوه على حمار، ثم أقبلوا معه يقولون: يا أبا عمرو، أحسنْ في مَواليك فإنَّ رسول الله ﷺ إنما ولأَكَ ذلك لُتحْسِنَ فيهم، فلما أكثروا قال: لقد آنَ لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فجاء سعد فَرَدَّ رسولُ الله ﷺ الحكمَ إليه، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أنْ يُقتَلَ الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَةٍ[٢] ـ أي: سموات ـ ثم أُسْتُنْزِلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ في المدينة، ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادقَ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق وفيهم عدو الله حُيَيٌّ بن أَخْطَب، فإنه كان قد عاهد كعب بن أسد: لئن رجعت قريش وغطفان لأدْخُلَنَّ معك في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك، فلما رجعت الأحزاب دخل معه حصنه، فكان ذلك، فأمر رسول الله ﷺ بقتل من أنْبَتَ منهم، ومن لم يُنْبتْ استحياهُ ولم يقتل من نسائهم إلاّ امرأةً واحدةً كانت طرحت رَحَىً على خَلَّاد بن سُوَيد»[٣]، كما سبق.

وعند ابن سعد من مرسل حُمَيد بن هلال: أنَّ سعد بن معاذ حكم أيضاً أنْ تكون دارهم للمهاجرين دون الأنصار، فلامه الأنصار، فقال: أحببت أنْ يستغنوا عن دوركم[٤].

وأُخْتُلِفَ في عدتهم، فعند ابن إسحاق: كانوا ست مئة[٥].

---

(١) الأكحل: عرق في وسط الذراع.

(٢) عن الرواية الأخرى لهذا الحديث، انظر: **فتح الباري ٦/ ١٦٥**.

(٣) **السيرة النبوية ١/ ٦٩٠ ـ ٦٩١**.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤١٤ وفيه: "أن تستغنوا عن دورهم"، وانظر: **طبقات ابن سعد ٢/ ٧٧ ـ ٧٨**.

(٥) في السيرة ١/ ٦٩٠: "وهم ست مئة أو سبع مئة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة" وانظر: **طبقات ابن سعد ٢/ ٧٥**: "فكانوا ما بين ست مئة إلى سبع مئة".

وعند ابن عائذ من مرسل قتادة: كانوا سبع مئة[١].

وقال السهيلي: المكثر يقول: إنهم ما بين الثمان مئة إلى التسع[٢] مئة[٣].

وفي النسائي وابن ماجه بإسناد صحيح: أنهم كانوا أربع مئة مقاتل[٤]، وكان الزبير بن باطا القرظي قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شَماس في الجاهلية يوم بُعَاث، فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة ـ وهو شيخ كبير ـ وذكَّره بذلك، ثم ذهب فاستوهبه من رسول الله ﷺ فوهبه إياه، فأتاه فقال: شيخ كبير لا أهلَ له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فاستوهب له امراته وولده، فقال: أهل بيت بالحجاز لا مالَ لهم، فما بقاؤهم؟ فاستوهب له ماله، فأتاه فأعلمه، فقال: أيْ ثابت! ما فعل فلان وفلان، وصار يذكر قومه ويصفهم، فقال له: قُتِلوا، قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلاَّ ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فقدَّمه ثابت فضرب عنقه[٥].

ثم قسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأسْهَمَ للخيل، فكان أولَ فَيءٍ[٦] وقعت فيه السُّهْمَان[٧]، وأخرج منه الخُمس، واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، إحدى نساء بني عمرو ابن قُريظة، فكانت عنده حتى توفي، وكان يحرص عليها أنْ يتزوجها، فقالت: تتركني في ملكك فهو أخفُّ عليَّ وعليك فتركها[٨].

وقد كانت حين سَبَاها كرهت الإسلام، فوجد رسول الله ﷺ بذلك من

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤١٤.

(٢) سقطت من ص.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤١٤، ص: السبعماية.

(٤) في فتح الباري ٧/ ٤١٤: "وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربع مئة مقاتل".

(٥) تاريخ الطبري ١/ ١٤٩٥وما بعدها.

(٦) في فتح الباري ٧/ ٤١٤ ومنه نقل السمهودي: "واسهم للخيل فكان أول يوم وقعت فيه السهمان لها".

(٧) جمع سهم وهو النصيب.

(٨) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ٧٦ب.

أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: إنَّ هذا لثعلبة ابن شعية[١] يبشرني بإسلام ريحانة، فكان كذلك[٢].

وقيل: إن النبي ﷺ أعتقها وتزوجها، وإنها ماتت في حياته مَرْجِعَه من حجة الوداع، وهو الأثبت عند الواقدي[٣].

وبعضهم يقول: هي من بني النضير.

ولما انقضى شأن بني قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ فمات شهيداً.

وفي البخاري ما يقتضي أنَّ قريظة كانوا قد حاربوا قبل ذلك مع بني النضير، وأنَّ النبي ﷺ مَنَّ عليهم، ولم أرَ التصريح بذلك، ولم يتعرض له الحافظ ابن حجر في شرحه.

وقد قدَّمنا في بني النضير من رواية ابن مردويه[٤] ما يشهد له.

ولفظ البخاري: عن ابن عمر، قال: حاربت بنو النضير وقريظة، فأجلىَ بني النضير وأقرَّ قريظة ومنَّ عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم وقَسَّمَ نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين، إلاَّ بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلَّهم: بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكلَّ يهوديٍّ بالمدينة[٥]، انتهى.

ورواه أبو داود بنحوه، إلاَّ أنه قال: حتى حاربت قريظة بعد ذلك، يعني: بعد محاربتهم الأولى وتقريرهم[٦].

---

(١) ر: سعبه، س: شعبة، م٢: سعيد، وهو ثعلبة بن سعيه أو شعية (شعيا) انظر: معرفة الصحابة ٢/٢٧٦ ٣/٢٦٨، مع المصادر التي ورد فيها الخبر وترجمت له، وتجريد أسماء الصحابة ١/٦٧ للذهبي.

(٢) الروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ٧٦ب.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/٢١٨ وانظر: الإصابة لابن حجر ٤/٣٠٩ فقد أورد كل الأقوال فيها.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٣٣١ عن ابن مردويه، وقد مرَّ ذكره.

(٥) جامع الأصول ٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ وفيه: "كل يهودي كان بالمدينة".

(٦) سنن أبي داود، الخراج والإمارة والفيء ٢٦١١ وصحيح البخاري، المغازي ٣٧٢٤ وصحيح مسلم، الجهاد والسير ٣٣١٢، انظر: كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٤٣ : "لمظاهرتهم الأحزاب عليه وكانوا في عهد منه".

ويؤخذ من ذلك أنَّ إجلاء من بقي من طوائف اليهود بالمدينة كان بعد قتل قريظة.

وفي البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «بينما نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا حتى إذا جئنا بيتَ المِدْرَاس[1]، قال: أسلموا تسلموا[2]، واعلموا أنَّ الأرض لله ولرسوله وأني أُريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلاَّ فاعلموا أنَّ الأرض لله ولرسوله»[3].

وهو مقتضٍ أنَّ ذلك كان بعد خيبر؛ لأنَّ إسلام أبي هريرة بها في السنة السابعة والله أعلم.

ثم كانت سرية عبيد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بعُرَنَة[4]، وفيها سقط رسولُ الله ﷺ عن فرسه فجُحِش[5].

وفيها دَفَّتْ دَافَّةُ العرب[6]، فنهى عن ادِّخار لُحُومِ الأضاحي فوقَ ثلاثٍ.

قلت: وتزوج زينبَ بنت جَحْش، وهي بنت عمَّتِهِ أُميمة[7].

وقيل: في الثالثة، وبسببها نزلت آية الحجاب، وأسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، والله أعلم.

---

(١) المدراس: هو المدراش بالعبرية وجمعه مدراشيم والفعل دارش أي بحثَ أو فسَّر، وتعني مكان تدارس التوراة، والأصل: مكان لدراسة المشنا، ولذلك يسمى: مدراش مشنا.

(٢) سقطت من ص.

(٣) جامع الأصول ٨/ ٢٢٤ مع تخريجه عن البخاري في ثلاثة مواضع ومسلم وأبي داود وانظر شرحه في: فتح الباري ١٣/ ٣١٤.

(٤) وادٍ بحذاء عرفات، معجم البلدان ٤/ ١١١، وفي الحديث: «عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عُرَنَة» وانظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٥٠ ـ ٥١ وتاريخ المدينة ٢/ ٤٦٧ وما بعدها.

(٥) جحش: أي انخدش جلده وانسحَج وانقشر، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٤١. وفيه ذكر الحديث: «أنه ﷺ سقط من فرس فجُحِشَ شقُّه».

(٦) الدافة: قوم من الأعراب يَردون المِصر، يريد أنهم قوم قدموا المدينة عند الأضحى لذلك نهاهم عن إدخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٢٤.

(٧) س،ر، م١،س، ت: آمنة، م٢: امية، وانظر عنها: الإصابة ٤/ ٣١٣ والاستيعاب ٤/ ٣١٤.

السنة السادسة: في أولها أُتِيَ رسول الله ﷺ بثُمَامة بن أُثَال[1] أسيراً[2]، ثم كسفت الشمس ثانية بعد الكسوف الذي كان يوم مات ابنه إبراهيم.

قلت: لعل في النسخة خللاً ـ لما سنذكره من ولادة إبراهيم في الثامنة ووفاته في العاشرة[3] ـ فالكسوف في السادسة هو الكسوف الأول، وفيها نزل حكم الظِّهار، والله أعلم.

وفيها قَتَل المشركون سرية محمد بن مسلمة، فلم يُفْلِتْ[4] منهم غيره، وكانوا عشرة.

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب إلى فَدَك في مئة رجل.

ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُوَمة الجَنْدَل، فظهر عليهم فزوَّجَهُ رسول الله ﷺ تُمَاضر بنت الإصبغ بن عمرو الكلبي وهو ملكهم.

ثم أَجْدَبَ الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في رمضان في موضع المصلَّى فَسُقُوا.

ثم أرسل زيد بن حارثة في سرية، فَسَبَى سلمةُ بن الأكوع في تلك السرية بنت مالك بن حذيفة.

ثم كانت الحُدَيْبِيَة.

ثم أغار عُيَينةُ بن حِصْنٍ الفزاري على لِقَاحِ رسول الله ﷺ فاستنقذها.

قلت: قد قدَّمنا في حدود الحرم[5]: أنَّ لقاحه ﷺ كانت ترعى بالغابة وما حولها، فأغار عليها عُيينة يومَ ذي قَرَد[6]، وهو الموضع الذي كان فيه القتال،

---

(١) أورد ابن شَبَّة في تاريخ المدينة ٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٩ أخباره بطولها مع المصادر التي ذكرتها، وانظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣/ ٢٨٩.

(٢) الاكتفا ٤٣٤ ـ ٤٣٥ والأسماء المبهمة للخطيب البغدادي ٤٠ وفتح الباري ٨/ ٨٧.

(٣) انظر: معرفة الصحابة ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٦ مع مصادر ترجمته.

(٤) ر: يقتل.

(٥) في الفصل العاشر والحادي عشر من الباب الثالث.

(٦) انظر: السيرة النبوية ١/ ٧١٩ وما بعدها، ومنها ينقل السمهودي.

سمِّيت الغزوة به، وتسمى أيضاً: غزوة الغابة.

قال ابن إسحاق: لما قدم رسول الله[1] ﷺ من غزوة بني لَحيَان ـ وكان في شعبان سنة ست ـ لم يُقِمْ إلاَّ لياليَ قلائل حتى أغار عُيينة في خيل من غَطَفان على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة[2]، وفيها رجلٌ من بني غفار وامرأته، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في اللقاح، وكان أول من نُذِرَ بهم سَلَمةُ بن الأكوع، غدا يريد الغابة مُتَوَشِّحاً قوسَه ونبلَه حتى إذا علا ثَنِيَّة الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سَلع، ثم صَرَخ: وَاصَبَاحَاه! ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم حتى لحقهم، فجعل يردُّهُم بالنبل ويقول إذا رمى:

خُـذهـا وأنـا ابـنُ الأكـوعِ والـيـوم يـوم الـرُّضَّـعِ[3]

فإذا وُجِهَت الخيل نحوه هرب ثم عارضهم، وهكذا[4].

وبلغَ رسول الله ﷺ صياحه، فصرخ بالمدينة: الفزع! الفزع! فترامت الخيل إليه، فلما اجتمعوا أمَّرَ عليهم سعد بن زيد الأشهلي[5]، وقال: اخْرُجْ في طلب القوم حتى ألْحَقَكَ في الناس، فَقَتَل أبو قتادة رضي الله عنه حبيبَ بن عُيينة بن حصن وغشَّاه بُرْدَهُ، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين، فإذا حبيب مُسَجَّى ببرد أبي قتادة[6]، فظنوه هو، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأبي قتادة ولكنه قتيلٌ له، وأدرك عُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه أوباراً وابنه عمر[7] بن أوبار ـ وهما على بعير

---

(١) "رسول الله": ساقطة من س،ر، م١، م٢.

(٢) الغابة: المغانم المطابة ٢٩٩، وهي ما تزال معروفة، وتقع شمال المدينة، غربي جبل أحد، انظر وصفها في آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري ١١٣ ـ ١١٥، واسهب في وصفها في عصرنا إبراهيم بن علي العياشي رحمه الله في: المدينة بين الماضي والحاضر ٥١٦ ـ ٥٢١ فاحسن، وسوف يذكرها السمهودي ويحدد موقعها.

(٣) الرضع: اللئام، كما فسرها ابن حجر، وذكر تفسيرات عديدة لها في فتح الباري ٧/ ٤٦٢ وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ٤٢٠ وغريب الحديث للخطابي ١/ ٦١٦.

(٤) فتح الباري ٧/ ٤٦٠ وما بعدها.

(٥) انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٣٩.

(٦) ص: ببرد أبي قتادة ولكنه قتيل فظنوه.

(٧) ص: عمرو.

واحد ـ فانتظمهما بالرمح، فقتلهما جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح».

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل[1] من ذي قَرَد، وتلاحق به الناس، وأقام عليه يوماً وليلة، وقال له سلمة: يا رسول الله لو سَرَّحتني في مئة رجل لاستنقذت بقيَّة السَّرح وأخذت بأعناق القوم، فقال له ﷺ: «إنهم ليُقْرَوْن[2] في غَطَفان».

فقسَّم ﷺ في أصحابه في كلِّ مئة جزوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع.

وأفلتت امرأة الغفاري على ناقة من اللقاح حتى قدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، وقالت: إني نَذَرتُ لله أنْ أنحرها إنْ أنجاني الله عليها، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: «بئس ما جزيتيها أنْ حَمَلكِ الله عليها ونجَّاكِ بها ثم تنحرينها، إنه لا نذر في معصية الله ولا في ما لا تملكين»[3].

هذه رواية ابن إسحاق[4] وقد ذكر فيها قتل اثنين من المسلمين[5].

وخرَّج مسلم القصة عن سلمة مطوَّلة ومختصرة[6]، وخالف ما ذكره ابن إسحاق في مواضع.

منها: أنها كانت بعد انصرافه ﷺ من الحديبية[7]، وجعلها ابن إسحاق قبلها[8].

ومنها: أنَّ فيه: أنَّ اللقاح كانت ترعى بذي قرد، وكذا هو في البخاري وقال ابن إسحاق: بالغابة، وكذا هو في حديث سلمة الطويل، ولهذا قال عياض: إنَّ

---

(١) في الأصول: بالخيل والتصحيح من عيون الأثر ٢/١٢٦.

(٢) من القرى وهي الضيافة. وفي السيرة النبوية ١/٧٢٢ وعيون الأثر ٢/١٢٧: "ليَغْبَقُون": من الغبوق وهو شرب أول الليل.

(٣) تاريخ المدينة ٢/٤٤١ وعيون الأثر٢/١٢٧ والاكتفا ٢/٢٠٩ ـ ٢١٠ وسنن البيهقي ٤/١٦٢، ١٨٢.

(٤) انظر: السيرة النبوية ١/٧١٩ وما بعدها، وقد تصرَّف السمهودي في النص.

(٥) لم يذكر الرجل الغفاري الذي كان يرعى الإبل (قيل هو ابن أبي ذر: فتح الباري ٧/٤٦١) أومحرز بن نضلة ووقاص بن مجزز المُدلجي (السيرة ١/٧٢١).

(٦) صحيح مسلم ٥/١٨٩؛ ١٩١ ـ ١٩٤ وشرح النووي ٦/٤١٣ ـ ٤١٤؛ ٤١٥ ـ ٤١٨.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٤١٣ ـ ٤١٩.

(٨) هذا القول والذي قبله هو قول الكلاعي في الاكتفا ٢١٠.

الأول غلط، ويمكن الجمع بأنها كانت ترعى تارة هنا وتارة هناك.

ومنها: أنه قال فيه: خرجت قبل أنْ يؤذن بالأولى فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أُخِذتْ لقاح رسول الله ﷺ فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه! فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا بذي قرد يسقون من الماء[1].

وفي رواية لمسلم ما يقتضي أنَّ سَلَمة كان مع السرح لمَّا أُغير عليه، وأنه قام على أكَمَةٍ وصاح: واصباحاه! ثلاثاً[2]، وهذا يرجِّح أن السرح كان بالغابة، ويبْعُدُ كونه بذي قَرَد، ولو كان بذي قرد لما أمكنه لحوقهم.

ومنها: أنَّ فيه: أنه استنقذ سرح رسول الله ﷺ بجملته.

ومنها: أنه قال فيه: فرجعنا إلى المدينة، فوالله ما لبثنا بها إلاَّ ثلاثَ ليالٍ حتى خرجنا إلى خَيبَر مع رسول الله ﷺ[3].

وقال: القرطبي[4]: لا يختلف أهل السِيَر أنَّ غزوة ذي قَرَد كانت قبل الحديبية[5]، انتهى.

وما في الصحيح من التاريخ لهـا أصحُّ ممَّا في السِيَر، ويمكن الجمع بتكرر الواقعة، ويؤيده أنَّ الحاكم ذكر في الإكليل: أنَّ الخروج إلى ذي قَرَد تكرر، ففي الأولى: خرج إليها زيد بن حارثة قبل أُحُدٍ، وفي الثانية: خرج إليها النبي ﷺ في ربيع الآخر سنة خمس، والثالثة هي المختلف فيها[6]، انتهى، والله أعلم.

ثم كانت قصة العُرنيِّين.

---

(١) فتح الباري ٦/ ١٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٧/ ٤٦٠.

(٣) انظر شرح الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦.

(٤) في فتح الباري ٧/ ٤٦٠: قال القرطبي شارح مسلم...". وهو: المُفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ومنه نسخ ذكرها سزكين في كتابه ١/ ١٣٧.

(٥) جمع السمهودي بين شرحي ابن حجر والنووي وزاد عليهما، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٤٢١٣ ـ ٤٢٣وفتح الباري ٧/ ٤٦٠ ـ ٤٦٣.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤٦١.

قلت: وذلك أنَّ ثمانية منهم ـ وفي رواية: من عُكْل[1] ـ قدموا فأسلموا واجتووا[2] المدينة، وقالوا: إنَّا كنا أهل ضَرعٍ ولم نكن أهلَ ريفٍ، فبعثهم النبي ﷺ إلى لقاحه ـ وفي رواية: إبل الصدقة[3]، وكأنهما كانا معاً، فصحَّ الإخبار بالبعث لكل منهما ـ ليشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صَحُّوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في طلبهم كُرزَ بن جابر الفهري في عشرين، فأتى بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسَمْلِ أعينهم وطَرْحِهم في الحَرَّة، يستسقون فلا يُسقَون، حتى ماتوا[4].

هذا محصَّل ما في الصحيح[5].

وذكر أهلُ السِيَر: أنَّ اللقاح كانت ترعى ناحية الجمَّاوات[6].

وفي رواية: بذي الجدر[7] غربي جبل عَير، على ستة أميال من المدينة[8].

وذكر ابن سعد عن ابن عقبة: أنَّ أمير الخيل يومئذٍ سعيدُ بن زيد[9] ـ أحدُ العَشرة[10] ـ فأدركوهم فَربطوهم وأردفوهم على خيلهم، وردُّوا الإبل، ولم يفقدوا منها إلاَّ لِقْحَةً واحدةً من لقاحه ﷺ تدعى: الحناء، فسأل عنها، فقيل: نحروها،

---

(١) قال ابن حجر: «عكل قبيلة من تيم الرباب من عدنان وعرينة من بجيلة من قحطان».

(٢) اجتوى: استوخم، أي أصابهم الجوى: وهو المرض وداء الجوف، النهاية في غريب الحديث ١/٣١٨.

(٣) فتح الباري ١/٣٣٨.

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤/٢٢٦ ـ ٢٣١ والمعجم الصغير للطبراني ٥١ والمصنف لابن أبي شيبة ٥/٤٥٥ والاكتفا ٢/٤٣٦ ـ ٤٣٧ وتحقيق النصرة للمراغي ١٥٦ ـ ١٥٧ والأسماء المبهمة للخطيب البغدادي ٣٣٤ ـ ٣٣٥ مع مصادر ورود الخبر.

(٥) انظر: فتح الباري ١/٣٣٥؛ ٧/٤٥٨ مع شرحه، ١٢/١٠٩ ـ ١١٣.

(٦) السيرة النبوية ١/٩٩٨ ـ ٩٩٩: "ناحية الجمَّاء".

(٧) في طبقات ابن سعد ٢/٩٣: "بذي الجدر ناحية قباء قريباً من عير".

(٨) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ١٥٦.

(٩) لم يرد هذا الخبر عن ابن عقبة في طبقات ابن سعد ٢/٩٣ وقد ورد في فتح الباري ١/٣٤٠: "وفي مغازي موسى بن عقبة: أن أمير هذه السرية سعيد بن زيد".

(١٠) أي: العشرة المُبَشَّرة بالجنة، انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٥١، ١٧٠.

فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله ﷺ بالغابة[١].

قال بعضهم: وذلك مرجعه من غزوة ذي قَرَد، فخرجوا بهم نحوه، فلقوه بالزغابة، فقُطِعت أيديهم وأرجلهم وسُمِلَت أعينهم وصُلِبوا هناك[٢]، والله أعلم.

ثم غزا بني المصطلق، ومرَّ رسولُ الله ﷺ في انصرافه على المُرَيْسِيع وفيها كانت قصة الإفك.

قلت: قد قدَّم غزوة المريسيع في السنة الخامسة، وذكر أنَّ فيها نزلت آية التيمم، وقد[٣] اقتضى كلامه أنَّ المريسيع وقعت مرتين: في الأولى التيمم وفي الثانية الإفك، وفيه جَمَع بين ما ذكره كثيرٌ من أهل السِيَر من أنَّ المريسيع سنة خمس وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحاق: أنها سنة ست، لكن قد ثبت في **الصحيح**: أنَّ سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عُبادة في أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيع التي هي غَزَاة بني المصطلق سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع في **الصحيح** من ذكر سعد بن معاذ غلطاً، لأنَّ سعد بن معاذ مات أيام قريظة، وكانت سنة خمس، وقيل: أربع، فالأشبه أنَّ بني المصطَلق والمريسيع واحد، كلاهما في سنة خمس[٤].

وقد ذكر ابن عبد البر في **التمهيد**[٥]: أنَّ التيمم كان في غزاة بني المصطلق، وجزم به في **الاستذكار**[٦]، وسبقه إليه ابن سعد وابن حِبَّان[٧].

وفي البخاري: غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٩٣.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ١/ ٣٤٠: "وزعم الواقدي أنهم صُلبوا والروايات الصحيحة ترده".

(٣) س، ر: فقد.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٥) هو: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، نشرته وزارة الأوقاف في المغرب سنة ١٩٧٢ وما بعدها.

(٦) هو: الاستذكار لمذهب علماء الأمصار في ما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، طبع منه الجزء الأول والثاني في القاهرة سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ تح علي النجدي ناصف.

(٧) نقلاً حرفياً من فتح الباري ١/ ٤٣٢.

(٨) في فتح الباري ٧/ ٤٢٨: "غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع".

وفي الطبراني حديث: «كنا مع النبي ﷺ في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق، وبنو المصطلق بطنٌ من خُزاعة، وكان رئيسهم الحارث بن أبي ضرار، وكان معه عليه الصلاة والسلام بَشَرٌ كثيرٌ، خرج بهم إليهم لما بلغه أنهم يَجْمَعون له، وكان معه ثلاثون فَرَساً وأم سَلَمة وعائشة، فهزمهم وأسرَ من الكفار جمعاً عظيماً، وتزوج جُويريةَ بنت الحارث رئيسهم، فأعتق الناس ما بأيديهم من الأسرى لمكانها».

وفي هذه الغزاة، قال ابنُ أبيّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[1]، وقال: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾[2]، وذلك أنَّ ابن أُبيّ خرج في عصابة من المنافقين مع رسول الله ﷺ، فلما رأوا أنَّ الله قد نَصَرَ رسولَه وأصحابَه، أظهروا قولاً سيّاً، واقتتل رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار، فظهر عليه المهاجري، فقال ذلك ابن أُبَيَ لقومه، فأخبر زيد بن أرقم بذلك النبي ﷺ، فأجهد[3] ابن أبي يمينه ما فعل، فحزن زيد بن أرقم لذلك، فأنزل الله تصديقه، واستأذن عبد الله بن أُبيّ النبي ﷺ في قتل أبيه ـ في ما رواه عروة بن الزبير ـ فقال له رسول الله ﷺ: «لا تقتل أباك»[4].

ولما كان بينهم وبين المدينة يوم[5] تعجَّل عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ حتى أناخ على مَجَامع طرق المدينة حتى إذا جاء أبوه، فقال له ابنه: لا والله، لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وتعلمَ اليوم مَنْ الأعزَّ مِنْ الأذلّ! فقال له: أنت من بين الناس؟ فقال: نعم، أنا من بين الناس، فانصرفَ عبدُ الله حتى لقيَ رسولَ الله ﷺ فاشتكى إليه ما صنعَ ابنُهُ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ابنه: أنْ خَلِّ عنه؟ فدخل المدينة، رواه ابن شَبَّة[6].

---

(١) سورة المنافقين ٨.

(٢) سورة المنافقين ٧.

(٣) س،ر: فاجتهد.

(٤) تاريخ المدينة ١/ ٣٦٥ وكتاب العفو والاعتذار ١/ ١٢١ ـ ١٢٥.

(٥) ص: يوماً.

(٦) تاريخ المدينة ١/ ٣٦٧: "فدخل فلبث ما شاء الله أن يلبث" ومسند الحميدي ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١.

وفي هذه السنة فُرِضَ الحج على الصحيح، كما سيأتي، والله أعلم.

السنة السابعة: فيها قصة أبي سفيان مع هرقل في الشام[(١)]، وفي أولها كَتَبَ رسول الله ﷺ إلى الملوك وبعثَ إليهم رسلَهُ، ثم كانت خيبر.

قلت: واستصفى صَفِيَّةَ بنت حُيَيِّ بن أخطب من المغنم، فأعتقها وتزوجها، وجاءته مارية القبطية هدية، وبغلته دلْدُل، وأسلم أبو هريرة، وسَمَّته[(٢)] ﷺ زينب بنت الحارث زوجة سَلَّام بن مشكم[(٣)]، ثم سار[(٤)] النبي[(٥)] ﷺ إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي وأصاب غلامَهُ مدعم سهمٌ غَربٌ[(٦)] فقتله، وفي رجوعه إلى المدينة كان النوم عن صلاة الصبح.

وروى بعضهم أنه كان في الرجوع من غزوة تبوك، وقال الواقدي: وفي المحرَّم منها جاء رؤساء اليهود إلى لَبيد بن الأعصم ـ وكان حليفاً في بني زريق، وكان ساحراً ـ فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أسْحَرُنا، وقد سحرنا محمداً فلم نصنع شيئاً، ونحن نجعل لك جُعْلاً على أنْ تسحره لنا سحراً ينكَؤُهُ، فجعلوا له ثلاثة دنانير، وذكر قصة سحره[(٧)].

وفي رواية عن الزهري بإسناد صحيح: أنَّ المدة التي مكث النبي ﷺ فيها في السحر سنة، وفي رواية: أربعين ليلة[(٨)]، والله أعلم.

وفيها جاءته أمُّ حَبيبة بنت أبي سفيان، وتزوج بها، ثم كانت عُمرة القَضيَّة، وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية فيها.

---

(١) القصة مشهورة في كتب السيرة.

(٢) يشير إلى دسِّ السمِّ في ذراع الشاة للنبي ﷺ، انظر: السيرة النبوية ١/ ٧٦٤ والروض الأنف ٦/ ٥٧٠.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٢٠١.

(٤) ص، خ: صار.

(٥) سقطت من س، ر، م٢.

(٦) سهم غَرب: سهم طائش لا يُعرف من رماه.

(٧) طبقات ابن سعد ٢/ ١٩٧.

(٨) فتح الباري ١٠/ ٢٢٦ فقد ذكر أقوالاً أخرى.

السنة الثامنة: فيها كانت مُؤتة، ثم كان الفتح، ثم غزوة هوازن، ثم غزوة الطائف، وأمَّرَ على مكة عتاب بن أُسيد، وأسلم مالك بن عوف النَّصرِي[1]، وتألَّفَ المؤلفة من غنائم هوازن، ثم انصرف إلى المدينة في آخر ذي القعدة.

قلت: وفي هذه السنة وُلِدَ ابنُه إبراهيم من مارية القبطية، وحُلِقَ راسُه يوم سابعه، وتصدَّقَ بزنة شعره فضَّة، وعقَّ[2] عنه بكبشين، ومات في عاشر ربيع الأول من السنة العاشرة وسنُّه عام ونصف؛ وقيل: عام وثلث.

وفي الثامنة أيضاً، توفيت ابنته زينب، وهي أكبر أولاده، وكانت زوجَ أبي العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، الذي أثنى عليه النبي ﷺ في صهارته؛ تزوجها قبل البعثة، ولما قَدِمَ عليها مسلماً ردَّها النبي ﷺ بالنكاح الأول[3] على الصحيح لقدومه عَقِبَ تحريم المسلمات على المشركين وذلك بعد صلح الحديبية، والله أعلم.

السنة التاسعة: فيها هَجَر نساءه شهراً، ثم تتابعت الوفود، ثم فُرِض الحج.

قلت: قد أُخْتُلِفَ في وقته، فقيل: قبل الهجرة، وهو غريب، والمشهور بعدها، فقيل: سنة خمس، وجزم به الرافعي في موضع، وقيل: ست، وصححه الرافعي في موضع آخر، وكذا النووي، وقيل: سبع، وقيل: ثمانٍ، وقيل: تسع، وصححه عياض، والله أعلم.

وأمر رسول الله ﷺ على الحج أبا بكر رضي الله عنه، ثم نزلت براءة فأرسل رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه لينبذ إلى الناس عهدهم[4].

قلت: وفيها، في شهر رجب كانت صلاته ﷺ على النجاشي[5]، وغزوة

---

(١) كان رئيس المشركين يوم حنين، تجريدأسماء الصحابة ٢/٤٧ والإصابة ٣/٣٥٢.

(٢) العقيقة: ما يذبح في اليوم السابع للمولود أو المولودة، والسنة أن يذبح عن البنت شاة وعن الغلام شاتان.

(٣) سقطت من ص.

(٤) في طبقات ابن سعد ٢/١٦٨ من قول علي: "بعثني أقرأ براءة على الناس وانبذ إلى كلِّ ذي عهد عهده".

(٥) الجملة: "صلاته ﷺ على النجاشي"، سقطت من ص.

تبوك، وهي آخر غزواته ﷺ على ما ذكر ابن إسحاق[1] والله أعلم.

السنة العاشرة: في أولها قدم عَديُّ بن حاتِم بوفد طيِّء، ثم قدم وفد بني حَنيفة، ثم وفد غسان، ثم وفد نَجْران الذين كانت فيهم قصة المبَاهَلة، ثم جاء جبريلُ يعلِّمُ الناسَ دينَهُم، ثم غزا رسولُ الله ﷺ تبوكاً.

قلت: وهو مخالفٌ لِمَا قَدَّمناه عن ابن إسحاق من كونها في التاسعة، والله أعلم.

ثم أَذِنَ رسولُ الله ﷺ للناس بالحج في حَجَّة الوداع ورجع، ثم مرض في صفر لعشر بقين منه، وتوفيَ ﷺ لاثنتي عشرة ليلة خَلَت من ربيع الأول يوم الاثنين.

انتهى ما ذكره رزين عن أبي حاتم.

قلت: وشهر ربيع هذا من الحادية عشرة[2]، وكان ابتداء مرضه في بيت ميمونة، وقيل: زينب بنت جحش، وقيل: ريحانة[3].

وذكر الخطابي: أنَّ ابتداءه يوم الاثنين، وقيل: السبت، وقيل: الأربعاء[4].

وحكى في **الروضة**[5] قولين في مدته، فقيل: أربعة عشر، وهو الذي صَدَّر به، وقيل: ثلاثة عشر، وعليه الأكثر، وقيل: عشرة، وبه جزم سليمان التيمي[6].

ومقتضى ما تقدم أنَّ المدة تزيد على عشرين يوماً، ولم أرَ من صَرَّح به ولا خلافَ في أنَّ الوفاةَ كانت يوم الاثنين، وكونه من ربيع الأول، كاد يكون إجماعاً، لكن في حديث ابن مسعود عند البزار: «في حادي عشري رمضان» وكونها في ثاني عشر ربيع الأول هو ما عليه الجمهور[7].

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٨٩٣.

(٢) س، ر: عشر.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٨/ ١٢٩.

(٤) نقلاً من المصدر نفسه، و«وقيل الأربعاء» هو قول الحاكم، كما في فتح الباري ٨/ ١٢٩.

(٥) للنووي، وقد سبق التعريف بها.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٨/ ١٢٩.

(٧) نقلاً من المصدر نفسه.

وذهب جماعة إلى أنها في أوله[1].

ورواه يحيى عن ابن شهاب، وقال: «حين زاغت الشمس».

وعن أسماء بنت أبي بكر: أنه توفي للنصف من ربيع الأول.

وقيل: ثانيه، ورجَّحَه السهيلي، واستشكل قول الجمهور بأنهم اتفقوا على أنَّ الوقفةَ في حجة الوداع كانت الجمعة[2]، فأول ذي الحجة الخميس، فمهما فرضت الشهور الثلاثة تَوَامٌّ أو نواقص، أو بعضها، لم يَصِحّ كون الوفاة يوم الاثنين مع كونه ثاني عشر ربيع الأول[3].

وأجاب البارزي[4] باحتمال وقوع الثلاثة كوامل، واختلاف أهل مكة والمدينة في هلال ذي الحجة؛ فرآه أهل مكة ليلة الخميس، ولم يره أهل المدينة إلاَّ ليلة الجمعة، فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها، فكان أول ذي الحجة الجمعة، وهو وما بعده كوامل؛ فأول ربيع الأول الخميس، وثاني عشرِهِ الاثنين، ولا يخفى بعدُ هذا الجواب[5].

وقد جَزَمَ سليمان التيمي - أَحَدُ الثقات - بأنَّ بدءَ مرضه ﷺ كان يوم السبت الثاني والعشرين من صَفَر، ومات يوم الاثنين لليلتين خَلَتَا من ربيع الأول، ومنه يُعْلَمُ أنَّ صَفر كان ناقصاً، ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلاَّ إنْ كان ذو الحجة والمحرم ناقصين؛ فيلزم عليه نقص ثلاثة أشهر متوالية[6].

---

(١) فتح الباري ٨/١٢٩: «وعند موسى بن عقبة والليث والخوارزمي وابن زبر: مات لهلال ربيع الأول».

(٢) س،ر، ص: بالجمعة.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٨/ ١٢٠، وانظر: الروض الأنف ٧/ ٥٧٩.

(٤) هو هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجُهَني، شرف الدين ابن البارزي الشافعي المتوفى بحماة سنة ٧٣٨هـ، مؤلف توثيق عرى الإيمان في فضائل حبيب الرحمن، منه جملة من النسخ المخطوطة ذكرها بروكلمان ٢/ ٨٦ وملحقه ٢/ ١٠١، وعنه انظر: طبقات الشافعية ١٠/ ٣٨٧ مع مصادر ترجمته ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٣٩ مع مصادر ترجمته أيضاً.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٨/ ١٢٩ وفيه: «وهذا الجواب بعيد من حيث أنه يلزم توالي أربعة أشهر كوامل».

(٦) نقلاً حرفياً من فتح الباري ٨/ ١٢٩ - ١٣٠.

وأما على قول من قال: أول ربيع الأول، فيكون اثنان ناقصين وواحد كاملاً، وكذا على من قال: للنصف منه[1].

وقال البدر ابن جماعة[2]: يُحمل قول الجمهور لاثنتي عشرة ليلة خلت: أي بأيامها، فيكون موته في اليوم الثالث عشر، وتُفرض الشهور كوامل، فيصحُّ قول الجمهور[3].

ويعكِّر عليه ما فيه من مخالفة أهل اللسان في قولهم: "لاثنتي عشرة"، فإنهم لا يفهمون منها إلاَّ مضي الليالي، وأنَّ ما أُرِّخَ بذلك يكون واقعاً في الثاني عشر.

قال الحافظ ابن حجر: فالمعتمد قول أبي مِخْنَف: أنه في ثاني ربيع الأول، وكأنَّ سبب غلط غيره تغيير ذلك إلى الثاني عشر[4]، وتبع بعضهم بعضاً في الوهم[5].

وغسله ﷺ عليٌّ بوصيِّه، والعباس وابنُه الفضل يُعينانِه[6]، وقُثَم وأُسَامة وشقران يَصُبُّون الماء، وكُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُوليةٍ ليس فيها قميص ولا عمامة؛ وسَحُول: بلدة باليمن[7].

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٣٠.

(٢) هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٣٣هـ، مؤلف المنهل الرويّ في علوم الحديث النبوي و تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، انظر: بروكلمان ٢/ ٧٤ وملحقه ٢/ ٨٠ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٠١ مع مصادر ترجمته، فلعل هذا القول ذكره في كتابه: مختصر في سيرة النبي ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية، الفهرس الثاني ٥/ ٣٣٥.

(٣) نقلاً حرفياً من فتح الباري ٨/ ١٣٠.

(٤) قول ابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٣٠ أوضح من هنا لأنه يريد حصول التصحيف في "ثاني شهر" فقال: "فالمعتمد ما قال أبو مخنف، وكأن سبب غلط غيره أنهم قالوا مات في ثاني شهر ربيع الأول فتغيرت فصارت ثاني عشر ربيع الأول. . ."

(٥) نقلاً من فتح الباري ٨/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٦) س،ر، ص: يعيناه.

(٧) في حاشية س جاء: "سحول قرية من أعمال اب وجبلة بينهما مسيرة نحو نصف يوم". وانظر عنها معجم البلدان ٣/ ١٩٥.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه: كُفِّنَ في ثوبين صحاريين مما يُصْنَعُ بعمان من كُرسُف[1] وبرد حِبَرة.

وفي **الأكليل** ـ ورواه يحيى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كفن في سبعة أثواب، وصُلِّيَ عليه في حُجْرَتِه بغير إمام.

ونقل الأقشهري عن الحسين بن محمد الصدفي: أنه ﷺ صُلِّيَ عليه في وسط الروضة من مسجده، ثم حُمِلَ إلى بيته ودُفِنَ فيه[2].

قلت: هذا إنما هو معروف في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفي مستدرك الحاكم ومسند البزار، بسند ضعيف: أنه ﷺ أوصى أنْ يُصَلَّى عليه إرسالاً بغير إمام[3]، ودفن ﷺ ليلة الأربعاء، وقيل: يومها، وقيل: يوم الثلاثاء بعد أنْ عُرِفَ الموت في أظفاره.

وقال قائلون: ندفنه بمسجده، وآخرون بالبقيع، ثم اتفقوا على دفنه ببيته فحمل بالفِراش، وحُفِرَ له في موضع الفراش[4].

وروى يحيى عن ابن أبي مليكة: أنَّ النبي ﷺ قال: «ما هلك نبي إلاَّ دُفن حيث تُقبض روحه[5]، وأوصى رسول الله ﷺ في مرضه: بإخراج المشركين من جزيرة العرب» كما في **الصحيح** من حديث ابن عباس أنه ﷺ أمر بذلك، ولفظه: وأمرهم بثلاثٍ، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم[6]، والثالثة إما سكت عنها، وإما أنْ قالها فنسيتها».

قال سفيان: هذا ـ أي قوله والثالثة إلى آخره ـ من قول سليمان، أي: شيخ سفيان.

---

(١) الكرسف هو القطن.

(٢) الروضة الفردوسية ورقة ٨٥ب ـ ٨٦أ.

(٣) المستدرك ٣/ ٦٠ وقال الذهبي فيه: "فلو استحى الحاكم لما أورد مثل هذا".

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ والروضة الفردوسية ورقة ٧٩ب، ٨١أ.

(٥) انظر: الكامل لابن عدي ٢/ ٣٤٩.

(٦) فتح الباري ٦/ ١٧٠، ٨/ ١٣٢.

قال الداوودي: الثالثة هي الوصية بالقرآن[1].

وقال المهلب: بل هي تجهيز جيش أسامة، وقوّاه ابن بطّال: بأنَّ الصحابة لما اختلفوا على أبي بكر في تنفيذ جيش أسامة، قال لهم أبو بكر: إنَّ النبي ﷺ عهد بذلك عند موته[2].

وقال عياض: يُحتَملُ أن يكون قوله: "لا تتخذوا قبري وثناً"[3] فإنها ثبتت في الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود[4]، ويحتمل أن يكون ما وقع في حديث أنس أنها قوله: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»[5].

والذي أجلى المشركين من جزيرة العرب هو عمر رضي الله عنه، ففي **الصحيح** من حديث ابن عمر: أنَّ عمر بن الخطاب أجلى اليهودَ والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يُخرجَ اليهود منها، وكانت الأرض لما ظهر عليها لله وللرسول وللمسلمين فسأل اليهود رسول الله ﷺ أنْ يتركهم على أنْ يكفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله ﷺ: «نقركم على ذلك ما شئنا فأُقِرُّوا حتى أجلاهم عمرُ في إمارته إلى تيماء وأريحا»[6].

وفي **الصحيح** أيضاً عن ابن عمر: لما فَدَعَ[7] أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ كان عاملَ يهود خيبر على أموالهم وقال: نقركم على[8] ما أقرّكم الله وإنَّ عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فَعُدِيَ عليه

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٨/ ١٣٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مسند أحمد ٢/ ٣٢٤ عن أبي هريرة ومسند الحميدي ٢/ ٤٤٥ عن أبي هريرة.
(٤) الموطأ ٣١١ والتاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٢/ ٥٧.
(٥) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٢٧١، ٨/ ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٦) البيان والتحصيل ٢/ ٥٧٧ وفتح الباري ٥/ ٢١.
(٧) الفدع بالتحريك: زيَغٌ بين القدم وبين عظم الساق، وكذلك في اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها، انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٢٠.
(٨) ساقطة من س، ر.

في[1] الليل، فَفُدِعَت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك، أتاه أحدُ بني الحُقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أتُخرجُنَا وقد أقَرَّنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال، وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظَنَنتَ أني نسيتُ قولَ رسول الله ﷺ: كيف بك إذا أُخرجْتَ من خيبر تَعدُو بك قَلوصُك ليلة بعد ليلة؟ فقال: كانت هذه هُزَيلةً من أبي القاسم ﷺ فقال: كذبت يا عدو الله[2]، فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعُروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك[3].

وظاهر هذا أنَّ عمر رضي الله عنه إنما استند في إجلائهم لهذه القضية.

وروى ابن زبالة عن مالك عن ابن شهاب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يبقى دينان في جزيرة العرب»[4].

قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه البَلَجُ[5] واليقين أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يبقى دينان في جزيرة العرب[6] فأجلى يهود خيبر»[7].

قال مالك: وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نَجْرَان وفَدَك[8].

وروى البيهقي من حديث عمر مرفوعاً: «لئن عِشْتُ إلى قابل لأخرجُنَّ اليهود

---

(١) ص: من.
(٢) تاريخ المدينة ١/١٧٦.
(٣) فتح الباري ٥/٣٢٧ ـ ٣٢٩ مع شرحه، وانظر: ٦/٢٧٠ ـ ٢٧١ وشرحه أيضاً والموطّأ ٣١٢ والبيان والتحصيل لابن رشد ٢/٥٧٧ ـ ٥٨١.
(٤) الموطّأ ٣١١: «لا يبقينَّ دينان بأرض العرب»، وفي تاريخ المدينة ١/١٨٣: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان" ومثله في الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٢/٩٥، وانظر: عيون الأثر ٢/٤٤٨ مع مصادر وروده والأوسط للطبراني، رقم: ١٠٧٠.
(٥) س، ر، والموطأ ٣١١: الثلج، والبلج: الوضوح والحق إذا اتضح، ويقال: الحق أبلج.
(٦) فتح الباري ٥/٣٢٨ وتاريخ المدينة ١/١٨٣: "لا يجتمع بجزيرة العرب دينان" والفردوس ٥/٤٧.
(٧) الموطّا ٣١١ والاكتفا للكلاعي ٢/٢٧١.
(٨) المصدر نفسه، والبيان والتحصيل ٢/٥٧٧ ـ ٥٨١، وفي معرفة الصحابة ٢/٣٤ عن النبي ﷺ: «قال: أخرجوا يهود نجران من الحجاز» وفي مسند الحميدي ١/٤٦: «أخرجوا يهود الحجاز من الحجاز».

والنصارى من جزيرة العرب»[1].

وخرَّجه مسلم بدون: "لئن"[2] "عشت"[3].

وفي مسند أحمد والبيهقي عن أبي عبيدة، قالا: كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب»[4]، الحديثَ.

وروى أحمد بسندٍ جيد عن عائشة، قالت: آخر ما عهد رسول الله ﷺ أنْ قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»[5].

قال الجويني والقاضي حسين[6] ـ من أصحابنا ـ الجزيرة هي الحجاز، والمشهور أنْ الحجاز بعض الجزيرة.

ولما مات النبي ﷺ لم يتفرغ أبو بكر رضي الله عنه لإخراجهم، فأجلاهم عمر رضي الله عنه وهم زُهَاء أربعين ألفاً.

ولم ينقل أنَّ أحداً من الخلفاء أجلاهم من اليمن مع أنها من الجزيرة[7]، فدَّل على أن المراد الحجاز فقط.

---

(١) المصنف ٧/ ٦٣٥ وفيه: "لئن بقيت...".

(٢) سقطت من: س، ر.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٤) مسند أحمد ١/ ٢٤٣ وسنن الدارمي ٢/ ٢٣٣ المصنف ٧/ ٦٣٥ ومسند الحميدي ١/ ٤٦.

(٥) المصدر نفسه، باقي مسند الأنصار ٢٥١٤٨.

(٦) هو أبو علي الحسين بن محمد المروزي المتوفى سنة ٤٦٢هـ، انظر: طبقات الشافعية ٤/ ٣٥٦ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ١/ ٤٨٧ وملحقه ١/ ٦٦٩ ومعجم المؤلفين ٤/ ٤٥ مع مصادر ترجمته.

(٧) كُتب في حاشية نسخة س: "وسمعت أن الإمام المهدي لدين الله من أئمة الزيدية القائم سنة الف وسبعة وثمانين بعد أن أمرهم أعني اليهود بالخروج من أرض اليمن وكتب إلى عماله ببلاد اليمن فلما كانوا بموزع قرية قريبة من ساحل البحر وصل الخبر بوفاته فبقوا...". وقد نشرتُ بالإشتراك مع سادان وفان كوننكزفيلد نصاً عربياً يتعلق بحادثة إجلاء يهود اليمن مع دراسة موسعة وترجمة النص للإنجليزية بعنوان:

Yemenite Authorities and Jewish Messianism, LeidenUnivsity Faculty of Theology, Leiden, 1990 by P.S.van Koningsveld, J. Sadan and Q. Al-Samarrai.

وقد أثارت مسألة إجلاء اليهود من اليمن مساجلات واسعة لم تزل مخطوطة اشترك فيها الشوكاني وغيره من علماء اليمن، ومنها نسخة مخطوطة نفيسة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض برقم: ٧٧٣٩.

وحكيَ أن بعض اليهود أظهر كتاباً، وادعى أنه كتاب النبي ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، فعُرِض على أبي بكر الخطيب البغدادي فقال: هذا مُزَوَّر، لأنَّ فيه شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح، فلم يحضُر ما جرى، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات في بني قريظة بسهم أصابه في الخندق، وذلك قبل خيبر بسنتين[1].

وذلك من فوائد علم التاريخ، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: قاسم السامرائي: مقدمة في الوثائق الإسلامية، دار العلوم ـ الرياض ١٤٠٣هـ، ٥٥ ٥٧، فقد ذكرت في كتابي هذا أكثر من كتاب مزور، وانظر: البداية والنهاية ٢١٩/٤، ٣٥٢/٥، ١٩/١٤ والأسرار المرفوعة لعلي القارىء ٤٥٦ ـ ٤٦٨.

جريدة
المصادر المختارة

ـ **آثار المدينة المنورة**: لعبد القدوس الأنصاري، دمشق ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥.

ـ **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع**: لحمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨.

ـ **ألإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**: لبدر الدين الزركشي، تح سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي ـ بيروت ط ٢ ١٩٧٠.

ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: لعلي بن بلبان الفارسي، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧.

ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: لابن حزم، مطبعة العاصمة ـ القاهرة ١٩٧٠.

ـ **أخبار المدينة**: لعمر بن شَبَّة، نُشر بعنوان: **تاريخ المدينة المنورة**، مخطوطة رباط مظهر بالمدينة الشريفة.

ـ **أخبار مكة**: للفاكهي، تح عبد الملك بن دهيش، مكة المكرمة ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

ـ **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**: للخطيب البغدادي، تح عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥ هـ.

ـ **أسماء جبال تهامة وسكانها**: لعرام السلمي، تح عبد السلام هارون (نوادر المخطوطات ٨) ونشره مفرداً أيضاً في سنة ١٣٧٢ هـ.

ـ **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**: لابن فهد، تح فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣.

ـ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**: لابن عبد البر النمري، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ، (بهامش **الإصابة** لابن حجر).

ـ **الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا**: لمغلطاي بن قليج، تح محمد نظام الدين الفُتَيِّح، بيروت ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦.

ـ **الاشتقاق**: لابن دريد، بيروت ـ دار المسيرة.

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ.

ـ **الإصابة**: لابن حجر، القاهرة ١٣٤٨ هـ.

ـ **إصلاح الغلط في غريب الحديث**: لابن قتيبة، تح جيرار لكونت، بيروت ١٩٦٨ (مجلة جامعة القديس يوسف، عدد ٦٤).

ـ **إعلام الساجد بأحكام المساجد**: لمحمد بن عبد الله الزركشي، تح أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ.

ـ كتاب **الأقاليم**: للاصطخري، انظر: **صور الأقاليم**.

ـ **الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا**: للكلاعي، تح مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠.

ـ **الأماكن** أو **ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**: لمحمد بن موسى الحازمي، تح حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض ١٤١٥ هـ.

ـ كتاب **الأمثال**: للقاسم بن سلام، تح عبد المجيد قطامش، دمشق ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠.

ـ كتاب **الأموال**: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تح محمد هراس، القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨.

ـ **إنباء الغُمر بأنباء العمر**: لابن حجر، تح حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ ـ ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢.

ـ **الإنباء في تاريخ الخلفاء**: لمحمد بن علي المعروف بابن العمراني، تح قاسم السامرائي، لايدن ١٩٧٣.

ـ **أنساب الأشراف**: للبلاذري، تح محمد حميد الله، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩.

ـ **أنوار التنزيل** انظر: تفسير البيضاوي.

ـ **إهداء اللطائف من أخبار الطائف**: لحسن بن علي العجيمي، تح يحيى محمود جنيد ساعاتي، دار ثقيف، الطائف ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠، ط ٢.

ـ **البحر الزخار**: انظر: **مسند البزار**.

ـ **البخلاء**: للجاحظ، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي، بغداد ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤.

ـ **بدائع الزهور في وقائع الدهور**: لابن إياس الحنفي، تح محمد مصطفى، القاهرة ١٤٠٢ـ ١٤٠٤ هـ، الطبعة الثالثة.

ـ **بلاد العرب**: للحسن بن عبد الله الأصفهاني، تح حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨.

ـ **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**: لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، تح محمد حجي، ط ٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨.

ـ **بين التاريخ والآثار**: لعبد القدوس الأنصاري، ط ٣، جدة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧.

ـ **تأويل مختلف الحديث** لابن قتيبة، تصحيح محمد زهري النجار، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦.

ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: للذهبي، تح عمر عبد السلام تدمري، (مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي)، دار الكتاب العربي: بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧.

ـ **تاريخ افريقية والمغرب**: لإبراهيم بن القاسم الرقيق، تح عبد الله الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠.

ـ **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**: لابن الأثير، تح عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢.

- **تاريخ الثقات**: لأحمد بن عبد الله العجلي، تح عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤.
- **تاريخ خليفة بن خياط**: تح أكرم ضياء العمري، النجف ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧.
- **تاريخ الرسل والملوك**: لابن جرير الطبري، نشر دي خويه، لايدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٣.
- **تاريخ المدينة المنورة**: لعمر بن شَبَّة النميري، تح فهيم محمد شلتوت، جدة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ وانظر: **أخبار المدينة**.
- **التاريخ والمؤرخون بمكة**: لمحمد الحبيب الهيلة، نشرة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤.
- **تجريد أسماء الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم جرحاً وتعديلاً**: لعمر بن محمود وحسن محمود، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨.
- **تجريد أسماء الصحابة**: للذهبي، تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين، بومبي ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩.
- **تجريد الصحاح**: لرزين العبدري، مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم: ٨٩٧٨.
- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**: للسخاوي، تح محمد حامد الفقي، القاهرة ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ وما بعدها، ونشرة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣.
- **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**: لعبد الرحمن الأنصاري، تح محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة ـ تونس ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠.
- **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**: لزين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي، تح محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط٢ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.

ـ **ترتيب المدارك**: للقاضي عياض، تح أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥،

ـ **تصحيفات المحدثين**: للعسكري، تح محمود أحمد ميرة ، القاهرة ١٩٨٣ .

ـ **التعديل والتجريح لمن خَرَّج له البخاري في الجامع الصحيح**: للباجي، الرياض ١٤٠٦ هـ.

ـ **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة**: لمحمد بن أحمد المطري، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ.

ـ **التعليقات والنوادرعن أبي علي الهجري**: دراسة ومختارات، القسم الثالث: اللغة والمواضع، ترتيب حمد الجاسر ـ الرياض (؟).

ـ **تفسير البيضاوي**: استانبول (الطبعة الحجرية) ١٣٠٥ هـ.

ـ **تفسير ابن عباس**: **تنوير المقباس**.

ـ **تفسير ابن مسعود**: جمع وتحقيق ودراسة محمد أحمد عيسوي، مؤسسة الملك فيصل ـ الرياض ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ .

ـ **التكملة لوفيات النقلة**: للمنذري، تح بشار عواد معروف، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ .

ـ **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ .

ـ **تهذيب التهذيب**: لابن حجر، حيدرأباد ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ.

ـ **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**: لمحمد بن عبد الله القيسي، المعروف بـ: ابن ناصر الدين الدمشقي، تح محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ .

ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: لابن الأثير، تح عبد القادر الأرناووط، دمشق ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ .

ـ **جامع البيان في تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر الطبري، تح أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة د.ت .

ـ **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**: لابن ظهيرة

القرشي، ط٥، المكتبة الشعبية، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩.
- **الجامع الكبير**: للترمذي، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦.
- **الجرح والتعديل**: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدرآباد ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٥.
- **جمهرة أنساب العرب**: لابن حزم، بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣.
- **جمهرة النسب**: لابن الكلبي، تح محمود فردوس العظم، دمشق ١٩٨٣ ـ ١٩٨٦.
- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**: للزبير بن بكَّار، تح محمود محمد شاكر، ج١ فقط، مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨١ هـ.
- **جوامع السيرة**: لابن حزم، تح إحسان عباس وناصر الدين الأسد، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٥٠.
- **الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم المعظم**: لأحمد بن حجر الهيتمي، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٣١ هـ.
- **الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة**: للسيوطي، تح عبد الله محمد الدرويش، دمشق ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥.
- **الخصائص الكبرى**: للسيوطي، تح محمد خليل هراس، القاهرة ١٣٨٧ هـ
- **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**: للسمهودي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢، والطبعة الثانية، بتعليق الشيخ إبراهيم الفقيه، جدة ١٣٠٣ هـ/ ١٩٨٣.
- **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للخزرجي، القاهرة ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤.
- **خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك**: لعبد الرحمن سُنبط قَنيتو الأربلي، إعداد مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٤.
- **الدر المنثور**: للسيوطي، القاهرة ١٣١٤ هـ.

ـ **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**: لابن النجار، (نُشر الكتاب في آخر الجزء الثاني من: كتاب **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** لتقي الدين الفاسي)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**: لابن النجار، تح حسين محمد علي شكري، دار المدينة المنورة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ .
ـ **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**: نشر محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥، وهي نشرة رديئة خالية من الفهارس، وتشيع فيها الأوهام.
ـ **درة الحجال في أسماء الرجال**: لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي،تح محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة ـ تونس ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ .
ـ **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: لابن حجر العسقلاني، حيدرآباد ١٣٤٩ هـ.
ـ **الدرر في اختصار المغازي والسير**: ليوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري، نشرة مصطفى ديب البغا، بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ .
ـ **دلائل النبوة**: لأبي نعيم، حيدرأباد ١٣٢٠ هـ.
ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ في ٧ أجزاء.
ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي، دار الريان ـ القاهرة ١٤٠٨ هـ.
ـ **الدليل الشافي على المنهل الصافي**: لابن تغري بردي، تح فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٣ .
ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون، مطبعة المعاهد ـ القاهرة ١٩٣٢ (بهامشه نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي).

ـ **ديوان قيس بن الخطيم**: تح ناصر الدين الأسد، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢وطبعة بيروت ١٩٦٧.

ـ **ذكر أسماء من تُكلم فيه وهو موثق**: للذهبي، تح محمد شكور بن محمود الميادينى، مطبعة المنار ـ الأردن ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦وحُقِّق النص نفسه بعنوان: **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد**: للذهبي، تح إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦.

ـ **رحلة ابن جبير**: دار صادر ـ بيروت ١٣٨٤/ ١٩٦٤.

ـ **رحلة ابن جبير**: دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦.

ـ **الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي**: لسيف بن عمر التميمي، تح قاسم السامرائي، لايدن ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥.

ـ **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**: لمحي الدين بن عبد الظاهر، تح عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦.

ـ **الروض الأُنُف**: لعبد الرحمن السهيلي، تح عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٨.

ـ **الروضة الفردوسية والحضرة القدسية**: لمحمد بن أحمد الأقشهري، مخطوطة برلين، بخطه، برقم: Or. 2082.

ـ **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**: لمحمد بن عثمان بن صالح القاضي بعنيزة، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٨٤.

ـ **الروضتين في أخبار الدولتين** و **ذيل الروضتين** المنشور بعنوان: **تراجم رجال القرنين السادس والسابع**: لأبي شامة، نشرعزة العطار، القاهرة ١٩٤٧.

ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة**: للمحب الطبري، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٧ هـ/١٩٠٩ (وطبعة دار الندوة الجديدة بيروت ١٩٨٨).

ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك**: للمقريزي، تح محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٧٣.

ـ سنن ابن ماجه: تح محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣ هـ.
ـ سنن الترمذي: صحيح سنن الترمذي.
ـ سنن الدارمي: لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الفكر، القاهرة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨.
ـ سنن أبي داود: تح محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦.
ـ سنن أبي داود: تح عزت الدعاس وعادل السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٨ هـ.
ـ السنن الكبرى: للبيهقي، حيدرآباد ١٣٤٤ هـ.
ـ السنن الكبرى: للنسائي، تح محمد حبيب الله الأثري، بومبي ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥.
ـ سنن النسائي: بشرح السيوطي وحاشية السندي، القاهرة ١٣٤٨ هـ/ ١٩٣٠.
ـ سيرة ابن إسحاق: (المسماة: بكتاب المبدأ والمبعث والمغازي) تح محمد حميد الدين، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط ١٤٩٦ هـ/ ١٩٧٦.
ـ سيرة صلاح الدين الأيوبي: النوادر السلطانية.
ـ السيرة النبوية: بتهذيب ابن هشام، تح فردناند وستنفيلد، كوتنكن ١٨٥٨ـ١٨٦٠.
ـ السيرة النبوية: للذهبي، تح حسام الدين القدسي، بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨.
ـ شرح ديوان الحماسة: لأبي تمام بشرح المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣.
ـ شرح مشكل الآثار: للطحاوي، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤.
ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، محمد علي صبيح وأولاده، طبعة حجرية، القاهرة ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦.
ـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتاج الدين السبكي، حيدرأباد ١٣١٥، ط٢ ١٣٧١ هـ.

ـ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**: لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٦.
ـ **صحيح ابن خزيمة**: تح محمد مصطفى الأعظمي، بيروت ١٣٩٠/ ١٣٩٩ هـ.
ـ **صحيح البخاري**: طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٣٤٧ هـ.
ـ **صحيح البخاري**: عربي ـ انجليزي، طبعة دار الهلال، انقرة ١٩٧٦.
ـ **صحيح سنن الترمذي**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨.
ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**: تح عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، دار أبي حيان، دمشق ـ بيروت ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥.
ـ **صحيح مسلم**: نشر محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٣٣٤ هـ.
ـ **صفة جزيرة العرب**: للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تح محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة بالرياض ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤.
ـ كتاب **صورالأقاليم**: للاصطخري، تح مولر H. J. Moell جوته ـ المانيا ١٨٣٩.
ـ **الضعفاء الصغير**: للبخاري، تح محمود إبراهيم زايد حلب ١٣٩٦ هـ.
ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: للسخاوي، مصورة دار مكتبة الحياة ببيروت د. ت.
ـ **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**: لكمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي، تح سعد محمد حسن، الدر المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦.
ـ **الطبقات**: لخليفة بن خياط العصفري، تح أكرم ضياء العمري، الرياض طـ٢، ١٤٠٢ هـ.
ـ **طبقات الحفاظ**: لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣.
ـ **طبقات الشافعية**: لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، تح محمود محمد الطناحي

وعبد الفتاح الحلو، القاهرة ، ط٢، دار هجر، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ .
ـ **طبقات الشافعية**: لابن قاضي شهبة، تح عبد العليم خان، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ .
ـ **الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة**: لابن سعد تح محمد صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ .
ـ **الطبقات الكبرى**: لابن سعد، دار صادر، بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ .
ـ **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**: لعبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأنصاري، تح عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ .
ـ **العباب الزاهر واللباب الفاخر**: للصاغاني، نشر قسم منه ببغداد سنة ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩ .
ـ **العبر في خبر من عبر**: للذهبي، تح محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ .
ـ **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب**: لأبي بكر الحازمي، تح عبد الله كنون، القاهرة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ .
ـ **عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد**: للقاسم بن فيرة الشاطبي، قازان ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ .
ـ **العقد الفريد**: لابن عبد ربه، المكتبة التجارية الكبري، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥ .
ـ **علل الحديث**: لعبد الله بن عدي الجرجاني، تح صبحي السامرائي بغداد سنة ١٩٧٧ .
ـ **علماء نجد خلال ستة قرون**: لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ١٣٩٨ هـ.
ـ **العفو والاعتذار**: لمحمد بن عمران العبدي المعروف بالرقام البصري ـ تح عبد القدوس أبو صالح، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ .

ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: لابن سيد الناس، تح محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، دمشق ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢.

ـ **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**: لعبد العزيز بن فهد، تح فهيم محمد شلتوت، معهد البحوث الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي ـ مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٦/ ١٤٠٩ هـ (١٩٨٦ / ١٩٨٩).

ـ **غريب الحديث**: لحمد بن محمد الخطابي، تح عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢.

ـ **غريب الحديث**: للقاسم بن سلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.

ـ **الفائق في غريب الحديث**: للزمخشري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٧١.

ـ **فتح الباب في الكنى والألقاب**: لابن منده الإصبهاني، تح نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦.

ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض، مصورة من طبعة محب الدين الخطيب.

ـ **الفتح القسي في الفتح القدسي**: للعماد الأصفهاني، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣٢١ هـ.

ـ **فردوس الأخبار**: للديلمي، تح فوَّاز الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧.

ـ **الفردوس بمأثور الخطاب**: لشيرويه الديلمي، اعداد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦.

ـ **الفرق بين الفرق**: للإسفرائيني، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبيح وأولاده القاهرة ١٩٦٥.

ـ **الفصول في اختصار سيرة الرسول**: لابن كثير، تح الخطراوي ومستو، بيروت ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠ هـ .

ـ **فصول من تاريخ المدينة المنورة**: لعلي حافظ، جدة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦، ط٤ .

ـ **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**: للمشرف بن المرجى المقدسي، تح عوفر ليفنه ـ كفري، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، القدس ١٩٩٥ .

ـ **فضائل القدس**: لابن الجوزي، تح جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق، بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ .

ـ **فضائل المدينة المنورة**: لخليل إبراهيم ملاًّ خاطر، دار القبلة الإسلامية وغيرها، جدة ـ بيروت ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ .

ـ **الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة والتاريخ والتراجم** ..الخ، لقاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ .

ـ **الفهرست**: للنديم، تح رضا تجدد، طهران ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ .

ـ **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار الجيل، بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ .

ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: لابن عدي الجرجاني، تح صبحي البدري السامرائي، بغداد ١٩٧٧ .

ـ **الكشاف في التفسير عن حقائق التنزيل**: للزمخشري، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٦٩ .

ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تح حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٩٧ .

ـ كتاب الكنى: للبخاري، ملحق بالجزء الرابع من **التاريخ الكبير**، حيدرآباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦١ ـ ١٣٦٢ هـ.

ـ **لطائف الإشارات في التفسير**: لأبي القاسم القشيري، نشره إبراهيم بسيوني، القاهرة ١٩٦٩ .

- **ليس في كلام العرب**: لابن خالويه، تح أحمد عبد الغفور العطار، دار مصر للطباعة ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧.
- **ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**: انظر: الأماكن.
- **متن الإيضاح في المناسك**: لشرف الدين النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٥.
- **مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن**: لابن الجوزي، تح محمد حسين الذهبي، القاهرة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥. وحققه أيضاً مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الرياض ١٤١٥/ ١٩٩٥.
- **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**: لأحمد المقدسي، مخطوطة لايدن، Or.931.
- كتاب **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: لأبي حاتم البستي، تح محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة بيروت، د.ت.عن نشرة حلب ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥.
- كتاب **المجالسة وجواهر العلم**: للدينوري، نشره فؤاد سزكين بالتصوير، فرانكفورت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦.
- **مجمع الزوائد**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٢ ـ ١٣٥٣.
- **المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي**: تح مصطفى جواد، بغداد ١٩٦٣.
- **المدينة المنورة**: تطورها العمراني وتراثها المعماري: لصالح لمعي مصطفى، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨١.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**: لعبد الله بن أسعد اليافعي، حيدرآباد ١٣٣٧ هـ.
- **مرآة الحرمين**: لرفعت باشا، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- **المرتبة الرابعة**: لابن حزم، مخطوطة برلين برقم: ٩٥١٠.

- **المسالك والممالك**: لابي عبيد البكري، نشرة ادريان فان ليوفن واندري فيري، قرطاج، تونس ١٩٩٢.
- **المستدرك على الصحيحين**: للحاكم النيسابوري، حيدرأباد ١٣٣٤ هـ، وبيروت ١٩٨٠.
- **المستفاد من تاريخ بغداد**: لابن النجار وانتقاء ابن الدمياطي، تح قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧١/ ١٣٩١ هـ
- **مسند أحمد بن حنبل**: القاهرة ١٣١٣ هـ
- **مسند أحمد بن حنبل**: المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨، ط٢.
- **مسند أحمد بن حنبل**: تح أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦.
- **مسند أحمد بن حنبل**: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤١٤ هـ، ط٢.
- **مسند البزار**: لأحمد بن عمرو العتكي البزار، تح محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٤.
- **مسند الحميدي**: لعبد الله بن الزبير الحميدي، تح حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت ١٣٨١ هـ.
- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: للقاضي عياض، تح البلعمشي أحمد يكن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢، نشر منه جزءآن حتى الآن.
- **المشتبه في الرجال: أسمئهم وأنسابهم**: للذهبي، تح علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٩٦٢.

كتاب **المصاحف**: للسجستاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥.

- **المصنف في الأحاديث والآثار**: لابن أبي شيبة، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: لابن حجر، تح حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة مكة المكرمة، مصورة عن طبعة الكويت، د.ت.

ـ **معالم التنزيل**: للبغوي، القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١.
ـ **معجم الأدباء**: لياقوت، دار المأمون ـ القاهرة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨.
ـ **معجم الأمثال العربية**: لرياض عبد الحميد مراد، نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦.
ـ **المعجم الأوسط**: للطبراني، تح محمود الطحّان، مكتبة المعارف، الرياض ١٩٩٥.
ـ **معجم البلدان**: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦.
ـ **معجم شيوخ عمربن فهد الهاشمي المكي**: تح محمد الزاهي، دار اليمامة ـ الرياض ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢.
ـ **المعجم الصغير**: للطبراني، دهلي ١٣١١ هـ (الطبعة الحجرية).
ـ **المعجم الكبير**: للطبراني، تح حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٧٨.
ـ **المعجم المختص بالمحدثين**: للذهبي، تح محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق ـ الطائف ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨.
ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**: مؤسسة برل، لايدن ١٩٤٣ وما بعدها.
ـ **معجم ما استعجم**: لأبي عبيد البكري، تح فردناند وستنفيلد، كوتنكن ١٨٧٧.
ـ **المعرفة والتاريخ**: للبسوي، تح أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت ١٤٠١ هـ.
ـ **معرفة السنن والآثار**: للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي، القاهرة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١.
ـ **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد**: للذهبي، تح إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦، وانظر: **ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**.
ـ **مغازي رسول الله ﷺ**: لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه، لمحمد مصطفى الأعظمي، الرياض ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١.

ـ المغازي: للواقدي، تح مارسدن جونس، مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦٦.
ـ المغانم المطابة في معالم طابة: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (قسم المواضع)، تح حمد الجاسر، الرياض ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩.
ـ المغانم المطابة في معالم طابة: للفيروزآبادي، مخطوطة فيض الله باستانبول ١٥٢١.
ـ مقدمة في الوثائق الإسلامية: لقاسم السامرائي، دار العلوم، الرياض ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣.
ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار: للداني، تح برتزل Pretzl, O.، استانبول ١٩٣٢.
ـ المقنع في القراءآت والتجويد: للداني، تح محمد أحمد دهمان، دمشق ١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠.
ـ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة: لابن رشيد الفهري، تح محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨.
ـ الملل والنحل: للشهرستاني، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨.
ـ مناظرة الحرمين ومناضلة المحلين: لعلي بن يوسف الزرندي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ، تح سعيد عبد الفتاح، القاهرة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢.
ـ المنتخب من غريب كلام العرب: لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكُراع النَمل، تح محمد بن أحمد العُمَري، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩.
ـ المنتقى شرح موطأ مالك: لأبي الوليد الباجي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٣٢ هـ.
ـ المنجَّد في اللغة: لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع، تح أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، ط٢، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٨.
ـ المنذري وكتابه التكملة: لبشار عواد معروف، النجف ١٩٦٨.

ـ **منسك النووي**: انظر: **متن الإيضاح**.
ـ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**: لابن تغري بردي، تح محمد محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ وما بعدها.
ـ **المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز**: لأحمد صالح العلي، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج١١، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤، ص١٢٧ ـ ١٢٩.
ـ **مؤلفات ابن الجوزي**: لعبد الحميد العلوجي، بغداد ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥.
ـ **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تح محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية ـ بيروت د. ت.
ـ **الموطَّـا**: لمالك بن أنس، القاهرة (بمطبعة الحجر بخط باب اللوق) ١٢٨٠ هـ
ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣.
ـ **ناسخ الحديث ومنسوخه**: لعمر بن أحمد بن شاهين، تح سمير الزهيري، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨،
ـ **نسب قريش**: لمصعب بن عبد الله الزبيري، تح ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ١٩٧٦.
ـ **نسب معد واليمن الكبير**: لابن الكلبي، تح محمود فردوس العظم، دمشق ١٩٨٣ ـ ١٩٨٨.
ـ **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**: لأبي محمد عبد الله بن فرحون، مخطوطة دار الكتب المصرية، برقم: ٦ ش تاريخ.
ـ **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**: لابن فرحون، تح حسين محمد شكري، دارالمدينة المنورة، المدينة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦.
ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لابن الأثير، تح طاهر أحمد الزوواي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، القاهرة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥.
ـ **النوادر السلطانية**: لابن شداد، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة ١٣١٧ هـ.

- نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول: للحكيم الترمذي، استانبول ١٢٩٤ هـ.
- الوفا بأحوال المصطفى: لابن الجوزي، تح مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ وتح محمد زهري النجار، القاهرة ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣.
- الوفا بما يجب لحضرة المصطفى: للسمهودي، تح حمد الجاسر (ضمن رسائل في تاريخ المدينة) الرياض ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢.
- الوفا بما يجب لحضرة المصطفى: للسمهودي، مخطوطة مكتبة جامعة لايدن، محفوظة تحت رقم: (2) Or. 832.

وهناك مصادر أخرى منثورة في الحواشي

محتويات الجزء الأول

انتهى الجزء الأول
من كتاب
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
للسمهودي
والحمد للّـــه وحده أولاً وآخـــراً
ويتلوه الجزء الثاني

إصدارات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

١ ـ التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر
تصنيف: د. محمد الحبيب الهيلة
الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م

٢ ـ كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى
تأليف: جار الله بن العز بن النجم بن فهد
تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة
الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م

٣ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
تأليف: نور الدين علي بن عبدالله بن أحمد السمهوري
تحقيق: د. قاسم السامرائي
الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م

٤ ـ البيئة الطبيعية لمكة المكرمة
رقية حسين سعد نجيم
الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م